



ديوان
عبد الرحمف شكري

عبد الرحمف شكري

ديوان عبد الرحمن شكري

تأليف
عبد الرحمن شكري



ديوان عبد الرحمن شكري

عبد الرحمن شكري

رقم إيداع ٢٠١٤ / ١٦٨١٢

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧٦٨ ١٠١ ٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2015 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	١- ضوء الفجر
٦٩	٢- لآلىء الأفكار
١٤٩	٣- أناشيد الصبا
٢٠٥	٤- زهر الربيع
٢٥٧	٥- الخطرات
٣١٣	٦- ديوان الأفنان
٣٦١	٧- ديوان أزهار الخريف
٤٠٧	٨- قصائد أخرى

الفصل الأول

ضوء الفجر

ألا يا طائرَ الفردَوْ سِ إنَّ الشعرَ وجدان

من قصيدة «عصفور الجنة»
في الجزء الثالث لصاحب الديوان

كسرى والأسيرة (قصة)

يا فتاةَ الحيِّ قومي فاسمعي
قصة ذات اعتبار آخذ
غَضِبَ الجبارُ كسرى غضبَةً
غضبة ذات وعيدٍ رائع
ترك العربَ على عزتها
أرسل الغارة في ذي مرّة
يفقد الطرف لديه لحظه
رامَ أمراً لم يرّمه غيره
فرمى العرب بعزم ناغم
فغزا من أرضهم ما قد غزا
إن في السبي لُخودًا علمت

قصةً تقتل أطماع الهوى
بصميم اللب يقريه الهدى
فنما من شره ما قد نما
ترك العرب كأطيّار العرا
تبتغي المنعة ما بين الربى
ينزع الغلّ بتقطير الدما
ويضل السيف فيه والقنا
رُبَّ باغٍ نال أطراف المنى
ذي اغتيال لم يمانعه حمى
وسبى من أهلهم ما قد سبى
سنة البدر ملاشاة الدجى

جال ماء الحسن في أعضائها فإذا ناجيته مَجَّ الضحى

* * *

رأت الإيوان في أبهة لو بغير الطهر عينٌ نَطَّرَتْ
رامَ كسرى من هواها بغية وأذلت شهوةً مقبوحة
أَكَلَتْ أحشاه والِجَّةُ جاء كسرى شاهراً أطماعه
سامها كلَّ خسيس كارثٍ ورمها بوعيدٍ حاسر
سائه أن قد تَأَبَّتْ فَأَتَتْ فاحتمت عنها بصيرٍ دارعٍ
إِيه لله عفافٍ مخلصٍ ثم قالت قولة في أسرها
«قَيْدُونِي، غَلُّونِي، ضَرَبُوا فَأَتَاهَا نَبَأٌ مِنْ قَوْمِهَا
أَوْ تَجُولِ الْحَرْبِ فِي مِيدَانِهَا أَوْ يَكُونُ السَيْفُ فِي أَعْدَائِهِمْ
تَطَّيَّبِي النَّفْسَ لِأَوْطَارِ الْهُوَى لَرَأَتْ ذَاكَ مَقَامًا لِلْعُلَى
فَحَسَا مِنْ حَسْنِهَا حَتَّى انْتَشَى مِنْهُ حَتَّى رَامَ مَا فَوْقَ الرِّضَى
كَوْلُوجِ النَّارِ فِي عَوْدِ الْغَضَا فَنَضَا مِنْ حَلْمِهِ مَا قَدْ نَضَا
قَاتَلَ اللَّذَاتِ يَزْرِي بِالنَّهْيِ شَرَسَ الْإِرْهَابِ مَجْلُوبِ الْأَذَى
نَقَمَةً فِي طِي ذِيكَ الْإِبَا كَاِحْتِمَاءِ الْحَرِّ عَنْ ضِيمِ عَرَا
لَكَ مَا سِيمِ الْخَنَى إِلَّا أَبَى تَبَعَثَ الْغَلَّ وَتَهْفُو بِالْوَعَى
مَلَمَسَ الْعَقَّةِ مَنِي بِالْعَصَا أَنَّهُمْ عَافُوا لِذَاذَاتِ الْكُرَى
كَمَجَالِ الطَّيْشِ فِي عَهْدِ الصَّبَا مُعْمَلًا يُوْدِي بِهَامٍ وَطَلَا

خطراتُ في المساء (مناجاة يوم مضى)

نحن نبكي كلَّ ميثٍ راحلٍ أشباب لك مرجو الضحى
أنت في حاليك كاس من بهاءٍ رحم أنت لما تأتي به
يا حليفَ الحدثِ المقدور ما يا سليلَ الدهرِ كم من حادثٍ
كيف لا نأسى على يوم مضى أم مشيب لك معذولُ المسَا
خالِبِ الْأَنْحَاءِ مَحْمُودِ الرُّوَا أم ضريحٍ للذي مرَّ بنا
فَعَلَّ الْحِظَّ بِمَخْلُوفِ الْمَنَى يجعلُ البائِسَ محلولَ العَرَا

أنت مأواه فهل من عطفة
قد عهدناك ملاذًا من شقاء
تبعث الأحداث من مسكنها
تُطَلِّق الأحوالَ فينا مثلما
تدع الناغمَ مجلوب الرضى
وعهدناك ملاذًا للشقا
بعثة الفارسِ أطراف القنا
يُطَلِّق الساحر أقوال الرُّقى

عاشق المال (خداع الغواني)

نسماتُ الربيع تخفق كالعدو
فهي تغدو ما بين غصنٍ نضير
كالرسولِ الأديبِ بين محبٍ
يعقد الصلح في أناةٍ كما يعف
وضياء الشمس المنيرة كالبيش
والندى عاشقٌ يدل عليه الـ
وهناك الطير المغرَّد كالشأ
نغمات لم يحوها المطرب البأ
هي بزُد على القلوبِ وعقدُ
تستميل الأغصانَ بالنغم العد
لك شأؤ لم تلتئمسه مياه
منظرٌ يجعل المهبذب يبغي
منظر يبعث الشجونَ ويحبو

بِ برفقٍ فعَل اللبيبِ الخبيرِ
فاتن حُسْنُه وغصنِ نضيرِ
وحبيبٍ أو كالحكيم السفيرِ
قَد رُبُّ النهى قضاء الأمورِ
ر إذا ما احتواه وجهُ البشيرِ
وَرُدُّ إِدلالِ فاتناتِ الثغورِ
عَر يتلو حمْدَ الزمانِ النضيرِ
رُع إلا دعوى نفاقٍ وزورِ
للأمانى ومدخلُ للسرورِ
ب فتتهتز هزة المخمورِ
ما أعدت سوى غناء الخريِرِ
لَبَّ ذاك الأمرِ الجليلِ الستيرِ
فاتناتِ المنى ببُرْدِ نضيرِ

* * *

وأنت تخطر المعشقة الحس
بقوامٍ ينقد من دونه القلب
خلفها العاشق المنيّم يمشي
هو يتلو آيات حب كريح الـ
وهي ملذوذة به كتملي
كلمات كأنها الحلم العد
ناء تُزهي بوجهها المستنير
ب وطرفٍ يسطو بحسن الفتور
مشية الظافر الأمير الخطير
زهر في طيبه ونشر العبير
ذي عناء للظل وقت الهجير
ب وود يحكي صفاء الطهور

على حُكْمِهَا قَرِينِ الْأَسِيرِ
وَيُزْرِي بَعْدَهُ فِي الضَّمِيرِ
بشجْوِ يَلِينِ صَمِ الصَّخُورِ
مَسْتَجِدًّا مِنْ طَارِقَاتِ الْأُمُورِ
أَنْشَبَ الْيَأْسَ ظَفْرَهُ فِي الْأَمِيرِ
فَغَدَا حَظُّهُ كَحَظِّ الْفَقِيرِ
ولو كان في زمامِ القصورِ
رُ عَلَيْهِ بِقِسْمَةِ الْمُقْمُورِ
بِبَالِ جَوْ وَجَدُّ عَثُورِ
مُوتٌ مِنْهُ بِمُوعِدِ مُقْدُورِ
بعد هذا عيشَ الدَّلِيلِ الْحَقِيرِ!

ومواثيقِ جَمَةِ تَدَعُ الْحَرَ
لَمْ تَدَّرْ لِلْفَتَاةِ مَا يَبْعَثُ الشُّكَّ
بينما كان جاثيًا يرسل البثَّ
جاءت الخادمِ العجوزِ لِأَمْرِ
أرسلت دمعها الغزيرِ وقالت
أَكَلَّ الدَهْرُ مَالَهُ وَقَوَاهِ
وحليف القمار يدركه الذلُّ
أثقل الدَيْنُ ظَهْرَهُ وَعَدَا الدَهْ
فغدا يائسًا تكاءدُهُ الْهَمُّ
ثم أهوى إلى الحسامِ وكان الـ
فاندبى حَظُّكَ الضَّيئِلَ وَعِيشِي

* * *

ت مُعِينِي وَرَاحَ عَنِّي نَصِيرِي
وَذِكْرِي رَثٌّ وَحَظُّ نَزُورِ
بِ عَلَى كُلِّ نَكْبَةٍ بِصَبُورِ
فِي التَّجَاءِ إِلَى الْحَبِيبِ الظَّهِيرِ
ثَ بِهَا لِأَغْتَدِي بِقَلْبِ كَسِيرِ
دَ تَصِيبِ الْأَحْشَاءِ قَبْلَ الصَّدُورِ
سِ وَتُصْمِي بِمِثْلِ وَقَعِ الذُّكُورِ
لُ جَمِيعًا بِأَنْتِي وَزَفِيرِي
هَبُّ مِنْي عَنِ الرَّجَاءِ الْقَصِيرِ
يَأْسِرِ الدَّهْرَ بِالذَّرُورِ الْمُطِيرِ
وَذَرَاكَ الْأَغْرُ غَيْرِ حَقِيرِ
بِبَالِ وَالْعَزَّ بِالْمَكَانِ الْأَثِيرِ
كِ وَرَيْبِ الزَّمَانِ غَيْرِ مَغِيرِ
غَيْرِ مُبْكٍ وَلَا مَهِيْبِ قَدِيرِ
بِ كَمِيلِ الظَّمَانِ نَحْوِ الْغَدِيرِ!

مَنْ مُعِينِي عَلَى الْحَيَاةِ وَقَدْ مَا
حِينَ لَمْ يَبْقَ لِي سِوَى الْأَمْلِ الْمَرِّ
جَزَعُ الْقَلْبِ يَوْمَ مَاتَ وَمَا الْقَلْبُ
هَكَذَا قَالَتْ الْفَتَاةُ وَمَالَتْ
فَرَمَاهَا بِنَظْرَةٍ لَوْ رُمِيَ اللَّيْبُ
نَظْرَةً مَلُؤَهَا الْخِيَانَةُ وَالْحَقْفُ
نَظْرَةً تَبْعَتْ الْغَضَاظَةَ فِي النَّفْ
ثُمَّ قَالَ أَذْهَبِي فَقَدْ ذَهَبَ الْمَا
فَاتِ عُمُرُ الْخَدَاعِ وَانْكَشَفَ الْغَيْ
كَنْتُ أَهْوَاكَ حِينَ مَجْدُكَ عَالٍ
كَنْتُ أَهْوَاكَ حِينَ جَاهُكَ عَدْبُ
كَنْتُ أَهْوَاكَ حِينَ أَنْتِ مِنَ الْإِقْدِ
كَنْتُ أَهْوَاكَ وَالزَّمَانِ مُؤَاتِي
فَإِذَا شِئْتُ فَالْفِرَاقِ قَرِيبُ
قَالَ مَا قَالَ ثُمَّ مَالَ إِلَى الْبَا

هكذا تخدع الرجال الغواني
باحتيالٍ أدقَّ من خُدعِ الدهـ
والغواني قنيصةً للغرورِ
ر وزي غَصٍ ودمعٍ غزيرِ!

حزين الغريب عند غروب الشمس

أيُّ هذا الغريب ذو البلد النا
قد عهدناك مستكيناً لريب الـ
وعهدناك لست تعرف ما الحبُّ
وعهدناك ليس يكرثك الضيُّ
وعهدناك خاشعاً مستقاداً
وعهدناك إن زَلَلتْ فأدليـ
وعهدناك لا حسوداً ولا غرّاً
وعهدناك لا بكياً قطوعاً
أنتِ واسيتنا وقد أجب الدهـ
أنتِ علّمتنا الرجاء بأنْ كُنـ
فسقى الله غُرْبَةً أَلْحَقْتَنَا
أنتِ أعطيتنا الطلاقَةَ والبِشـ
فخليق بنا وقد ظَهَرَتْ فِي
أَنْ نُفَدِّيكَ بالنفوس اللواتي

* * *

أيها النافشون في قلبه الحز
قد نَكَرْتُمْ حالاً يروح لها مُشـ
إنما العزُّ أن يكون بأرضٍ
حيث لا يَعْرِف المداواةَ والضَّيـ
ما به قلة الولاءِ ولكن

* * *

حُزِنَ أَمْ مَرْتَدٍ بَعِيشِ الْأَدِيبِ
ر له عيشة الغريب الكئيب
لِ وِدَاءِ صَعْبٍ وَجَرِحِ رَغِيبِ
مدمع مشرق كَلْمَعِ الضَّرِيبِ
نِ وَغِيظِ عَلَى الزَّمَانِ المَرِيبِ
سقاء ممن يعدن شَقَّ الجيوبِ
ضِ وَغَابَتِ فِي مَسْتَقَرِّ غَرِيبِ
بذؤاباتها قنوع السليب
فاتنات المنى ببردِ قشيبِ
الله والمظهر العظيم المهيبِ
ت بغصنِ كاسِ وَعُودِ رطيبِ
فَسُحْقًا لَصَرْفِهِ مِنْ غُصُوبِ
بِفؤَادٍ أَجْهَدْتُهُ بِالوَجِيبِ
ن خبيرًا طبًا بداءِ القلوبِ
سول ناءٍ وَالصَبْرُ غَيْرِ قَرِيبِ!

مستعيرٌ مِنَ السَّمَاءِ شَعَارِ الْـ
فَأخُوكَ الْأَدِيبِ فِي الْأَهْلِ وَالذَّاءِ
ليس في ثوبه سوى طَلَلِ بَا
ليس في وجهه مِنَ البِشْرِ إِلَّا
ليس في قلبه سوى الحَبِّ وَالْحَزِّ
فَانْدُبُ النَادِبَاتِ وَالْمَرْأَةِ الحَمِّ
فَتَنَّتْنَا الحَسَنَاءُ بِالزَّبْرَجِ المَحِّ
أضمر الغرب وجهها فقنعنا
منظر يبعث الشجونَ وَيحِبُّو
مستمدٌ مِنَ الجلالِ جلالِ
أذكرتني العيش اللذيذ الذي فا
ثم لم يَبْقَ لي سوى الذِكرِ العُرِّ
يا حنينًا إِلَى الحبيبِ تَرَفَّقْ
يا حنينًا إِلَى الأغرِ الذي كا
هل يطيب الزمانُ والأملُ المَعِّ

حمام الكازينو بالإسكندرية

أشجانِ يَوْمِ الأَحَدِ
أخْذَةً بِالجَلَدِ
آتية عن موعدِ
كَمْشِيَةِ المَقِيدِ
كَهزَةِ المَسْوَدِ
كالبَلْبَلِ المَغْرَدِ
كأنها لم توجَدِ
كالزاهدِ المُقْتَصِدِ
كالنَّفْسِ المَرْدِّ

ماذا دهى القلب من الـ
حيث الغواني فتنةٌ
حالية كأنها
خاطرة في مهلِ
تهتز في مشيتها
باسمة ضاحكة
خصورها خافية
ضعيفة ناحلة
ثيابها خافقة

إلا بطول الأبيدِ	والبحرُ لا تحده
مكَلَّلَ بالزبيدِ	كأنه ذو دولة
مَوْسُومَة بالحسدِ	كأنه ذو مهجّةٍ
كالمثلِ المطرِدِ	أما وجه سائرة
مثل امتداد الأمدِ	مياهه ممتدة
كالعازلِ المفنِّدِ	منبسّطٌ منقبضٌ
في مائه المرتعدِ	ظلالها واقعة
دراهمُ المنتقدِ	كأنما أطرافها
مائلة على اليدِ	عابثة بمائه
مخلوقة من غيِّدِ	كأنما أعضاؤها
مقومٌ من أودِ	فقدّها معتدلٌ
في قدّها المنعقدِ	وخصرها مختبئٌ
كالذهبِ المبدِّدِ!	وشعرها منتثرٌ

الحبُّ نائمٌ ويقظان

بكرًا كحاشية الرداءِ الأجددِ	نُبِّئْتُ أن الحورَ جنن حديقة
أزَّرتُ بوقعِ الصارمِ المتعمدِ	حيث الندى فَتَقَّ الزهور بحيلة
فمُعَرِّدِ يشجو وغير مغردِ	والطير مفتونٌ بحسن بيانه
رود النواحي بالمحاسن ترتدي	والأرض كالحسناءِ يوم زفافها
شرك الأبي وعُقلة المتعبدِ	حيث الهوى وهو العظيم قضاؤه
فعلُّ اللبيبِ القانصِ المترصدِ	أرخی لَوَاحِظَه وَأَطَبَقَ جفنه
تَدَعُ العزیز من الفناءِ بموعِدِ	فأمنٌ منه صولة عربية
هي حيلة ذَهَبَتْ بحزم الأرشِدِ	يحسبن ذاك وما أمنٌ وإِنما
مشي الشجاعةِ في فؤاد القعدِ	فمشى إليهن الهوى بترقبِ
منه وسوَّينَ المطارِفِ باليدِ	فعثرن في أذيالهن تخوفًا
إن لم يكن متزايلاً فكأن قدِ	وعدون عدوة خائف متظالعِ

* * *

فكأنهن أزاهرٌ منثورَةٌ نثر المِبْشِرِ عُرَّةُ الخَبَرِ النَدِي
وكأنهن صوادفًا وشواردًا حبات عقدِ اللؤلؤِ المتبدِّدِ
وكأنهن نسائم الصيف التي تحيي رجاءَ العاشقِ المتنهِّدِ
وكأنهن كواكب السعدِ التي سكنت فؤادَ الحنْدَسِ المتجسِّدِ
وكأنهن عزائم النحسِ الذي لعب القضاءُ بسعيه المتجدِّدِ

* * *

إلا فتاة علَّها ماء الصبا فتمهَّلتُ كبرًا بحُسنِ تأوُّدِ
أخاف هذا الحب في يقظاته وأنا التي لَعِبْتُ بلبِّ الأُصِيدِ
وأنا التي شقي السعيدُ بهجرها وقضى الجليد بدلها المتوعِّدِ؟

* * *

قال الغرام ورُبَّ قولة ناصح أبدت لها وجه السبيلِ الأَقْصَدِ
يا رُبَّ غانية طرقت فناءها فوصمتها بضراعةِ المستعبدِ
كانت تظنُّ فؤادها متأبياً عني ولم تعلم بسهمي المُقْصِدِ
فتركَّتها والنار بين ضلوعها تدعو عليَّ بلهفةٍ وتلُدِّدِ
أحسبتُ أن الحُسنَ يأنف أن يرى بحنين مفتون وجفنٍ مسهَّدِ

مناجاة الحبيب

لو أن أشجانَ الفؤادِ تطيعني لنظَّمْتُها لك في القريضِ نسيبًا
أو ما عَلِمْتَ بأنني لك عاشقٌ أفنى الزمانَ صباةً ونحيبًا
يا بؤس من سَكَنْتَ إِيكَ لِحَاظُهُ أن كنت أنت على المحبِّ رقيبًا
أرنبو إِيكَ فتحتويني هيبَةً فأرد طرفي خاشعًا مغلوبًا
ما حيلة الطرفِ الذليلِ إذا كبا أن كان شخصك في الفؤادِ مهيبًا
يا نظرة تهدي الشجون وتنتضي سيفًا من الطرفِ الكحيلِ مصيبًا
ويعيذك القلب الذي عانى القلى من أن تكونَ على الجفاءِ معيبًا

أذرتُ عليك لدى البكاء صبيبا
أخشى عليك لهيبتها المشبوبا
أخشى عليك من الفؤاد وجيبا
فاردد إليّ فؤاديّ المسلوبا
فابعث إليّ خيالك المحجوبا
يأبى دلالك أن تكون طبيبا؟
فوق الزهور مرققا مسكوبا
تسعى إليك مع النسيم هبوبا
بي دون قيد الرمح منك قريبا
لا أتقي هجرا ولا تأنيبا
قلبي لصار العاذلون قلوبا
عمن يظل بما أسرّ لعوبا؟
من بعد ما كان البكاء غريبا
إن كان لا يرجو المحب حبيبا

وإذا وضعتك في الجفون صيانة
وإذا رغبتُ لك الضلوعَ فإنني
وإذا وضعتك في الفؤاد فإنني
إن كنت تأبى أنني بك هائم
أو كنت تبعد بالوصال مضنة
هل بعد أن أفنى الغرام حشاشتي
حب كماء المزن حين وقوعه
يا ليت حظي منك أني نفحة
وأود لو ركد النسيمُ وقد رمي
فأكون منك بحيث يطعم عاشق
لو ذاق طعم الحب كل مؤنّب
هل نافعي أني أكتّم لوعتي
عجبا لطرفي يستريح إلى البكا
ما أخلق الدنف المشوق بسلوّة

شكوى الزمان

وأن مآقي العين أذمّعها تجري
فصرت كأني في الثمانين من عمري
لأبلغ شأوا أو أغيب في قبوري
أدافعه حتى أبحث له صدري
وأجنبه حتى كأني لا أدري
لأوردني يأسى على المسلك الوعر
وما أبطأ الآمال إن سمّتها نصرى
فعذري إلى الأيام أن ضاق بي عذري
بطرفي وذيل الليل يعثر بالفجر
فسيان ما لاقيت في العسر واليسر

كفى حزنًا أن التطلب بالصبر
لقد لفظتني رحمة الله يافعا
رضيت بهذا العيش بعد أبوة
وحاول مني الهمة صبرا فلم أزل
وإنني لأدري أن في الموت راحة
ولولا ثقى لا يملك اليأس صرفه
فما أسرع الأحداث إن قلت أبطني
فإن كان ذنبي من تناقض خطتي
ورب ليال بت أدحو ظلامها
وزاولت صرف الدهر حتى عرفته

دعاني إليه الفضلُ لما دعوتُه
فما ساءني ما بتُّ أخفيه جاهداً
هل العيش إلا أن تنالَ بعزمة
فما العزمُ إلا ما يبلغك المنى
إذا كنت ذا عسر فكن ذا قناعة

فما زال بي حتى التقينا على قدرٍ
ولا سرنى ما يعلم الناسُ من أمري
مقاماً كأن النجم من تحته يسري
وما العجزُ إلا أن تُنهنه بالزجرِ
فإنَّ احتمالَ العسر يذهب بالعسرِ

شكوى الصديق

ومطلب بالعتبِ هجري لم أزل
يعالج مني باسم الثغر راضياً
أجودُ بنفسي في هواه سماحةً
وما كل أمر تستقيم صدوره
لقد سامني أن أقبلَ الذل ضلّةً
ووكّل بي الأعراض حتى ألفتّه
سأندب عهداً كنت فيه بغبطة
وليل كأغضاءِ الحليم درعته
وصلت به الأوهام حتى كأنما

أداريه حتى عارضته مذهبهُ
وأخبر غراً أنكرته معايبه
ويبخل بالندر الذي أنا طالبهُ
لمن لم يرُضهُ تستقيم عواقبه
هل الغبن إلا ما تقل مطالبهُ
وما كل صافي الوجه تصفو مشاريه
وهل يرجع العهد الذي أنا ناديه
لأقضي أو تنجاب عني غياهبه
يراقبها في مكثها وتراقبه

تحية للشمس عند شروقها

أشريقي يا طلعة الشَّم
أنت للغرس حياةً
كيف لا ترتاح نفسُ
ما رأى ضوءك غرّاً
غازلي الغصن برفق
وسلي الغيد ابتساماً
واذممي وجهه مُريب

سِ علينا وأنيري
وحلى الروض النضير
للبهاءِ المستنيرِ
بسوى الطرف الحسير
وامسحى وجه الغدير
من أقاحي الثغورِ
واحمدي وجهه بشيرِ

ضوء الفجر

وسلي المقلّة أن تُشـ
إن في الدمع إذا استغـ
وتمشي في فضاء
مشية الحرّ المرجّي
ررق بالدمع الغزير
زر إعلان السرور
الله مشي المستغير
لعظيمات الأمور

* * *

وابعثي أبناءك الغرّ
سهر الليل ولا مسـ
نظرة منك إليه
نظرة غراء تودي
وكان الليل لما
ضامن قلب مجبّ
إلى بيت العليل
عدّ في الليل الطويل
خلست بشر الرسول
بجوى الداء الدخيل
خانه وقت الرحيل
راعهُ قول عدول

* * *

وكان الشمس تجلى
أقبلت في الأفق تسعى
منظر يفعل فعل الـ
غير أن الليل أدرى
شملة العاشق والسا
لبس الأفق ضياءً
وشباب المرء لا يعـ
في خمار من لهيب
مثل إقبال الحبيب
عود بالقلب الطروب
بأحاديث القلوب
رق والعاذي المهيب
بدل الجنح المريب
قُبهُ غير المشيب

الحبُّ والليل

عمي الدجى عن مطلع الفجر
ولح البكاء بناظري كما
والروض ممتنع الرقاد وقد
والليل مشقوق الجيوب وقد
في ليلة كسريرة الدهر
ولع الندى ببدائع الزهر
نمت عليه مواقع القطر
باح السحاب بطلعة البدر

والطرف بالإفشاءٍ متهمٌ
وأكادُ أن لا أستقرَّ جوىً
وأملتُ أن أجد الوسيلةَ لي
لا تلحُ مشتاقًا على شجنٍ
والسعي رزقٌ والهوى أملٌ
والحب إن دبَّ السلو به
والصفو قد يُفْضي إلى كدرٍ
من نأوشتُ نظراته حسنًا
والقلب مؤتمنٌ على السرِّ
فكأنما خلَس الدجى صبري
عند الصبا فمُنيتُ بالهجرِ
إن الشباب مطية العذرِ
والهجر يأكل جدة العمرِ
فكما يدب الشرُّ في الخيرِ
واليسر قد يفْضي إلى عُسرٍ
فقد استثار الموت بالسحرِ

النعمات

إذا ترنم والآذان ظامئة
لجَّ من النعمات الغرِّ يحمدها
لو صورت فأقامت غير خافية
كأن شيئاً من الحب الذي غرّيتُ
خلنا الرويَّ على آذاننا اندفقا
إن النفوس تعاني بينها الغرقا
كانت أجل الذي يستعبد الحدقا
به الخليقة في أثنائها انبثقا

* * *

إذا ابتداها عظيم في مهارته
تظل تفعل بالأحزان ما فعلت
تذوب فيها همومُ النفس خافية
ينزو الهيامُ بقلبي حين أسمعها
كعصفها حين لجَّت في تأوبها
تثير من نزعات القلب مرحمةً
وتبعث الذكر العهد الذي ضمنت
حسبت كل ضجيجٍ لجَّ في الخريس
أشعة القمر الواضح بالغليس
كما يذوب الندى في موقع النفس
لعب الرياح بثوب البائس التعيس
كلجة البحر تطفئ شُعلة القيس
ترد عادية المستأسد الشريس
فتودع القلب وجدًا غير ملتبس

* * *

كأنها ذات حول ليس يعجزها
كأنها شاعرٌ جادت مَخيلتهُ الـ
لا شيء من حسن الألمان يفضلها
إحياء منعفر في القبر منفرد
غراءً بالكلم المسعود بالسدد
إلا الخريز وصوت الطائر الغرد

وأنة النسمة المعطار جاذبة جيد الغصون بجبل ليس من مسد

الفونوغراف

هل علم الغريد في وكريه
وهل درى المطرب ماذا الذي
يا عجباً من ناطق أبكم
يستخرج اللحن بمسئونة
تخط في أعطافه أحرفاً
يروى أحاديث أناس مَضُوا
شأن الذي خفص من قدره؟
يستحضر الملحود من قبره؟
تألف الألحان في صدره
تزيل ذاك اللبس عن أمره
كأنها تبحث عن سره
كأنها مرّت على فكره

حديقة

فيحاء زان شبابها
حيث الفرائد جمّة
من كل محسود ألبها
والورد يقطر بالندی
والنهر يرفل عندها
فكأنه وكأنها
تجلى بصفحة مائه
فكأن فوق الماء ما
وكأن صورة درهم
وكأن طلعة فاتن
تتردد الأطيّار فو
كتردد الآمال في
مرح الطيور أجل من
هذا يدب به الشقا

لون الربيع الأزهر
تزهو بأروع منظر
مكلل ومنور
كالعاشق المستعبر
في ثوبه المتكسر
أحوى استكن بمئزر
صور الربيع الأخضر
صنعته كف مصور
سكنت بخاطر معسر
أخذت بلب محير
ق غصونها بتخطر
خد الطموح الممتر
مرح الخليع الموسر
ء وذاك غير مكدر

مغالبة الهوى

هل قَلْدُوكَ مدامعَ الأماقِ
يا فتنةً أَخَذْتَ عليّ مَذاهبي
إن كنتِ لا تخشين صولة ظالمٍ
فدعي مغالبةَ الضعيفِ وناجزي
أم ضَمَّنُوكَ مصارعَ العشاقِ!
وَسَطْتَ بنقمة هجرة وفراقِ
مَرَّ الوقيعَةِ صادقِ الإبراقِ
ذل الهوى وصباية المشتاقِ

مطال الهوى

حاذِرَ الطيفُ أن يُلِمَّ فيشفي
أودع القلب حبه زفرات
أيُّها العاذلون قد وَضَعَ الحُبُّ
قد تَبِعْتُ الهوى إلى آخر المطءِ
وتخَوَّفْتُ أن يدبَّ به الخُلُـ
ما يضيرُ الذي يُعَلِّلُنِي بألـ
طالما قد دَمَمْتُ مطلقَ قَبْلِ الأـ
وتنبهت حين أَعْلَنْتِ الأَفـ
باتصال الرقاد نضوءاً صريعاً
سجرتة حتى استحال دموعاً
على مسمعي حجاباً منوعاً
لِ فما اسطَعْتُ بعد ذاك نزوعاً
فُ فطالِبْتُ بالوفاءِ تبوعاً
مطل أن أجعل البكاءَ شفيعاً
خلف حتى فقدت منه صنيعاً
دار بؤسي ونازعتني الهجوعاً

نظرة

نَظَرْتُ إليّ بَعَيْنٍ مختبرِ
يا نظرةً في طَيِّها نَعَمُ
جَمَعَ الدلالَ وحيرة الساهي
فكأنها من رحمة الله

في سبيل الجامعة

يَقُومُ مَيْلُ الحَادِثِ المِتْجِهِّمْ
بِفَعْلِ حَمِيدِ الوَقْعِ غَيْرِ مَذْمُومِ
تَنَادِي لِأَمْرِ مُدْبِرِ غَيْرِ مَبْرَمِ
بِرَأْيِ يِقْوِي عِزْمَةِ المِتْبَرِمِ
مِحَاسِنِ تَزْرِي بِالجِمَانِ المِنظَّمِ
تَفْتَحُ عَنِ عَيْشِ رَقِيقِ مَنعَمِ
لِبَابِ الغِنَى فَاسْتَمْسَكُوا بِالتَّكْرَمِ
إِذَا غَابَ عَنْهُ فَضْلُ فِعْلٍ مَعْظَمِ
فَرَبِّ جَمِيلِ جَاءَ مِنْ مِتْنَدِمِ
فَلَا تَتْرَكُوهَا كَالْبِنَاءِ المِهْدَمِ
رَجَاءَ مَحَلِّي بِالثَّنَاءِ المِفْحَمِ
وَحِظْهُمِ المَوْفُورُ غَيْرِ المِثْلِمِ
مِنَ الفَقْرِ إِمَّا عَادِكُمْ مِنْ تَوْهُمِ
فِيَا ضَيْعَةَ الأَمَالِ فِي الزَّمَنِ العَمِي!

بِرَأْيِ سَدِيدِ وَاعْتِزَامِ مَصْمَمِ
فَلَا قَوْلَ يَغْنِي عَنْكَ غَيْرَ مُؤَيِّدِ
أَلَا عَصَبَةَ غِرَاءِ يَصْدُقُ سَعِيْهَا
أَلَا قَائِلَ أَوْ بَانِلَ أَوْ مَوَازِرِ
فَنُبْصِرِ إِمَّا أَسْعَدَتِ عِزْمَاتِهِمْ
هِنَالِكَ أَمَالٌ كَأَنَّ بِطُونِهَا
فِيَا حُسْنَ زِكْرٍ لِلذِّينِ تَمَلَّكُوا
أَيَّدَعَى غِنَى القَوْمِ سَيِّدِ قَوْمِهِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ طَبْعُ فِجُودِهَا تَطْبَعًا
وَأَنْتُمْ عِمَادٌ لِلبِلَادِ مَشِيدٌ
أَلَمْ يَكْفِكُمْ فِخْرًا وَعِزًّا وَسُودًا
فِجُودِهَا فَقَدْ جَادَ البِهَالِيلِ قَبْلِكُمْ
وَإِنَّ شَنِيعَ العَارِ أَعْظَمُ سَبَّةِ
إِذَا لَمْ تَنَاصِرْكُمْ حَمِيَّةُ مَاجِدِ

مصري عربي يخاطب أخاه القبطي

وَمَحْتَدِ الصَّيْدِ لَا تَمْشِي لَهُ الرِّيبُ
فَأَنْتُمْ فِي مِرَاقِي مَجْدِكُمْ عَرَبُ
يَلُوي بِكُمْ دُونِنَا مِنْ دُونِهِ نَسْبُ
إِذَا حَلَفْتَ تَدَانِي المَجْدِ وَالحَسْبُ
فِحْرَمَةُ الوُدِّ فَيَمَا بَيْنِنَا سَبَبُ
فِيَا هَفُونَا فَلَا يَمْلِكُكُمُ الغَضْبُ
كَذَلِكَ نَحْنُ لِنَا فِي عِزِّكُمْ أَرْبُ
أَنِي إِلَيْكُمْ إِذَا فَاحَرْتُ أَنْتَسِبُ
حَوَادِثِ الدَّهْرِ لَمْ يَخْذَلْهُمُ الغَلْبُ

بَنِي البِهَالِيلِ مِنْ عَلِيَاءِ شَاهِقَةِ
إِذَا تَنَاءَى بِكُمْ عَنْ مَجْدِنَا نَسْبُ
إِنِ التَّالَفَ لَمْ يَتْرِكْ لِنَا نَسْبًا
أَمَّا وَقَوْمِي، وَقَوْمِي خَيْرٌ مَا حَلَفُ
إِذَا الأَوَاصِرُ لَمْ تَجْعَلْ لِنَا سَبَبًا
إِذَا هَفُوتُمْ رَمِينَاكُمْ بِمَعْتَبَةِ
يِدَانِ إِنْ تَقَطَّعُونَا تَقَطَّعُوا يَدَكُمْ
إِنِّي عَلَى شِغْفِي بِالأَهْلِ يُطْرِبُنِي
فِيَا فِخْرَتِ فَبِالصَّيْدِ الأُولَى أُسْرُوا

كانت لكم دولة غراءً ثابتة
كنتم تُطلُّون فوق النجم من أنفٍ
في مرتقى العز تبغي شأوها الشهب
حتى تركتم سهيلاً قلبه يجبُ

ضرر اليأس

أخذ القنوطُ عليكَ كلَّ وسيلةٍ
واليأسُ إن يعرض لعزيمة عازمٍ
لولا مزاولة التجهُم ما رأَتْ
فإذا نهجت من التفكُّر منهجاً
كم طالبٍ وجَدَ التجهم مغنماً
من حيث لم يترك لرأيك منزلاً
بلغ الصميمَ وحالَ مَنْ أن يعملأ
هذي الرذيلة في فؤادك مدخلاً
فاجعل فؤادك للطلاقة موثلاً
حتى ثناه اليأسُ عن طلب العلاء

ذكرى

محبُّ حماه الهجر أن يتصبَّراً
وفي الذكر الغرُّ التذادُ بما مضى
نكرت به ليلاً كأن نجومه
يبيت الندى فوق الزهور مرققاً
وفي ساعدي ريان من نهلة الصبا
يبيت يناجيني بسحرٍ لحاظه
فما إن طلبتُ الوصل إلا تحرُّجاً
وألتمس العذر الخفيَّ لصدِّه
فأغضيتُ عن بعض الذي كان في الهوى
ومن حاجة المهجور أن يتذكَّراً
ورجعة عيش جلاً عن أن يُكدَّراً
ثقوبُ نرى منها الصباح المستتراً
كما انبعث الطلُّ الرقيق ليقطراً
كما فتح الشؤبوب زهراً منوراً
ويُسمِّعني ذاك الحديث المغرراً
وما إن شكوت الهجر إلا تحسُّراً
ولست أريد العذر إلا تعذُّراً
وما عشق الفتان إلا ليعذراً

أعمى يرثي بصره

قال الرغيّب المواسي لا تكن جزعاً
وفي الظلام عبارات منمّقة
لو أنّ كل فتون مثل ما زعموا
إذا سمعت حبيباً ليس في نظري
كان الأمين المرجّى يوم كارثة
أبكي عليه بعينٍ كان يعمرها
لي بعد فقدك سمع كله حدّر
ففتنة العين داءٌ غير مأمون
تكنّ في لبّها ما ليس بالدون
وددت أن لنفسي حال مفتون
علمت أنّي بين العزّ والهون
فأصبح الدهرُ فيه غير مأمون
كأنها نحرٌ دامي النحر مطعون
يظّل يسعدني من حيث يُعيني

البخيل

يرعى البخيلُ مالهُ لولدهِ يحرسه في نومه وسُهدِه
يلصقه في نومه بخدِه
كأنه يحسبه من جدِه يجمعه بكده أو جدّه
كأنه يجمعه لعدّه
ويُخله داعية لفقدهِ فعيشه مستعبداً لزهدِه
مجدبه مستجلب من رغهِ
إن البخيل معدّم في سعدهِ كأنما يطلبه بردهِ

ألومه في التجني

ألومه في التجني ثم أعذره
يبيت ممتلئ الأجفان من وسن
يا ليته كان يدري كيف يحرمني
لكل صبّ شفيح من صبابته
إذا نظرتُ إليه جرّت من وله
والدمع يُفصح عما كنت أستره
منعماً وحليف الليل يسهره
أو ليتني كنت أدري كيف أهجره
ودمعه، وشفيح الحسن منظره
يا ليت قلبي يقسو حين أنظره

أبيت أعذل قلبي في محبته
فهل تعاون قلبي في حوائجه
بالله يا نسمة الرياح سائرة
استودعيه سلاماً كله شجن
والعين في عبرات الدمع تحدره
يا أيها الأمل الممنوع مصدره
نحو الحبيب الذي قد طاب عنصره
من المحب الذي قد مات أكثره!

الْحُمُولُ

كم وردة ليس لها ناشق
تنبت في زهر كريم الثرى
طيبة النكهة لم تبتذل
كلها القطر وماء الندى
وجدول ينساب بين الرُبي
وبلبل يُعرب عن شجوه
وخامل والفضل من حظّه

يحققها الروض بوادٍ سحيق
مستوثق الأصل عزيز العروق
يخلص رياها النسيم الرقيق
بلؤلؤ من دمه ذي بريق
يحسبه الذائق كأس الرحيق
من حيث لا يأخذ سمع المشوق
قد أخرجوه بالأذى والعقوق

اليُسْرُ بعد العُسْرِ

إن الشتاء إذا تطاول أمره
والليل إذا لجّ في غلوائه
والسحب إذا أسقمت وجه السما
وكذا الشقاء إذا تمادى عهدّه

نحل الربيع بطيبه وروائه
جاء الصباح بضوئه وبهائه
برز الهلال يزينها بضياؤه
جاء النعيم يذل من غلوائه

حسنة ماتت في صباحها

أي مهد أهدى المنون إليها
وهي حسنة مثل لؤلؤة الحا
وسقاها ماء الحياء مريئاً

واستعار الربيع من وجنتيها
لي إذا قامت اللحاظ عليها
واستبد الفتون في مقلتيها

عظة تبعث الشجونَ وتُجلي خادعات الصروف في حالتَيها

عتاب وأعتاب

ألا مبلغٌ عني الصديق رسالةً
حمدتُك لا أني أردتُ مثنويةً
لقد أعلّمتك الحادثاتُ مكانها
وما كنت إلا الدهر في حالِ سلمه
وما أهدتُك النفسُ إلا فضائلاً
أظل ولم أُكجلُ بمراك ناظري
ودون التراضي معتب وعضوبُ
على الحمدِ لكن كي يقال مصيبُ
فصار على المقدار منك رقيبُ
سوى أنه في الحاليتين مُريبُ
كأنك معني في الضمير عجبُ
كأنني بين الأقربين غريبُ

المشقوق

ضاقَت الأرض عن مآثمه فأغـ
حَمَلَتْهُ على الرياح وأعلتـ
يَعْظُ الناسَ بالممات كأن الـ
جُمِعَتْ حوله الورى فله حا
وأقالتُه من مآثمه فُرـ
منظر ما أقام بالعين إلا
وله في النفوس وقع أليمٌ
ذاك مَنْ مله الشقاء وكل الـ
كان في عيشه من الخبث كالأجـ
رَبُّ صحو من سكرة، ورخاءٍ

تأض عنها برقة الملحود
ه عن الناس زاجراً بالوعيد
رُشِدَ مستجلبٌ من التبعيد
لُ حُسوِد ووقفه المحسود
قَه عَيْش معجَل التنكيد
راعها بالبكاء والتسهد
ينزع الغلُّ من فؤاد الحقود
بُؤس منه فصار صنو الشريد
رب يغدو في أهله كالوحيد
من عناءٍ، ويقظة في رقود

حسناً تغني

رُبَّ لَحْنٍ كَأَنَّهُ الْمَنْظَرُ الْغَضُّ
وَوَغْنَاءٌ عَذِبٌ يَدْبُ إِلَى حَيْبٍ
وَفَمٌ لَا يَكَادُ يَنْطِقُ مِنْ دِقِّ
وَكَأَنَّ السُّكُونَ أَصْغَى إِلَيْهَا
يَبْتُ الْأَمَالَ وَالْأَوْطَارَا
سْتُ الْأَمَانِي فَيُخْرِجُ الْأَسْرَارَا
سْتِهِ بِالْغِنَاءِ إِلَّا اضْطَرَارَا
فَأَفَاضَتْ عَلَى السُّكُونِ وَقَارَا

نصيبي من الحياة

هل ألوِّمُ المنى وهن ثقتاتي
يا غريمَ البُكا رويدك لا تُمِّ
إن يكن حظُّك القليل فهل تُقِّ
إنَّ عشرين حجةً تَرَكَتَنِي
إنَّ من أخطأ الرجاء يرى الدَّهْ
مَنْ دَهَاهُ الشَّقَاءُ فِي يَقْظَةِ الدَّهْ
كلُّ يومٍ يفنى من المرءِ شيءٌ
كيف أثني على الزمان إذا كا
إن تراخي الرجاء عني قليلاً
يا لهذي الحياة مَنْ لَأُنَاسِ
فَأُنَاسٌ تَسْرُهُمْ سِيئَاتِي
وَأَسِيغُ الْأَسَى بِغَيْرِ شِكَاةٍ؟
حَى دَوَاعِي الْهَمُومِ بِالْعِبْرَاتِ
خِصِي عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْحَسْرَاتِ
لَا أَرْجَى سِوَى الَّذِي هُوَ آتِ
رَ بَعِينٍ تُقْدَى بِغَيْرِ قِذَاةٍ
رِ جِزَاهُ النَّعِيمِ فِي الْغِفْلَاتِ
مَا سَمَعْنَاهُ عَلَيْهِ صَوْتَ النَّعَاةِ
نِ ارْتِقَابِ الْأَمَالِ مِنْ عِزْمَاتِي
فَوِدَاعًا لِمَا بَقِيَ مِنْ حَيَاتِي
يُدْفَعُونَ الْحَقُوقَ بِالشَّبَهَاتِ
وَأُنَاسٌ تَسْوَهُمْ حَسَنَاتِي!

الصغير والكبير

رَأَيْتُ الْكَبِيرَ ضَيْئِلَ الطَّمَاحِ
وَفِي الذِّكْرِ الْغُرَّ نَخْرَ جَلِيلٍ
وَإِنَّ الصَّغِيرَ أَبَى الطَّمَاحِ
وَفِي الْحَقِّ إِنَّ غِنَى الْأَمَانِي
وَفِي السَّعْيِ شَيْءٌ يَعُوقُ الطَّمُوحَ
يَتَّبَعُ خَاطِرَهُ مَا تَوَلَّى
لِمَنْ جَعَلْتَهُ الْعَوَادِي مَقْلًا
يَرْجِي مِنَ الْغَدِّ عِزًّا وَنُبْلًا
يَعْجِزُ أَنْ يَتَّبِعَ الْقَوْلَ فَعْلًا
فَيُخْطِي الْأَجَلَ وَيُضْمِي الْأَمْلًا

الطموح

وبكاء العين علمها السهاداً
وبي ظمأ لو أن الماء ربي
ولو أن الظلام بقدر ما بي
وقد كان الزمان إذا رمانى
وناشتني الهموم ولم أرعها
أهم إلى العلا وتعاف نفسي
وروضها طموحي للتمني
وزاولت السباق بها فلماً
بلغت بها المدى فلو استزادت

وهم النفس جشمها الجلاداً
له ما بت أفتقد الرقاداً
لما عرف الصباح له نفاذاً
تطرقني فعلمني السداداً
كأن لها على حلمي اعتماداً
لغير قلى مخافة أن تكادا
فصيئت الطلاب لها اعتقاداً
سبقت البرق جاريت المراداً
علوا ما وجدت المستزاداً

رثاء مصطفى كامل

نفد العمر على طول الليالي
ومجال الدهر في أحواله
يا ضلوغاً دونها حر الجوى
فاجزعي يا نفس أو لا تجزعي
وانقعي الحزن بأماقي إذا
قد يفيد الحزن في مرزئة
وإذا المقدار لم يُنجِ امرأ
قد مضى من كان فينا رحمة
ولقد عاش على غير قلى
باشراً الآمال مبذول اللهمي
ولقد دك المعالي أنه
أوحش الموت به أنفسنا
وهب الدهر نفيساً للعلا
ولئن أودى فقد أبقى لنا

واستباح الموت ذكراً غير بالي
ألحق التالين منا بالأوالي
أصبح السلوان بعد الدمع غالي
ما بقاء المرء إلا للزوال
وجد الظمان ريباً عند آل
لو يعود المرء بعد الإنتقال
جزع الدرع على ذكّر النصال
لليتامى واعتصاماً للعيال
فرماه الدهر بالداء العضال
واستقاد الدهر محمود الجلال
فارق الأحوال مفقود المثال
والمنى دانية والمجد عالي
واستباح الرد ضناً بالنوال
سيراً في مجده غير بوالى

إِنَّمَا الْعَيْشُ طَرِيقٌ لِلرَّدَى وَخُلُودِ الْمَرْءِ فِي حَسَنِ الْفِعَالِ

موقف

وليلةٌ كشعار الحزن داجية
جاءت بأعْيَدٍ يفري الليل عن وَضَحِ
فَيْتٍ أودِعُهُ النجوى وقد فَعَلَتْ
ينأى به الدلُّ عني ثم تعطفه
وبات أدنى من الأشواق يحرسُهُ
يدُّ على القلب تستجدي الهوى ويدُّ
يقول — والحرُّ في الأنفاس يُؤْلَمُهُ:

لا أستعيذُ بها إلا من الأرقِ
من وَجْهِهِ كطلوع البدر في الغسقِ
بي الصبا بةُ فَعَلَ النوم بالحدقِ
نحوي الدموع فعطفه على قَلْقِ
أَنْ لا أَلذُّ سوى مرأى ومعتنقِ
على الجفون تصادي عادي الغرقِ
ما بال قلبك مطويًا على حرَقِ؟

التأليف

أَبْنِي أَبِينَا والأُمُور ضعيفة
إِن الثريا لو تسر نجومها
والفرقدَيْن إِذا تخلى عنهما
هل سرَّكم يومَ اللجاجةِ أَننا
كنا وكنتم في الصميم من العلا
لولا اللجاجة والمراء وعصبة
ومن البلية أَن نكون وجمعنا
يا ابن الفراغة الألى ورثوا العلى
قُمْ نُرْجِعِ الْفَضْلَ الصَّرِيحَ ودولةً
هذا مقالي شبته بنصيحةٍ

أسبابها أَن تقطعوا اليد باليدِ
غير الوفاقِ غَدَتْ بِشَمْلٍ مُشْرَدِ
وَدُّ تَناءى فرقدٌ عن فرقدِ
نُدْنِي على الأحقادِ عادية الغدِ؟
لولا مدهانة الزمان الأُنْكَدِ
رصدت لكل محزَّبٍ وموحَّدِ
متقسمٌ والشامتون بمرصدِ
إِرْتِ الأماجد سيدًا عن سيِّدِ
يمشي عليها الدهر مشي مقيدِ
فتلقَّ فيه رقة المتودِّدِ

الشاعر وحبيبته

حبيبة مشبوب الفؤاد معذب
ضياءً فأمالي خديعة خلب
على سروات العزّ أطيّب مركب
فيحويه منه كالخباء المطنّب
فرار الصحيح الجسم من لمس أجرب
سوى كل فؤار الصبابة أغلب
لشيء تأذت من حكاك المقرّب

دعيني وحظي لست أهلاً لأن ترى
إذا ما رأيت البشرَ يملأ صفحتي
وما بعث الله الأديب ليتمطي
تُريه مكانَ الهمم عينٌ بصيرة
يفرّ الرجاء العذب من خطراته
مهيجة أشجانه لا يمسهها
فهنّ كأعضاء اللديع إذا دنت

ليلة من ليالي الحب

أستنصرُ البدرَ على نده
يرى التداني منتهى جدّه
وراح يحكي السيف في جهده
وأسكّن الرقة في قدّه
مثل ائتلاف الدرّ في عقده

يا ربّ ليلٍ بتُّ في جنجه
فزارني زورة ذي رقبة
فرحنتُ أحكي الدهر في سلمه
وانتزع الرقة من قلبه
ثم ائتلفنا عند حُكم الهوى

عين اليقظة وعين اللحم

ولجنبي لا يمسه المرقد
كشقاء من نعيم ورد
قرّبنتني منه حتى بعد
بالتنائى فعرفت الكمدا
أنجزت بالنوم ما قد وعد
ويبيح العتب منه موعدا
قد سجرت الشوق حتى خمدا
لا تحف من حبسها أن تكسدا

ما لعيني دمعه قد نفذ
أفة العاشق من حيث يرى
بعثت عيني منها نظرة
قد عرفت الصبر حتى راعني
إن عيني - ولها الحمد - لقد
فأسلّي الهمم عني بالمنى
قد أحلّ اليأس قلبي أنني
إنما الآمال أركى متجر

النصيحة

وَرُبَّ خَلِيلٍ لَا أَجُودُ بَوَدِّهِ
أَنَاصِحِهِ جِهْدِي فَيَحْسَبُ أَنَّنِي
فَصِرْتُ أَدَارِيهِ وَإِنِّي لَمُشْفِقٌ
مَخَافَةَ أَنْ يَقْضِيَ الْأُمُورَ بِضِدِّهَا
إِذَا اغْتَرَضَتْكَ الْحَادِثَاتُ فَلَا تَكُنْ
فِيَّ النَّيِّمِ الْتِمَّاسَ الْحَقِّ لَيْسَ بَعَائِبٌ
أَرَاهُ عَلَى الْعَلَّاتِ وَهُوَ حَمِيدٌ
أُرِيدُ بِهِ شَرًّا وَلَيْسْتُ أُرِيدُ
إِذَا مَا طَوَيْتُ الرَّأْيَ وَهُوَ سَدِيدٌ
فَيَدْرِكُهُ مِنْ دُونِهِنَّ قَعُودٌ
عِيُوفًا لَمَا يُلْقَى عَلَيْكَ مَرِيدٌ
مَجْدًا إِذَا عَابَ الْعَنِيدَ جَحُودٌ

الحزم والحدثنُ

أَهَابَ بِحَزْمِي طَارِقَ الْحَدِثَانِ
فَلَوْ حَاوَلْتُ مِنِّي الْخَطُوبُ اسْتِكَانَةً
وَلَوْ أَوْطَأْتَنِي الْحَادِثَاتُ مَهَانَةً
وَلَكِنِّي مِثْلِي لَيْسَ تَكْبُو بِهِ الْمَنَى
وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي الدَّهْرُ غَيْرَ لِسَانِي
لَبَاشَرْتُهَا مَسْتَلِيمًا بِبَيَانِي
أَبَى لِي طَبْعِي أَنْ تَكُونَ مَكَانِي
وَلَوْ كَانَ فِي أَيْدِي الْخَطُوبِ عَنَانِي

عتاب ومحبة

أَيْمَنَعَنِي الْأَعْتَابُ أَنْكَ جَارِمٌ
وَإِنِّي ضَنِينٌ أَنْ تَمَسَّكَ وَحِشَّةٌ
فَمَا أَنَا بِالرَّاجِي عَنِ الْحَبِّ نَبْوَةٌ
وَلَكِنِ إِذَا مَا الدَّاءُ دَبَّ بِمَعْصَمٍ
وَمَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ هَجْرِكَ مَا الْهُوَى
وَمَا أَنْكَرَ الْعَتَبَ الَّذِي يَبْعَثُ الرِّضَى
وَلَيْسْتُ أَبْيَحُ السَّرِّ لِلْجَفْنِ ضَلَّةٌ
فَتَنْسَبُ لِي الْهَجْرَانَ وَهُوَ تَوْهُمٌ
إِذَا مَا دَنَا مِنْ مَسْمَعِيكَ الْمَلُومُ
وَلَا أَنَا بِالْمُسْتَطِيعِ صَبْرًا فَأَكْتُمُ
فَأَوْشِكُ بَأْنَ لَا يَحْمِلُ الْكَفَّ مَعْصَمُ
وَلَكِنِّي مَنْ يَبْلُ الْأَحْبَةَ يَعْلَمُ
فِيَّ كَانَ فِي لَيْسَ شَيْءٌ فَهُوَ تَبْرُمُ
وَلَكِنِّي بَيْنَ الضَّلُوعِ مَكْتُمُ

آمال النفس

ما لي أراقبُ نفسي في تمنِّيها
 نزَّهتُها عن رجاءٍ لست آمنُه
 إن الحياةَ إذا ما شأبها ضرعُ
 لو أن لي حيلةً في الذل أجنبها
 أيسب القومُ أن أرضى بمنزلةٍ
 سأرقبُ النجحَ والآمالِ داجيةً
 إن الحميةَ لو دبَّت إلى رممٍ
 ولو سرتُ بوضعٍ صار ذا شرفٍ
 ولو سرتُ بأسيرِ عاده جلدُ
 إن اللئيمَ يريك الحزمَ مهلكةً
 وحالة العجزِ لا تبقى على أملٍ
 وحالة اليأسِ ترضيني وأرضيها
 حتى كأنِّي بالتنزيه أُغنيها
 عادت كأنَّ المنيا في حواشيها
 خوفًا فلا بلغت نفسي أمانِها
 العجزُ أولُّها والذلُّ ثانيها
 حتى يجابَ إلى العلياءِ داعيها
 ريعتُ قلوبُ الأعادي من عوادِها
 حتى كأنَّ المعالي من معانِها
 كأنما أسره أغرى به تيها
 ويخلطُ النصحَ بالتضليل تمويها
 من النهوضِ فإن العزمَ يُنفيها

ذكرى ليلة

كَلَّفَتَنِي فِي هَوَاكَ أَمْرًا
 فابُلُّ الْهَوَى وَاسْتَعِرْ ضُلُوعِي
 وَرَبِّ هَجْرٍ يَعُودُ وَصَلًّا
 وَرَبِّ لَيْلٍ أَرْخَى عَلَيْنَا
 وَشَى بِي الْبَدْرُ عِنْدَ لَيْلِي
 بَاتَ يَمِجُّ الظُّلَامَ طَرْفِي
 وَحِينَ وَافَى الْحَبِيبُ لَيْلًا
 أَخْبَرَهُ الطَّرْفُ مَا أَعَانِي
 أَضْنَى اصْطَبَارِي وَنَوْمَ عَيْنِي
 يَحْفَظُ سَمْعِي عَنْهُ حَدِيثًا
 بَتُّ وَعَيْنِي بِالْحَزَنِ عَبْرِي
 جَعَلْتَ قَلْبِي لِلْحَبِّ وَكِرًّا
 يدعوه أهلُ الوفاءِ عُدْرًا
 لكي ترى هل نطيق صبرًا
 وربِّ وصلٍ يعودُ ذكْرِي
 لَمَّا احتوانا الظُّلَامُ سِتْرًا
 فخلتُه من دجَاهِ يَعْرِي
 كأنه بالسَّهَادِ مُغْرِي
 كاد يكون المساءُ فَجْرًا
 فهل رأى في الجفءِ عُدْرًا
 كلاهما خاف منه هَجْرًا
 أيام كان الزمانُ نضْرًا
 لأعين بالذبولِ سكرِي
 فصار طرفي للطيِّفِ وكِرًّا

ملأت صدري من الليالي فصار ما بي في الصدرِ صدرًا

أمني الحب

لواعجُ الحبِّ تلويهم وتُغريني وفي الجفون دموعٌ ضلَّ رائدها نجبي من اليأس أن الحبَّ ذو غير ما أبعَدَ الصبرَ من قلبي على جَلدي رجعتُ بالخسرِ والآمالِ تخدعني من لي به وعيون الليلِ تَنظُرُنَا يكفي من الدهرِ أن الدهرَ يمطلني يكفي من القربِ أن النومَ يجمعنا إني لأهوى الردى والعيشَ مقتبلُ كن كيف شئتُ مُدلاً أو على صلةٍ

وسطوةُ الهجرِ تُبقيهم وتُفنيني قولُ العذولِ عليها غيرُ مأمونِ وهل يعودُ بما قد كان يلويني وأقربَ الوجدِ من قلبي على ديني حتى ظننتُ بأني غيرُ مغبونِ بعد التصافي فأدنيه ويُدنيني فإنَّ وعدَ الليالي غيرُ مضمونِ فإنَّ ذلك وصلٌ غيرُ مضمونِ لعلَّه بعد موتي فيه يُبكينني فكلُّ شيءٍ من الأحبابِ يُرضيني

دليل الشوق

أتنكرُ أشواقي وأنت دليلُها وهل عائبي عند العيونِ إذا رنتُ هل الوجدُ إلا أن تراني باكياً بسطت لكم بين الضلوعِ مكانةً ولكنَّ آمالي يُرَجِّينَ عطفةً شقيتُ بنفسي والحسود عذيرها

وتطفئُ أشجاني وأنت غليلُها سوى أنها تدري بأني قتلُها إذا لوعة زادت وضرَّ قليلُها على القلبِ لا يأبى الوفاءَ نزيلُها لديك ولو أن الجفاءَ رسولُها فكيف شقائي والحبيب عذولُها

مرثية فقيد الوطن والعلم قاسم أمين

وبقيتُ بين طوارق الأحرانِ
أوي إلى صبر الضعيف العاني
فالمراءُ رهناً قطيعةً وليانِ
أن المنايا آفة الإنسانِ
فقد الكفاة لطارق الحدثانِ
في حفرة القرم العظيم الشانِ
يابى أحس بمقتلي فرماني
ميل الغصون مع النسيم الواني
موكولة بمجامع الأشجانِ
فزرد رماه مقطر الفرسانِ
تثني عليه نفحة الريحانِ
عذر الزمان بعوده الفينانِ
يُدني الرجاء بهمة المعوانِ
صدق الجهاد وصحة الإيمانِ

أودي البكاء بمعوز السلوانِ
طوراً تكاثرتني الهموم وتارة
يا دمع رفقا بالمحاجر وأتد
ولقد علمت وإن عرتني وحشة
إن الفجيعة بالرجال أجلها
لهفي على الفضل الصريح إذا ثوى
ليت الزمان وقد أراذك بالذي
مال الرجال أمام نعشك حسرة
وضعوا الشمال على الجفون وأختها
وبكى الجليد بكاء ثكلى واحد
فاذهب كما ذهب السحاب محبباً
يا سعد ما فعل الزمان بماجد
قد كنت تدعو للعظيم مغلباً
قد كان يُدني من فؤادك حبه

رثاء قاسم أمين

والرزء مكن في الضلوع غليلاً
صعب أمر رجاءنا المعسولاً
لحظ العيون بهاءها المطلولاً
جذباً ضنيناً بالثمار وبيلاً
يقري السلام جنابه المأمولاً
رب الكفاية بكره وأصيللاً
أن لا تميل إلى العزاء قليلاً
تخذ الأمان على النفوس دليلاً
إني حسبت فؤاده مدخولاً

الدمع بعدك قد أصاب مسيلاً
وعدا على الآمال بعدك عاصف
كانت تفتح كالزهور فيجتني
فعدت كوجه التراب أعوزه الحيا
هل عند رهن القبر أن زفيرنا
هل عنده أني افتقدت بفقده
أخذ الفؤاد على الجفون وثيقة
ولقد رأيت الدهر في أحواله
قل للذي لم يضم رزوك قلبه

كيف احتواك القبرُ في أحشائه
يا ربَّ أقوامٍ نَفَيْتَ ضلالهم
أخذوك بالطرفِ الحسيرِ وربما
ولقد عهدتك صارماً مسلولاً
وعجمتَهُمْ حتى أقمتَ مميلاً
بعث الغليلُ إلى الضياءِ عليلاً

زورة حبيب

جعلتُ فيك على العَلَّاتِ آمالي
ورحمتُ أدابُ والآمَالِ تُسْعِدُنِي
وفاتني الحظُّ منبوءاً بمنزلةِ
حسبتُ دمعي قرى والشوق منتجعاً
جرئتُ في الحبِّ مدفوعاً بلا عبثِ
يسعى أناسٌ إلى وردٍ لينقذهم
يا أيها الزائر المدلي بمعدرةِ
لو أنني مُودِعٌ في طيِّ مقبرةِ
لما انتزعتُ حديثَ اليأسِ من بالي
حتى سئمتُ على الآمالِ أحوالي
ينمُّ فيها الهوى عن راحةِ السالي
وخلت قلبي لهيباً والجوى صالي
فما اعتذاري إذا ما فاتني التالي
من الغليلِ وهذا الورد يسعى لي
وفي تمهله لو شاء إبلالي
تسعى على تزيها أحييتُ أوصالي

الحبُّ والرقعة

شكوتُ إليه ذلتِي فتحكَّما
وقال له الواشون أنتِ وَصَلْتَهُ
وخبَّرَ أني قد تخيلتُ أنني
وخبَّرَ أني سوف أخلص نظرةِ
وإني لأهوى أن أموت لعله
وأرسلتُ دمعي شافعاً فتبرَّما
ببعثك طيفاً في الكرى فتظلماً
تزودتُ منه قبلةً فتألماً
إليه فأضحى بالحياءِ ملئماً
إذا مرَّ ذكرى في الحديثِ ترحمًا

في الفخر والحكم

ومحا النعيمُ فضيلةَ الحرمانِ
لكنَّه قد زادَ للنقصانِ
أنَّ المنيَّةَ غايةُ الإنسانِ
فكأننا علمانِ يصطدمانِ
حيث الأسافل ما جهلتُ مكاني
فعلمتُ أنني قد أبحثُ عناني
راعيَّتُها بلواحظُ اليقظانِ
أنَّ الأمانِي آفةُ الإنسانِ
لمضللٍ قد غرَّه إعلانِي
كشَّفْتُها بحفيظتي وبياني
في موقفٍ ما حار فيه لساني
لِتَرَوَعَنِي لا يُسْتَطَارُ جناني

نقم الحقودُ جنايةَ الرجحانِ
ما زاد ذو جدِّ ليحتاز العلى
ولقد علمتُ — وإن شكوتُ خصاصةً —
عَجَمَ الزمانُ عزيمتي وعجمته
ولئن سَفُلْتُ كما عَلَيْتُ تواضعًا
صاحِبَتْهُمْ بالشك حتى نقتهمُ
وإذا كريت عن الحوادثِ غرةً
رَوَّضْتُ نفسي للطماحِ فراعها
أرَبِي بنفسي أن أبين سريرتي
ومِلْمَةً تُنْسِي الجبان حياته
ولربما أدعُ المناظر أبكمًا
وإذا الحوادثُ نوَّهتْ بملممةٍ

إلى صديق

لو قرأه النومُ لم ينمِ
وهو يرجو الوصلَ في الطمِ
لم يُجِبْهُ النجمُ من صممِ
واجتباها الحبُّ للألمِ
يقرع الأفلاكُ بالظلمِ
«كديب النار في الفحم»
إن رماه الفجرُ بالهرمِ
رمقٍ في شخصٍ منعدمِ
أصله من عنصرِ الكرمِ
فهو في التعبيسِ يبتسمِ
كحلولِ الصفوِ في الشيمِ

دافع الآمالِ بالتُّهمِ
فيبيتُ الليلِ يسهره
وإذا ناجى مُسامره
فاجتباها السهدُ يؤنسُه
وشبابُ الليلِ متهمُ
دبُّ فيه البدر مهتتًا
واستباح الصبحُ دولته
لم يدعُ منه الصباحُ سوى
يقتفيه وجهُ ذي خلقِ
قد أنار البشرُ صورته
حلَّ بين الناسِ منزلةً

واقِعٌ في حيث لا دنس
سائرٌ إلا إلى عبثٍ
نَفْسُهُ للفضل تَدْفَعُهُ
جالَ فيه المدحُ ملتئمًا
ومشت فيه فضائله
وُجِدَتْ فينا محبَّته

موقِعَ الآمالِ في الهممِ
واقِفٌ إلا على ندمٍ
فهواه غيرُ متَّهمٍ
كمجالِ الحمدِ في النعمِ
مَشِيَةَ الأرامِ في الحرَمِ
كوجودِ الدَّينِ في الذمِّ

ضيقة حال

أُعَاتِبُ دهري أو تهون خطوبُهُ
وكيف ألومُ الدهرَ فيما يُريئني
سأندبُ حظي والأمانِي شوارِدُ
إذا عبثَ الدهرُ اللئيمُ ببائسِ
وصرتُ كما شاء الزمانُ مخيبًا
ودافعتُ آمالي كأني سئمتها
وَصَافَتْ بي الأحوالُ حتى كأنها
أضن بصدري أن يُلَمَّ به الأسي
ولا أرقبُ الآمالَ إلا تعلقًا
سأذكرُ أيامًا نعمت بلبسها
وما أنا ممن لا يُعزِّي فؤادُهُ
وللمرءِ أحوالٌ تريد عزيمةً
إذا كان دون الشيبِ للمرءِ مانعٌ

وأعدلُ حالي والدموعُ تئيبُهُ
وأحسنُ شيءٍ في الزمانِ عيوبُهُ
كأني سقيمٌ قد جفاه طبيبُهُ
فحسبُ نصيبي أن مثلي نصيبُهُ
يعاتبني قلبي كأني رقيبُهُ
وأخلفني صبري كأني أريبُهُ
فؤاد محبٌّ غاب عنه حبيبُهُ
على الخطبِ إلا أن يضيقَ رحيبُهُ
لعلَّ الذي يعدو المراد يصيبُهُ
إذا ما شدا عند النضيرِ خطيبُهُ
إذا خان جدُّ أو تناءى قريبُهُ
يذود بها عن قلبه ما ينوبُهُ
من الموتِ لم يجروا عليه مشيبُهُ

رثاء الشيخ محمد عبده

سَجِرْتُ فَوَادَكَ حَتَّى خَمَدُ
وَحَقُّ عَلَى الْعَيْنِ أَنْ لَا تَنِي
أَرَدْتَ الْوَفَاءَ فَهَانَ الْبِكَاءُ
وَأَسْمَعَكَ الْمَوْتَ حَتَّى أَصَمَّ
وَلَوْ أَقْصَدَ الْمَوْتَ غَيْرَ الْإِمَامِ
فَكَمْ مِنْ مَضَلٍّ لَهُ قَدْ عَنَا
تَرَقَّبَ مِنْهُ الرَّدَى غِرَّةً
أَبَى نُحْرَهُ أَنْ يَهَابَ الرَّدَى
وَإِنَّ الْفَتَى لِيَخَافُ الْمَمَاتَ
يَقِيمُ عَلَى أَمَلٍ خَادِعٍ
يَرْجَى سَفَاهَا مَتَابَ الْغَدَاةِ
وَمَا أَخْطَأَ الْمَوْتُ فِي حُكْمِهِ
وَقَدْ نَالَ مِنْ فَضْلِهِ الْحَاسِدُو
فِيَا آيَةَ اللَّهِ لَمْ تَقْصِرِي
وَكَمْ رَامَ شَأْوُكَ مِنْ حَاقِدٍ
وَهَلْ يَجْهَلُ الضُّوْءَ إِلَّا الْعَمَى
وَهَلْ يُنْكِرُ الْعَيْبَ إِلَّا الرُّضَى

وَأَرْخَصْتَ دَمْعَكَ حَتَّى نَفَدُ
تَشْرَدُ مِنْ دَمْعِهَا مَا جَمَدُ
وَرُمْتَ التَّعَزِّيَّ فِخَانَ الْجَلْدُ
فَهَلْ لِلذِّي فَاتٍ مِنْ مَسْتَرْدُ
لِهَانَ عَلَى مَصْرٍ مِنْ تَفْتَقْدُ
وَكَمْ مِنْ شَقِيٍّ بِهِ قَدْ سَعِدُ
فَقَدْ صَارَ يَمْزِحُ حَتَّى عَمَدُ
وَقَدْ عَرَفَ الْعَيْشَ حَتَّى زَهْدُ
وَمَا جَنِبَ الْوَرْدَ حَتَّى وَرْدُ
وَمَنْ غَرَّهُ الْعَيْشُ لَا يَقْتَصِدُ
فَهَلْ أَمِنَ الْمَوْتَ مَنْ دُونَ عَدُ
وَلَكِنْ لِكُلِّ بَقَاءٍ أَمْدُ
نَ حَتَّى الزَّمَانَ عَلَيْهِ وَجَدُ
فَقَدْ عَرَفَ الْحَقَّ مَنْ قَدْ جَحَدُ
فَمَا ذَمُّ فَضْلِكَ حَتَّى حَمِدُ
وَيَنْتَقِصُ الشَّمْسَ إِلَّا الرَّمْدُ!
وَهَلْ يَجِدُ الْفَضْلَ إِلَّا الْحَسْدُ!

عقيدة الحبِّ

زارني والطرفُ مسلوبُ الكرى
حالة لم ينعم الطرفُ بها
لم يدُرْ في خلدِي السلوانُ حتَّى
إنما يوحش في القربِ التجافي
إنَّ يَجِدُ بِالْوَصْلِ يُحْيِي رَمَقًا
خطة الهجران ما أنكرتُها

وانثنى والجسمُ مسلوبُ الفؤادُ
فأباح الطيفُ لي طعمَ الرُقَادُ
سى كأنَّ الحبَّ في قلبي اعتقادُ
مثلما يوحش في البُعدِ افتقادُ
هالكا من مطله هلك اقتصادُ
هكذا الآرام لا تعطي قيادُ

وعيون ناطقات بالكري ألهمني كل معنى مستفاد

وصف راقصة

أنسة تمرح في جلبابها كأنها تعجب من شبابها
وشعرها كأمة تعني بها راقصة كالصل في انسيابها
كأنها تدور في إهابها تكاد أن تخرج من ثيابها
وثوبها يكاد أن يزهى بها!

حالات الحب

ما لِعَيْنِي خانها الدمع ولا نَفَدَ الدمع على طول البكى
أنا والألام تستهدفني قد كرهت النوم حتى إنني
ما أبالي والهوى يبرئني هانت الأنفس في الحب فلا
إن أعنت الصب في حمل الهوى قد منعت الوصل من غير قلى
عذّر للعين إذا لم تسجم فاستعار الحب لحمي ودمي
نادم لو كان يُغني ندمي لو أتاني طيفكم لم أنم
إن رمانى حاسد بالتهم ترحم العاشق إن لم يسقم
هزئت أعضاؤه بالألم فازض لي الصدا إذا لم يحرم

طلعة وشجون

يا طلعة طلعت بكل شجوني ومن العجائب أن تصد حبيبة
أنا في هواك بمنزل لم يعده رضي الفؤاد بذلتي وخصاصتي
طورا تكاثرني الشجون وتارة أجهدت قلب متيم مفتون
وثقت بحب الصادق المأمون أسف الحزين وحالة المجنون
أرثيت أنت لذلك المسكين؟ أوي إلى صبر عليك أمين!

الحظ القليل الكثير

حسبي من الدرّ أني كُلمًا نظرتُ
وإن ترصدَ للأسعار جاهلُها
وإن ترفعَ بالأسرار كاتمها
وإن تمادى غنيّ في غوايته
إني لأنظرُ بالعينِ التي نظرتُ
عيني إلى الأفق جادتنني بلألاءِ
ما ضرّني حالُ إرخاصٍ وإغلاءِ
ناجيتُ صوتَ التّقاء الماءِ بالماءِ
علّمتُ أني كُفيتُ الداءَ بالداءِ
ما بين ذلك من حالات آلاءِ

حساد على الصبر

نَقِمَ الحُسادُ أني صابِرٌ
قد رأوني ذا سلام صارِمٌ
رُبَّ صبرٍ في فؤادِ البائسِ
رُبَّ تلمٍّ في سلاحِ الفارسِ

الحزن والسرور

إنّما الحزنُ والسرورُ غذاءٌ
فإذا طاح بالسرورِ قضاءٌ
لفؤادِ الإنسانِ طولَ الحياةِ
فأرضَ بالحزنِ قبل أن لا يوّاتي

مواطن الأشياء

تعرض الأشياء في أوطانها
كم جهولٍ عزيت عنه النهي
آفة الجوهري أن لا يعرفها
نَبَذَ الدرّ ونال الصّدفا

إلى صديق بعد إبلاله من مرض

رَضِينَا بِالْبِعَادِ وَأَنْتَ دَانِي
وَكَلَّفْنَا احْتِجَابُكَ عَنْكَ صَبْرًا
وَكَيْفَ تَنَاكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ
وَمَا هَزْنَتْ بِصُعْدَتِكَ الْعَوَادِي
وَلَمَّا جَاءَكَ الْأَمَلُ الْمَرْجَى
بِيشْرٍ مِثْلَ مَا نَقَمَ الْأَعَادِي
أَرَانِي يَوْمَ أَغْبَطُ فِيكَ نَفْسِي

شاهد الدمع

أَحْبِيبُ لَوْ دَبَّتْ إِلَيْكَ صَبَابَتِي
لَا تَحْسَبَنَّ الدَّمْعَ لَيْسَ بِخَلْقِهِ
وَهَلْ ابْتَغَيْتَ عَلَيَّ وَفَائِي شَاهِدًا

لَعَلِمْتَ أَنَّ الْحَبَّ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ
إِنَّ الْبِكَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَحْجَرِ
أَمْ هَلْ دَلَلْتَ عَلَيَّ الصَّبَاحَ بِنِيرٍ؟!

رثاء الحبِّ

وَلَا تَدْفِنُوهُ بِأَرْضِ خَلَاءٍ
وَلَا تُنْزِلُوهُ صَمِيمَ الْفَوَادِ
وَلَكِنْ بِحَيْثُ غَنَاءِ الطَّيْرِ
وَإِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْهِ الْأَدَى
وَإِنَّ خَلِيقًا بِطَيْبِ الْمَقَا
فَلَا تَشْمَتُوا بِعَظِيمِ مَضَى
وَمَنْ عَجِبَ أَنْ أَرَاهُ الْحَمِيدِ
يَصُولُ بِحَالَيْنِ هَجْرٍ وَوَصَلِ
تَعَالَوْا نُظَلِّلُهُ بِالْغَادِيَاتِ
وَنُنْهَلُهُ مِنْ قَطْرَاتِ النَّدَى

فَقَدْ كَانَ يَأْبَى الْمَكَانَ الْجَدِيدَا
فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ الْوَجِيبَا
رِيقَرِيهِ لِحَنًا لَذِيذًا رَطِيبَا
كَمَا كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهِ الرَّقِيبَا
مِنْ مَنْ كَانَ يَهْدِي إِلَيَّ الْحَبِيبَا
فَقَدْ كَانَ فِينَا قَدِيرًا مَهِيبَا
وَقَدْ كَانَ يُدْمِي الْكُلَى وَالْقَلُوبَا
يَشْبُ لِهَيْبَا وَيُطْفِي لِهَيْبَا
مِنَ السُّحْبِ لَوْ أَسْعَدْتَ مَسْتَثِيبَا
هَنِيئًا وَنَنْزَلُهُ رَوْضًا قَشِيبَا

استهداء رَسْمٍ جميل

ه إِذَا مَا رَأَى عَلَيْهَا الْهَوَانَا
حَظٌّ إِنَّ لَدَّهُ الشَّقَاءُ طَعَانَا
وَجَمَاحًا وَهَمَةً وَبِيَانَا
لِ فِيهَوَى سَيْفًا وَيَنْحَى سِنَانَا
م إِذَا اسْتَعْبَدَ النِّفَاقُ الْجَبَانَا
ءَ وَنَفْسًا لَا تُسْتَطَارُ جِنَانَا
حِكْ لَا تَجْزِنِي عَلَيْهَا امْتِهَانَا
ءَ بَرًّا بِأَخْتِهَا وَامْتِنَانَا
بِ إِذَا كُنْتَ تَحْمَدُ الْإِحْسَانَا
هَا اعْتِدَاءً وَأُوْدِعْتَ أَشْجَانَا
بَ وَلَيْسَ الْمُوَاصِلُ الْمَعْوَانَا
فِي وَعِيدٍ: هُنَّ يَا عَزِيزُ فَهَانَا
قَالَ طَرْفِي: يَا مَقْلَتِيهِ أَمَانَا!

يَا أَبِيًّا يَعَافُ مَدْرَجَةَ الْجَا
قَدْ عَهْدَنَّاكَ مَنَعَةً لَضَائِلِ الْ
وَعَهْدَنَّاكَ أَعْظَمَ النَّاسِ قَلْبًا
تُرْسِلُ اللَّفْظَ فِي مَنَاجِزَةِ الْبَطْ
أَنْتَ خَلَوِ مِنَ الْمَدَاجِةِ وَاللُّؤْ
فَسَقَى اللَّهُ عِزْمَةً لَكَ شَمًّا
إِنَّ لِي حَرْمَةً لَدَيْكَ عَلَى مَدْ
كَانَ هَارُونَ يَمْنَحُ الْخَلْعَ الْغَرَّ
وَلَدَيْكَ الشِّفَاءَ مِنْ سَقَمِ الْقَلْبِ
طَلْعَةُ ضُمَّنْتَ مِصَارِعَ قَتْلًا
مَنْ مُجِيرِي مِنَ الَّذِي تَبَلَّ الْقَلْبِ
شَرَعَ اللَّحْظَ ثُمَّ قَالَ لَطَرْفِي
فَأَنَا الْيَوْمَ إِنَّ رِمَانِي بِلَحْظِ

عبادة الحُسن

أَصَارْتِكَ مَعْشُوقًا فَصَرْتِ مَعْبَدًا
وَأَنْكَ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُسْنِ أَوْحَدًا
يُحِبُّكَ حُبًّا حَيْثُمَا نَفَدَ ابْتَدَا
فِيُسْعِدُهُ الْقَلْبُ الَّذِي ضَمِنَ الصِّدَى
بِمَوْتِي فَلَا تَحْبِسْ بِكَاءَ مَرَدَّدَا
وَلَمْ يَلْقَ مِنِّي فِي الْمَحَبَّةِ مَسْعَدَا

عَجِبْتُ لِأَشْجَانِ مَجُوسِيَةِ اللَّطِي
وَرَاضٍ لِي الْأَعْدَارِ أَنِّي شَاعِرٌ
حَنَانِيكَ يَا هَذَا الْحَبِيبِ عَلَى فَتَى
يَبِيتُ سَمِيرَ اللَّيْلِ يَخْفِقُ قَلْبُهُ
نَشْدُتُكَ لَوْ جَاءَ النَّعْيُ مَخْبِرًا
وَقُلْ رَجَمَ اللَّهُ الْوَفِيَّ الَّذِي قَضَى

الود الرخيص

أيها الناقم الذي أطلَقَ الكَيْبَ
قد حملت الودادَ من غير أجرٍ
دَ ولم تُثْنِهْ هُوادَةً حلمي
فقبلت الجفاءَ في غير جُرْمٍ

إلى صديق

وقفتُ عليك القلبَ عند منازلٍ
فكُنْتُ أَخَافِي النَّائِبَاتِ وَسَاعِدًا
أوائلها معقودةٌ بطموعه
فغابت غيَابَ الشكِّ عند طلوعه
تكثرُت بالأنصارِ حتى عرفته
وَحَسْبِي مِنَ الحَظِّ المَدْلُ بِنَفْسِهِ
إذا قِيلَ هَذَا القَرَمُ مَلءُ ضلوعه

لجاجة الحب

هُمُو قَيِّدُوا قَلْبِي بِهَا وَتَوَاقَفُوا
يُرِيدُونَ أَنْ لَا يَجْمَعُونَا سَفَاهَةً
طويلاً مع الأهواءِ يذْفَعُهَا العَتْبُ
يَقُولُونَ لَا تُعْطِ الغَرَامَ مِقَادَةً
وما نحنُ إِلَّا الخمرُ والباردُ العذبُ
لك الخَيْرُ لَا تَجْزَعُ فَمَا لَكَ حَاجَةٌ
فما هو إِلَّا الخُطْبُ أَوْ دُونَهُ الخُطْبُ
أَلَا لِي غَيْرُ الخَيْرِ لِي كُلِّ لَاعِجٍ
إليها وما يدرون ما فَعَلَ الحُبُّ
هُوَى نَازِعَ الأَحْشَاءِ فِي مَسْتَقَرِّهَا
قَدِيرٌ مِنَ الأَشْجَانِ يُضْمِرُهُ القَلْبُ
لَقَدْ أَضْمَرَ الغَيْبُ المَضْلُلُ وَصَلَهَا
وَأَحَدَتْ مَا لَا يَسْتَحِثُّ لَهُ اللَّبُّ
فيا ليتَ هَذَا الهَجْرُ أَضْمَرَهُ الغَيْبُ

غلالة الصهباء

زارني زورةً أتيةً بها ما
قلتُ يا ظالمَ القلوبِ تَرَفَّقُ
تاهَ بالعزِّ صاحبُ الخيلاءِ
فتمشَى الحياءُ في الخدِّ حتى
بحنيني ولوعتي وبكائي
حجبتَه غلالةُ الصهباءِ!

مخادعة الهم

نحن قومٌ إذا تَطَرَّقْنَا الهمُّ
ثم ننفيه بالأزاهرِ والشُّعُفِ
خدعناه بالرحيقِ المشوبِ
رِ ووصلِ المنى وعطفِ الحبيبِ!

العذر في الكأس

أَيُّهَا العاذلون في الكأس مهلاً
هي تُبرِّحني الطلاقة في النَّفِّ
قد جَهَلْتُمْ علالة العَشَّاقِ
سِ ويمحو غضاضة الإملاقِ!

خطرات في الحياة

قنوع اليأس يجحدني رجائي
وقد غَلَبَتْ صروفُ الدهرِ حزمي
وقد سَلَبَتْ صروفُ الدهرِ مني
وقد يُغْنِي العزاء عن التمني
أأجزع من مجالدي الرزايا
وهمُّ النفسِ داعية الرخاءِ
فجالدتُ المصائبَ بالنجاءِ
كما سلبَ البقاءُ من البهائمِ
وقد يُغْنِي الطُّلابُ عن العزاءِ
كأنِّي لستُ في طلبِ العلاءِ!

مجلس

أَسْفَرَ وَجْهَ الأفقِ بالصباحِ
وكلُّنا من منتشٍ وصاحي
ونخلطُ الوقارَ بالمراحِ
فعرَضْنَا ليس بمستباحِ
ولم نطعُ في تركها اللواحي
كأنه يبسمُ عن أقاحي
قُمْناً نُحْيِي الفجرَ باصطباحِ
لا نُؤَثِّرُ الجدَّ على المِزَاحِ
ثارت بنا إلى كئوسِ الراحِ
شبيبةٌ تدعو إلى الجماحِ

سبيل الحب

إذا كان لا يرضيك أني هالكٌ
وأجهلُ أسبابَ الهوى غير أنني
محَبُّك لو تدعوه والنارُ بيَّنه
بحبِّك فابعث في المنامِ خيالِكا
أسائلُ عنها مقلتي وجمالِكا
وبينك تبغي مَوْتَهُ لسعى لكا

عناء الليل والحبِّ

ما لحدادِ الليلِ لم يخلعِ
لعلَّه يَفْرِقُ من هيبتي
وربَّ ليلٍ ملَّني جنحه
قريته من زفرات الحشا
لم يَدِمِ قلبي طولُ هجرانِهِ
أبدلني بالوعدِ مَنْ وَصَلِهِ
إن لم أكن عن حبه مقلِّعا
إن لم يكن حبي له شافعي
إن أشفق الغيثُ على تُرْبِهِمْ
هل حيلة تصرفني عنكمُ
دلوا على عطفكمُ مولعا
وما لعين الأفقِ لم تهجعِ
أن يخلص الأنداء من أدمعي
لو مرَّ بالمخطيِّ لم يجزَعِ
فما لهذا الليلِ لم يشبعِ
لكنَّ سهمَ اللحظِ لم يُنزَعِ
لكنني بالوعدِ لم أقنعِ
فما لهذا الصدِّ لم يقلعِ
فما لجنحِ الليلِ لم يشفعِ
أقولُ هل خانهمو مَدَمْعِي؟
فإنَّ صرفَ الدهرِ لم يزعمِ
ظمان لا يسلو ولم يطمعِ!

خطرات الحبِّ

حبيبُ هل عوتبتُ في مغرمِ
إن يك منك البخلُ مستحسنا
لئن أراني عتبتُكم عطفةً
أعلم أني فيكم هالكُ
أثريت لما أن تجافيتمو
فإنني عوقبتُ في ظالمِ
فرحمةُ الله على حاتمِ
فإنني أشبهُ بالنائمِ
حتى كأني لستُ بالعالمِ
من مدمعي باللؤلؤِ الساجمِ

إِن تَكُ قَدِ عَرَّتْكُمْ صَبُوتِي
أَوْ أَكُ فِي مَعْتَبَتِي آثَمًا
أَوْ أَكُ بِالكَتْمَانِ عَاهَدْتُكُمْ
وَبِالْمَنَى أَفْدِي الَّذِي قَالَ لِي
إِذَا الرُّضَى أَعْلَنَ فِي ثَغْرِهِ
وَإِن تَبَدَّى السُّخْطُ فِي وَجْهِهِ
وَإِن أَرُمُ إِرْضَاءَهُ جَاهِدًا
لَوْ أَنَّمِ العَاشِقُ فِي حَبِّهِ
لَتُنَّ يَخَاصِمُنِي الهَوَى فَيَكُمُ
كَيْفَ أَرْجِي رَحْمَةً مِنْكُمْ
مَنْ كَانَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَاثَقًا
مَنْ يَجْعَلُ الحَبَّ شَفِيعًا لَهُ

لا تستحثوا خدعة الراغم
كيف استجزتُم زلة النادم
ما حيلتي في لغط الحالم
ما أنتَ في حبِّك بالغانم
فخادعُ أشبهه بالباسم
فمُعْتَبٌ أَشْبَهُه بِالنَّاقِمِ
لأسكرتني نظرة الواجم
لاشتبه المظلومُ بالآثم
عند المنى كان الهوى خاصمي
إن كان قلبي ليس بالراحم؟
لم تستمِله قالة اللائم
خاصمه الحبُّ لدى الحاكم!

زهرة ووعد

وما زهرةُ صانِ الربيعِ بهاءها
بأحسنَ مَنْ وَعَدَ الحبيبِ وفرحة الـ

وكَلَّلها الإصباحُ باللؤلؤِ الندي
محبِّ وقولِ العاذرِ المتوددِ

اليأس من الحب

وكيف يكونُ الحبُّ عني راضيًا
أشايِعُهُ حينًا على ما يريده
ولا راحة في العيش ما دُمْتُ هكذا
إذا كان طرفي خائني في دموعه
وضيعني القومُ الذين حَفِظْتُهُمْ
وكَلَّبي عنه بالحوادثِ مشغولُ
وإنِّي لأدري أن ذلكَ تعليلُ
يُبغِّضني في العيشِ يأسٌ وتأميلُ
فإنَّ فؤادي لا محالةً مدخولُ!
كأنِّي معني بالإعادة مملولُ!

طول الليل

يا ليلُ هل وقف الفلُكُ
ووقفتَ تلتمس الطريدَ
ولقد ثقلتَ على المحبِّ
بيني وبينك يا ظلاً
يا من أباحَ مقاتلي
لولاك ما عدلَ الحسو
لو كنتَ مُحْتَكِماً عليَّ
لو كنتَ تقضي بيننا
أم هل دليلك قد هلكُ؟
سَقَ فسَاءَ ظنُّ الصبِّ بكُ
فهل ثقلتَ على الحُبِّ؟
مُ وبين طرفي مُعْتَرِكُ
وأحلُّ في صدري الضنُّكُ
دُ على هواك ولا محكُ
نَا لانتصرتُ عليك بكُ
لشكوتُ عُدَّالي إليك!

عفة الطرف

لو أن طرفي فاسقُ
أعْضِي لحاظي عفةً
إنَّ المحبَّ مسشردُ
لعلمت أني عاشقُ
لكنَّ دمعي ناطقُ
فكأن نومي عاشقُ!

لحن يتمشى بالألم

مطربي الحيِّ تعالوا أيقظوا
واحذروا من رقة السامع أن
رَبَّةَ الدلِّ على وقعِ النغمِ
يتمشى اللحنُ فيه بالألم!

الأمني حدق

يذكرنيك ضياءُ الهلالِ
فإن تكُ قد غبتَ عن ناظريَّ
إذا ما الهلالُ بدا في الغسقِ
فإنِّي تَحَدْتُ الأمني حدق!

الخمود والجمود

قد أداروا من الخمود عقارًا
واستكانوا فأنفذ الدهرُ فيهم
سلكَ العجزُ فيهم مسلكَ العزِّ
ليتني متُّ قبل أن أنكرَ العيِّ
أنا في ذمة الزمانِ ولكنْ
يا بني مصرَ والمذلةَ عارٌ
واستباحوا من الذهولِ وقارًا
حُكْمَه واستردَّ ما قد أعارًا
م فظلوا يروونَ في المجدِ عارًا
شَ ولكنني فقدتُ الخيارًا
لا أسيغُ الحياةَ إلا اضطرارًا
إنما يُنكرُ المفيقُ الخمارًا

الروض والهجير

بعثَ الهجيرُ إلى الزهورِ نسيمةَ
خلس الهجيرُ إلى الزهورِ حياتها
ودَّت نواتِ الحُسنِ أن لبوسها
بتنقُسٍ كتنفُسِ الولهَانِ
فغدتْ كطرَفِ الناعِسِ الفتَانِ
مَنْ نَسِجَ ذاكِ الرائعِ الألوانِ

معاني النظر

لها نظرٌ جمُّ المعاني إذا رنتْ
إذا نظرتْ طاحتْ بقلبي نشوةٌ
سألت فؤادي أيَّ معنَى تريدهُ
فينحل معقودَ العزاءِ جليدهُ

شفق الغروب

وكأنما شَفَقَ الغروُ
خَجَلُ المليحةِ يومَ يَجِبُ
بِ إذا استقرَّ على الغديزِ
لِوها الزفافُ إلى السريزِ

الحياة قمار

إِنِّي رَأَيْتُ الْمَسَاعِي فِي مَصَادِرِهَا
مُقَامَرُ ظَافِرٍ رَاضٍ بِقَسْمَتِهِ
وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ مَهْمُومٍ وَمَسْرُورٍ
وَأَخْرُ نَاقِمٌ فِعْلُ الْمَقَادِيرِ

الخاطر والزمن الخالي

يَمُرُّ بِي الْخَاطِرُ فِي شَجْوِهِ
كَمَا تَجُولُ الرِّيحُ فِي مَرِّهَا
عَلَى هَوَى فَاتٍ وَعَهْدٍ قَدِيمٍ
بِدَارِسٍ رَثٌّ ذَلِيلِ الْأَدِيمِ

الثبات

ثَبَاتًا فَإِنَّ الْعَارَ أَصْعَبَ مَحْمَلًا
وَإِنْ تَحْسَبُوهَا خَطَّةَ الطَّيْشِ إِنَّا
فِي أَنْ رَوَّعُونَا كَيْ يَقْدُوا أَشَدَّةً
فَمَا زَادْنَا التَّرْوِيعَ إِلَّا حَمِيَّةً
سَيَهْزِمُهُمْ مِنَّا أَبُوءُ مَاجِدٍ
فِيَا قَوْمٍ لَا حَقَّقْتُمْ قَوْلَ عَازِبٍ
أَقِيمُوا بِنَا نَهَجَ الطَّرِيقِ لغيرِنَا
مَنْ الذَّلَّ لَا يُفْضِي بِنَا الذَّلَّ لِلْعَارِ
ذَوِي الْعِزْمِ لَا نُغْضِي لَصَوْلَةِ جِبَارٍ
تَبَتَّنَا عَلَى التَّرْوِيعِ نَلْهُو بِأَخْطَارِ
وَهَلْ حَسَبُوا أَنْ يُطْفِئُوا النَّارَ بِالنَّارِ
وَهَمَّةٌ خَطَّارٍ وَعِزْمَةٌ مِقْدَارِ
عَنْ الْحَقِّ يَسْتَخْبِي الرِّيَاءَ بِأَعْدَارِ
فَإِنَّا بَنِي الْأَوْطَانِ كَالجَارِ لِلجَارِ

الحب أعمى

يَا رَيْثُمَّ هَلْ لِلوَفَاءِ مُرْتَجِعُ
وَإِنْ رَأَيْتَ الْمَحَبَّ ذَا ضَرَعٍ
وَلَيْلَةَ بِالنَّجُومِ حَالِيَةَ
ضَنَّ بِهَا الدَّهْرُ أَنْ يَزُوجَهَا
فَالْحَبُّ أَعْمَى يَقُودُهُ الطَّمَعُ
فَفِي الصَّبَا لَا يُشِينُهُ الضَّرْعُ
رَعِيَّتُهَا وَالْفَوْادُ مَنْصَدَعُ
فَجَاءَ نُورُ الصَّبَاحِ يَفْتَرَعُ

لغز الحياة

إذا كان في موتِ الفتى راحةً له
عجبتُ لهذا الدهرِ إِمَّا يغرُّنا
وإِمَّا شقاءً ليس يُرَجى نفاذهُ
أنضحكُ أم نبكي وهذا زماننا
فأَيُّ رجاءٍ في الحياةِ يريدهُ
ببعضِ المُنَى حتى يرَجى حميدهُ
تمرُّ علينا حَيْلُهُ وجنودهُ
عجيبٌ لدينا وعدهُ ووعيدهُ

دواء الملل

ملكتُ فكان العتبُ مني سفاهةً
ولولا خداعُ شَابَ طَبْعَكَ لم يَكُنْ
كلانا له ممن يملُّ بديلُ
إليك لمن يبغى الوفاءَ سبيلُ

الروض بالليل

نزلنا ليلةً بالروضِ نسعى
إذا لاحت أوائلُهُ ابتَهَجْنَا
أَمِنَّا صولةَ الأيامِ لَمَّا
إذا ظمئِ الفؤادِ إلى بهاءِ
شربنا باللواحظِ ما رأينا
بهاءِ آخذِ بالنفيسِ يسطو
يميلُ الغصنُ من طربِ إلينا
ومرأى النجمِ من خللِ الغصونِ
كسعِي العامدينِ إلى يسارِ
كأنَّا قد نجَّونا من إِسارِ
رأينا الروضَ محمودَ الجوارِ
فإنَّ الروضَ يذهب بالأوارِ
من الحسناتِ والظرفِ الكثارِ
بمثلِ الخمرِ مأمونِ الخمارِ
كأنَّ الغصنَ مخلوعُ العذارِ
كمرأى الحُسْنِ من خللِ الستارِ

البرق

شَبَّ بَرَقٌ فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ مَاضٍ
أَنْتَ لِحُطِّ مِنَ الْحَبِيبِ إِلَيْنَا
شَبَّ فِي أَضْلَعِي لَهَيْبِ الْغَرَامِ
أَمْ مُغَيِّرٌ مِنْ طَائِشَاتِ السَّهَامِ!

أمنية

وَلَقَدْ قَلْتُ إِذْ رَأَيْتُ حَبِيبِي
لَيْتَنِي فِي خِلَالِ بَيْتِ رَقِيقِ
يَتَغَنَّ بِطُرْفَةٍ مِنْ شِعْرِي
لَاثِمًا نَعْرَهُ بِأَطْرَافِ ثَعْرِي!

جسم وقبر

لَيْسَ جَسْمِي الَّذِي تَرَوْنَ وَلَكِنْ
مِنْ شَجَوْنَ وَلَوْعَةٍ وَأَدِّكَارِ
ذَاكَ قَبْرٌ لِمَا تَكُنُّ الضَّلُوعُ
وَهَمُومٌ تَنْمُ عَنْهَا الدَّمُوعُ!

النجوم

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي أَتِلْكَ أَزَاهِرُ
وَيَبْعَثُنَّ نَحْوِي بِاللَّحَاطِ كَأَنَّمَا
مَفْتَحَةٌ أَمْ قَدْ رَأَيْتُ أَمَانِيَا؟
يُرْدُنَ لِيَعْرِفَنَّ الَّذِي فِي فَوَادِيَا!

الخمول

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مَنْبُودًا بِمَنْزِلَةٍ
لِذُو فَوَادٍ ذَكِي الطَّبَعِ مَخْتَبِي
يَنْمُ فِيهَا الرِّضَى عَنْ مَوْضِعِ الْعَجَبِ
بَيْنَ الضَّلُوعِ اخْتِبَاءَ الْبَرَقِ فِي السَّحَبِ!

نصيب قليل

اجعلِ الدمعَ والسهادَ نصيبي
حسبِ الصدِّ أن يميلَ بقلبِ
لست أصبو إلى الملاة والهَجْـ
واجعلِ الطيفَ عاذلي ورقبيبي
ذي شجونٍ عن أن يراك حبيبي
برِ ولو قلَّ في هواك نصيبي

الروض والحب

زارنا والليلُ منبسَطُ
فمَتُّ أسعى نحوَهُ جدلاً
ثم عَجْنَا نحوَ حالِيَةِ
وغناءَ الطيرِ يُطْرِبُنَا
فراينا طلعةَ الشمسِ
وأفدِّي النفسَ بالنفسِ
ببديعِ طيبِ الغرْسِ
كالغواني ليلةَ العُرْسِ

صديق عدو

تناوشني الوشاةُ فأدريها
وكيف أصيبُ أعدائي رماءً
ولكن أنتَ مغفرها المتينُ
وهم يحميهمُ الدرعُ الحصينُ؟

كلمة في الشاعر بيرون

تقول قولاً فتذري الدمعَ من شجن
ألْبَسْتَهُ من سوادِ الحزنِ ضافيةً
فكرُّ كأنَّ ملاكَ الوحي يُسْعِدُهُ
إذا ظفرتَ بمعنى كان موقعُهُ
قد اجتبيتَ من الآراءِ أشرفها
كأنَّ قلبك مدلولٌ على العبرِ
فجلتُها من سوادِ القلبِ والبصرِ
موكِّلٌ بصروفِ الدهرِ والغيرِ
ألذُّ من وقعاتِ النجحِ والظفرِ
حتى كأنك معنى الصدق في الخبرِ!

إلى صديق

سَامِرِ اللَّيْلِ بَابِنَةِ الْعُنُقُودِ
خُلِدْتُ فِي الدَّنَانِ حَتَّى لَقْدَ أَنْ
وُئِدْتُ كَيْ تَعِيشَ حَتَّى لَقْدَ حَا
وَتَعَدَّتْ مَدَى الصَّفَاءِ فَكَادَتْ
مَسْتَحِيلُ النَّدِيدِ مَنَقَطْعُ الْقَرِّ
مَتَقَصِّي الْبَيَانَ يَعْضُدُهُ الْحَقُّ
أَنْتَ قَدْ قُمْتَ بِالنَّثِيرِ وَلَكِنِ
وَاطْمَأْنَنْتَ بِكَ الْبَلَاغَةَ حَتَّى
وَفَضَّلْتَ الْوَرَى فَلَوْ نَظَّمُ الْكُوْ

وَأَدْرِهَا تُرِخَ فَوَاذَ الْعَمِيدِ
بَتَّ سُنُوهَا عَلَى مَدَى التَّخْلِيدِ
لَتَّ وَجَلَّتْ عَنِ هَيْبَةِ الْمَوْجِدِ
أَنْ تُوَازَى مِنْ خُلِقَ عَبْدُ الْحَمِيدِ
نَ لَدَى مَاقُطِ الْبَيَانِ الشَّدِيدِ
بِرَأْيِي فِي النَّائِبَاتِ سَدِيدِ
كَ أَزْرَيْتَ فِيهِ بَابِنَ الْعَمِيدِ
نَسَيْتَ عَهْدَهَا بَعْدَ الْحَمِيدِ
نُ قَصِيدًا لَكُنْتَ بَيْتَ الْقَصِيدِ!

موعد

مَوْعِدٌ يَجْذِبُ الْفَوَاذَ إِلَيْهِ
وَوَصَالٌ أَشْهَى لَدَيَّ مِنَ النَّجْدِ
يَا حَبِيبِي لَقَدْ أَقَامَ بِنَا الْهَجْـ

سَاءَ ذُمَّ الزَّمَانَ حَتَّى يَحِينَا
حِ سَافِنِي الرَّجَاءِ حَتَّى يَكُونَا
رُ عَلَى حُكْمِهِ فَكَيْفَ رَضِينَا؟

عذير الحب

غَالِ قَلْبِي بِالصَّدِّ حِينَ تَحَلَّى
إِنْ يَكُنْ لِلْعَدُولِ فِيهِ عَذِيرٌ

أَتَرَاهُ يَضُنُّ بِالْوَصْلِ بِخَلَا
فَالْعَمِيدِ الشَّجِيءِ بِالْعَذْرِ أَوْلَى!

عذاب ونعمة

مَنْ استعار النومَ من ناظري
إِنْ فَنَدُوا السَّاحِرَ فِي فَعْلِهِ
وردت ظمآنًا فلم أَرْتَوِ
إِنْ يَعْقِبَ الصَّبْرَ رَجَاءُ فَمَنْ
إِنْ لَمْ يَجِدْ لِي عَاقِلٌ حَيْلَةٌ
إِنْ يَجْعَلُ الْحَبَّ شَفِيْعًا لَهُ
إِنَّ عَذَابَ الْحَبِّ لِي نِعْمَةٌ
وَمَنْ أَبَانَ الْعُذْرَ لِلْعَاذِرِ
فِي سَقَمِي حَجَّةُ السَّاحِرِ
ما أشبه الواردَ بالصادرِ
يؤمنني من ميتة الصابرِ
ما حيلة المختبلِ الحائرِ
فالحبُّ طَوْعُ الحَاكِمِ الجَائِرِ
وجاحدُ النعمةِ كالكَافِرِ!

في التبسط

أَدِرَّ الكَأْسَ فَقَدِ طَابَ الصَّبُوْحُ
وافتَرَعَهَا نَصْطَبِحَ مَوْءودَةٍ
عاطِها أَعْيَدَ مَعسولَ اللَّمى
جاءنا يمشي بعطفه الصبا
قهوة مشمولة تُبدي لنا
لا تُطعُ فِي تَرْكِها قولَ النَّصِيحِ
خُلِدَتْ فِي دَنِّها من عَهْدِ نَوْحِ
ناعِمَ الأَطْرافِ كالرِّئِمِ السَّنيحِ
جِيئةُ النَوْمِ إلى الجَفَنِ القَريحِ
مثل ما يلفظه الطَّبِيُّ الذَّبِيحُ!

إلى عالم جليل

إِنْ المَقَرَّ بما أُوتِيَتْ مَجْهُودُ
قد قُمْتَ بالبِشْرِ حتى قيلَ بارِقَةٌ
وَأَلْبَسَ اللهُ مَنكَ الدِّينَ حُلَّتَهُ
مَنْ يَنْكِرُ الضَّوءَ والإِصباحَ مَشْهُودُ؟
وقُمتَ بالحلمِ حتى قيلَ جَلْمُودُ
كأنما هو سرٌّ فيك مَوْءودُ

إلى صديق

لا بد لي منك مهجورًا ومودودًا
وإن تكن لستَ تدري كيف تحفظنا
فاكفُفِ ولست بما تجنيه مجهودًا
على الوفاءِ فقد سَمْنَاكَ تقليدًا

لقاء على صد

سائلٌ بليلي هل ألوي بآخره
كم خفتُ صبري على من ليس ينصفني
أبيتُ منبعثَ الآمالِ يحرسني
ونمَّ بالحبِّ لما زارني هطلُ
خوف اغتماضي لما ملني السهدُ؟
والآن إن رمتُ صبرًا خانني الجلدُ
من السلوِّ فؤادٌ ملؤه كمدُ
من الدموعِ ونمتُ بالسلام يدُ
يبيتُ من وهمه يلهو به الحسدُ

حبُّ من لوازم الحياة

شكوتُ إليه هجره فتعللاً
ووافقهُ لينُ فأرخى لحاظه
وإنِّي ليُغريني بحبيه أني
ولستُ أبالي أن يضجَّ عواذلي
وما رغبتني في العيشِ إلا لأنني
إذا ما خلا قلبي من الحبِّ طرفةً
وإن هجر الحبِّ الضلوعَ زهادهً
فما جاء داءُ الحبِّ إلا مخادعًا
يرجِّي المحبون الخلاصَ من الهوى
وَحَقَّ لِمَنْ أَهْوَاهُ أَنْ يَتَدَلَّلَا
لَأُطْلِقَ طَرْفًا رَاجِيًا مَتَدَلَّلَا
لَثَمْتُ بِثَغْرِي ثَغْرَهُ فَتَهَلَّلَا
إِذَا كَانَ وَصْلٌ مِنْهُ يَشْمَتُ عُذَّلَا
أَوْمَلُ أَنْ أَهْوَى حَبِيبًا مُؤَمَّلَا
تَقَبَّلَ دَاءَ الْيَأْسِ فِيمَا تَقَبَّلَا
تَرَحَّلَ قَلْبُ الصَّبِّ فِيمَا تَرَحَّلَا
وَمَا رَاحَ دَاءُ الْحَبِّ إِلَّا لِيَقْتَلَا
وَأَرْغَبُ أَنْ أَبْقَى الْمَحَبَّ تَلَا

الهوى

راحةُ الهوى تعبٌ
لم يدعُ بنا رمقًا
وأعزَّ مطلبُهُ
الحيبُ محتكمٌ
بالعتابِ منعطفٌ
للعيونِ مختطفٌ
غاضبٌ ومنُ عجب
إن بكيتُ منتحبًا
واحتماله عجبٌ
إن صدقه كذبٌ
أن جدّه لعبٌ
فالقلوبُ تضطربُ
بالدلالِ منسحبٌ
للقلوبِ مختلبٌ
يستحطني الغضبُ
يستميله الطربُ!

في التبسط

ربَّ ليلٍ لبيستُ منه شعارَ الـ
قد لهونا فيه بطيبة الأند
روضتها السقاة بالماء حتى
ثم صار الزجاجُ من عنصر النُو
حُزنٍ حتى أبحتُ فيه السرورًا
فاس ملء الكئوس نارًا ونورًا
خلتُ فيها السكونَ شيئًا ستيرا
رِ وصار المزيحُ فيه ضميرًا!

مغنم أم مغرم

لو أنّ الهوى مغنمٌ
ويا ليت أنّ العذولَ
فيعلمُ أنّ الهوى
تحملتُ فيه الجوى
فما كان إلا الرضى
لأثريت مما أعاني
شجاه الذي قد شجاني
كفيلٌ بما قد دهاني
وأفنيتُ فيه الأمانى
بما جرَّ صرفُ الزمانِ!

الحياة

ما أشبه الحُزْنَ بالسُرورِ
وأشبهَ المَكْتَبَ بالمرورِ
وما أخالُ الحياةَ إلا
كجولةِ الفكرِ في الضميرِ

العزير تَعَلَّة

كلُّ ما كان عزيزًا
ومماتُ المرءِ رزءُ
فهو للنفسِ تعلَّة
وحياةُ المرءِ ذلَّة

كان الخداع وكنت الحذار

محَبُّ يخادع فيك الوقارًا
ولولا الوثوق بفضلِ الوفاءِ
وبإدارة زهبت بالعزا
لقد جُلَّتْ في غفلاتِ الزمانِ
وخلُّ أعان عليَّ الهمومَ
فكان الخداعَ وكنت الحذارًا
ويسألُ عن قلبه أين سارًا
لما كان يحسبُ في الهجر عارًا
لا يَعْرِفُ القلبُ فيها قرارًا
فما أعقب السعي إلا عثارًا

رثاء عزيز

أمنيةٌ صارتَ له أملاً
وأعينٌ أزرى بها سهداً
وأملاً بالجهلِ ممتنعٌ
والمرءُ إن يعرضُ له قدرٌ
أرجو إياباً بعد مرزئته
وألسنٌ قد هجنته عدلاً
فأرسلتُ من دمعها هطلاً
لو يعلمُ المأمولُ ما أملاً
يضلُّ فيما يبتغي الحيلاً
من ساكنٍ يهتاج لي خبلاً

ليلة نحسٍ وليلة سغدٍ

فاستحال العزاءُ إلا قليلاً
لَقَّ نَجْمُ السَّمَاءِ طَرْفًا كَلِيلًا
فليست تزولُ حتى يزولًا
حُ فَكُنْ لي من الظلامِ بديلاً
نَ اصطباري عن الحبيبِ جميلًا
تَ فَكُنْ واصلاً شفيقًا منيلاً
تَحْذُنِي على الوفاءِ دليلاً
فصار النسيْمُ مثلي عليلاً
تُ على الحادثاتِ حملاً ثقيلاً
فَضْ زماناً دون الوصالِ طويلاً
جَلَّ أَنْ نَدْعُوهُ شَيْئًا جليلاً
لَا ونشفي صبابَةً وجليلاً
نَتَّخِذُهُ إلى الوصالِ سبيلاً!

هل أَثَارَ الخيالُ داءً دخيلاً
واستعار السهادُ عيني وقد أَطُ
وَكأنَّ الأوهامَ من عنصرِ الحبِّ
طال عهدي بذلك الليلِ يا صُبِّ
خَبَّرُونِي أينَ القبيحُ إذا كا
يا عميدَ الهوى إذا ما تَحَرَّجُ
وإذا كُنْتُ لَسْتُ تعلم ما الحبُّ
قد بَثَّتْ النسيمَ ما بي وقد هَبَّ
سَمِّمْتَنِي الأحوالُ إِنِّي قَدْ صِرُ
غفل الدهرُ يا حبيبي فقمُ نَدِّ
ونكتمُ عن الحواسدِ سرًّا
ونُبَادِرُ قبل الحوادثِ أَمَا
احتوانا الدجى فقم يا حبيبي

استعطاف

فإني إذا لم تَحْتَفِظْ بي نازعُ
وإنَّ موداتِ القلوبِ ودائعُ
لأبعدني عن منهلِ الذلِّ وازعُ
وليس بوغدٍ ما تكنُّ الأضالعُ

تَعَرَّفَ عقيدَ الفضلِ ما أنتَ صانعُ
ضمنتُ لكم في القلبِ مني مودةً
ولو لم تكن ذاك الذي قد عَرَفْتَهُ
ولي عزيمةٌ غراءُ يصدق سَعِيهَا

إلى صديق

ففي التذکر خطُّ الناعمِ الرائي
هلا استعرتم من الأضلاعِ أحشائي؟

ما كلُّ ناءٍ عن الأحبابِ بالنائي
إن كان يُعَوِّزُكُمْ ما ترحمون به

يا حبذا العيش والأحوال مسعدةً
وكننت كالأمل الممدودِ جانبُهُ
ضمنتُ كلَّ جليلٍ يُسْتَعَزُّ به
وكم بغيضٍ تردّى من معابيه
فلمستُ أُعْمِضُ عيني بعد نايكُمُ
كأنما جرعت من كأسِ صهباءِ
في ليلةٍ للعوادي ذاتِ أنواءِ
من الفضائلِ إلا النطق بالراءِ!
ضمنتُ في العين منه بعض أقداءِ
ولستُ أفْتُحِّها إلا على داءِ

في معلم جاهل

لا تلوموا الشيخَ الجليلَ على ما
إنما همُّه التكبُّبُ بالآ
عمةً فوق رأسه تُشبهه الورُ
كان منه في مجلسِ التدريسِ
ي وخطفُ الرغفانِ يومَ الخميسِ
دَة فوق التُّرْبِ الذليلِ الخسيسِ!

نكرى زورة

ألم ترَ أنَّ الحبَّ غيَّرَ حالِيَا
لئن بَقِيَتْ نفسي ولم يأنِ يومُهَا
وكيفَ أرجِي في الأمانِي عِلاَةً
ولم أنسَ يوماً زارني بعد هجعةً
لمستُ بكفِّي خدَّهُ فحسبُنُهُ
يعاتبُ ذا شجو فيبسمِ سالمٍ
أذلُّ ويناى بالدلالِ وبالجفا

وأوردني الإدلالُ ما كُنْتُ خاشِيَا
فما هو إلا أن تملَّ الأمانِيَا
وقد منَعَ الهجرانُ ما كنتُ راجِيَا
فجاء بإبلالي وطول بلائِيَا
يُفْتَحُ فيه الزهرُ غصًّا وزاهِيَا
فهل كان يستمري لذيدَ عتابِيَا؟
فقلتُ له يا ليت ما بك ما بيَا!

رثاء عزيز

ما لعيني ترى الضياءَ ظلامًا
ولقلبي كأنه مستزارٌ
يا جديرًا بأن أكونَ شجيًّا الـ
ولجنبِي يرى الرقادَ حرامًا؟
لا يحلُّ الضلوعَ إلا لمامًا
قلْبٍ فيه هل اتقيتُ الحمامًا

أَنْزَلْتَكِ الْأَحْدَاثُ قَلْبِي وَقَدْ كُنْتُ
كُنْتُ فِي الْعَيْشِ مَنْظَرًا يَبِيعُ الْبِشْ
تَ لِسْمَعِي وَنَاطِرِي قَوَامًا
رَ وَلِلنَّفْسِ بِهَجَّةٍ وَاعْتِصَامًا

المحب الهالك

سَتَرَى النَّاسَ حَوْلَ قَبْرِ
وَعَدَا يَسْتَرِيحُ مَنْ
كُلُّ شَيْءٍ سِوَى الْهَوَى
وَأَذْكَرِ الْعَاشِقِ الَّذِي
نَسَبُوا شِقْوَتِي إِلَى
ظَلَمُونِي لَوْ أَنْصَفُوا
جَبْرِي يَبْكُونَ هَالِكًا
خُنْتُهُ فِي خِيَالِكَا
لَا تَدَعُهُ بِبَالِكَا
مَاتَ صَبْرًا بِذَلُّكَا
حَسَنٍ مِنْ دَالِكَا
زَعَمُوا غَيْرَ ذَلِكَا!

في شاب يدعي سعة الاطلاع كذبًا

قُلْ لِلَّذِي حَسَبَ الْعُلُومَ رَغِيبَةً
مَا زِلْتُ تَقْرَأُ كُلَّ سَفَرٍ وَارِمِ
لَا يَجْتَبِيهَا الْمَرْءُ إِنْ لَمْ يَكْذِبِ
حَتَّى قَرَأْتَ الْيَوْمَ مَا لَمْ يُكْتَبِ!

الحب يُدْعِمُ بِالْحَبِّ

رَعَى اللَّهُ مَحْبُوبًا أَعَانَ مَحَبَّةً
حَبِيبِي سَلِّ الْعُدَّالَ فِي غَيْرِ عَطْفَةٍ
فِيَا فَاتِنَا لَوْلَاهُ قَامَتْ هَوَاجِسُ
عَهْدَتِكَ نَعْمَى لِلإِلهِ وَتَحَفَّةً
وَمَا أَنْتِ إِلَّا السَّعْدُ فِي السَّخَطِ وَالرَّضَى
عَلَى مَا بِهِ وَالْوَدُّ يُدْعَمُ بِالْوَدِّ
إِذَا عَابَنِي الْعُدَّالُ هَلْ وَجَدُوا وَجِدِي
بِنَا لَا نَقِيمُ الْقَلْبَ فِي مَنْزِلِ الصَّدِّ
لَمَنْ بَاتَ مَخْذُولَ الْفَوَّادِ عَلَى جَهْدِ
وَمَا أَنَا إِلَّا الشُّوقُ فِي الْقَرَبِ وَالْبَعْدِ!

المجادلة

وعاوي عوى والحق بيني وبينه
أعوذ بحزمي أن أنازل مثله
فألقمته البطل الذي هو قائله
ويأبى رقيب الحق أن لا أنزله!

حنين واشتياق

أتنكر ما بي وأنت الحبيب
حننتُ إليك فلولا الضلوعُ
وتجهل دائي وأنت الطيبُ؟
لطار إليك الفؤاد الطروبُ
فما بال قلبك لا يستريبُ؟
دهتني حوادثُ هذا الزمانِ

داء أم دواء

أبحثُ فؤادي للهوى وسبقته
وليس نصيبي أن تكونَ مواصلي
شقيتُ ولكن في الشقاءِ سعادةٌ
فدمعي على حقِّ الصبايةِ مسعدي
فإن كنتُ مسحورًا فأنت تميمتي
أبيتُ كأنَّ الليلَ صبَّ سوادهُ
إليه ولم يعلم بذاك رقيبِي
ولكن نصيبي أن تكونَ حبيبي
وليس شقائي في الهوى بعجيبِ
وقلبي إلى ما لا يريب مجيبي
وإن كنتُ معلولًا فأنت طبيبي!
عليّ فأخفى والدموعُ تَشي بي!

إسعاد الهوى

يا حبيبي إن لم أكن بك مسعو
اغتنمني فإنني بين قلبي
دًا فماذا يرجو العوائلُ منَّا؟
ومقالِ العذولِ فيك مُعنى!

إلى أديب

حمدنا فيك ما قالَ البشيرُ
ولكنَّ العظيمَ إذا تلظى
وبادرةٍ إليك أقمتَ فيها
ولولا عزيمةٌ لك وانبساطُ
فلا تخشَ مراغمةَ الليالي
ولا تحمِلَ يرَاعَكَ عن دعي
وأنكى ما يكون المرءُ يوماً
إذا أخذَ البعيدُ عليك أمراً

وقبل اليوم برأكَ الضميرُ
على مكروهةٍ شمتَ الحقيِرُ
كأنَّ الحقَّ ليس له نصيرُ
لدى الأحداثِ أخطأكَ العثورُ
فإنَّ البدرَ يلزمه السفورُ
فإنَّ المرءَ يُطغِيهِ الغرورُ
إذا كان العذولُ هو العذيرُ
فلا يزري بك النظرُ الحسيرُ!

كلمات العواطف

(وهي قصيدة من الشعر المرسل، فيها يشرح الشاعر ما يُحزِنُه من أمور الحياة، ومواقع هذه الأمور من عواطفه؛ ويطمح إلى حياة أكمل من هذه الحياة، وأسعد حالاً، وأكثر إنصافاً.)

الإهداء

خليلي والإخاء إلى جفاءٍ
يقولون أصحاب ثمار صدقٍ
شكوتُ إلى الزمان بني إخائي
أراني قد ظفرتُ بندي وفاءٍ
أظللُ إذا رأيتك مستفزاً
يوم بي العلاء أخو وجيفٍ
تقبّل طرفة لك من خليلٍ
فإن أكَ محسناً فلربَّ غرٍّ
وإن أكَ مخطئاً فالفضلُ يؤتى

إذا لم يَغْذُهُ الشوقُ الصحيحُ
وقد نبلوا المرارةَ في الثمارِ
فجاء بك الزمانُ كما أريدُ
له خُلُقٌ يضيّقُ عن الرياءِ
كأنّي قد جرعتُ من العقارِ
وتنبت في أجنحة النسورِ
وقد يهدى الصديق إلى الصديقِ
أصاب الفضل في المحض اللبابِ
من الخطأ المُبين عن الصوابِ

إِذَا عَجَزَ تَعَرَّضَ لِلتَّهْدِي
فَقَدْ يُهْدَى النِّظِيمَ إِلَى الْحَبِيبِ
رَأَيْنَا الشُّكَّ يَثْبُتُ فِي الْيَقِينِ
وَتَقْضِي لِلْقَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ!
وَتَرْحَمُ كُلَّ جَبَارٍ عَنِيفِ!
عَلَى صَافِي السَّرِيرَةِ مِنْ دِهَاءِ
تَحَامَقَ مِنْ عَوَاقِبِهِ الْحَلِيمِ
يَفِيضُ النَّفْسَ فِي الْوَادِي الْبَعِيدِ
يَمِيلُ بِهِ الْوُدُودُ عَنِ الْوُدُودِ
كَأَنَّ الْحَسَنَ مِنْ عَدَدِ الْبَلَاءِ
وَيَا لَكَ مِنْ نَعِيمٍ فِي شِقَاءِ!
يَذِيقُ الْعِزَّ فِي خَطَرَاتِ بَالِ
بِمُقْصَصِ بَعْضِ أَمَالِ الطَّمُوحِ
كَمَنْزِلَةِ الْبَشَائِرِ فِي الرَّبِيعِ
بِقَاتِلِ هِمَّتِي وَمُؤْمِنَتِ شَانِي
وَفِي الْأَرْزَاءِ إِعْلَاءً لِنَاسِ
عَلَى عَلَلٍ تَعْهَدُهُ بِمَاءِ
فَعَادَاتِ غِصَّةٍ تَأْتِي بِدَاءِ
فِيأَسْرُ طَيْبُهُ أَنْفَ الْمَشُوقِ
تَمَرُّ كَأَنَّهَا وَرَقُ الْخَرِيفِ
جَنَاحِ الذَّلِّ مَأْمُونِ الْحَفِيفِ
وَلَيْسَ الصَّبْرُ مَحْمُودَ الْمَذَاقِ
فَلَمَّا اسْتَحْكَمْتَ جَعَلْتَ تَزُولُ
وَجَنَحُ اللَّيْلِ يَفْرِيهِ الْهَلَالُ
وَمَحَلُّ الْأَرْضِ يَسْعُدُهُ السَّحَابُ
مَقَامَ الْبَدْرِ أَضْمَرَهُ السَّرَارُ
سَيَقْلِي الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا»

لَعَلَّكَ وَاجِدُ عِذْرًا صَرِيحًا
وَإِنْ تُهْدَ الزُّهُورُ إِلَى رَبِيعِ
بَلَوْنَا سَهْمَةَ الْأَيَّامِ حَتَّى
تَقِيمَ السُّخْلَ فِي سَبْلِ الضُّوَارِي
وَتَغْفِرَ زَلَّةَ الْمُثْرَى الْمَفْدَى
وَتُسْعِدُ ذَا الدِّهَاءِ بِمَا جَنَاهُ
وَتَقْصِدُ صَاحِبَ التَّقْوَى بِأَمْرِ
تَلِيحٍ لِمَصْحَرٍ بِالْأَلِّ حَتَّى
وَتُودِعُ فِي نَفُوسِ الصَّحْبِ شُكًّا
وَتَشْقِي أَنْفُسًا بِالْحَبِّ حَتَّى
فِيَا لَكَ مِنْ شِقَاءٍ فِي نَعِيمِ
تَمُدُّ لَأَمَلٍ أَمَلًا عَرِيضًا
وَمَا صَرَفَ الزَّمَانَ وَإِنْ تَمَادَى
وَمَنْزِلَةَ الرَّجَاءِ مِنَ الْمَسَاعِي
لِعَمْرِكَ مَا النَّعِيمِ وَلَا أَخُوهُ
وَكَمْ فِي الْعِزِّ مَفْسَدَةٌ لِقَوْمِ
وَكَمْ غَرَسَ كَرِيمٍ لَيْسَ يَنْمُو
وَكَمْ مِنْ جَرَعَةٍ كَانَتْ شِفَاءً
وَإِنَّ الْعَوْدَ بِالْإِحْرَاقِ يَنْكُو
وَأَيَّامَ تَنَاءِي الْوَصْلِ عَنْهَا
أَضَاعَتْ عِزَّتِي الدُّنْيَا وَأَمْسَى
أَيْحَسَدُنِي عَلَى صَبْرِي أَنَا
وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ هَجَمَتْ عَلَيْنَا
وَإِنَّ الْقَرَّ يَتْبَعُهُ حَرُورٌ
وَإِنَّ الْعَوْدَ بَعْدَ الْعُرْيِ يُكْسَى
وَكَانَتْ ضَيْقَةً فَأَقَمْتُ فِيهَا
«فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيَقُوا»

فربّ فضيلة لك لا تذال
 أقمت الغافلين على انتباه
 معاناة الطوارق بالدواهي
 أفيض عليك من نور الإله
 غويّ بات يكفّر وهو لاه
 وكنا قبل ذلك غافلينَا
 وأصوات الكواعبِ والبنينا؟
 وأدرار الرجالِ الباخلينا
 لتوقظَ رحمةً هجعت سنينا
 فلولا الحزنُ ما عُرفَ السرورُ
 علينا ما استقام لنا النضيرُ
 يُردّده الخليع من الرجال:
 رأينا العفو من ثمر الذنوبِ»
 وقوع القطر في الروض الأنيقِ
 وهل شيء أرق من الضميرِ
 له جذب يقعقع بالشنانِ
 فهل يثني الزمان على بياني
 ولم يذق المريء من الحياةِ
 لأخصبَ محلّه ورعى الأماني
 أريد من المعيشة أم ضلال؟
 سوى لمعات خداعِ خلوب؟
 كما يتمنّع المعنى البعيدُ
 كذاك حياة أبقار السواقي!
 تعاني اليأس والسأمَ الدخيلا
 لأسلمنا النفوس إلى الحمامِ
 به أيام نمرح في الشبابِ
 فقد سقط الهشيمُ على الزهورِ

رعاك الله يا وقع الرزايا
 تعهدتُ المنى بالشكّ حتى
 وعلمتُ العظيم وإن تأبى
 ولم تتطرق المسكين حتى
 ولولا أنت لم يبلغ رشادًا
 لحاك الله يا حدثًا دهانًا
 أطربك الشهيقُ إذا تعالى
 لقد علمتْنَا ذمّ العوادي
 كأنك يا جليد القلب آت
 تطامنُ للنوائب إن تمادت
 ولولا المُجذبُ المنحوس يعدو
 لقد قال السلامي بيت شعرٍ
 «تبسطنا على الآثام لَمَّا
 وإن العفو موقعه عزيزُ
 فلا تثلّم ضميرك بالدنايا
 نقتم من الزمان دنو صرّف
 ولم أقر الحياة سوى انتقاصِ
 ألم تر بائسًا لاقى المنايا
 فلو أن الحياة على انتظامِ
 جهينُ أنتِ مُخبرتي أهدي
 وهل ضمن البقاء من المعاني
 نسائله فيخدعنا مرارًا
 نرى في اليوم ما هو في أخيه
 ولولا عصب أعينها لكانت
 ولولا خدعة الأمل المرجى
 وليس العيش إلا ما نعمنا
 إذا سقط العجوز على نعيمٍ

يُقَدِّمُهُ الرِّياءَ عَلَى الكَرِيمِ
 تَبَدَّى مَنْشِدًا قَوْلًا رَخِصًا:
 مِنَ الرَّبِّ الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادًا»
 وَحَوْلِي مَعْشَرِي وَبَنُو وَدَادِي
 وَرَأْيَا مِثْلَ حِدِّ السَّيْفِ مَاضِي
 يَضِيقُ بِمِثْلِهَا الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
 كَأَنَّ الْكُونَ لَيْسَ بِهِ سِوَاهُ
 قُلُوبًا قَدْ أَضُرَّ بِهَا التَّعَالِي
 وَإِنَّ التَّلَجَّ فِي قَمَمِ الْجِبَالِ
 كَسَوْقِ الْخَيْلِ فِي يَوْمِ الطَّرَادِ
 تَضَمَّنَ مَا تَضَمَّنَ مِنْ رَجَاءِ
 وَكَمْ مَوْتٍ أَشَدَّ مِنَ الْهَزِيمَةِ
 تَعَمَّدَ أَنْ يَبَاعِدَهُ الْحَمَامُ
 وَأَوْطَأَ مَسْلَكًا وَأَجَلَ شَأْنَا
 وَمِعْجَزَةٌ وَذَكَرَى لِلْغُفُولِ
 أَسِيرَ الْعَزَّ عَنْ ظَلَمِ الْعِبَادِ
 كَخَوْفِ الطِّفْلِ مِنْ وَجْهِ الظَّلَامِ
 كإِشْفَاقِ الْمَرِيضِ مِنَ الرَّجَامِ
 كَمَوْقُوفٍ عَلَى خَوْفِ الْحَمَامِ
 حَيَاةَ الْمَرَّةِ كَالنَّفْسِ الرَّقِيقِ
 وَقَدْ كَانَ النَّصِيرَ عَلَى الْحَيَاةِ
 لِأَدْوَتِهِ الْخِصَاصَةَ وَالسَّوْأَلَ
 وَفِي الدِّيْبَاجِ، دَاجِيَةَ الْجَبِينِ
 فَتَلْفِظُهُ كَمَا لُفِظَ الْبِصَاقُ
 وَفِي أَعْقَابِهَا الذَّلُّ الْكَمِينُ
 وَفِي أَحْشَائِهَا النَّارُ الْأَكُولُ
 أَقْتَلَهَا وَأَقْنَعَ بِالْجَهَالَةِ؟

بِكَائِي أَنْ أَرَى رَجُلًا لَثِيمًا
 فَإِنَّ حَرَكَتَهُ لِلْعُرْفِ يَوْمًا
 «أَتَزِيَّ لِلْعِبَادِ — وَأَنْتَ مِنْهُمْ —
 بِكَائِي إِنْ نِيَّ أَعْدُو غَرِيبًا
 بِكَائِي إِنْ لِي طَبْعًا أُبَيًّا
 بِكَائِي إِنْ فِي الدُّنْيَا أُمُورًا
 وَكَمْ وَعْدَ رَفِيعِ الْجَاهِ يَغْدُو
 تَعَاْفُ الرَّحْمَةِ الْغَرَاءِ نَزْلًا
 فَإِنَّ الزَّهَرَ فِي الْقَيْعَانِ يَنْمُو
 أَرَى قَوْمًا تَسْوَسُهُمُ الْأَعَادِي
 أَرَى زَغَبَ الْحَوَاصِلِ فَوْقَ قَبْرِ
 وَكَمْ مَوْتٍ أَلَذُّ مِنَ الْأَمَانِي
 وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ لِلْمَوْتِ يَأْسًا
 أَخُوكَ النَّوْمِ أَلَيْنَ مِنْكَ مَسًّا
 وَلَكِنْ فِيكَ آيَاتٌ كَثَارُ
 تُذِلُّ الثَّائِرَ الْعَادِي وَتُلْهِي
 وَخَوْفُ النَّاسِ مِنْ حُكْمِ الْمَنَايَا
 وَإِشْفَاقُ السَّلِيمِ مِنَ الْعَوَادِي
 وَمَا مَسْتَمْسِكُ بِالْعَيْشِ إِلَّا
 وَإِنَّ الْمَوْتَ مَرَاةً أَبَانَتْ
 وَكَمْ مِنْ أَيْمٍ فُجِعَتْ بِإِلْفِ
 تَمُدُّ يَدًا لَوْ أَنَّ الْحَقَّ فِيهَا
 أَرَى الْحَسَنَاءَ فِي طَمَرِ ذَلِيلِ
 أَرَى الدُّنْيَا تَضِيقُ بِكُلِّ حَرٍّ
 أَرَى خُدْعًا تُقَادُ بِهَا الْغَوَانِي
 أَرَى الثُّكْلَى تَكَادُ تَسِيلُ دَمْعًا
 هَوَاجِسَ تَعْتَرِينِي لَسْتُ أَدْرِي

أم التَسَالُ خَيْرٌ من سَكوتِ وَإِنَّ الرَّأْيَ يَنْضِجُه الزَّمَانُ؟

* * *

ألم يَبْلُغَكَ أَنَّ الموت أودى صفوف الجيش نزقها الحفاظُ
ويَمِّمَ «مقدن» جيش الأعادي لقد جلبوا السوابق مقرباتٍ
تثير على جوانبها غبارًا وقد سَكَبَتْ جلودُ الخيلِ دمعاً
وأصواتُ المدافعِ إذْ تعالَتْ لقد ضاق المجالُ فلا قرارُ
فوجه الجوى يعبس من شحوب كأنَّ المدبرين غداةً ولَّوْا
وضاجعتِ المقانبُ قائديها وَإِنَّ الحربَ مرزئةٌ وبلوى
وإنَّ لكل هائجة سكونًا كأنَّ الحربَ في الميدانِ رَسْمٌ
فأين الحقد تنفته اللحاظُ وَإِنَّ الحربَ آخرها خرابُ
وكان اليتمُ ما غَنِمَ الصغارُ

بمَنْ علقَتْهُمُ الحربُ الزبونُ؟ وَعَدُو الخيلِ أَعَجَلَهُ المغارُ
فحلَّ بأرضها الفلكُ المدارُ يَضُنُّ بقصدها النقعُ المُنَّارُ
كأنَّ الأرضَ ليس لها قرارُ فبانَ على جوانبها شعارُ
كصوت الحمقِ أَغْضَبَهَا اعتذارُ وقد عزَّ النجاءُ فلا فرارُ
وعين الشمس يكحلها الغبارُ رُءُوس الشربِ غازلها الخمارُ
بأرضٍ لا ينمُّ بها النهارُ وبعض السلم مرزئةٌ وعارُ!
«وإنَّ لكل سائلة قرارًا» أَجَادَ صَنِيعَهُ الحذق اللبيقُ
وأين البغض يضرب في الصدورِ كذاك النارِ آخرها خمودُ
وكان الثكلُ ما غَنِمَ الكبارُ!

* * *

ألم يَكْفِ الحوادثُ أَنَّ عَيْنِي فحسبي أن أعدائي كثيرُ
يَعِيبُونِي وما عابوا بغيضًا إذا ما سَبَّني سفهاء قومِ
وإن يكُ قد تقدمني أناسُ حياتي بين أعدائي مماتُ
سألزم كَسَرَ بيتي في احتجازِ

تريق القلبَ في ماءِ البكاءِ وَأَنَّ السعدَ يزلق عن مكاني
ولكن ذلك الخُلُق الحميدًا فما يُغْنِي اهتمامي بالعواءِ
فإنَّ السبقَ من بعد الجراءِ وموتي بين أحبائي حياةُ
وأهجرُ كلَّ ممنوعِ الودادِ

وكم من وَحْدَةٍ مَنَعَتْ عَذَابًا
 وَأَخْتِ الْيَأْسِ هَلْ حُلْفٌ قَدِيمٌ؟
 وَرَبِّ مَصَاحِبِ حُلُوِّ الْلِقَاءِ
 كَبَعِضِ الزَّرْعِ تَحْسَبُهُ مَرِيئًا
 وَجِلْدُ الْحَيَةِ الرَّقْطَاءِ يَزْهُو
 صَبْرَتْ لَهُ وَيَحْسَبُنِي عَمِيًّا
 وَلَكِنِّي رَأَيْتِ الْعَفْوَ أَبْقَى
 وَكَمْ مِنْ وَحْدَةٍ جَلَبَتْ عَذَابًا
 فَإِنَّ الْيَأْسَ فِيكَ لَدُوُّ طَرُوقِ
 سَقِيمِ الصَّدْرِ مَسْمُومِ الْلِحَاطِ
 وَتَحْتَ بَهَائِهِ السَّمُّ الْمَمِيئُ
 وَلَكِنْ لَا يَغْرُّ بِهِ السَّلْدِيغُ
 وَلَا وَاللَّهِ مَا أَنَا بِالْعَمِيِّ
 وَهَلْ فِي الْقَلْبِ لِلشَّكْوَى مَجَالٌ؟

* * *

هَوَيْنَا الذِّكْرَ مِنْ حَبِّ الْغَوَانِي
 كَفَانِي مِنْ نَبِيهِ الذِّكْرِ أَنِّي
 أَرَى دَمْعِي يُرْنَقُهُ أَحْمَرًا
 حَنِينٌ يَتْرِكُ الْأَشْجَانَ جَمْرًا
 تَغْنَى الْحَبِّ فِي فَجْرِ الْحَيَاةِ
 نَبْجَلُهُ فَيُخَفِّضُنَا سَفَاهَا
 تُطَالِبُنَا الْحَسَانَ بِهِ دَلَالًا
 فَإِنَّ دِنًا لَهُ لَمْ نَلْقَ مِنْهُ
 وَبَطَشَ الْغَدْرِ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ
 أَيَّا هَذَا الْغَرَامَ لَطْفَتَ حَتَّى
 أَرَى عَيْنًا يَصَافِحُهَا الْفَتُورُ
 أَرَى عَيْنًا يَجُولُ السُّحْرُ فِيهَا
 وَحَوْلِكَ مِنْ دَمَاءِ النَّاسِ بَحْرُ
 وَفَوْقَكَ مِنْ نَفُوسِ النَّاسِ طَيْرُ
 أَتَخَذَلْنَا وَنَحْنُ مُنَاصِرُونَ
 وَتُقْصِيْنَا وَنَحْنُ مُقَرَّبُونَ
 أَبُوكَ الْوَهْمَ مُتَسِّعُ الْفَنَاءِ
 رَجُوتُ بِكَ الْخَلَاصَ مِنَ الْعَوَادِي
 وَكَمْ مِنْ لِحْظَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْنَا
 كَأَنَّ الذِّكْرَ مِنْ حَيْلِ الرَّسُولِ
 تَمَرُّ بِِي الْحَسَانَ فْتَرْتَضِينِي
 كَأَنَّ الشَّوْقَ قَدْ دَبَّحَ الْمَنَامَا
 وَشَوْقٌ يَتْرِكُ الزَّفَرَاتِ نَارَا
 غِنَاءَ الطَّيْرِ فِي فَلَقِ الصَّبَاحِ
 كَأَنَّ الْحَبَّ مِيزَانُ ظَلُومُ
 كَأَنَّ الْحَبَّ دَيْنٌ فِي الرِّقَابِ
 سِوَى الْمَقْبُوحِ مِنْ غَدْرِ الْمَلُولِ
 كَأَنَّ الْغَدْرَ مَغَاوِرٌ سَلِيبُ
 كَأَنَّكَ قَدْ خَلَقْتَ مِنَ النِّفُوسِ
 وَقَلْبًا لَا يَصَافِحُهُ الْحَنَانُ
 مَجَالَ الْمَاءِ فِي الْعَوْدِ الرُّطِيبِ
 مَهَيْبِ اللَّجِّ مَهْجُورِ النُّوَاحِي
 يَظَلُّ الْجَوُّ مَمْلُوءَ الْفَنَاءِ
 وَتَخَدَعْنَا وَنَحْنُ مُنَاصِحُونَ؟
 مِنَ التَّبْيَانِ وَالْأَدَبِ الْغَزِيرِ
 وَأَنْتَ تَضِيقُ بِالرَّجْلِ الْأَدِيبِ
 فَكُنْتَ عَلَيَّ عَوْنًا لِلْعَوَادِي
 نَزُولِ الْقَطْرِ مِنْ خَلَلِ السَّحَابِ

* * *

ولم تَخْنَعِ لِرَيْبِ الدَّهْرِ نَفْسِي
فَإِنَّ البَرَقَ فِي طَيِّ الغَمَامِ
فكم من عِبْرَةٍ فِيهَا اعتَبَارُ
فَينْفَتِحُ بعضَ ما ضَمَّنَ الضُّلُوعِ
«أضاعوني وَأَيَّ فِتْنَى أضاعوا»
لِغَاضِ المَاءِ واحترقَ الهَوَاءُ
تَظَلُّ لهُ البَوَارِقُ تُسْتَطَارُ
وَإِنْ أَهْلِكَ فَوَيْلٌ لِلصَّدِيقِ
وَلَا تَسْمَعُ مَقَالَ السَّوِّءِ فِينَا
وَنشِدو فِيكَ بِالقَوْلِ العَجِيبِ
كَفَعَلَ الغَيْثِ فِي المَرعى الجَدِيبِ
نَعِيقَ البَومِ فِي الطَّلَلِ الخِرَابِ
يُحَاكِي وَثْبُهُ وَثَبَ الجِرَادِ
خِيَامَ العَرَبِ بِالأَرْضِ الخَلَاءِ
كَعَيْثِ الذَّنْبِ فِي الغنمِ النِيَامِ
وَوَعْدُ القَلْبِ مرفوعُ العِمَادِ
كَنَثْرِ الرِّيحِ أَوراقِ الغُصونِ
فَتُصغَى فِي العُروِقِ لَهَا الدَّمَاءُ
هَبوطِ الوَحْيِ مِنْ عِنْدِ الإِلهِ
فَإِنَّ الظُّلْمَ نَعَشٌ لِلظُّلُومِ
كَذَلِكَ النَارُ تُقَدِّحُ مِنْ شَرَارِ

أَيغلبني على أمري التَّصَابِي
لِعَمْرِكَ ما الخُمُولُ بِمَسْتَذَلِّي
وَإِنْ يَكُ فِي مَاقِي العَيْنِ ماءً
أَمَّا لِلشَّاعِرِ الفِياضُ دَهْرٌ
وَلَوْ أَنِّي أَرَدْتُ لَرُعْتُ قَوْمًا
وَلَوْ أَنِّي لَفَحْتُ بَغْلٌ صَدْرِي
سَأَحْدِثُ فِي غَدٍ حَدَثًا عَظِيمًا
فَإِنَّ أَعْمُرَ فَوَيْلٌ لِلأَعادِي
حَنانًا أَيها الوَطَنُ المَفدَى
سَنُهْدِيكَ النَصِيحَةَ ما اسْتَطَعْنَا
لَهُ فِي نَفْسِ قارِئِهِ فَعالٌ
وَكم مِنْ ناعِقٍ يَدْعو لِأَمْرٍ
وَآخَرَ لا يَقيِمُ عَلَى قَرارٍ
وَيحْكِي فِي تَنقُّلِهِ سَفاهًا
يَعِيشُ الجَهُلُ فِي أبناءِ قَومِي
أَبِي القَلْبِ بَينَهُمْ ذَليلٌ
يُفَرِّقُنَا التَّباعُضُ والتَّعادِي
مَتى تَدْعو الحَمِيَّةُ لِلمَعالي
وَكم مِنْ عِبْرَةٍ هَبَطتْ عَلينا
إِذا عاثَ القَويُّ فَلَا تُراعوا
ضئيلُ الأَمْرِ يَتبَعُهُ عَظيمٌ

الفصل الثاني

لآلئ الأفكار

وإنَّما الشعرُ مرآةٌ لغانيةٌ
وإنَّما الشعرُ تصويرٌ وتذكرةٌ
وإنَّما الشعرُ إحساسٌ بما خفقتُ
من كل معنًى يروعُ الفهمَ طائلُهُ
هي الحياةُ فَمِنْ سوءٍ وإحسانٍ
ومتعةٌ وخيالٌ غَيْرُ حَوَانٍ
له القلوبُ كأقدارٍ وحدثانٍ
معنًى من الجانِ في لُفْظٍ من الجانِ

صاحب الديوان

مقدمة

الشعر ومزاياه

ليس الشعر لغواً تهذي به القرائح، فتتلقاه العقول في ساعٍ كلالها وفتورها، فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة الناس.

لا، بل الشعر حقيقة الحقائق، ولبُّ الباب، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس، والناقل الأمين عن لسانها، فإن كانت النفس تَكْذِبُ فيما تُحسُّ به أو تداجي بينها وبين ضميرها، فالشعر كاذب، وكل شيء في هذا الوجود كاذب، والدنيا كلها رياء، ولا موضع للحقيقة في شيء من الأشياء. وقد يخالف الشعر الحقيقة في صورته، ولكن الحرَّ الأصيل منه لا يتعدها، ولا يمكن أن يشذَّ عنها؛ لأنه لا حقيقة إلا بما ثبت في النفس واحتواه الحس، والشعر إذا عبَّر عن الوجدان لا ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى.

وما هذه الاستعارات والتشبيهات إلا أشياء تختلف في ظاهرها، ولكنها في كنهها واحدة لا خلاف بينها، فليس الجميل قمرًا، ولا الزئير رعدًا، ولا الكريم غمامًا، والشمس لا تنكدر لغياب الحبيب، ولا الليل ينجاب لحضوره، ولكن الغبطة بالصورة الحسناء كالغبطة بالليلة القمراء، والرغبة من زمجرة الأسود في غيابها كالرغبة من جلجلة الرعود في سحبها، وتجدد الروض بعد انهمال المطر كتجدد الأمل بعد نوال المطر، وإنَّ الشمس إن كانت تُشرق بعد نأي الحبيب، فكأنها لا تشرق لأن عين المحب لا تنظر إلى ما يجلوه نورها، وإن تكشف لها فكأنما هو بادٍ لغيرها، والليل إذا عسعس فما هو بساثر عن عين المحب منظرًا يشتاق رؤيته بعد أن يمتعه بوجه حبيبه، فإنما هو من الدنيا حسبه، وهو الضياء الذي يُبصرُ به قلبه.

فهذه معانٍ مترادفة في لغة النفس، وإن اختلف نطقها في الشفاه؛ إذ إنه لا محلَّ في معجم النفوس إلا للمعاني، فأما الألفاظ فهي رموز بين الألسنة والأذان. وهل تُبصر العين أو تسمع الأذن إلا بالنفس؟ أو تبلغ الحواس خبرًا إذا كانت النفس ساهية والمدارك غير واعية؟

والشعر بهذه المثابة باب كبير من أبواب السعادة، بل إن السعادة — ما لم نَعْقُها حوائل الحياة — لا تدخل إلى القلوب إلا من بابه، فإنه ما من شيء في هذه الدنيا يسرُّ لذاته أو يحزن لذاته، وإنما تسرُّ الأشياء أو تحزن بما تكسوها الخواطر من الهيئات، وتكيفها الأذهان من الصور، وأية ذلك أن الشيء الواحد بينما يكون مدعاة البهجة والرضى، إذ يكون في غير ذلك الوقت مجلبة للأسف والأسى وطريقًا إلى الشجن والجوى، والشعر وحده كفيلاً بأن يبدي لنا الأشياء في الزمن الذي ترضاه خواطرنا، وتأنس به أرواحنا؛ لأنه سلطانٌ متربّع في عرش النفس، يخلع الحلل على كل سائحة تمثل بين يديه، ويغض الطرف عن كل ما لا يحبُّ النظر إليه. والشعر أيضًا مسلاة لمن شاء السلوى، وصدى تسمعه النفس في وحشة الوحدة، فتطمئن إليه كما يطمئن الصبيُّ التائه إلى النداء في الوادي، ليأنس برجع صوته، أو يسمع من عساه يُقبلُ لنجدته.

فقد سبقت مشيئة الفطرة بأن يعيش أبناء آدم جماهير وأممًا مجتمعة، وأن يكونوا نوعًا له غرائزٌ كامنة في طبائع أفرادها يقتضيها بقاؤه ودوامه، فوجب أن يُجبل أبناءه على الألفة ويُدْرءوا على التعاطف ودواعي الاجتماع، وقد درج نوع الإنسان على هذه الفطرة، فصرنا وليس هينًا امرؤٌ منّا بأن ينعم منفردًا، ولن يطيق أحد أن يبتس

وحده، وما كان المعرّي يمدح نفسه، ولكنه قال قولاً في شرار الناس، كما يصدق في خيارهم، إذ يقول:

ولو أني حبيت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفراداً

فذلك ما لا فخر فيه لإنسان على إنسان، وأحسب لو أن الناس كلهم كانوا فجرة خسرة، وكان لا يجوز منهم إلى فردوس الأبرار إلا رجل واحد، لكان هذا الرجل التقي أشد عذاباً بتقواه وأسوأ جزاءً من كل جناة الجحيم وعصاته. وكأنني بذلك الرجل، وقد طاف في الجنة حتى بليت نعلاه، ثم نظر إلى ما حوله نظرة الكاره الزاهد، فطرح بنفسه في الكوثر هرباً من هذا النعيم الأعجم، أو صاح بهم ليحملوه إلى جهنم، فيصلى النار فيها وهو واحد من يقول له: إن عذاب النار أليم، خير من أن يبقى في جنة لا يرى فيها من يقول له: ما أرعد هذا النعيم!

ويقيني أنه لو نزع الحسد من الناس يوماً ما، لاشتراه أولو النعمة وفرقوه على الناس مجاناً ليحسدوهم على ما بهم من نعمة؛ فإن السعادة أنثى لا يكتمل سرورها حتى تستجلي مثالها في المرأة، وسواء لديها أكان رافع تلك المرأة لها شانئاً حسوداً أو صديقاً مخلصاً، ومن أجل ذلك يرتاح العاشق إلى من يناجيه بأسرار حبيبه ونكايات عدوله، ويحيط الغني مجلسه بحاشية ينفق عليها لتقول له إنه رب عيشة راضية، وهناة محسودة.

ولا تصدق أن أحداً يصل به احتقار الناس أن لا يبالي بهم قاطبة، ولكنه ربما احتقر جيلاً منهم وهو ينتظر النصفة من جيل سواه، أو يهزأ بالفئة التي يعاشرها، ولكنه يعتقد أن هناك فئة لو لقيته ولقيها لأرضته وأرضها، وإلا فلو احتقر المرء ما مضى من الناس وما سيجيء منهم، لما كلف نفسه مشقة أن يقول ذلك بلسانه. كذلك خلق الإنسان عضواً من جسم تدب حياته في عروقه، فلا سبيل له إلى الانفصال عنه والتخلي عن عاطفته النوعية ما دام داخلًا في اسم الجنس الذي يشمل الإنسان بأجمعه.

فإذا كان هذا شأن التعاطف، فاعلم أن الشعر شيء لا غنى عنه، وأنه باق ما بقيت الحياة، وإن تغيرت أساليبه، وتناسخت أوزانه وأعاريضه.

وإذا كان الناس في عهد من عهودهم الماضية في حاجة إلى الشعر، فهم الآن أحوج ما يكونون إليه؛ فقد باتت النفوس خواء من جلال العقائد وجمالها، وخلا جانب من

القلوب كانت تعمره، فإن لم تخلفها عليه خيالات الشعر وأحلامه، كسر اليأس القلوب، وحطمتها رجة الشك واضطراب الحيلة. وها هو القرطاس القديم بين أيدي الشعراء، فليخُطُّوا فيه رسم الفردوس الجديد، وليجعلوه في الأرض أو في السماء، وليكن معاده المثل الأعلى، أو خلود الذكر، أو وحدة الإخاء؛ فإنَّ الإنسانية لا تعيش بغير رجاء. هذا ولو أنَّ ما ألمحنا إليه من تعاطف الأرواح وتآلف المشارب، كان أوَّل ما يستفاد من الشعر وأخره، لما كان الشعر جديرًا بالعناية من عصر المادة الذي نحن فيه، ولكن ثمرة الشعر على ما بها من النعومة والجزالة، وما لها من ذكاء المشمِّ وحلاوة الطعم، تُشبع المعدة وتملأ الفم، ولو أمكن إرجاع كل حركة إلى مصدرها الأول من النفس، لما عسر علينا حساب فضل الشعر بالدرهم والدينار، وإحصاء قواه المعنوية بما تحصى به قوة الكهرباء والبخار.

فمما لا مشاحة فيه أنَّ كل نهضة من النهضات التي تشذ عزائم الأمم وتحدها في نهج النماء والثراء، لا تكون إلا بعد فترةٍ يتيقظ فيها الشعور، وتتحرك العواطف، وتعتلج نوايا النفوس ومنازِعها، وفي هذه الفترة ينبع أعظم الشعراء وتظهر أنفُس مبتكرات الأدب، وما الشعر من تلك العواطف إلا مناطها الذي تتعلق به، بل هو ناقوسها المنبه لها، وحاديها الذي يأخذ بزمام ركبها.

وهذه إنكلترا نهضت في تاريخها نهضتين بلغت في كليتهما أسمى ما تحلم به أمة من العظمة والمجد؛ كانت أولاهما في القرن السابع عشر؛ أي عقب ازدهار الأدب الإنكليزي في عهد شكسبير، فتحركت في ذلك القرن عوامل الحياة في الأمة الإنكليزية، ووضِعَ عهدئذٍ أساسُ إنكلترا الجديدة، وها هي الآن في إبان نهضتها الثانية تقبض على صولجان الدنيا، وتطالب كلَّ فئةٍ منها بقسطها من الحياة والعمل. وما جاءت نهضتها هذه إلا مسبوقه بنهضة أدبية كبرى، ظهرت في أثنائها أكبر الأسماء المعروفة في الأدب الإنكليزي، وأعني بهم أمثال: شلي وبيرون وسكوت وكيتس ووردزورث وكولورديج وسوزي وماكولي، وغيرهم ممن لم يقرضوا الشعر ولكنهم كتبوا في النقد والأدب.

وهذا شبيهٌ بما حدث في فرنسا، فإنَّ جمهوريتها ليست إلا نفحة من نفحات تلك النهضة الأدبية التي كان يُشرف عليها لويس الرابع عشر، وما كان يدري ذلك الملك المتجبر، وهو يمد يديه بالحباء إلى زعماء تلك النهضة، أنه يزلزل بيديه قوائم العرش الذي يجلس عليه، ومن حقِّق تاريخ القرن الثامن عشر في فرنسا ولم يرَ في ثورته يدًا لكورنيل وراسين وموليير وبوالو وشينييه وأمثالهم، فهو قاصر النظر، ومثله في ذلك

كمتل من تقول له: إنَّ المد والجزر من فعل القمر، فيقول لك: أين السماء من الماء؟! ثم تتابعَتْ بعد ذلك ثوراتُ كان يقوم على رأس كل ثورة منها رجال من أهل الخيال، الذين يظنُّ بعض كُتَّاب التاريخ أنهم أبعد الناس عن التأثير في عالم الجد، وقد جهلوا أن الأمم تدأب في حياتها بين عاملي الحاجة والأمل. فإن كانت المادة تحكم حيز الحاجة من نفوسها، فالخيال صاحب السلطان على حيز الأمل، وهو أشد العاملين حنًا وأعذبهما نداءً.

وجاء بسمارك في ألمانيا فأتمَّ تأليف وحدتها بعد أن شاعت في ولاياتها مصنفات ليسنغ وهردر وجيتى وشيلر وهيئي ورفقائهم، فكان الألمانيون أمة ذات أدب واحد قبل أن يكونوا أمة ذات دستور واحد.

وأقرب من ذلك شاهدٍ إلينا، الدولتان الأموية والعباسية، بل أقرب منهما هذا الذي نشاهده من إقبال ناشئة مصر على الأدب واشتغالها بصوغ الشعر وحفظه، فإنه — ولا شك — عنوان النهضة المرجوة لمصر، ودليل على تفتُّق الأذهان وسريان النبض في مركز الشعور. وفي الأمة نفر ممن يتعاطون صناعة الطب الاجتماعي يزعمون أن البلد في غنى عن الأدب، وأنه ليس بحاجة إلى غير مباحث الاقتصاد وما شاكلها. قالوا ذلك؛ لأن الثروة قوت الأمة، ومصر لا تنتفع إلا بقوتها ولا يمرأها الدم في شرايينها، وهو قول — كما يرى القارئ في حديث الطب — يقضي بأن لا يجوز الكلام مع المعود في غير الأطعمة الدسمة والكيما وسلفات الصودا ... ولا غرابة فالطب تجارب! على أن كثرة الكلام في المال ليست هي التي تُوجد المال متى كانت الهمم راکدة والنفوس باردة.

فالشعر لا تنحصر مزيته في الفكاهة العاجلة والترفيه عن الخواطر، لا، بل ولا في تهذيب الأخلاق وتلطيف الإحساسات، ولكنه يُعين الأمة أيضًا في حياتها المادية والسياسية، وإن لم تردِّ فيه كلمة عن الاقتصاد والاجتماع، فإنَّما هو كيف كانت موضوعاته وأبوابه مظهرٌ من مظاهر الشعور النفساني، ولن تذهب حركة في النفس بغير أثر ظاهر في العالم الخارجي.

حَدِّعْ بعض الباحثين ولا سيما من كان منهم من علماء الطبيعيات، فقالوا: إن الناس اليوم في دور العلم والتحقيق، وإن آباءنا كانوا ينظرون إلى العالم بعين الشعر أيام الجاهليات الأولى، وكان يحيرهم في تلك الأزمان المظلمة ما يدركونه الآن من أسرار الطبيعة وخفايا نواميسها، فيذهبون في تأويلها مذاهب الحدس والتخيل، وإنما غَشِيَتْ

أصحابنا العلماء مادية العصر فرأوا ذلك الرأي، ولست أدري كيف يخطر لأولئك العلماء الجهلاء أنه يجيء يوم على الإنسان يقف فيه جامدًا بين يدي هذا الوجود مهما حصّل من العلم وأحاط بأسراره، وهل يؤثر علم النباتي العارف بأجزاء الأشجار على خيشومه وبصره فلا يدعه يتنشق رائحتها ويبتهج بألوانها؟ وهل علمي بنواميس الطبيعة يعصمني من الانفعال بمؤثراتها ويزود عني الخوف مما يدعو فيها إلى الخوف، أو الطرب إلى ما يطرب من بدائع مشاهدها؟

اللهم إنه علم يُفقد الإنسان حواسه، ويا لله ما أضعف الإنسانية! فإن الفرد منها لتملكه العاطفة، فلا يكاد يبصر إلا بنورها أو يسمع إلا بصوتها، وإن الإنسانية بأسرها لتغلب عليها حالة من الأحوال الطارئة في بعض الأجيال، فلا تكاد تتوهم أنها تنتقل من تلك الحالة إلى سواها. ظهرت أميركا بمناجمها، واخترت الآلات التي تصنع الواحدة منها صنع الألوف من العمال، وأعلنت الحرية فألقي حمل كل طبقة على عاتقها، وتوجهت الطبقات المختلفة إلى العمل لنفسها والسعي في طلب رزقها، فحدث من جراء ذلك جميعها تهافتٌ غير مألوف على الذهب، فما هي إلا سنوات مضت في مقدمات هذه الزوبعة قد ملأت الدنيا غبارًا، ثم أصبحنا لا نسمع إلا سياسة المال وعلم المال وقوة المال وعصر المال. نسي الناس كل شيء إلا أنهم في عصر المال، ونسوا أيضًا أن الإنسان لم ينفذ عنه في عصر المال عنصره القديم، وأنه إن كان قد انتقل من فترة إلى فترة، فإنه لا يزال في مكانه من الطبيعة، ولا يزال يهتز بنبراتها ويجري مع طياراتها. ولسوف يمضي عصر المال هذا فلا تسمع عنه الأجيال القادمة إلا كما نسمع نحن عن أخبار العصور الخالية، وكذلك لا يبقى إلى الأبد إلا الأبد نفسه.

أقول ذلك ولا أعني بما قُلْتُ كُلَّ الشعر، ولكنني عنيت منه المطبوع الأصيل؛ إذ ليس لشعر التقليد فائدة قط، وقلّ أن يتجاوز أثره القرطاس الذي يَكْتُب فيه، أو المنبر الذي يلقي عليه، وشتان بين كلام هو قطعة من نفس، وكلام هو رقعة من طرس. فالشاعر العبقرى معانيه بناته، فهنّ من لحمه ودمه، وأما الشاعر المقلد فمعانيه ربيباته، فهنّ غريبات عنه وإن دعاهن باسمه. ولا يثمر شعر هذا الشاعر مهما أتقن التقليد، كالوردة المصنوعة يبالغ الصانع في تنميقها، ويصبغها أحسن صبغة، ثم يرشها بعبثر الورد فيشُم منها عبق الورد، ويُرَى لها لونها ورواؤها، ولكنها عقيمة لا تنبت شجرًا ولا تُخرج شهدًا، وتبقى بعد هذا الإتقان في المحاجر زخرًا باطلًا.

ألا وإن خير الشعر المطبوع ما ناجى العواطف على اختلافها، وبث الحياة في أجزاء النفس بأجمعها كشعر هذا الديوان.

فإذا تلقى قرء العربية اليوم هذا الجزء الثاني من ديوان شكري، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين، قد سمح بها قلم سخي وقريحة خصبة. في هذه الصفحات نظرة المتدبر، وسجدة العابد، ولحة العاشق، وزفرة المتوجع، وصيحة الغاضب، ودمعة الحزين، وابتسامة السخر، وبشاشة الرضى، وعبوسة السخط، وفتور اليأس، وحرارة الرجاء. وفيها إلى جانب ذلك من روح الرجولة ما يكظم تلك الأهواء، ويكفكف من غلوائها؛ فلا تنطلق إلا بما ينبغي من التجل والتثبات. وإن شعر شكري لا ينحدر انحدار السيل في شدة وصخب وانصباب، ولكنه ينبسط انبساط البحر في عمق وسعة وسكون.

قد يعسر على بعض القراء فهم شيء من شعر شكري، فهؤلاء هم الذين يريد أكثرهم من الشاعر أن يخلق فيهم العاطفة التي بها يفهمونه، وليس ذلك مما يطب منه، ولو حاوله لأفسد شعره بالتعمل والزيادة، ومن دأب المبتدئين من الشعراء أن يتوخوا في كلامهم الشرح والإسهاب والتفصيل، ظناً منهم أن ذلك يزيد معانيهم جلاءً ويقربها من إحساس قرائهم، وليس أبعد من هذا الظن عن الصواب؛ فإن العواطف لا تتأثر بالإطناب، وإنما هو مما يتوسل به إلى إفهام العقول، وإدخال المعاني إلى الأفكار. ومن النفوس من لا يصلح لتوقيع جميع أدوار الشعر عليه، كما لا توقع أدوار «الأوركستر» على القيثارة أو المزهر؛ فإن هذه الآلات الصغيرة لا تسع تلك الأنغام المتنوعة الكثيرة. فإذا سمعت إحدى هذه النفوس أنشودة الشاعر، فسبيلها أن تستغرب رنة اللحن الذي ليس في معزفها وتر يهتز به.

قال لي بعض المتأدبين: إن شعر شكري مشرب بالأسلوب الإفرنجي. وأنا لا أعلم ماذا يعني هؤلاء بقولهم: الأسلوب الإفرنجي والأسلوب العربي! فإن المسألة على ما أعتقد ليست مسألة تباين في الأساليب والتراكيب، ولكنها مسألة تفاوت في جوهر الطباع، واختلاف بين شعراء الإفرنج وشعراء العرب في المزاج كاختلاف الأمتين في الملامح والسحناء.

وأشبهه بالحقيقة عندي أن يقال: الأسلوب الآري والأسلوب السامي؛ فإنه أدل على جهة الاختلاف بين شعر الإفرنج وشعر العرب.

الآريون أقوامٌ خيالٍ نشئوا في أقطارٍ طبيعتها هائلة، وحيواناتها مخوفة، ومناظرها فخمة رهيبة، فانتسح لهم مجال الوهم وكبر في أذهانهم جلال القوى الطبيعية، ومن عادة الذعر أنه يثير الخيالات في الذهن ويجسم له الوهم، فيصبح شديد التصور، قوي التشخيص لما هو مجرد عن الشخوص والأشباح.

والساميون أقوام نشئوا في بلاد صاحبة ضاحية، وليس فيما حولهم ما يخيفهم ويذعرهم؛ فقويت حواسهم وضعف خيالهم.

ومن ثمَّ كان الآريون أقدر في شعرهم على وصف سرائر النفوس، وكان الساميون أقدر على تشبيه ظواهر الأشياء؛ وذلك لأن مرجع الأول إلى الإحساس الباطن، ومرجع هذا إلى الحس الظاهر.

السامي يُشبه الإنسان بالبدن، ولكن الآري يزيد أنه يمثل للبدن حياة كحياة الإنسان، ويروي عنه نوادر الحب والمغازلة والانتقام كأنه بعض الأحياء، وهذا — ولا مرأى — أجمع لمعاني الشعر؛ لأنه يمد في وشائج التعاطف، ويؤد بين الإنسان وبين ظواهر الطبيعة ودًا واثناؤًا يجعلهما الشعر السامي وقفاً على الأحياء، بل على الناس دون سواهم من سائر الأحياء.

وهذا الفرق بين الآري والسامي في تصوُّر الأشياء، وهو السبب في اتساع الميثولوجي عند الآريين، وضيقها عند الساميين؛ فليست الميثولوجي إلا إلباس قوى الطبيعة وظواهرها ثوب الحياة، ونسبة أعمال إليها تشبه أعمال الأحياء، وتلك طبيعة الآريين، فإنهم — كما قلنا — قد امتازوا بقوة التشخيص والخيال على الساميين.

وهذا أيضًا هو السبب في افتقار الأدب السامي إلى الشعر القصصي، ووفرة أساليب هذا النوع من الشعر في الأدب الآري. فإننا إذا راجعنا أكبر قصص الهنود والفرس، وتقصينا الملاحم الغربية قديمها وحديثها، وجدنا أنها تدور كلها على روايات الميثولوجي، وتستمدُّ منها أصولها، وقد وسعت القصص منطقة الشعر الغربي، فكانت له ينبوعًا تفرعت منه أساليبه، وتشعبت أغراضه ومقاصده، وحُرم الشعر العربي منها، فوقف به التدرج عند أبواب لا يتعداها.

أما تقسيم الشعر إلى قديم وعصري، فليس المراد به تقسيمه إلى عربي وإفريقي، ولا يراد بالعصري مقابلته بالقديم؛ فإني أعتقد أن الشعر العصري يشبه الشعر القديم في أن كليهما يُعبّر عن الوجدان الصميم، ولكن المراد منه التفريق بين الشعر المطبوع وشعر التقليد الذي تدلَّى إليه الشعر العربي في القرون الأخيرة.

فالشاعر قد يكون عصرياً بريئاً من التقليد، إلا أنه لا يلزم من ذلك أن يكون إفرنجياً في مسلكه.

وأیما شاعر كان واسع الخيال قوي التشخيص، فهو أقرب إلى الإفرنج في بيانه وأشبه بالآريين في مزاجه وإن كان عربياً أو مصرياً، ولا سيما إذا كان مثل شكري، جامعاً بين سعة الخيال وسعة الاطلاع على آداب العربيين.

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

حياة الأمم أو التجدد والتغير

فَيُصَلِّحُهُ التَّدْفُقُ وَالمَسِيرُ	حَيَاةَ النَّاسِ إِمَّا مَاءٌ نَهْرٌ
قِذَاهُ، وَيَأْجُنُ المَاءُ الطَّهْوَرُ	وَإِذَا مَاءٌ أَجْنَةٌ كَثِيرٌ
رِذَاءُ العَيْشِ تَبْلِيهِ الدَّهْوَرُ	وَلَيْسَتْ هَذِهِ العَادَاتُ إِلَّا
وَيَبْكِي عَهْدَ جِدَّتِهِ الغُرُورُ	رِذَاءُ العَيْشِ تَبْلِيهِ اللِّيَالِي
رِذَاءُ عَهْدِ جِدَّتِهِ نَضِيرُ	وَأَبْكَارُ المَعَانِي حَائِكَاتُ

* * *

وَبَعْضُ الأَمْرِ يَصْلِحُ إِذْ يَحُولُ	نِظَامَاتُ وَعَادَاتُ تَقْضِي
صِيَالُ السَّيْلِ يَهْلِكُ إِذْ يَصُولُ	وَأَسْبَابُ البَقَاءِ لَهَا صِيَالٌ
مَسِيلُ السَّيْلِ يَهْلِكُ إِذْ يَسِيلُ	وَأَحْكَامُ الوُجُودِ لَهَا مَسِيلٌ
وَلَا يُغْنِي البِكَاءُ وَلَا العَوِيلُ	فَإِنْ تَسَدَّدَ طَرِيقَ السَّيْلِ تَهْلِكُ
وَيَرْدَى الفَاسِدُ القَدْرَ العَجُولُ	وَيَحْيَا بِالتَّغْيِيرِ كُلُّ حَيٍّ
جَلِيلُ الأَمْرِ يَعْقِبُهُ الجَلِيلُ	فَلَا تَكُ جَارِعًا فِي إِثْرِ أَمْرٍ
سِوَاءِ فِي تَغْيِيرِهَا شَكُولُ	وَأَمَالٍ وَأَرَءٍ وَعَادٍ

* * *

عَلَى الأَيَّامِ أَدْرَكَهَا الزَّوَالُ	وَكَمْ مِنْ أُمَّةٍ تَخْشَى زَوَالًا
فِيوَدِي حَالَهَا وَيَجِيءُ حَالُ	تَحَاذِرُ أَنْ تَغْيِرَهَا اللِّيَالِي
وَبَعْضُ النَّاسِ يُعْزِزُهُ المَجَالُ	وَبَيْنَ الدَّهْرِ وَالدَّوْلِ اسْتِبَاقُ
حَيَاتِكُمْ هِيَ الدَّاءُ العِضَالُ	فَقُلْ لِلْغَافِلِينَ إِذَا أَصَاخُوا

وَيَرْجِمُكُمْ بِأَنْكَدِهِ الْمَالُ
لَهُ مِنْ حَبِّ أَقْدَمِهِ عِقَالُ
سَتُنْفِذُ فِيكُمْ الْأَقْدَارُ حَكْمًا
وَهَلْ يَخْشَى الْجَدِيدَ سَوَى جِبَانٍ

الإيمان والقضاء

ليس يدري مضاضة القدر الغا
تفتقُ الذهن مثلما يفتقُ الأز
غير أن الشقاء قد يخزُ النفس
فهو طورًا يكون برءًا لداء
هو سيفُ القضاء في يدِ عدلٍ
خفيتُ حكمةُ الحوادثِ عنا
لو رأينا منابتَ العدلِ فيها
لو رأينا مطالعَ العدلِ منها
وخداغُ الحياةِ أروعُ جلبًا
سكناتُ الإيمانِ برءٌ من الحز
هو حصنٌ من الشقاءِ حصينٌ
كنفٌ مانعٌ وظلٌّ ظليلٌ
يلجُ النفسُ بالثباتِ وبالحرزِ
هو روضُ جمِّ الفروعِ أنيقٌ
يُدخلُ الأمنَ والسلامَ على قلِّ

لبِ إِلَّا مُعَالِجُ الْيَأْسِ
هَارٌ وَهَنَا مَرَقَرَقُ الْأَنْدَاءِ
سَسَ وَيُصْمِي مَجَامِعَ الْأَهْوَاءِ
وَهُوَ طَوْرًا يُعَدُّ فِي الْأَدْوَاءِ
رُبُّ عَدَلٍ فِي وَقَعِ ذَاكَ الْبَلَاءِ
فَشَقِينَا شَقَاوَةَ الْجَهْلَاءِ
لِنَعْمَنَا بِالْعَيْشَةِ الْخَشْنَاءِ
مَا شَكُونَا مُضَاضَةَ الْأَرْزَاءِ
لَأْسَى الْمَرْءِ مِنْ خَدَاعِ النِّسَاءِ
نَ وَمَأْوَى لِهَارِبٍ مِنْ قَضَاءِ
وَوَقَاءُ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ وَقَاءِ
وَشَرَابٌ يَشْفِي أَوَامَ الظَّمَاءِ
مِ وَيَطْوِي جَوَانِبَ الضَّرَاءِ
وَنَعِيمٌ مُوْطَأً الْأَفْنَاءِ
بِ خَفُوقِ الضُّلُوعِ وَالْأَحْشَاءِ

الحياة والعبادة

أَكْذَبُ الدِّينِ مَا يُنِيمُ قُوَى الْمَرْ
إِنَّمَا الدِّينُ أَنْ تَفَكَّ عَنْ النَّفْسِ
إِنَّمَا الدِّينُ أَنْ يَجِدَّ مَجْدٌ
إِنَّمَا الدِّينُ قُوَّةٌ وَجَمَالٌ
عِ كَمَا يُخْرِسُ الرِّيحَ الرِّكُودُ
سِ مِنْ الْيَأْسِ وَالْخُمُولِ قَبُودُ
أَعْمَلُ السَّعْيِ أَوْ يُجِيدُ مُجِيدُ
وَحَيَاةٌ وَعِدَّةٌ وَعَدِيدُ

كيف يدري جلالَةَ النفسِ غُرٌّ
 كيف يدري جلالَةَ اللهِ غُرٌّ
 أُعْبَدُ اللهَ بالجِهَادِ وبالتَّفِ
 إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ جِهَادٌ
 خُلِقَ المرءُ كي يَناهُضَ أمرًا
 كُتِبَ الصَّبْرُ فِي الحَيَاةِ عَلَيْنَا
 عَشْ شَهِيدًا تُنَاجِزُ الهَمَّ وَالذَّاءَ
 فَحَنِينُ الثَّكْلَى وَوَحْزُ الضَّمِيرِ
 هِيَ مَا يَعبُدُ الأَنَامُ بِهِ اللّهُ
 أَزَعَجَتْهُ بوارقُ ورعودُ
 حَرَكَّتَهُ ضغائنُ وحُقوقُ
 كَبيرِ، وَالعقلُ عابِدٌ مَعبودُ
 وَالجِبَانُ الموهونُ فِيهَا جَحُودُ
 فَهُوَ فِي المَوْتِ وَالحَيَاةِ شَهِيدُ
 فَالْبَسَ الصَّبْرَ فَالعَظِيمُ جَلِيدُ
 ءَ إِذَا أَمَّ حَتَفَهُ الرَعْدِيدُ
 وَدموعُ يَريقُها المَكدودُ:
 كَمَا يَعبُدُ القَضَاءَ الوُجُودُ

القلق والغفلة

يا أُسِيرًا قَيُودُهُ آمالٌ
 تَبْتَغِي الخَيْرَ فِي مَجاهلِ ما يَأُ
 لَكَ صَدْرٌ جَمِ الحَنوُّ عَلَى النَنا
 أَنْتَ عَبدُ البَقَاءِ لو كَرِهَ العَبْدُ
 أَنْتَ تَقْرِي الأَنامَ مِنْ دَمْعِ العَغمِ
 أَنْتَ تَبْكِي مِمَّا يَعالِجُه النَنا
 إِنَّ عَتَبًا عَلَى القَضَاءِ سَفاهُ
 يَنعمُ الغافلُ الغَيبِي وَيَشقى
 أَيُّها اللائِمونَ فِي الحَزنِ مَهلاً
 ما بَكِينًا مِنَ الشَقَاءِ وَلَكِنَّ
 ضَرَبَ الأَمْنِ وَالسَلامِ عَلَيبِكُم
 لو مُنِينًا بَعايشِكُم ما رَضِينا
 لا يَصيبُ السَلامَ إِلا غَيبِي
 كَم عَظِيمِ قَضَى وَلم يَبْلُغِ النَجْ
 كَم جَليلِ مَرَجَمِ بِسَبابِ
 مَشكلاتُ لا تَسْتَبينَ لِرَائي
 تِي مِنَ الدَهرِ وَالقَضاءِ النَائي
 سِ وَلَكن يَضيقُ بِالأَرزاءِ
 دُ إِباقًا مِنَ رِقِّ ذاكِ البَقاءِ
 رِ شَآبيبِ عَاجِزاتِ السَخاءِ
 سُ وَتَأسى لِبادِراتِ البِلاءِ
 غابَ عَنه مَطالِعِ النَعماءِ
 عاتَبُ ساءَهُ وَقوعُ القَضاءِ
 غافلِ القَلبِ مِيتُ الأَحياءِ
 ما بَكِينًا مِنَ ذَلِنا لِلقَضاءِ
 وَعَلينا عَرفانُ وَقَعِ البِلاءِ
 ضاحِكِ القَلبِ جاهِلُ البَقاءِ
 كَيفَ نَرضى بِعايشِ أَهلِ الغِباةِ؟
 حَ وَغَرَّ أَصابُه بِرِياةِ!
 وَضئيلِ مَزيِّنِ بِالثَناةِ!

اليتم

وتُظْمِيهِ من طيبِ الحياةِ خطوبُ
وأبِّي قَرِيبٍ لِلْيَتِيمِ قَرِيبُ
وكلُّ امرئٍ يلقى اليتيمَ غريبُ
وهيهات أن يحنو عليه حبيبُ
فيُحزَنُهُ أن لا يجيبَ مجيبُ
من الوجدِ دمعُ هاطلٍ ووجيبُ
عليه تُريقُ الدمعَ وهو صبيبُ
من العيشِ، فينأنُ النعيمَ رطيبُ
دَهْتُهُ فلم يَعْطِفْ عليه ضريبُ
وأنشَبَ فيه للشقاءِ نُيوبُ
يتامى ولكنَّ الشقاءَ ضروبُ
وذاك من الصَّحْبِ الكرامِ سَلِيبُ
وكلُّ يَتِيمٍ لِلْيَتِيمِ نَسِيبُ
وإنَّكَ منها ما حَيَّيتَ سَلِيبُ
حَيَّيتَ ولم يعنفَ عليك وجيبُ
جفاءً وأودتَ بالحنانِ شُعوبُ
فما جَهَلُوا أَنَّ القلوبَ قلوبُ

يَتِيمٌ تقاضاه الهموم حياتَه
وما اليتيمُ إلا غربة ومهانة
يمرُّ به الغلمانُ مثنى وموحداً
يرى كلَّ أمٍّ بابنها مستعزَّة
يسائله الغلمانُ عن شأنِ أهله
إذا جاءه عيدٌ من الحولِ عادَه
كأنَّ سرورَ الناسِ بالعيدِ قسوةٌ
يظل حَسوداً للذين أظَلَّهُمُ
وما عَلِمَ الغلُّ الفتى كمصيبةٍ
فيا وَيْلَهُ قد مَزَّقَ الغلُّ قَلْبَهُ
عزاءك لا يلتم بك الضيمُ إننا
فهذا يَتِيمٌ تَأْكَلُ صَفْوَ عَيْشِهِ
وكلُّ امرئٍ في الناسِ باكٍ وضاحكٍ
فإن شئتُ فاعُدُّ من رزئتُ أمانياً
وما الرزءُ إلا فَقْدُ مَنْ لو حُرِّمَتْهُ
ألا إِنَّ بَيْنَ الناسِ قُرْبَى ولو طغى
فإن جَهَلُوا أَنَّ القلوبَ أواصرُ

الجمال والعبادة عند قدماء اليونان

فَحَلَفْتُهُ وَأودى مَجْدُهَا الفاني
لا نهبَ دهرٍ ولا أسلابِ حدثانِ
تلك الفنونِ عليه خيرُ عنوانِ
فيها وحسنٌ قديمُ العهدِ يوناني!
ما يَعْبُدُ الناسُ في دينٍ وإيمانِ
منها ولم يُثْنِبه عن عزمه ثنائي

كم أمةٍ أَحْكَمَتْ بِالْحُسْنِ دَوْلَتَهَا
حُبُّ الجَمالِ حَيَاةٌ لا نَفادَ لها
تلك التماثيلُ أم هذي المعابدُ أم
يا رَبِّ مرأى لنا منها ورَبِّ منى
لَهْفى على زمنٍ كان الجَمالُ به
لم يَحْبِسِ المرءَ عن آمالهِ فَرَقُ

أَنْعَمُ بِذَلِكَ دِينًا بَيْنَ أَدْيَانٍ
فَالْحَقُّ وَالْحَسَنُ إِنْ فَكَّرْتَ سَيِّانٍ
بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ فِي حُسْنٍ وَتَبْيَانٍ
حَيًّا وَرَوْحًا نَمَاهُ طَيِّبٌ جُثْمَانٍ
مَعْبَدٌ بَيْنَ أَزْهَارٍ وَأَغْصَانٍ
مَكْلَلٌ بِوَرِيْقِ الْعُودِ فَيِنَانٍ
مَحَاسِنُ الْحَبِّ مِنْ صَدَقٍ وَإِحْسَانٍ
فَالْحَبُّ سَلْوَةٌ هَذَا الْعَالَمِ الْفَانِي!

الْحَبُّ وَالْحَسَنُ وَالْأَشْعَارُ دِينُهُمْ
لَمْ يُزِرْ بِالْحَقِّ حُبُّ الْحُسْنِ بَيْنَهُمْ
كَأَنَّمَا عَيْشُهُمْ مِنْ طَيِّبٍ مَخْبِرِهِ
يَرُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُمْ نَفْسًا
لِكُلِّ شَيْءٍ إِلَهُ مَلُوءُهُ جَذْلٌ
وَاللِّجْمَالِ إِلَهُ غَيْرَ نِي بَخْلِ
لَقَدْ أَضَاعَتْ وَجُوهَ الْعَيْشِ عِنْدَهُمْ
لَا تَحْسَبِ الْحَبَّ بَيْنَ النَّاسِ مَنَقَصَةً

الحياة والعمل

حَتَّى تَكُونَ وَسِيلَةَ الْأَمَلِ
وَالعَمْرُ بَعْضُ غَنِيمَةِ الْكَسَلِ
فَعَسَى تَجُوبُ مَجَاهِلَ السُّبُلِ
عَمَا جَهَلْتَ بِجَدِّ نِي حَيْلِ
وَالْيَأْسُ أَخْطَلُ فِيهِ مِنْ خَطَلِ
إِنْ الْحَيَاةُ وَسِيلَةُ الرَّجْلِ
لَمْ نَطْرُقِ الْأَقْدَارَ بِالْأَجْلِ
فَالسَّعْيُ خَيْرُ مَنَازِلِ النَّزْلِ
كَمْ نَجْحَةٌ شَرٌّ مِنَ الْفَشْلِ
خَذَلْتُ يَدَاهُ بِمَطْلَبِ جَلَلِ
وَالعَجْزُ لَيْسَ بِعَائِبِ الْعَمَلِ
غَيْرِ الَّذِي يَسْعَى عَلَى جَذَلِ!

المرءُ لَيْسَ بِمَالِكِ يَدِهِ
وَالمرءُ يَقْمَرُ جِسْمَهُ كَسَلٌ
وَالعَيْشُ سِرٌّ أَنْتَ بِأَحْتُهُ
وَالعَيْشُ سَجْفٌ أَنْتَ رَافِعُهُ
وَالعَيْشُ تَجْرِبَةٌ لِسَالِكِهِ
فَحَذَارِ أَنْ تَعْتَدَّهُ غَرَضًا
لَوْ كَانَ هَذَا الْعَيْشُ غَايَتِنَا
لَا تَرُدِّهِكَ مَنَازِلُ وَطِنَتِ
وَالنَّجْحُ لَيْسَ بِخَيْرٍ مُكْتَسَبِ
كَمْ ظَافِرٌ بِأَقْلٍ مُطَّلَبِ
فَالطَّيِّشُ لَيْسَ بِعَائِبِ الْأَمَلِ
إِنْ الَّذِي يَسْعَى عَلَى وَجَلِ

ضحكات الأطفال

ضِحْكَةُ مَنْكَ صَوْتُهَا صَوْتُ تَغْرِيبِ
 ضِحْكَةُ رَدَّتِ الْمَشِيْبَ شَبَابًا
 ضَحِكَاتُ كَأَنَّهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ
 ضَحِكَاتُ كَأَنَّهَا نَغْمَاتُ
 ضَحِكَاتُ لَا تَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ
 تُفْرِعُ الْهَمَّ مِنْ ضُلُوعِ ذَوِي الْهَمِّ
 كَمْ أَنَامَتْ دُونَ الْفَوَادِ وَجِيْبًا
 رَبُّ ضِحْكَ قَدْ يَضْحَكُ الْغَدْرُ فِيهِ
 أَبْيَضُ النَّفْسِ صَادِقُ الضَّحِكِ وَالْغَا
 وَلَقَدْ يَضْحَكُ اللَّئِيمُ رِيَاءً
 يَا رَعَى اللَّهُ لِلطُّفُولَةِ حَالًا
 يَا رَعَى اللَّهُ لِلطُّفُولَةِ حَالًا
 كَمْ صَحِبْنَا فِيهَا الزَّمَانَ أَمِينًا

إِ الْعَصَافِيرِ تَسْتَفْزُ الْقُلُوبَا
 وَأَمَاتَتْ مِنَ الْوَجُوهِ الشَّحُوبَا
 تَمْحُو مَائِمًا وَذُنُوبَا
 تَتْرُكُ الْغَافِلَ الْغَبِيَّ طَرُوبَا
 وَلَا تُضْمِرُ الْجَوِي وَاللُّغُوبَا
 وَتُحْنِي عَلَى الْقُلُوبِ الْقُلُوبَا
 وَأَغَاضَتْ مِنَ الدَّمُوعِ غُرُوبَا
 وَيُغْطِي عَنْ خَبِّهِ أَنْ يَرِيْبَا
 دُرٌّ يَعْطِيكَ ضِحْكُهُ الْمَكْذُوبَا
 فَتَرَاهُ وَهُوَ الضَّحُوكُ قَطُوبَا
 تَرَكَّتْ بَعْدَهَا الْعِزَاءَ سَلِيْبَا
 مَا عَهَدْنَا الزَّمَانَ فِيهَا مُرِيْبَا
 وَلِبَسْنَا فِيهَا النِّعِيمَ قَشِيْبَا

الجمال والموت

بَاعَدَ الْهَمُّ عَنْ فِرَاشِي الْمَنَامَا
 وَجَعَلْتُ الْفِرَاشَ مَأْوَى هَمُومِي
 هُوَ مُورِي الْأَشْوَاقِ بَعْدَ خَمُودِ
 وَهُوَ أَحْنَى عَلَيَّ مِنْ وَضْحِ الصُّبِّ
 غَيْرَ أَنَّ الْفَنَاءَ يَخْطُرُ فِي شَمِّ
 طَرَقْتَنِي فِي جَنْحِهِ خَطَرَاتُ
 نَضَّدْتُ فَوْقِي الرَّجَامُ ضَرِيْحًا
 فَرَأَيْتُ الثِّيَابَ فَوْقِي أَكْفَا
 وَرَمَيْتُ الظَّلَامَ بِالنَّظَرِ الْآ
 إِنَّ هَذَا الظَّلَامَ بَابٌ إِلَى الْمَوِّ

فَرَعَيْتُ الْأَشْجَانَ نَهْبًا سَوَامَا
 فَاسْتَرَدَّتْ مِنَ الظَّلَامِ ظَلَامَا
 وَهُوَ دَاءٌ مَرٌّ يَهِيْضُ السَّقَامَا
 حِجٌّ وَأَنْدَى يَدًا وَأَهْدَى مَقَامَا
 لَتِهِ غَابْنَا جِسُومًا نِيَامَا
 أَنَا مُخِيْبِي الدُّجَى وَهُنَّ النَّدَامَى
 وَسَقَتْنِي مِنَ الْحِمَامِ مُدَامَا
 نَا وَحَوْلِي جَمَاجِمًا وَعِظَامَا
 مِلَّ أَبْغِي مِنَ الظَّلَامِ مَرَامَا
 تِ نَرَاهُ وَرَاءَنَا وَأَمَامَا

يا سميرَ المَوْتَى أبْنُ لي حبيبًا كان في مقلتي بدرًا تَمَامًا
عَبَنَتْنِي المَنُونُ فيه ولو شا عَتَّ لَسَامَتُ به الأنامَ مَسَامًا

* * *

أَيُّ زُورٍ يفري الدجى عن ضيَاءِ أَيُّ زُورٍ يسعى إِلَيَّ لِمَامًا
أَنْتِ أَنْتِ التي هَجَرْتِ لحاظي وتركتِ الفؤَادَ يشكو أوَامَا
أَنْتِ فِي الموتِ والحياةِ تَقُودِي نَنْ فؤَادًا مُنَيِّمًا مُسْتَهَامَا
عانقيني فَرُبُّ صَدْرٍ خفوقِ ظلُّ يَحْنُو عَلَيْكَ عَامًا فَعَامَا
واجعلي سَاعِدَيْكَ عُقْدًا لِجِيدي واجعلي مِعْصَمِيكَ فِيهِ زِمَامَا
عانقْتِنِي فَعَانَقَ الداءُ جِسمي وَكَأَنَّ الخيالَ صارَ رَمَامَا
ورأيتُ العظامَ تُعْرَى مِنَ اللَحِّ م وَقدَ فَارَقَ البهَاءُ العظامَا
أُبْعِدِي عن مِشْمِي النَّفْسِ المُرِّ فَقدَمَا شَمَمْتُ منه البِشَامَا
أُبْعِدِي فَأَكْ ذاكَ عن شَفْتِي الظَّمِّ سَأَى فَقدَ أَبْدَلَ الرُّضَابِ لُغَامَا
بينما أَنْتِ كالضياءِ بهاءً إِذْ تَعُودِينَ رَمَّةً تَتَحَامَى

عبادة الشمس (اسم زهرة معروفة)

تَدِيرِينَ نحو الشمسِ وَجْهًا كَأَنَّمَا تَرَيْنَ بِوَجْهِ الشمسِ ما كَتَبَ الدهرُ
فما حَسَرْتَ عيناكَ مِنْ طُولِ رِقْبَةٍ ويا رَبُّ ترصِدِ يَنُوءُ به الصَّبْرُ
أَتَبغِينَ من تِلْحاظِها شُكْرَ نِعْمَةٍ هي النورِ لم يحسبَ عَلَيْكَ له أَجْرُ؟
تُسَقِّيكِ من أَضوائِها بِلِواحِظِ وللشمسِ لِحْظٌ لا بَطِيءٌ ولا شَزْرُ
إِذا غرِبتُ أَرخِيتِ أَجفانَ عاشِقِ يِناجِي حبيبًا دُونَهُ للِدجى سَتْرُ
تَضِيئِينَ وَجْهَ الروضِ من فِرطِ صُفْرَةٍ فأنْتِ له شمسٌ وَأَنْتِ له بَدْرُ
وفي اللونِ آياتٌ من النورِ غِضَّةُ ويا رَبُّ لونِ قَدِ يضيءُ له جَمْرُ
كَأَنَّكَ بينَ الزهرِ فِي ليلِ أَرْبَعِ وَعِشْرَ هِلالِ حَوْلَهُ الأَنْجُمُ الزَّهْرُ
وصفراءِ من نسلِ المِجوسِ كَأَنَّمَا تَعالِجُ أَمْرًا لا يَعالِجُه الزَّهْرُ
تَهْمُ إِلَى وَجْهِ السَّماءِ كَأَنَّمَا لها فِي صَميمِ الأَرْضِ من جِذرها أُسْرُ
كما يَشْرِبُّ النَسْرُ هِيضَ جِناحِهِ مقيمِ على الدِهماءِ أَلحاظُه طَيْرُ

جددنا مغاليق الطبيعة ضلة فكانت حياة المرء أكثرها سرُّ

صوت الليل

ملأت الكونَ من نَفَسِ عميقٍ
وأجريتَ الجلالَ على سكونٍ
وأخرستَ الحياةَ وراغبيها
كأنك شدو ظئرٍ للوليدِ
كأن النومَ صنوكٌ حين تجري
وأنتَ علاةُ الروحِ الكبيره
فصوتُ الليلِ من صوتِ الضميرِ
يئنُّ صداه في صمِّ الضلوعِ
فيا مأوايَ من عنتِ الحياةِ
فكم ناجيتُ سرِّك في الظلامِ
خَلَسْنَا مِنْكَ أسرارَ البيانِ
فأسمع كلَّ ذى قلبٍ مفيقٍ
يَفِيضُ على ظلامك كالأنينِ
وريحُ الموتِ تخفق منك فيها
إذا طردت به صحو العنيدِ
على سَمْعِ سرارك ليس يدري
إذا أصغتِ ولجت إلى السريره
مهيبِ القولِ كالهادي النذيرِ
ويكسو النفسَ ثوبًا من خشوعِ
إذا أنا متُّ لا تهجر رفاتي
وداءُ النومِ يسري في الأنامِ
فأنتَ اليمُّ تعمره المعاني

وصف البحر

ألا ليتني لَجُّ كلِّجك زاحرُ
فكم عَبَّتِ النفسُ اللجوجُ وحاوَلتُ
فأخفت من الدرِّ النفوسَ ومن حلى
كأن بها أُنْفَقًا كأفْقِكَ نائِيًا
أتطرب من لحنِ الخريز كأنه
كما يَطْرِبُ النشوانُ من لحنِ صوته
وإلا فما للموج في اليمِّ راقصًا
خريك يحكي صدحة الدهر صامتًا
هو الدهر لا يخشى المنايا ولا يهي

أعب كما تهوى النهى والبصائرُ
كبعض سُطاك الأبيات النوافرُ
كما اختبأت فيك اللهم والذخائرُ
ومن دونه كل المدى يتقاصرُ
خواطر تتلوها عليك السرائرُ
فجاشت لديك الراقصات الزواجرُ
دعاه عذارى البحر شادٍ وشاعرُ
كأنك دهر بالحوادث مائرُ
صباه ولا تقضي عليه المقادرُ

ولا أنت منقوص ولا أنت خاسر
 طخَابُكَ من حكم المنية ساخر
 كأنك حي نابض القلب شاعر!
 كنبض قلوب أعجلتة البوادر
 معالم لا تبقي عليها الأعاصر
 يلوح كما لاحت رسوم غوائر
 كأن جهلتها الصائلات الدوائر
 فحن إليها الشخشان المخاطر
 تخب بها في البيد إبل ضوائر
 على الدهر لا تبلى وتبلى العمائر
 كما تنشد الغيب النهى والبصائر
 تلوح كما لاح السراب المبادر
 على الأفق ينحوه الطلوب المغامر
 وإن خوفتها من سطاه المحاذر
 ويكبر رأي زاهب فيك سائر
 يضل عليها عازب اللب حائر
 وجاءت بك الأمواج وهى ثوائر
 وعزم الشباب الغر وهى بوادر
 وثب وثبة الغضبان حين يساور
 ضمنت وجهل شره متطاير
 بليغا له مما أترت زواجر
 عساكر حرب قد تلثها عساكر
 وتجري عليك الريح وهى خواطر
 يرجعه لحن من الماء مائر
 أحاديث قد تافت لهن الحرائر
 وإذ أنت مقبوح السريرة غاير
 تقاذفها مستوفز اللج هامر

وأنت شبيه الدهر لا أنت هارم
 ويصطخب الأذى فيك كأنما أض
 أخفق وإعصار ودفع وهبة
 فريحك أنفاس وموجك نابض
 خلوت من السمار كالبيد وامحت
 سوى شلو فلك قد حدرت إلى الردى
 وكم جزر مثل الجنان مضيئة
 لخيلت نجوم السعد والحب والمنى
 كما حن للآل الخلوب قوافل
 لخلقت في قلب المخاطر همة
 يحن إلى ما خلف أفقك ناظر
 كأن منى للنفس من خلف أفقه
 أو إن مجال السعد در منظم
 بلى كل نفس للغريب مشوقة
 ويصغر في مرآك عيش ابن يومه
 خواطر مثل الفلك فيك شوارد
 تناءت بك الأمواج وهى نوافر
 كأن بها عجز المشيب إذا انتنت
 فتم نومة الظل البطيء مسيره
 فيا رب حلم خامل البطش هادي
 كأن لنا من لج مائك واعظا
 رأيتك والأمواج فى وثباتها
 فبيننا يريق الضوء فوقك ماءه
 ويتلو عليك الصائدون غناءهم
 ويسمعك الملاح من شجو قلبه
 إذ الجو جهم والرياح كتائب
 ورب سفين يقرع النجم مجدها

يروِّعها في كل هوجاء موعداً
فليس الغمامُ الغمرُ إلا رباحها
وما ذلك اللج الذي في سمائها
إذا نَكَرَ المَلَّاحُ زوجًا وصبيَّةً
وتذهل عن مهيد الوليدِ رءومه
وما هي إلا صولةٌ ثَمَّتِ انجَلَّتْ
كما غرقت في لجة الدهر دولةً

معانٍ لا يدركها التعبير

كم معانٍ يَوَدُّ لو صاغها المرء
هي ملءُ الضميرِ لم يبلغ اللُفَّ
كُلَّمَا رامَ أن يعبرَ عنها
فَهِيَ عذراءٌ لا تحنُّ لِناءٍ
نَزَلَتْ في النفوسِ مَنْزِلَ صِدْقٍ
وتأبَّتْ عن قانصِ الحقِّ باللفِّ
هي جزءٌ من النفوسِ وهل تَبَّ
لن تراها بالرأي حتى تراها
طالما نالها أخو الصمتِ والصمِّ
إنَّما تنطقُ النفوسُ لدى كُلِّ
ونجى النفوسِ ليس الذي أَلَّ
إنَّ وادَّ الأبناءِ أهوَنُ خطبًا
ذلُّ من خاف لومةَ الناسِ في قَوِّ

ءٌ وحلَّى بها وجوهَ البيانِ
ظُ مداها ولم تُذَلِّها المباني
أَنِفَتُ أن تُنَالَ بالأذَانِ
وهي عذراءٌ لا تَلِينُ لداني
كنزولِ النفوسِ في الأبدانِ
ظ ولو كان واسعَ التبَيانِ
دو نفوسٌ لمدرِكِ بالعيانِ
بفؤادٍ موفِّقٍ يَقْظَانِ
تُ كريمِ البيانِ جُمُّ الأمانِ
مصيخِ إِصاخةِ المِذْعانِ
جَمَ فاه من رهبةٍ أو هوانِ
وأثامًا مِنْ وادِّ تلك المعاني
لة حقٌّ فلجٌ في الكتمانِ!

غلامٌ مريضٌ يكلم أمه

نزعاتي إليكم وحنيني؟
 قريب معانقٍ أو قرينٍ
 أمضيءٌ سواد تلك المنونِ
 أم هو المرءُ فيه غيرُ غبينِ
 حرقاتٍ تُفيضُ ماءَ الجفونِ
 ذلك الدمعِ واحبسي من أنينِ
 وكثيرُ البكاءِ داءَ العيونِ
 رى به من شحوبٍ وجهِ الحزينِ
 أن تعاني حملَ الأسي المكنونِ
 ممي في المهد لوعةً من شجونِ
 لا كجسمي تحت الترابِ الدفينِ
 سرُّ أغني في وكري المأمونِ
 أيُّ راءٍ يرضيه وجهُ المنونِ؟
 خوفٌ جهلٌ لا خوفٌ جُبْنٍ وهُونِ
 يسُ خشوعًا ورعدةً للظنينِ
 شى ووجه الفناء غير أمينِ

خبريني أمي أئن متُّ ماتتُ
 والحنانُ الذي أضْمُ به كلُّ
 والضيءُ الذي ترين بعيني
 وهل المرءُ في المماتِ غبينُ
 عاهديني أن لا تعاني لموتي
 وإذا شئت فاجعليه رشاشًا
 في قليلٍ من البكاءِ بلاغُ
 لست أرضى لحرٍّ وجهك أن يُزُ
 لست أرضى لأضلعٍ حملتني
 ولصدرٍ قد كان يحنو على جسِّ
 العصافيرُ في الرياضِ تُغني
 كنتُ في العيش مثل هذي العصافيرِ
 فألاحت لي المنونُ بوجهِ
 ليس ما بي خوف الجبانِ ولكنْ
 كالمكان الخرابِ يبعث في النفِّ
 فهو يخشى وليس يعرف ما يخُ

التنويم المغنطيسي أو عزيمة المجرم (قصة)

مصمياتٍ ساكناتٍ
 طاءٍ عند الوتباتِ
 بدعاءٍ أو شكاةٍ
 قبلُ خَيْرَ الآبياتِ
 فعلتُ تلك النظراتِ
 فى الشباك القانصاتِ
 كجناحِ الطائراتِ

بلحاظِ رامياتِ
 كالحاظِ الحيةِ الرقِّ
 واعتزامٍ ليس يُثنى
 قاعها كرهاً وكانتُ
 جعلتُ تُغضي لتمحي
 فهى كالطير قنيصُ
 ولها قلبٌ خفوقُ

خيفة الرجس ولا حَوْ
صار يدعوها إليه
لحظاتٍ أمراتٍ
تأخذ المرءَ اقتسارًا
رَحَمَاتُ الله تَرَعَا
كم يُضْحِي الشَّرُّ بالطُّهْ
رُبَّ جانٍ عَلَّمَ العا
رُبَّ جانٍ عَلَّمَ الغرَّ
كلُّ خبٍّ ودهاءٍ
هو محسوب علينا
فُ كخوفِ الغانياتِ
بحديثِ اللحظاتِ
فهي طوع الأمراتِ
باقتدارِ العزماتِ
ها بخيرِ الرحماتِ
سرِّ لِحُكْمِ الشهواتِ
جِرَّ وَجَهَ العزماتِ
جذابِ الفرصاتِ
واعترامٍ للجنةِ
في أساليبِ الحياةِ!

ليتني كنت إلهًا

ليتني كنتُ في السماءِ إلهًا
فأضمُّ الوجودَ بين جناحيَّ
ثم أحنو على الأنامِ كما يَحُ
ليس شرِّي عليهمُ بهتُونِ
إِنَّ وعدي لديهمُ خَيْرٌ وَعُدِ
ليس حكمي عليهمُ بشديدِ
ونداماي في الملائكةِ الغرِّ
مجدوني حتى عَطَفْتُ عليهم
هم أجادوا المديحَ والنعمَ العُدْ
هم أضاءوا كواكبي بضيائي
وهُمُ في الظلامِ حولي قيامٌ
كم عناقٍ لي بينهم والتزامِ
لو تراني وعزتي وجلالي
لو تراني وعزتي غير عزها
نافذَ الأمرِ في شئونِ الوجودِ
وأسطو على الشقاءِ بجودي
نو شفيقٌ على الرضيعِ الوليدِ
إِنَّمَا العدلُ آيةُ المعبودِ
ووعيدي بالشرِّ غَيْرُ وعيدِ
وقيودي لديهمُ بقيودِ
حِسَانُ من الظباءِ الغيدِ
فاستراحوا من ضجةِ التمجيدِ
بَ فأعفونا من ركعةٍ أو سجودِ
وأثاروا بوارقي ورعودي
لم يهيجوا لواعجي بالصدودِ
وارتشافٍ من الرضابِ البرودِ
وجنودي وعدّتي وعددي
ة وقولي: أحبكم يا عبدي!

وعيش هناك غير عميد
 وبجيد وأعين وخذود
 أو لئيم أو حاقد أو حسود
 يوقظون الطيور بالتغريد
 وصيف شراب أهل الخلود
 بر صقيل اللحاظ غير عنيد
 ناس إشراف سيد معبود
 بل ولحظ الإله غير شريد
 ك ومضنى من لوعة أو حقود
 د نساء حلين بالتجريد
 ك وحتى حسبه من رعودي
 ري إذا ضل في الليالي السود
 وهذته هذي اللبيب الرشيد
 سلبت منه جدة في البرود
 تى ويشكو منه حبيس اللهود
 ومزح الكرام غير شديد
 مستطيل العدا غير حميد
 بريء من سواة أو حقود
 مستعزاً بملكي المدود
 ليس بالشر قائم والوعيد
 إنما الجبن آفة الرعيد
 عظيم الفؤاد غير قعيد
 ذو صيال ونشوة وجنود!
 وسميري ومسعدي وعقيدي
 قاق رشف اللمى ولثم النهود؟
 عر وصف الهوى ونسج القصيد؟
 سم رسم الضحى وورد الخدود؟

وهم يبسمون عن جذل جم
 فتنوني بمبسم وقوام
 ليس فيهم من خائن أو خبيث
 ولهم في أوائل الفجر لحن
 وسقاني من الملائكة الغر
 رب ساق متوج الرأس بالزهر
 ولنا من سمائنا فوق هذا الـ
 كم بعثنا اللحاظ في غسق اللي
 فإذا الناس بين بك وضحا
 ورأينا في مرقد الغادة الرو
 فضحكنا حتى أفقنا من الضح
 كم رفعنا قناني الخمر للسا
 فأضاءت له الطريق سوياً
 فأرقنا عليه ديمة مزن
 وضحكنا ضحكا يضج له المؤ
 هكذا تمزح الملائكة الغر
 رب مزح سهل المساغ ومزح
 ومزحنا مزح خالص النفس والكف
 بسط العرش فاستويت عليه
 أنا بالخير قائم، وأخي إب
 كم سخرنا من خائف غير ندب
 وطربنا من عابد العمل الجم
 أنا والحب خالدان، كلانا
 هو تربي والكون طفل وليد
 يا جمال الحياة من علم العش
 يا جمال الحياة من علم الشا
 يا ضياء الحياة من علم الرا

نع صُنَعَ الدمى الحسان الغيد؟
 رَبِّ حَسَنَ الغنَاءِ والتغريدِ
 ادَّ إِفصاح عوده الغرِيدِ؟
 شِشْ فَأَوْرُوا نكاءهم بزنودي
 شايعونى بالنصرِ والتأييدِ
 صار رأيي في الحلمِ غيرَ سديدِ
 ليس فيهم من عاقلٍ أو رشيدِ
 هلك الليثُ في زمانِ القروِدِ
 لِ فويح لمثله من قصيدي
 لذبابِ لمات من تصريدِ
 هَضَّتْ إبليسَ في زبونِ كئودِ
 وأماني الحسودِ غيرُ وُلُودِ
 ضَحَكِ سَخَرِ بالشانئِ المجهودِ
 واعفني من حديثك المقنودِ
 مستعيدًا بأمره المعقودِ
 موقظًا بعضَ همتي بالوئيدِ
 وتزيحُ الهباءَ عن مجلودي
 سوى عَيْشِ يائِسِ مصفودِ
 تَطَّيِّبِنا بالسؤدِ المعقودِ
 لغلها المرءُ في الخيالِ البعيدِ
 ليس عيشٌ من بعده بحميدِ
 مي لدى الحادثاتِ بالمرودِ
 يومِ ذاكِ السلطانِ عبد الحميدِ!
 وعهودُ البغاةِ غيرُ عهودي
 هلك الناسُ من زمانِ بعيدِ
 ربِّه، بئسَ ذاكَ من تقليدِ!
 واسألوني عن عدتي وعديدي

يا حياةَ الحياةِ من علِّم الصا
 يا حياةَ الحياةِ مَنْ علِّم المُطْ
 يا حياةَ الحياةِ من علِّم العوَّ
 قد أَرْتُهُمْ ملائكي طرفَ العَيْدِ
 أنا شيخٌ وهُمْ تلاميذُ صدقِ
 سُسْتُ هذا الأنامَ بالحلمِ حتى
 وهجاني من البُغاثِ كثيرُ
 هكذا سُنَّةُ الورى، وقديمًا
 وأتتني قوارصُ عَنْ أَخِ الجَهْ
 زَهْنُهُ خاذِلٌ فلو كان رِيًّا
 كيف أخشى هَجْوَ البغاثِ وقد نا
 فاعتزأُ الجهولِ غيرُ جليلِ
 ما رعودي لهم وعيدًا، ولكنْ
 طارقُ اليأسِ لا تَلُحْ لي بأمنِ
 أنا أَقْوَى من أنْ أذلَّ ليأسِ
 ودَمٌ للحياةِ هاجَ بقلبي
 نبضاتٌ في القلبِ تحيي طموحي
 كلُّ عيشِ سَهْلُ المساعِ وإنْ مرَّ
 لهفُ نفسي على مراتبِ عزِّ
 لهفِ نفسي على مراتبِ قَدْ يَبْ
 رَبِّ عيشِ لي في السمواتِ رَعْدِ
 كان يقضي القضاءَ أمرى فما حُكْ
 عزلوني عن حكمها فكأنِّي
 غيرَ أني قد كنتُ أحسنَ عهدًا
 ولو أني بقيتُ في الدستِ حينًا
 فكأنِّي قرْدٌ يُقْلَدُ فيها
 أيُّها الغافلون قوموا جميعًا

غيرَ قلبٍ على الحياةِ جليدٍ
وبيانٍ كاللؤلؤ المنضود!

لم تَدْعُ لي نوائبُ الدهرِ منها
ولسانٍ مثل الحسام رهيفٍ

لسان الغيب

كشَفَ الغيبَ له طولُ الأئينِ
ورمى الدهرَ بصبرٍ لا يخونُ
يتقاضاه الأسى وهو ديونُ
فرأى ما لا يراه الناظرونُ
ويناجي الله في تلك الظنونُ
ما علا يوماً على الشكِّ اليقينُ
ويرى في بعض ذلك العزُّ هونُ
أطرق الشاعر في رفقٍ ولينُ
باحثٌ برُّ على الغيبِ أمينُ
بعلالات المنى وهو غبينُ
جُنَّ منها لُبُّه أي جنونُ
واجدٍ يخشى على العيش المنونُ
يبتغي الآمال أو حزَّ الوتينُ
صولة العادات بالداء الدفينُ
ورأى في الراكدِ الماءَ المعينُ

يا لسان الغيبِ ناجي شاعراً
عرف الهمَّ فلم يخنع له
إنما العيشُ عظيم لا يني
ودعا الكون بلحظٍ صادقٍ
يبتغي المخبوءَ في مكمنه
ويردُّ الناس عن غفلتِهم
باشَرَ الحالاتِ كي يخبرها
يا رسول الغيبِ لا تعنفُ به
إنما الشاعر فيما يبتغي
بائعٌ باع رخيصةً عُمره
ودهته في العوادي حكمُ
قد أحبَّ العيش لا حُبَّ امرئٍ
وقلاه لا قلى مستضعفٍ
واستقاد العيش لا تكررته
فإذا شاء رأى في الجذب خصباً

نعمة الزواج

وإسارٌ أنعمَ به من إسارِ
وياب الجحيم عند العثارِ
رر بشؤبوب ديمة مدرارِ
تِ وبين الأهواء والأوطارِ

إنما عقدة الزواج عقالٌ
هو ذاك النعيم لو أسلس الحظُّ
وهو مأوى المطلول من حدِّ الدهرِ
جاعلٌ بيننا هضاباً منيعاً

غير أن الحلاب أَعَذَبُ وردًا
إنما المورد الحرام كسَمِّ الـ
أحكم الله عقدةً هي كالعضـ
جاعلاً ذلك الزواج كريماً
إنما الزوج موئلاً حيث لا مؤـ
وهي كالنجمه المنيرة في جُنـ
ولجَّت في الصميم من حبة القلبـ

وهو أنأى عن ذلةٍ وصغارٍ
صَلَّ في طرف مؤخرٍ غَدَّارٍ
بِ لدى عقدة الخطوبِ الكبارِ
كزواج الأنداءِ للأزهارِ
ئل يُنجي من صولة الأقدارِ
حِ دُجى الخطب للشريد الساري
بِ وحلَّت بموطنِ الأسرارِ

الشاعر وصورة الكمال (قصة)

قد حَدَّثُوا عن شاعرٍ نابغٍ
لم يَعشِق الغيدَ وَلَكِنَّهُ
صُورَةً حَسَنَ صاغها لبُّه
فصارَ كالطفل رأى بارقًا
يمدُّ نحو النجمِ كفاً له
فأينما سارَ تراءت له
خيالها دان به حائماً
وربما ألبسها وهْمُهُ
قد هجر الأترابَ من وحشةٍ
يحدُّ النفسَ بأمرِ الهوى
فبينما يسعى على قمةٍ
رأى التي صورها لبُّه
قالت له: إن كنت لي عاشقًا
فسارَ يقفو إثرها هائماً
وهمَّ أن يُمسكها جَاهِداً
ما زال يعدو جهده نَحْوَهَا
فرحمة الله على شاعرٍ

مجوِّد الشعر شريفِ المقالِ
هامَ ببكرٍ من بنات الخيالِ
وحدها في الحسن حدُّ الكمالِ
هاج له أطماعه في المحالِ
ويحسبُ النجمَ قريبَ المنالِ
كما تراءى خادعاً لمُع آلِ
كأنه غير عزيز النوالِ
جسماً وكمَّ وهمٍ غريب الصيالِ
وصار يمشي فوق هامِ الجبالِ
ويسأل الأرواحَ رجع السؤالِ
تروع النفسَ بمرأى الجلالِ
تصوير صبِّ عابِدٍ للجمالِ
فاتَّبِع خطأي واستصنَى بالخيالِ
والمهتدي بالوهمِ جمُّ الضلالِ
بين ذراعيه بأيِّدٍ عجالِ
حتى هوى من فوق تلك القلالِ
مات قتيلاً للأمانى الطوالِ!

ربما أو المزهو بحميد خلقه

ضِلْ فِينَا كَتِيهَ أَهْلِ الثَّرَاءِ
شُ أُمُورًا مِنْ حَادِثَاتِ الْقَضَاءِ
ضَرَامٌ مَا إِنْ لَهُ مِنْ فَنَاءِ
دَوَاعٍ طَوِيلَةَ الْإِغْفَاءِ
خَيْرٌ لَدُنْ الرِّخَاءِ رَطْبُ الرِّجَاءِ
أَبْيَضُ الطَّبَعِ لَمْ يُشَبَّ بِرِيَاءِ
عَ لَتِيْمَ الْخِصَالِ جَمَّ الشَّقَاءِ
طَائِرَ الضَّغَنِ ثَائِرَ الشَّحْنَاءِ
رِ عَظِيمُ الرِّيَاءِ جَمُّ الْحِيَاءِ
وَقَلُوبٍ لَتِيْمَةِ الْأَهْوَاءِ
فَهِيَ كَالْغَيْبِ لَا تَبِينُ لِرَائِي
قَدْرٌ وَقَعُ سَتُورِ الْخَفَاءِ
نَ خَفِيٌّ خَفَاءٌ غَيْرَ عَفَاءِ
سِ وَلَوْعًا بِالْخَيْرِ جَمَّ السَّنَاءِ

يَا سَعِيدًا يَتِيهِ بِالْخُلُقِ الْفَا
حَفْضِ اللَّحْظِ قَدْ يَتِيحُ لَكَ الْعَيْدُ
رَبْمَا شَبَّ بَيْنَ جَنْبَيْكَ لِلشَّرِّ
كُلُّ نَفْسٍ فِيهَا إِلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
أَنْتَ فِي الْيَوْمِ وَاسِعُ الْجَاهِ غَضُّ الْ
خَالِصُ الْكُفِّ مِنْ دِمَاءِ قَتِيلِ
رَبْمَا كُنْتَ فِي غَدٍ أَشَعْتَ الطَّبَّ
خَاضَبَ الْكُفِّ مِنْ دِمَاءِ عَدُوِّ
أَوْ طَرِيدًا يَرْمِيهِ بِالنَّظَرِ الشَّرُّ
كَمْ وَجُوهٍ مَشْبُوبَةٌ مِنْ حِيَاءِ
كُلُّ نَفْسٍ فِيهَا عِزَائِمٌ وَسُنَى
لَيْسَ تَبْدُو حَتَّى يَمِزُقَ عَنْهَا
أَكْثَرَ النَّفْسِ سَاكِنٌ غَيْرُ يَقْظَا
رَبْمَا أَضْرَمَتْ حَوَادِثُ فِي النَّفِّ

النساء في الحياة والموت

بَعْدَ أَنْ صِرْنَ طَعْمَةً لِلدُّودِ
فَاتَنَاتٍ بِأَعْيُنٍ وَخُدُودِ
عَابِثَاتٍ بِمَسْعِدَاتِ الْجُدُودِ
هَزَّةَ الرِّيحِ زَهْرَةَ الْأَمْلُودِ
نَ لِحَاطِي بَثْنِي تِلْكَ الْقُدُودِ
نَ عَيُونَ الرَّاثِينَ مِنْهَا بَدَاءِ
بُومٍ حَتَّى يُسْقِمَنَّ وَجْهَ الْهَوَاءِ
إِنْ تَرَى قُبْحَهُنَّ عَيْنُ الرَّاثِي
نَ عَيُوبًا تَزْرِي بِذَلِكَ الْحِيَاءِ

قُومَنَ يَرْفُلْنَ فِي اللَّيَالِي السُّودِ
بَعْدَ أَنْ كُنَّ لِلْعَيُونِ جَلَاءِ
مَالِئَاتٍ وَجْهَ الْحَيَاةِ ضِيَاءِ
هَزَّ مِنْهَا الْهَوَى ثَمَارَ صِبَاهَا
يَتَوَاقَعْنَ كَالنَّسِيمِ وَيَجْنِي
صِرْنَ يَخْطُرْنَ فِي الظَّلَامِ وَيَرْمِي
وَيَرْجِعْنَ فِي الظَّلَامِ صِرَاحُ الْ
لَابَسَاتِ أَكْفَانَهُنَّ حِيَاءِ
هُنَّ فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ يُحْبَبُ

ربما أضمَرَ الرياءَ حياءً وبدا في الحياءِ بعضُ الرياءِ!

الحلال والحرام

إذا لم يَعُدْ بالشرِّ ما أنتَ ناعمٌ
فكم لذةً للمرءِ كان اغتصابها
وما كلُّ ما يأتيك عفواً مُحَلَّلًا
ولكنها اللذات ما غاب ضرُّها
فَرُبُّ حلالٍ حرِّموه وحرمة
متى يَعْرِفُ الأَقْوَامُ حَلًّا محرَّمًا
به فانتهزه ليس فيه حرامٌ
حرامًا أكلت والصروفُ كِرَامٌ
ولا كلُّ ما لا ينتحيه ملامٌ
حلالٌ وإن هابَ الحلالَ لئامٌ
أَحَلُّوا وألباب الأنامِ نيامٌ!
فيروى من الحلِّ الحرامِ أوامٌ؟

العقاب بالقتل

أطيلوا حياةَ الجارمين فإنَّها
أتبعون أن تنفوا بجرمِ جريمةٍ
فلو أنهم عاشوا وفي السجنِ معهدٌ
لقد أخلقتهم بلغةَ العيشِ برِّها
لبئس حياةَ المرءِ والفقيرِ عاكفٌ
فقل للألى أذوى النعيمِ قلوبهم
كأنكم بالضامرين تعارفوا
هنالك إني للفقيرِ لَعَاذِلُ
حياةٌ إذا سدَّ المطامعِ عاقرُ
هي القتلُ يأتيها مقيدٌ وعاثرُ
لتهذيبهم عاشوا وفي العلمِ زاجرُ
زمانًا وحاجاتِ الحياةِ غوادِرُ
عليه وأسبابِ الحياةِ جرائرُ
أعينوا ألي الحاجاتِ فالفقرُ كافرُ
على نيةٍ سوءٍ والجوعُ أمرُ
وإني له مما يعانيه عاذِرُ!

عيون الندى

عيون الندى كُونِي على الزهرِ إنَّه
فليس عيونُ الغيدِ أشعلها الصِّبَا
ولا أطفأت منك الغزاةُ رونقًا
يطلُّ على العشاقِ منكِ ويُسْرِفُ
بأروع في لألائها حين تعطفُ
على الروضِ جذلان المدامعِ يذرفُ

ولا زال مكسلاً النسيم إذا سرى
 يهزك هزَّ الظئر مهدً وليدها
 على روضةٍ يحنو عليك ويرؤفُ
 فلا المهدُ يشكوها ولا هي تعنفُ
 على الزهرِ يحسو منك رياءً ويرشفُ
 ولا زال غرَّيدُ العصافيرِ واقِعاً

الحاجة المكتومة (قصة)

زعموا أن فتاةً
 شهرت بالبرِّ والتَّقُّ
 ما رآها عارفوها
 ما رآها عارفوها
 هي عاشتُ في جلالٍ
 حين ترنو الشمسُ حزناً
 لم تجدُ وجدًا فتمحو
 فلها عيشٌ رقيقُ
 وهي لم تُمنَ بهمَّ
 غير داءٍ خَفِيَتْ أَسُ
 وافتقارُ النفسِ للحبِّ
 هزلت في كل يومٍ
 ولها لحظٌ ضعيفٌ
 أتراها سَتَرَتْ حا
 أم تراها جهلتها
 عُمَرَتْ حيناً وماتتُ
 جَمَعَتْ طيبَ النساءِ
 سوى وحسنٍ وحياءِ
 ضَحِكَتْ ضَحْكَ الضياءِ
 رَدَّدَتْ رَجْعَ الغناءِ
 كجلالٍ للمساءِ
 وهدوءاً في السماءِ
 هُ بإحياءِ البكاءِ
 كغديرٍ في الصفاءِ
 وهي لم تُمنَ بداءِ
 ببابه عن كلِّ رائِ
 عنيفُ لا يرئِ
 في صباحٍ ومساءِ
 مثل ضعفٍ للفناءِ
 جتَّها سَتَرِ رياءِ
 جهلٌ طُهرٌ أو غباءِ؟
 من عفافٍ وحياءِ!

الإنسان والزمن

حيوانٌ مهذبٌ	أم إلهٌ معدَّبٌ؟
صرَّحَ الخَيْرُ والأذى	فيه والخيرُ أغلَبُ
فإلى العُجْمِ نِسْبَةٌ	وإلى الله يُنْسَبُ
وهو في الشرِّ يرغَبُ	وهو في الخيرِ يرغَبُ!
وله دُونَ شَرِّه	في الليالي مؤنَّبُ
وله دُونَ خَيْرِه	في الليالي مهذبٌ
نَهْلٌ هذه المنى	والمساعي تقربُ
لِحياةٍ قبل الحيا	ةٍ وعيشٍ لا يكذبُ
تذُكُرُ النفسُ حالها	فيه والحالُ تعجَبُ
فجنابٌ موطأٌ	واقْتدارٌ محبَّبُ
ولها عند أمسها	في ضحَى اليومِ مطلبُ
وملأٌ في يومها	وطموحٌ ومعتبُ
ولها كلُّ ساعةٍ	شجنٌ أو تطرُّبُ
مثلما أذكر الغريب	ب حبيبًا تغرَّبُ
مثلما هاج للغريب	ب جوى الحزنِ مغرَّبُ
فالمالُ التنقُّلُ	والمالُ التقلُّبُ
والبقاءُ التغيُّرُ	والحياةُ التطلبُ
أومًا تبصر الزما	ن أتيا لا ينضبُ
وهو للعمرِ مالىُّ	وهو للعمرِ يسكبُ
وله الكونُ خلعَةٌ	يرتديها فيحجبُ
وله القلبُ منزلٌ	وله النفسُ ملعبُ!

مراجعة الحب

لحظ وأروى من خمرة الجذل
 دممح وتحكي مصارع الأمل
 فيه بإحياء ضجة القبيل
 مالت بسمعيك حجة العذل
 وقد يراض الحبيب بالخجل
 تفعل بالجاه فعلة الأسل
 على شقاء ذي دولة جليل
 أجيح يخبو كخبوة الشعيل
 خائب يبكي منها على طلل
 يهابها خائف من الزلزل
 تترك فؤادي بالصد في شغل
 يا باعئين الهيام بالمقل
 طال من الشعر مبلغ الأول؟
 قيك بقول من حكمة الرسل
 من الليالي مصارع الدول
 أسعدت طباً بأمرك الخضل
 تسد عنه منافذ الحيل
 إن أنت عانيت شقوة البخل
 قبله عاشق على وجل!

دعني أقتات من عيونك بال
 ودع جفوني تبل خدك بال
 نستدفع العتب بالعناق ونذ
 هل تذكر الموقف الرهيب وقد
 ولهان أبكي وأنت ذو خجل
 تحسب حبيك شر منقصه
 وإنما الحب سلوة جليل
 وإنما الحب كالضرام إذا
 وإنما الحسن نهضة تدع ال
 لقد عرفنا الحياة معرفة
 فاملاً بعطفك ساعدي ولا
 لم يخلق الله حسنكم عبثاً
 أليس يرضيك أنني رجل
 ما أنت بالقارئ الأديب فأر
 يا دولة الحسن غير راقبة
 إن تسعدي الشاعر القول فقد
 أو تخذليه فأنت عادية
 يا باخلاً بالنعيم لا عجب
 أما ترى لذة الحبيب إذا

الحاجات الممتزجة

بحاجة الجسم كخمر وماء
 جسم وري للنفوس الظماء
 أنف إذا سيقت بريح رخاء
 تفعل فيها مثل فعل الدواء

كم حاجة للنفس ممزوجة
 كذلك الحب به شهوة ال
 ونفحة الزهر بها شهوة ال
 ولذة للنفس في طيها

يا عجباً للنفس يهتاها
كم من صلاتٍ بين نفسِ الفتى
وربَّ لونٍ هاج شجُو الفتى
إنَّ غذاءَ الذهنِ فيما احتوى
والحسُّ بابُ النفسِ كم والـج
إنَّ عناءَ الجسمِ في فعله
وربَّ داءٍ والـج جسْمه
لا راحةً للنفسِ في حيث ما
بشجوه الصوتُ سليل الهواءِ
وبين موجوداتِ هذا الفضاءِ
وفتَّحَ الذهنَ بمرأى الضياءِ
مَنْ سَمِعَ أذنَ المرءِ أو رأيَ راءِ
منه إليها بالحجى والغباءِ
يغري بنفس المرءِ برُح العناءِ
يصاب عقلُ المرءِ منه بداءِ
للجسم فيه مطلب للرخاءِ

أنفاس السَّحَر

نسيمُ الرياضِ وريحُ السَّحَرِ
يمرُّ علينا النسيمُ العطرُ
فما استَبَرَدَ القلبُ ريحَ السَّحَرِ
وكم في الدجى من بديع الغررِ
وميض النجوم بوجه الغُدُرِ
نظرتُ إلى النجم لما سَفُرِ
سويعة للقلب فيها عِبَرُ
تطيب الأماني بها والدُّكُرِ
جنيئاً من الحبِّ خيرَ الثمرِ
فيا نَفَسَ الصبحِ لما ظَهَرَ
لقد صرت ذكرى تشبُّ الدُّكُرِ
أهابا بشجوي حتى ظهرُ
ببرد الدجى وبطيب الزهرُ
حتى استثير له ما استترُ
مناظرُ تصبي الفتى ما نظرُ
ولونُ الدجى حول ظلِّ الشجرِ
ثقلِ النعاسِ بعيد النظرِ
يهيج الخيالُ بها والفكرُ
وتنشقنا من نسيم السحرِ
ونلنا من اللهو أقصى وطرُ
ويا جندسَ الليلِ لما انحسرُ
بطيب الزهورِ وبرد السحرِ

امرأة تُكلم بعلها

إنَّ الجمالَ جمالُ الله والناسِ
تموت داءً ولا يدنو لها الآسي
وكلُّ خطرةٍ فكرٌ رجعٍ وسواسِ
فهل يُشايِعُ رأيي رأيك القاسي
جمٌّ ورفقٌ وإعزازٌ وإيناسِ
أم كلُّ طبعك حلوُ الطعم للحاسي
أعزُّ عندي من العينين والراسِ
فليس يعرف فيه غير أرجاسِ
دعم الودادِ بأطنابٍ وآساسِ
جمٌّ وآمالكُم في الحبِّ كالياسِ!

ليس الجمالُ عقارًا أنت مالِكُهُ
تعدتني سلعةً في ملكها أربُّ
في كلِّ لحظٍ عطيلٌ ثارٌ ثائره
وتحسب البعلَ مولىً زوجه سفهاً
وحاجةُ النفسِ في ندى أخي كرمِ
هل كلُّ قولك حقٌّ لا ارتيابَ به
أم أنت عندي كما تهواه من خطلِ
لا يطعم البعلَ منكم حبَّ زوجته
لا يصحب البعلَ منكم روحَ زوجته
فصار رأيكم في العيشِ ذا عوجِ

الحسنة الغادرة

فدعي النفاقَ عزيزةَ التنويلِ
ومنازعي فهجرتِ هجر مَلولِ
لك رائدًا والحسنُ خيرٌ دليلِ
سرَّ الهوى ولواعجِ المخذولِ
أو خلعةً أبدلتها ببديلِ
إنَّ المقيمَ لديك خيرٌ خليلِ!
من دائه والغدرُ غيرُ كفيلِ!

يأسي إليك أحبُّ من تأميلي
أدنيتني حتى ملكتِ مسالكي
وجعلتِ حسنًا فيك نحو نفوسنا
فأضاءَ بين ضلوعنا لك ضوءه
ولبست أهل الحبِّ حلية ساعة
فإذا نأى لك عاشقٌ أنسىته
وحسبتِ غدرك كافلًا بشفائه

النعمان ويوم بؤسه (قصة)

كان للنعمان نديمان فماتا. فحزن عليهما حزناً شديداً، ودفنهما في قبر واحد. وجعل يوم موتهما يوم نحس سمّاه يوم البؤس. فكان يخرج فيه إلى البادية فيأخذ أولاً من يمر به من الناس فيذبحه على قبرهما ضحية لهما! فحدثت القصة الآتية في يوم من أيام بؤسه):

يرفّه عنه من جوّى غالَ غائلُهُ
على قَبْرِ ندمانيه تُدْمى مَقَاتِلُهُ
وكان رحيباً للعفاة فناؤُهُ
فيا ليته قد غاب عنه رجاؤُهُ
عزيرُ المَحْيَا ثابتُ الجأشِ مطرُقُ
على الشرِّ لا يلوّيه عنه الترفُّقُ:
وقد يدرك الإنسانُ ما فيه ضرُّهُ
عبوسٌ ويومُ البؤسِ قد طار شرُّهُ!
إلى أهله شوقاً وهاجَ وجيبُهُ:
وربَّ طلوبٍ يتقيه طليبُهُ
وجئتُك أبغي حاجةً من تفضّلِ
أودعُ أهلي قبل ساعةٍ مقتلي
حلالٌ لنا إن لم تعدْ أن نقيدهُ
ضمين غريب خشية أن يكيدهُ
له بين قوَادِ الأميرِ وصحبه
دليلاً على ما فيه من طيبِ قلبه
دعوتُك للجُلّي فهل أنت سامعُ؟
وأنت وَفِيّ لا محالةً راجعُ
وقد قرَبَ الميعادُ أو كادَ يذهبُ
عليه وحبُّ العيشِ للنفسِ أغلبُ
عليك جَنَّتْهَا فيك شيمَةُ أخرقِ

لقد خرج النعمانُ في يوم بؤسه
وقد كان آلى أن أولَ قادمٍ
رأى شاعرًا ينحوه في بعض سيره
يرجى لديه الخير والخير عازبُ
فجاءت به الحراسُ وهو مقيّدُ
فقال له النعمانُ قوله عازمُ
طلعتَ علينا طلعةً لك شرُّها
طلعتَ علينا والردى لك راصدُ
فقال له العافي وقد حنَّ قلبُهُ
هو الجدُّ بالإنسان غادٍ ورائحُ
تركتُ ورائي صبيةً وحليلةً
فإن لم يكن إلا الممات فخلني
فقال له النعمان: هل لك ضامنُ
أقم أنت نائي الدار لا غر بيننا
فقام غريبُ الدار ينشد ضامناً
إلى أن رأى شيخاً كأن بوجهه
فقال له: هل فيك للخير منزلُ
فقال له: اذهب إنني لك ضامنُ
مضى ما مضى حتى إذا آن عودُهُ
وجاءوا بذاك الشيخ والسيفُ مصلتُ
وقال له النعمان: هذي جناية

صَمَنْتَ غَرِيبَ الدَّارِ لَمْ تَبَلُ صِدْقَهُ
رَأَوْا فَارِسًا يَعْدُو كَأَنَّ وَرَاءَهُ
فَلَمَّا أَتَاهُمْ قَالَ: أَيْنَ ضَمِينُكُمْ
فِيإِنَّ أَتَيْتِ السَّيْلَ عَاقَ مَطِيئَتِي
فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ: لَا تَخْشَ بِأَسْنَا
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ لَهُ
وَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَوَافٍ بَعْدَهُ
أَلَا عَلَّلَانِي يَا خَلِيلِي أَنْتَمَا
فَقَدْ صرْتُ لَا أَخْشَى مِنَ الْبُؤْسِ عَوْدَةَ
فَأَوْقَعَكَ الْمَقْدَارُ فِي شَرِّ مَزَلِقٍ!
مَمَاتُ يَرْجَى إِنَّهُ غَيْرُ سَابِقِهِ
لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنَّنِي غَيْرُ لَاحِقِهِ
وَلَوْلَا أَتَيْتِ السَّيْلَ مَا عَاقَ عَائِقُ
فَأَنْتَ أَمِينُ أَبِيضِ الْوَدِّ صَادِقُ
عَلَى نَفْسِهِ مِنْهَا رَقِيبٌ يَعِينُهُ!
أَحَقُّ بِإِجْلَالِ الْفَتَى أَمْ ضَمِينُهُ؟
عَلَى الْعَيْشِ بِالْإِحْسَانِ وَالصِّدْقِ وَالنَّدَى
إِلَى أَنْ يَتِيحَ الدَّهْرُ لِي عَادِي الرَّدَى!

اليأس داء والأمل داء

(يدفع العيش الإنسان إلى الأمل فلا ينفعه الأمل. ويدفعه إلى اليأس فيأس فلا ينفعه اليأس. ويرى في اليأس أملاً وفي الأمل يأساً. ويرى الأمل يزجي إلى اليأس؛ واليأس يزجي إلى الأمل؛ فيعلم أن اليأس داء والأمل داء.)

كَلِمَا أَضْمَرْتُ حَبًّا لِحَبِيبٍ
فِي ضِيَاءِ الْحَسَنِ وَعَدُّ كَاذِبٍ
قَالَ دَاعِي الْهَمِّ قَوْلًا صَادِقًا
عَجَبًا لِلدَّهْرِ فِي أَحْكَامِهِ
عَجَبًا لَيْسَ يُرَوِّي غَلَّةً
خُلِقَ الْإِنْسَانُ كِي يَشْقَى بِمَا
وَلَوْ أَنَّ الْيَأْسَ بُرَّةٌ لِلجَوَى
مَا أَتِيحَ الْيَأْسُ إِلَّا شَقْوَةٌ
صَاحِحٍ إِنْ الْعَيْشَ خَلَقَ كَاذِبٌ
نَحْنُ نَهَوَاهُ وَنَقَلَى حِكْمَهُ
كَذَّبَتْ أَخْلَاقَهُ ذَاكَ الْهَوَى
مِثْلَمَا أَوْمَضَ بَرَقٌ وَحَبَا
إِنَّمَا نَحْنُ عَبِيدٌ لِلْمَنَى
يَجْلِبُ النِّعْمَةَ فِي دَاعِي الْأَسَى
وَقَلَى وَالْعَيْشُ لَا يَخْشَى الْقَلَى
يَبْتَغِي فِي نَيْلِهِ بَرَّةَ الشَّقَا
لَمْ تَكُنْ فِيهِ دَوَاعٍ لِلجَوَى
إِنَّمَا الْيَأْسُ سَبِيلٌ لِلْمَنَى
خَلَقَ اللَّخْنَاءَ مَمْرُورَ الْجَنَى
فَكَأَنَّ الْحَبَّ صَنُوًّا لِلْقَلَى!

ضوء القمر على القبور

(إذا رأى الإنسان ضوء القمر على الزهور، خشع من جلالته ذلك المنظر. ولكنه إذا رأى ضوء القمر على القبور، امتلكه الفزع من قسوة ذلك المنظر الذي يحكي له فناء الجمال في الموت، وفناء الموت في الجمال.)

إني رأيتُ بياضَ ضوءك موهناً
ففزعتُ من ذلك البياض كأنه
ولربما كره الفتى صُورَ الردى
ولقد رأيتك والقبور كأنها
نظر البريء إلى القتل مجندلاً
ولقد رأيت على الهلالِ سامةً
فكأنه الحسناء يطرقها الردى
طوراً يريك الموت في لحظاته
ويبيت طوراً في الرياض يعلها
فوق القبور كعارضٍ يتهللُ
لون المشيبِ على الذوائبِ يثقلُ
وهو الجريءُ على الحمامِ المقبلُ
أشباح ساكنة النواظر مُثَّلُ
والروعُ في أنفاسه يتعجلُ
سأم يعالج مثله المتأملُ
فتبيتُ تذوي في الفراشِ وتذبلُ
حتى كأنَّ الحسنَ داء معضلُ
مما يريق على الفضاءِ وينهلُ

الندامة

(الندامة إذا لم تطرق المرء على سيئ فعله، أغشاه الغي موارد الآثام، وأرهقه مرادها. وإذا طرقت، طرقتة إما بالعزم والنشاط، وإما بالهم الذي يخلص العزم والنشاط.)

ندمنا وقد تمحو الندامة ما مضى
وتودي بعزم صادق ذي عرامة
وتغري هموماً جمّةً بفؤاده
وقد يخلص الهمُّ الشجاعة والحجى
إذا لم تناصرنا عدا الغيِّ عدوةً
وإن هي آتتنا خشيناً صيالها
فطوراً تردُّ المرء عن نهج عزمه
ولكنها قد توّس المرء في الباقي
وتنحى على بالٍ السليم بإقلاقٍ
ومن لك من رقُّ الهموم بمعتاقٍ
وينبذ لب المرء ليس له واقى
فترهقنا الآثام أعظم إرهاقٍ
بخطبٍ رهيف النابٍ ليس له راقى
وتدفعه طوراً إليه بإعناقٍ

ثغري

ومجيري من الزمان المغيرِ
نو شفيقٌ على الوليدِ الصغيرِ
زَهْرٍ شَادٍ أذُوتُهُ نارُ الهجيرِ
مثل مصِّ الظمآنِ ماء الغديرِ
عل فينا فَعَلَ الدلالِ الغريرِ
الذي أحدثت بنات الدهورِ
بَ وخمرَ الهوى وخمرَ السرورِ
شَفُّ محضُ اللبانِ من ثدي ظيرِ

رُبَّ ثَغْرٍ قد كان مرتادَ ثغري
كان يحنو ثغري عليه كما يحو
نائماً فوقه كما نام فوق الـ
ولقد أرشف الرضابَ بشدو
قَبْلُ كالدلالِ من رَقَّةِ تَفْـ
أخرس الهجرُ صوتها لا رعى الله
كم جنينا من صوتها النغمَ العذُّ
ورشفنا فيها الحياةَ كما يُرُ

ابتسامات

ويجلو ظلامَ الهمِّ واليأسِ من صدري
كما ضاءَ وَجَهُ البدرِ في صفحة البحرِ
وميضُ ابتسامٍ فَعَلُهُ صادقُ السُّحرِ
يهيج صداها في الجوانحِ والصدرِ
يغرِّدُ في روضِ من الحبِّ والشعرِ
غذاء كلحظ الشمسِ للزهرِ والبذرِ
كذاك شعاع الشمسِ يزخر بالذرِّ
نوازل فيه كالكواعبِ في النهرِ!

وميضُ ابتساماتٍ يضيء جوانحي
إذا ابتسمت ضاءً بعيني ابتسامها
يكادُ يضيء الغيب في مستقره
وأسمعُ في نفسي أغاريدَ جمَّة
كأنَّ بها من صادق الطيرِ شادياً
وإنِّي لكالبذرِ الدفينِ ولحظها
ويوقظ آمالي ضياءً ابتسامها
شعاعُ ابتسامٍ كالغديرِ خواطري

عتابُ أم دلال

قلتُ: أنى يكون وجهُ شكاة؟
عُ على مَنْ تُجِبُّه بالمماتِ
والمنايا روادئُ للحياة؟

لامَ إنِّي ناديتُه يا حياتي!
قال: لو كنتِ صادقَ الحبِّ لم تَدُ
من ينادي حبيبَه بحياةٍ

نَفْسٌ أَبْقَى عَلَى نَعِيقِ النِّعَاةِ
سِ فَنَفْسِي كَثِيرَةُ الْعَثَرَاتِ
ه وَنَفْسِي مُسَوِّدَةُ الصَّفَحَاتِ!
اِقْتَسَامٌ لَزَلِيَةً أَوْ هِنَاةً
وَاقْتَسَامٌ يَكُونُ فِي الْحَسَنَاتِ!

نَادِيَنِي - لَوْ أَرَدْتَ - يَا نَفْسُ! إِنَّ الْ
قَلْتَ: إِنِّي أَخَافُ أَدْعُوكَ بِالنَّفْسِ
لَكَ نَفْسٌ بِيضَاءُ خَالِصَةُ الْوَجْهِ
قَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِكَ فِي الْحُبِّ
فَاقْتَسَامٌ يَكُونُ فِي سَيِّئَاتِ

الحسن والآمال النبيلة

هَذَا الْأَمَانِي صَنَاعُ أَصْنَامِ
فِي يَقِظَةِ الْحُبِّ بَابُ أَحْلَامِي
وَرُبُّ حَسَنِ رَهِينِ أَجْسَامِ
وَتَعْدَمُ الشَّرَّ أَيْ إِعْدَامِ
فِيهَا وَلَوْمْ جَمٌّ وَأَوْغَامِ
لِلْحَسَنِ وَالْحَسَنِ نَهْلَةُ الظَّامِي
حَسَنُ نَفْوِسٍ وَحَسَنُ أَفْهَامِ
خَالِي شَجِيئًا ضَمِينُ أَلَامِ
جَمٌّ وَتَرْضِي فَوَادِي الدَّامِي
قَصُوبِي بَعْزَمِ تَبَّتِ وَإِقْدَامِ
وَيُعْظَمُ الْحَسَنُ أَيْ إِعْظَامِ
حَسَنُ طِبَاعِ، أَوْ حَسَنُ أَجْسَامِ
أَوْ حَسَنُ فَعْلٍ خِلا مِنْ الذَّامِ

يَا لَيْتَنِي لَوْ تَكُونُ مَجْدِيَّةً
أَعْطِي لَأَمَالِي الَّتِي طَرَقَتْ
جَسْمَ رِخَامٍ يَصُونُهَا أَبَدًا
أَمَالُ تُنْسِي الْفَتَى شَقَاوَتَهُ
تَعْلُو بِنَفْسِ الْمَحَبِّ عَنْ دَنِسِ
وَصِحَّةِ النَّفْسِ صِحَّةُ أَبَدًا
إِلَى جِلَالِ لِلْعَيْشِ يَظْهَرُهُ
أُصُورِ الْحُبِّ دَمِيَّةً تَذُرُّ الْ
حَسَنَاءُ تَغْرِي الْوَقُورَ بِالْمَرْحِ الْ
وَمَنْ سَمَتْ نَفْسُهُ لِغَايَتِهَا الْ
يُكْرِمُ الْحُبَّ كُلَّ تَكْرِمَةٍ
فَالْحَسَنُ أَنْوَاعُهُ سَوَاسِيَّةٌ
أَوْ حَسَنُ رَأْيٍ، أَوْ حَسَنُ مَأْثَرَةٍ

شرب الخمر والحبيب

مَشْمُولَةٌ فِي الدَّنِّ ذَاتِ ضِيَاءِ
فَتَزِيدُهَا مِنْ رِقَةٍ وَصَفَاءِ
لِي شَرْبَةً بِلِبَاقَةٍ وَحِيَاءِ

يَا لَيْتَ أَنْكَ تَسْتَحِمُ بِخَمْرَةٍ
فَتَرِيقُ فَوْقَ مَحَاسِنِكَ كَأَسْهَاءِ
وَتَعِيدُهَا فِي دَنِّهَا وَتَصْبُهَا

وتبلُّ حرَّ لواعجي وظمائي
ظماً الجريحِ إلى شرابِ الماءِ!

فتلذُّ لي فيها محاسنُ جمّة
فلشدُّ ما ظمئتُ إليك جوانحي

أمل فريضة

أملُ المخضَّبُ بالدمِ؟
ء وينثنى لم يكلم
ة بوجهها المتجهم
ه الأغيذ المتبسّم
ن بحسرةٍ وتندم
من آجلٍ ومقدّم

هل ينفعني ذلك الـ
يدحو شقاء الأبريا
أمل يرى ظلم الحيا
فيعيده طلقاً كوج
أمل يطلُّ على السني
ويرى الحياة فريضة

صوت الموتى

خريز المياه الجارية على الصلدا!
وطوراً كأصداء الطبول على بُعد
رمتها صروف الدهر في الولد الفرد
ويعوي عواء الذئب في المهمم القفر
صراخ العباب الغمر في لجج البحر
وطوراً له صوت كحشرجة الصدر

ألا إن للأموات صوتاً كأنه
ويحكي خفيف الغصن في لين وقعه
ويُعمل أحياناً كإعوال ثاكل
يئن أنين الريح عند خفوتها
ويصرخ أحياناً فيحكي صراخه
يئن أنين الليل إن هدا الورى

الحجاب

ويرى أين هواه من هواها
يُترجى عرضها قبل شراها!
يافع أبدت له الدنيا صباها؟

أطلقوا عن عرسه حتى يراها
واحسبوها لو أردتم سلعة
كيف يهوى غادة لم يرها

إِنَّمَا الأرواحُ شَتَّى فاسلكوا
رُبَّ حَسَناءِ إِذا كَشَفْتها
لَنَبَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَبصرت
رُبَّ رِيانِ الصبا غَضَّ الهوى
فدعوا الحسَناءَ تبدي لَكُمْ
كل رُوحٍ حيث لا تذوي منهاها
عن أُمورٍ كان يَنميها خفاها
ودهى نَفْسُكَ ما أَصمى عماها
مضمِرٌ في نَفْسِهِ ملءَ دهاها
منه طَبَعًا غابَ عن عَينِ سواها!

الموت والتخيُّلُ أو أحلام الأحياء بالموت

تسائلني عن الموتى، وإني
ولو بطلَ التَساؤُلُ ما رضينا
وأحوالِ كَأرأى السكارى
ولو بطلَ التَخَيُّلُ ما رَضِينا
خيالٍ يَطْبِي الأهواءَ منا
وكم في الشعرِ من حلمٍ لذيذٍ
فزهَرُ الرُوضِ أو زهرِ النجومِ
نُزِينُ به المماتِ وقد خَلَوْنَا
وكان العدلُ أن نرضى بموتِ
أليس الكونُ أكبرَ منك شأنًا
خذ الموتَ المحلَّى بالأمانى
ودع لي ميتةً لا حلم فيها
ولكنَّ التَخَيُّلَ ماءً رِيٌّ

ربيبُ الموتِ في هذا الأنامِ!
بعيشٍ مثلِ أحلامِ النيامِ
إِذا دَبَّتْ بهم خُدَعُ المدامِ
بما يلقى المغيَّبِ في الرجامِ
كبرقِ لآخِ في وجهِ الظلامِ
يعين على حياةٍ أو حمامِ
ووجهُ البدرِ في سَجفِ الغمامِ
به في العيشِ أيامَ الغرامِ
فلا طيفٌ يساعِدُ باللمامِ
وأولى بالمقاديرِ والنظامِ؟!
وبالأحلامِ تطرق في الظلامِ
فما أخشى وقد هدأت عظامي
حلالٌ أن أبلَّ به أوامي!

شاعر في الغربة

كنتُ مثلَ الغريدِ جيئاً به من
حيث وجهُ النهارِ جَذلانِ بسًا
دواعٍ إلى الغناءِ كَثارِ
روضِهِ والزمانُ غيرُ نَميمِ
مُ، ووجهُ الظلامِ غيرُ بهيمِ
من حبيبٍ وموطنٍ وحميمِ

أَنْزَلُوهُ فِي مَنْزِلٍ مِثْلَ بَطْنِ الْ-
عَاشِ بِيكِي أَيَامِهِ حَيْثُ صَفُو الْ-
فَقَضَى عَيْشَهُ غَرِيبًا عَنِ الْأَهْلِ
إِنْ أَكُنْ عَائِشًا فَعَيْشُ عَلِيلٍ الْ-
الهُوَى وَالْحَيَاةَ وَالْيَأْسَ وَالْحُزْنَ
أَرْضِ جَهْمِ السَّمَاءِ جَهْمِ الْأَدِيمِ
عَيْشِ سَهْلِ الْجَنَابِ سَهْلِ النَّسِيمِ
لِ قَلِيلِ الْعِزَاءِ جَمِّ الْهَمُومِ
نَفْسِ يَذُوبِ مِثْلَ الرَّجَاءِ الْعَقِيمِ
نُ وَرَيْبٍ مِنَ الزَّمَانِ خُصُومِي

حنينٌ غريبٌ

أَبْعُ فِي مِصْرَ أَمْرًا بِالتَّأْسِي
خَذَلْتَنِي فَقَمْتُ أَنْشِدُ حَظِّي
أَنْشِقُونِي نِسَائِمَ النَّيْلِ إِنْ
مَنْ مُعِينِي عَلَى خَوَاطِرِ إِمَا
حَيْثُ وَجْهَ النَّهَارِ يَضْحَكُ بِالبِشْ
أَنَا فِي بَلَدَةٍ يَمُرُّ بِهَا الدَّهْ
فَهِيَ مِثْلُ السَّجَنِ الْعَبُوسِ نَهَارًا
لِبَسْتِ فَوْقَنَا السَّمَاءَ حَدَادًا
وَتَمَهَّلْ وَانظُرْ أَمَاكِنَ أَنْسِي
فِي سِوَاهَا فَكَانَ مَوْرِدَ نَحْسِي
لَعَلِيلٌ وَالنَّيْلُ حَاجَةٌ نَفْسِي!
طَرَقْتَنِي أَغْرَتِ هَوَايَ بِأَمْسِي
رِ فَيُرْوِي ظَمَاءَ زَهْرٍ وَغَرَسِ
رُ حَزِينًا لَا يَسْتَضِيءُ بِشَمْسِ
قَدْ رَمَتْنِي فِيهَا الْخُطُوبُ بِيَأْسِ!
فَكَانَ السَّمَاءَ قَبَّةً رَمْسِ!

كأسٌ خمر

اسْقِنِيهَا فَإِنَّنِي غَيْرُ صَاحِي
مَا عَلَى مَنْ دَهَاةٍ مِنْ حَادِثِ الدَّهْ
عَذْلٌ رَاشَهُ الْعَذُولُ سَفَاهًا
أَنَا ظَمَانٌ لَيْسَ يُعَوِّزُنِي الْمَا
فَاسْقِنِيهَا عَلَى وَجُوهِ مَلَاكِ
لَيْسَ شَأْنُ السَّلِيمِ كَالْمَلْتَاكِ!
رِ عَظِيمٌ إِذَا انْتَشَى مِنْ جُنَاحِ
هَلْ يَلُومُ الْعَلِيلَ غَيْرَ الصَّحَاكِ؟
ءُ وَلَكِنْ رَقِيقَةَ الْأَقْدَاكِ
لَهْفِ نَفْسِي عَلَى الْوَجُوهِ الْمَلَاكِ!

الزوجة المهجورة تعالج السُّحر

هرمَ اليومُ فقومي أشعلي
قد نبشت اليومَ قبرًا غائرًا
فضعيه في اللظى واسعي إلي
أخبريه أنني هيمانةٌ
وخذي منه الرقى في حُفْيَةٍ
وأعينيه بما يطلبُهُ
في دجا الليلِ ضرامَ الساحرِ
جادني منه بعظمِ ناخِرِ
بيت هامن بقولٍ ماکرٍ!
لم يدع لي الحبُّ حزمَ الصابرِ
خفية تطفئُ لحظَّ الناظرِ
وسليه عن حبيبي الهاجرِ!

* * *

أيُّها الليلُ أفضُ من ظلمةٍ
لا يرى فيك رقيبٌ أدمعي
أيُّها النجمُ استمع شكوى التي
بليت منه بوجهٍ عابسٍ
بليت منه بقلبٍ فاركٍ
لو يكون الجوُّ نارًا والكرى
أشعلتُ من شوقه ما قد خبا
يا ولاة الشرِّ هبوا هبَّةً
أنا والسحر وأنتم والأذى
أنشبوها فيها نيابًا خُضِبَتْ
فعسى أن ينتني مستشفعًا
أنا أهواه وأقلاه معًا
إنَّما البغضُ أخو الحبِّ إذا
حسب نفسي منه وصلًا مانحًا
تشعل النارَ بجفنٍ ساهرٍ
وزفيرٍ غيرُ نجمٍ زاهرٍ
علقتُ وجهَ خليعٍ سادرٍ
بعد أن قيدتُ بجفنٍ ماطرٍ
بعد أن قيدت بلحظٍ فاترٍ
حرقًا تلفحُ وجهَ الجائرِ
وجرتُ منه بقلبٍ نافرٍ
وأعينوني بحلفِ ناصرٍ
نبتليه بالمدلِّ الفاجرِ
بدمٍ ينبع منه مائرٍ
بجوى بادٍ وجسمٍ ضامرٍ
شدُّ ما هاج بقلبي الحائرِ
ظفر الحبِّ بجدِّ عائرٍ
ظمئي رياءَ كربي الطائرِ!

الشاعر والزمن الحرب

أبيتُ منه على همٍّ وبلبالٍ
جزاءَ شعري إنَّ الجاهَ يسعى لي
عفتُ على أملٍ كالمنزلِ الخالي
مهدمٌ بين آثارٍ وأطلالٍ
إلاَّ عداوةَ حسادٍ وعذالٍ؟
فاربأً بنفسك واعقلها بأعمال!
خديعة المصحح الظمانِ بالآلِ
يجري بك النحسُ من ذلٍّ وإقلال!
عيش الجناةِ سقيم الوجه والحال!

أرمي بشعري في حلق الزمان ولا
لا أبتغي الجاه أسعى نحوه ضرعاً
قد ناهضتني خطوبٌ كلُّما عصفتُ
حتى كأنَّ فؤادي منزلٌ حربٌ
ماذا أفادت بناتُ الشعر قائلها
إنَّ الذكاءَ وإنَّ الشعرَ مهلكةٌ
لولا لذاذة قول الشعرِ ما خدعتُ
فأرفق بنفسك أن تُدعى الأديبَ وأن
إنَّا لفي زمنٍ عيش الأديب به

الحب والحجاب

ككلة السحبِ بين النجمِ والبصرِ
مثل اتصال فتاةِ السنِّ والوطيرِ
بالحبِّ مثل انتعاشِ الزهرِ بالمطرِ
مثل ائتلافِ صروفِ الدهرِ والقدرِ
فخلدينا بلحظٍ ربةِ الخمرِ
وكيف يسعدُ من يحيا على غررٍ؟
وأسعدينا بحسنِ ساطعِ الغررِ
والحبُّ أشرفُ من يلحى على نُكرِ
وإنَّما الوزرُ غدرٌ غير مغتفرِ
وحاجبِ الحبِّ عنا واسع الضررِ!

بينى وبينك سترٌ لا انكشاف له
لا فرَّقَ الله قلبينِ اتصالهما
لا فرَّقَ الله جسمينِ انتعاشهما
لا فرَّقَ الله رُوحينِ ائتلافهما
في مقلتيك معاني الخلدِ باديةٌ
وأيقظينا ففي العاداتِ مُخملة
وهذَّبينا بلحظٍ كلُّه جذلٌ
فالحسنُ أعظمُ من يلحى على دنسِ
الله يعلمُ أنَّ الحبَّ مكرمةٌ
وسنةِ الله لا تجري بندي ضررِ

قبلة الزوجة الخائنة

قد قَبَّلْتَنِي قَبْلَةَ مُرَّةٍ
تحسب أنني راتعُ غافلُ
ماءٌ من الحسنِ روينا به
تنهش جاهًا لم يكن نهزةً
ولو درت أن على رأسها
لولا وميضُ الرأي يقتادني
جللتها بالسيفِ أمحو به الـ
بيني فقد بانَت بما قد جَنَّتْ

كأنها من حمةِ العقربِ
ألدُّ ما تدينه من مأربِ
عاد كوعِدِ البارِقِ الخُلبِ
لشاحذ الأنيابِ والمخلبِ
سيقًا من الغدرة لم تلعبِ
يعيذني من سفهِ المغضبِ
ذَنَّبَ بذنبِ رائِعٍ معجبِ
غوادِر ما كُنَّ من مطلبي!

خطأ الحرِّ وإصابة العبد

إذا ما أصابَ العبدُ في بعضِ فعلِهِ
وإن أخطأ الحرُّ الأبيُّ فإنه
فلا تحسد العبدانَ مجدًا مؤثلاً
وهل يرفع الإنسانَ فضلُ أصابه
فيا ربِّ مجدٍ في الإباءِ مشيِّدٍ

فما الفضلُ إلا للذي هو أمرُهُ
لأفضلُ من عبدٍ تهون مصادرُهُ
بناه لهم ربُّ طغاةٍ أوامرُهُ
إذا كان يزجيه إلى الفضلِ زاجرُهُ
وإن لم تَبِنِ للصاغرينَ مأثرُهُ!

الحبُّ والكبرُ

هي والكبرُ والوقارُ رقيبَا
نسبُ بانحٍ ومجدٌ قديمٌ
أبعدتها عمن تحبُّ فأخفتُ
فلها نظرةٌ من الحبِّ سكرى
يا ابنة الفاخرين بالجاهِ والما
إن مجدي في الحبِّ والصدقِ لا يُفـ

ها تداني محبتها وهي تنأى
وثناءٌ جمٌّ وجُبِنٌ وتقوى
في صميمِ الفؤادِ ما ليس يخفى
ولها نظرةٌ من الكبرِ سكرى
لِ وقبرٍ فانٍ ومجدٍ تقضى
نى ومجدُ النفوسِ بالفخرِ أحرى

أنتِ تخشينَ أن يقالَ أحبَّتْ
هل يفيد الإباءُ والشممِ الجمُّ
أبعدَ الكبرِ دانياتِ الأمانى
ضربَ الدهرُ بيننا من طباعِ الـ
غبر سامى الأحسابِ منشا ومغزى
نفوسًا صرعى من الحبِّ نضوى
لهفِ نفسى على أمانى شتى
لسوءِ سترًا فنحن بالحبِّ نشقى
لنفوسٍ بالحبِّ تمنى فتحيا

ملل من الحياة

بيننا ألد نعيم العيش في دعة
كفى بنفسى داءً أننى رجلُ
أجنُّ بالعيش طورا ثم أبغضه
إننى ولعتُ بعيشِ كله خدع
ما من مجيرٍ على هذا المللِ سوى
لو كان لي حيلةٌ أفنى بها مللى
رمى بى الشكُّ بين السهدِ والمللِ
أخشى الحياةَ وأقلى سطوةَ الأجلِ
ما أضيعُ المرءَ بين اليأسِ والأملِ
كما برمتُ بعيشٍ غيرِ مقتبلِ
موت يبعُدُ بين النفسِ والعللِ
من الحياةِ لما قصرتُ في الحيلِ

نكر

ذكرُ كأنفاسِ المحبِّ
وكأنَّها نشرُ النسيبِ
وكأنَّها ورقُ الخريـ
وكأنَّها قبرُ الهوى
ولربِّ آمالٍ مَضَتْ
فكأننى قَبَلْتُ مِيـ
بعض الأمانى كالحيا
إذا تحرق أو تلدِّدُ
مِ إذا تصوَّبَ أو تصعَّدُ
فِ إذا تناثرَ أو تبيدُّ
وخميلاً الأملِ المجدِّدُ
عاودتُها والعودُ يُحمَدُ
تأ أو نظرتُ إليه يُلحدُ
ة إذا انقضتْ ليست تُجدِّدُ

رثاء عصفور

حُلَّتْ مِيثًا بَيْنَ الرَّبِيعِ وَبَيْنِي
بِالتَّدْلِي فِي أَيِّكَه وَالتَّغْنِي
عَرَّ أَنْ يَخْلِبَ الْقُلُوبَ بِلَحْنِ
وَعِنَاءٍ يَحْيِي الْهَوَى وَالتَّمْنِي
بِ وَلَا تَضْرَحُوا الضَّرِيحَ لِدَفْنِ
لِلَّذِي كَانَ حَلِيَّةً فَوْقَ غَصْنِ
مِنْ سَكُوتٍ وَالطَّيْرُ زَهْرٌ يَغْنِي

لَيْتَ أَنَّ الرَّبِيعَ إِذْ مِتُّ مَاتَا
كَنْتُ حَلِيًّا لِلرَّوِضِ وَالرَّوِضُ غَضٌّ
فَرَزْتُنَاكَ شَادِيًّا عِلْمَ الشَّا
نَغْمَاتُ مِثْلُ الرَّبِيعِ حِسَانُ
كَفَّنُوهُ بِالْغَضِّ مِنْ وَرَقِ الْوَرْدِ
وَحَفِيْفُ الْغُصُونِ أَرْوَعُ نَاعٍ
فَالْأَزَاهِيرُ كَالطَّيُورِ عَلَى الْغُصْبِ

في دفة قديمة ملقاة على شاطئ البحر

حَكَيْتْ عَزِيمَةَ الرَّجْلِ الضَّعِيفِ
يُؤَثِّرُ فِيهِ تَصْرِيفُ الصَّرُوفِ
كَفَعَلِ فَيْكَ لِلْيَمِّ الْمَخُوفِ
مَنْ غَايَاتِ الْوَسَائِلِ فِي الْحَتُوفِ
وَسَائِلُ لِلْقَضَاءِ وَاللِّصْرُوفِ
وَسَيَلْتُهُمْ إِلَى الْأَمْلِ الصَّدُوفِ

لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْكَ حَتَّى
تُصَرِّفُكَ الْأَكْفُ وَكُلُّ عِزْمٍ
وَلِلْأَهْوَاءِ فِي الْأَرَاءِ فَعَلٌّ
وَمَا هَجْرُوكَ مِنْ عِبْثٍ وَلَكِ
كَذَاكَ النَّاسُ مِثْلَكَ وَاللَّيَالِي
كَذَاكَ الْعَيْشُ عَيْشَ النَّاسِ طَرًّا

ذكرى على جفاء

وَمَا عِشْتُ حَتَّى الْآنَ إِلَّا بِذِكْرِكَ
فَمَا حَيْلَتِي إِنْ كَانَ قَلْبِي يَهْوَاكَ
نَدَلٌ بِشَوْقٍ فِي الْقُلُوبِ لِرُؤْيَاكَ
وَنَخْلَسُ حُسْنَ الْعَيْشِ مِنْ حُسْنِ مَرَاكَ
فَتَلْتَمِنِي خَدًّا وَتُلْتَمِنِي فَكَأ
مَأْرَبُ تَدْنِينَا إِذَا التَّيْهُ أَقْصَاكَ

نَسَانِي طَيْبُ الْعَيْشِ إِنْ كُنْتُ أَنْسَاكَ
رَأَيْتَكَ مَعْبُودَ الْجَمَالِ مُنْعَمًا
تَدَلُّ عَلَيْنَا بِالْجَمَالِ وَلَيْتَنَا
وَإِنَّا لَنَسْتَعْدِي الْوَصَالَ عَلَى الْجَفَا
مَتَى يَجْمَعُ النَّأْيُ الْمَشْتَّتُ شَمْلَنَا
لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَرَى فِي وَصَالِنَا

إلى صديق

أبراهيمُ قد طالَ اغترابي
 عليلُ النفسِ في بلدٍ غريبٍ
 عهدتُك مرةً تبغي إخائي
 أراك على اغترابي ذا ابتعادٍ
 فلولا منزلُ لك في فؤادي
 سلام الله لا أبغي جذاباً
 سلام ليس يُغني عن وداٍ
 إذا كان الحبيبُ على سلوٍ
 فهلاً كان عندك بعضُ ما بي؟
 يؤرِّقه التذكُّرُ والتصابي
 وأنت اليومَ توغلُ في اجتناي!
 وكنْتَ على اقترابي ذا اقترابٍ
 لأنَّسانيكَ هجرك وارتياي
 وهل يدنو المناذب بال جذابٍ؟
 ولا يعدي على غدرِ الصحابِ
 فلا يغني التودُّدُ بالعتابِ!

شكوى شاعر

قد طال نظمي للأشعار مقتدراً
 قد أولعوا بكبير السنِّ أو رجلٍ
 ولو سفلت إلى حيث القريض لقي
 ولو سفلت فقلت الشعر في خبر
 ولو سفلت فقلت الشعر مبتذلاً
 لقي: نغم لعمري أنت من رجلٍ
 وإنما الشعرُ تصويرٌ وتذكُّرةٌ
 وإنما الشعرُ مرآةٌ لغانيةٌ
 وإنما الشعرُ إحساسٌ بما حَفَقَتْ
 قالوا: أتيت بشعرٍ كلُّه بدعٌ
 من كلِّ معنى يروع الفهم طائلاً
 من كلِّ معنى كموج اليمِّ مطَّردٍ
 هذي المعاني تناجيهم فما لهمُ
 متى يتاح لهم شادٍ بما رقصتُ
 هل في أكابرهـم برءٌ لذي أدبٍ
 والقومُ في غفلة عني وعن شاني!
 بنى له الجاهُ ما يغلو به الباني
 بين الأثافي وربع المنزلِ الفاني
 من السياسةِ في زورٍ وبهتانٍ
 في وصفٍ مخترعٍ أو ذمٍّ أزمانٍ
 جمَّ المحاسنِ من صدقٍ وتبيانٍ!
 ومتعةٌ وخيالٌ غيرِ خوآنٍ
 هي الحياةُ فمن سوءٍ وإحسانٍ
 له القلوبُ كأقدارٍ وحدثانٍ
 فقلت: نغم لعمري قولُهُ الشاني!
 معنى من الجانِ في لفظٍ من الجانِ
 جمَّ الجلالِ فلولا الله أعياني
 لا ينصتون بأفهامٍ وأذهانٍ
 له القلوبُ وتحنانٍ كتحناني؟
 من كفَّ كلَّ جديبٍ الكفَّ منانٍ؟

عاطفة شوق

ضَ وقلبي إليك بالأشواق
ت حنينَ الغريبِ برءُ الفراقِ
وحنينٌ يريقُ ماءَ المآقي
نأً وكأسَ الشقاءِ غيرَ دهاقِ؟
كانَ ينفِي الأسيَ وجوهُ رفاقي
شُ وريقُ الغصونِ حلُو المذاقِ
مى به واعظُ بغيضِ الخلاقِ
وكلتُ بي لواعجِ المشتاقِ
غيرَ غرٍّ بسامِ وجهِ النفاقِ
أنكـرتُهُ مكارمُ الأخلاقِ
رُبَّ ذكرى تُعيدُ عهدَ التلاقي
ودَّ أن لا تضحَ بالإشفاقِ
وهنيئاً لك الليالي البواقي
ب ومجرى الضياءِ في الأحداقِ

أنا فوقَ الفراشِ لا أطعمُ الغمَّ
أشتكي ما جنى الفراقُ ويا لَبَّ
يا حليفَ النوى عليك سلامٌ
أين أيامي التي حسنتُ حينَ
لم تكن كلها نعيمًا ولكنْ
كنتُ في مصرَ أندبُ العيشَ والعيْدُ
فرمَنتني النوى بأوجع ما يُزُ
ونأتُ بي عن الأنيسِ صروفُ
لا صديقَ لديّ أشكو إليه
عالجِ الغدرَ والفسولةَ حتى
فاذكر البائسِ الغريبِ بخيرِ
وأعني بالدمعِ إنَّ بلاغَ الـ
وهنيئاً لك الليالي المواضي
أنت مني بمنزلِ الحبِّ في القلبِ

الحرية

تسبي القلوبَ بأكلِ وسانِ
في لِينِه غصنِ من الأغصانِ
وضعوا السيوفَ مواضعَ التيجانِ
كالذئبِ يعوي بادي الأسنانِ
زَارتُ لديك زئيرةَ الأضغانِ
حتى يضرِّجَ بالنجيعِ القاني
وقليلة الغفرانِ والنسيانِ
ومعالجِ الأضغانِ كالنشوانِ
نظرًا يسمُّ مجامعَ الأشجانِ

حسبوكِ صافيةَ الجبينِ خريدةً
بيضاء ناعمة كأنَّ قوامها
هلاً رأوكِ وأنت بين معاشرِ
ظمأى إلى الدمِ قدَّ أبحتِ حرامهُ
أوكُلما أدمى الذليلَ قيودهُ
لا يبلغ المقهورُ منك نصيبهُ
عجباً لقاسيةِ الفعالِ حبيبةً
سكرى من الدمِ قد أنام ضميرها
نظرتُ بعينِ الصلِّ حين وثوبها

تقسو كما يقسو القضاء وإنما
ولرب جرمٍ مَحُوهُ بجريمةٍ
موتُ الذليلِ وعيشه سيانٍ
ظلم الظلومِ وقتله جرمانٍ

نبوءة شاعر

لئن خانني الذكُّرُ الجليلُ وملني
سيزوي عظامي شاعرٌ بدموعه
إذا جنني الليلُ البهيمُ أطاف بي
يجيء مجيءَ النومِ من حيث لا أرى
فيا ساكناً في الغيبِ هذي نبوتي
أتيح لهم صادٌ إلى النهلةِ التي
فساموه أن يسعى على منهجِ عفا
مسامعُ قومي أو غلبتُ على أمري
وينثر أزهارَ الربيعِ على قبري
خيالاً له يزري على صفحةِ البدرِ
ويسمعني ما قد قرضتُ له شعري
فذكُّرُ بها القومَ الألى جهلوا قدري!
شربتُ بها رياءً يبيلُ جوى صدري
قديمًا كما يسعى المقيدُ في الأسرِ!

أنا والغيب

ليت لي نظرةٌ إلى الزمنِ الآ
فتريح الفؤادَ مما يعاني الـ
أو تميت النفوسَ بالنبأ الأعد
فهي بشرى محمودة أو نعي
كيف تعنو الأقدارُ للمرءِ والمر
ويح شمل الصحابِ لو كان صدقُ الـ
أيها الغيبُ كم رميتك بالظنِّ
أنا والغيبِ كالغلامِ إذا حا
ليس يغني وجيبه وبكاه

تي البعيدِ الخطأ الغريبِ الحالِ
طُرفُ من لؤمِ هذه الأحوالِ
ظلم إن الوجودَ نحسُ المآلِ
لمساعِ مآلها للنفواتِ
ء ستبلى أعماله كالرفاتِ؟
قولِ أن لا حياةً بعد الحياةِ!
فأبديت لي كوجه السحابِ
ول فتحةً لمغلقِ الأبوابِ
ليس تجدي ذريعةً المرتابِ!

ثورة النفس

يكاد لها جسمُ الفتى يتمزق
وحَتَّامُ آمالي لديدك تحرقُ
بأحبولة الصياد إذ ليس مهرَبُ
أما في هدوءِ الروض ملهى ومَطْلَبُ؟
وهل تحسبين ميِّتًا كلَّ هاجعٍ؟
ورُبَّ جلالٍ للعواصف رائع
وللبحر أمواجٌ تهيج فتحربُ
تثورُ فلا يقوى عليها المغلَبُ
إذا كان هذا اليمُّ يشقى ويألمُ
وما الجسمُ إلا ذلك اللحمُ والدمُ
ويا حُسَنَ ما تبغين من خيرٍ مَطْلَبُ
حُلِّي على جيدٍ من الدهر أجربُ
يضيءُ به منك الضياءُ المحجَّبُ
على ظلمةٍ للعيش والعيشُ غيهبُ
لأرقصها إن الحوادثُ تُطْرِبُ!
كما رَقَصَ المجنونُ يهذي ويلعبُ
تَعَلَّمَهَا المحزونُ من نشوةِ الأسي
تحقر آهات الأناشيد والهوى
فيودعه الأشجان قلب معدَّبُ
على الرعد إنَّ أَعْضَبَ كذا الرعدُ يغضبُ
غريق له صوتٌ من الماءِ خافتُ
ولكنَّه بين الحوادثِ صامتُ
وحالاته حتى يتاح لنا الردى
فنحن بنوها للتجلدِ والأسي
وكان وكنا في بطون الحواملِ
وما يائس فينا سوى صنو أملٍ

وللنفس في بعض الأحياء ثورةٌ
فيا نفسُ كم تبغين ما ليس حادثًا
هياجُ كما هاجت قطاةً تعلقتُ
أما في سكون الليل يا نفسُ واعظُ
فهل تحسبين نائمًا كلَّ ساكن
نَعَمَ إنَّ للشلال روغًا وهيبَةً
نَعَمَ للرياح الهوج هولٌ وقوةٌ
أغرَّك من هذي الطبيعة أنها
وما أحسب اليمَّ الخضمَّ بثائرٍ
وما القلبُ إلا لوعة تأكل الحشا
نعم أنتِ فيما تبغضين مصيبةٌ
ويا حُسَنَ ما تملي الخيالات إنها
تريدين أن الجسمُ يغدو كأنما
إذن لأراقت كلُّ نفسٍ ضياءها
سأبذل جهدي في تعلُّمِ رقصة
فيا نفس قومي فارقصي في جوانحي
فلا تعذلوني إنَّ لليأس رقصةٌ
وللنفس آهاتٌ من اليأس والجوى
فيا ليت أني في فم البرقِ كامنُ
ويا ليت أني مثل زوس مسيطرُ
ولكنني إما صرخت كصارخٍ
ورُبَّ بليغٍ راجحِ الرأي والحجى
نعم، نحن أبناء الزمانِ وصرفه
فإن تكن الحالات تأتي بترحةٍ
رضعنا من اليأس الصريحِ لبائنه
فما أمل فينا سوى صنو يائسٍ

وفي اليأس يأسٌ يبعث المرءَ بعثة
فلا تعذلونا دهركم غير دهرنا
أفي كل يومٍ يائسٌ بعد يائسٍ؟
وليس الملام وحده بدوائه
إلى الغاية القصوى من السعي والجد!
فإننا علقنا بالبعيد من المجد
لقد جال ذاك الداء كلَّ مجالٍ
فلا تطلبوا في العذل غيرَ محالٍ

فجر الشباب

إني لأذكرُ أيامًا لنا سلفت
فكان للفجر قلبٌ خافقٌ أبدًا
والضوءُ يرقصُ في الأنهار موقعه
وناضر ونجوم الفجرِ مائلة
وكلمتني الرياح الهوجُ في فمها
كما تذكَّر صوتَ اللجة الصدفُ
من الحياة ووجهه كله لطفُ
فقدته مائسٌ فيها ومنقصفُ
نحو الغروبِ كما يرنو لها الدنفُ
سرُّ الطبيعة مخبوءٌ ومنكشفُ!

الإيمان بالحياة

لي في الحياة اعتقادٌ لا فناء له
وإنما الكون قلبٌ لا سكون له
فالعينُ ظامئةٌ، والنفسُ ظامئةٌ
لا ترجمونا ببيأسٍ في مقالكم
أعظمُ الناسِ في الأوائِ كم صبروا
الكونُ يعلنه والفكرُ يوضح لي
حياته نبضاتُ الحادثِ الجليلِ
إلى محاسنِ من قولٍ ومن عملٍ
فاليأسُ أقبح ما يُنعى على الرجلِ
إنَّ العظيمَ عظيمُ السعي والأملِ

محبُّ يرد لحاظه

أردُّ لحاظي عنك وهي مشوقة
ولو كان لي عيشٌ رغيدٌ وحالة
لأقدمتُ إقدامَ الشجاعِ وكان لي
ولكنَّ لي حالاً أخافُ صيالها
إليك ولي دون الضلوعِ وجيبُ
تعيدُ كساءَ العمرِ وهو قشيبُ
إليك طموحُ طائرٍ وهبوبُ
عليك إذا صالت وأنت قريبُ

أحبك حبًّا لا يحبك مثله ذو رفقٍ عليك نجيبُ
فيا بؤس نفسي تضم الحبَّ بالمنى وقد علمت ما لي لديك نصيبُ!

العظيم في قومه

رأيتُ حياةَ الحرِّ في نفعِ قومه ولا خيرَ في كنزٍ إذا كان خافيًا
يغالِبُ ما يبليه في جمعِ أمرهم وإن كان فيهم شاحبَ اللونِ طاويا
وما نصب المصباحُ إلا لضوئه وإن كان في أحشائه الدهنُ فانيا
وليس الذي يحيا حياةً ذليلةً خليقًا بأن يُدعى على العيشِ باقيا
يفيض بيانا يقطر الحزمَ مأوؤه فتصغي إليه في العروقِ دمائيا
ويبري سهامًا من مقالِ قويمه مهذبة يرمي بهنَّ المراميا
يهدده الجبارُ بالضييمِ ضلَّةً وهل يستقاد الحرُّ ما دام آبيا؟
فلا تحسبن أن الرجاءَ مضلَّةً وهل خابَ ذو عزمٍ إذا كان راجيا؟

نحن إخوة

إنما نحن إخوة جعلتُنا نزعاً القلوبِ كالأضدادِ
إنما نحن إخوة تركتُنا وقعات الأقدارِ كالأحقادِ
إنما نحن إخوة جعلتُنا حمة البغضِ طعمةً للأعادي
نتمادي على القطيعةِ والهجـ برِ فماذا جنى علينا التماذي؟
قد أقمنا على التخاذلِ دهرًا فدهانا بسيله كلُّ وادي
وإذا كانت النفوسُ لنا فلماذا تفر في الأجسادِ!

لذة المحبوب والمحِبِّ

أتمنعون القلبَ من وجيبه
وتأمرون الرشأً الأغيَدَ أنْ
وزاجر الأغيَدِ عن عاشِقِه
ولذة المحبوبِ في محبِّه
وغفلةُ الفاتنِ عن لذاتِه
ما أنصف الأغيَدِ من يهواه إنْ
ماذا يُرَجِّي المرءُ من حياته
قد خلقَ الله الحسانَ سلوةً
وتزجرون الصبَّ عن نحيبه؟
يقسو على ولهانِ مستطيهِ
كزاجر المسعودِ عن نصيبهِ
ولذة المحبِّ في محبوبهِ
تزيد قلبَ الصبِّ من لهيبهِ
لم يُعْطِه من حسنه وطيبهِ
لو مُنِعَ العاشقُ من حبيبهِ؟
تشغل قلبَ المرءِ عن كرويه!

الشاعر وجمال الحياة

أيُّ هذا العذولِ في شهواتِ الـ
نحن كالنحلِ لا نجبُ من الزهـ
لا تلمُ شاعراً رأى العيشَ حلواً
هو مهما آتاه فيها نعيمٌ
عَيشٍ يدعو إلى حياةٍ عليه
ر سوى كلِّ غضةٍ مطلوله
فأَتِيحَتْ له الحياةُ جميله
لا يرى في الحياةِ كلَّ فضيله

في قبيح اسمه حسن

إذا وصفوا بالحُسنِ مثلكَ ضلَّةً
فما الحُسنُ في خلقٍ ولا في خليقةٍ
لقد كانت الداياتُ يَسْحَرُنَّ حينما
فكُنَّ كمن نادى من الزنجِ أسوداً
فمنَ ذا يُسمَّى قاتِلَ الوجهِ أخرقا
لديك وليس الحسنُ فيك تحلُّقا
وصفَنَ بحسنِ أظلمِ الوجهِ أحمقا!
فقال له يا أبيضَ الوجهِ مُشرقاً
وماذا عليه أن يشاءَ وتخلِّقا!

الكاذب

لا تَلْمُهُ في كذبةٍ بعد أخرى
لو سمعنا له مقالةً صدق
قم فَبِينْ للناس فلسفةَ الكِذِّ
وأَحَقُّ اللئامِ بالسخرِ غرٌّ
هو أهلٌ لَأَن يَكُونَ كذوبًا
لم يكن صدقُه إلينا حبيبًا!
بِ وناجز عدوُّه والرقيبًا
لا يرى حوله بصيرًا لبيبًا!
سَ وقَدَمًا كان اللئيمُ مريبًا!

كلمة مدح

شِيمٌ كأخلاقِ المسيحِ كريمةٌ
لَطَفَتْ كما لَطَفَ النسيمُ وأَحْكَمَتْ
وكأنَّها من رقةٍ وعدوبةٍ
تجلو عن النفسِ القطوبِ قطوبها
ومحاسنٌ لك غيرُ ذاتِ نضوبِ
أسبابُ ذاكِ الفضلِ والتهذيبِ
جرعاتِ ماءِ المنهلِ المشروبِ
وتزيحِ يأسِ اليائسِ المكروبِ
مطرٌ رقيقٌ السجمِ غيرُ صبيبِ
وكأنَّها قَطَعُ الرياضِ يعلها

العهد والخدر

كم تَحَتَّ مئزَّرِ ذاتِ الخِدرِ مِنْ دَنَسِ
إِنَّ الفضيلةَ لا يودي بها خُلُقُ
حَسَبُ الكريمِ إذا ما غابَ عن دنسِ
فقد تَخُونُ نواتُ البعلِ أَمَنَها
وفي ابتدالِ نواتِ العهرِ مِنْ حَفَرِ!
قضى به العيشُ في حالٍ من الغيرِ
أن لا يسبَّ نواتِ العهرِ بالنظرِ
وقد تَخُونُ الألى ظلوا على حَذَرِ!

العادات

كراكبِ ذاكَ البحرِ يُخشى زماجره
ليوشك أن تُطوى عليه زواجره
جريءٌ له رأيٌ على الشرِّ ناصره
سعى كرحاءِ الشرِّ دارت دوائرُه
يجوبُ ظلامَ الجهلِ والجهلُ أسرُه

ألا إنّما العاداتُ كالبحرِ، والفتى
إذا لم يكن ذا دريةٍ بأمره
كذاك ذوو العاداتِ غرٌّ وباحثٌ
فمنّ لم يميّزْ غنّها من ثمينها
يعيشُ كما عاش الكثيرُ من الورى

أم إسبرطية قتلت ابنها

فأعانَ الردى عليه المجير
وَ على عاره إليها حبيب
وهو في المهدِ أنه سيخور
مخ لم تَنزح عليه الغروب
مَعَ فيها خميسها المنصور
والذي يركبُ الحرامَ مريبُ
موتَ والموتُ حادثٌ مقدورُ
قَتَلَكَ العار لم يُصَبِّها معيبُ
رُ ولكنْ لها الجوى والزفيرُ

فرَّ يبغى من الحمامِ مجيرًا
بادرتهُ بحتفه أمه وهـ
ولو أنّ النذيرَ أوحى إليها
لَرَمَتْهُ بجانبِ الجبلِ الشا
إنِ إسبرطيةُ التي قَمَعَ الطا
جَعَلَتْ ذلكَ الفرارَ حرامًا
أيُّها الخائنُ الجبانُ خَشِيتَ الـ
إنِ أمًّا تُعزى لها قَتَلَتْ في
شَرُفَتْ ثم أَجْرَمَتْ فَلَكَ العا

مناجاة الحبيب

وفي شفيع من العينين هتانِ
وفي الفؤادِ الذي يحنو على الجاني
وراءِ مسترسلِ الهدبين وسنانِ
عزمِ الحسامِ صقيلاً غيرِ خوانِ
قبلِ اجتلاءِ أغنِّ الطرفِ جدلانِ

الله في نزعاتِ الواله العاني
وفي الوجيب الذي تشقى الضلوعُ به
وفي اللحاظ التي ناجت ضميرك من
يا نظرةً خلست منى على غرر
لو كنت أملك أن ترتد خاسئة

ولا الشباب الذي أذوته أشجاني
فكيف أبرئُ أشجانًا بأشجانِ
وتترك الدمع في آثارها قاني
فما لحُسْنِكَ لَمَّا طاب أظماني؟
يحنو على ضاحكِ اللألاءِ ريانِ
ما كلُّ حُسْنٍ بعفِّ الذيلِ فتَّانِ
رحب المرامي فيانَّ الذُكْرَ أدناني
وظلُّ عيشٍ من الإحسانِ فينانِ
وأنت كالحظِّ في مَنحٍ وحرمانِ
ماذا تركتِ لِلْحَظِّ الأثمَّ الجاني؟
ماذا تعالج من شوقي وتحناني
لعب النسيمِ بأزهارِ وأغصانِ
ويشعل الوجدَ في وصلِ وهجرانِ
من حسنه وجفاء الهجرِ يلحاني
وإن تدانى فسمح غير منانِ
أيَّ الجديدين من حسنِ وإحسانِ
ولا يشارِكُهُ في حسنه ثاني
فكيف يصدق ما غالى به ماني
طب بأدواءِ آمالِ وأحزانِ
إنَّ الدموعَ على الأحزانِ أعواني
في أغيدٍ بحياءِ الوجهِ غصَّانِ!

لما احتسبتُ فؤادي وهو منصدعُ
كانت شفاءً فعادت ملؤها شجنُ
وربَّ نكرى تهيج الشجوة عن عَرْضِ
إنَّ الجمالَ لماءً طاب موردهُ
فمن لذي شجنٍ بالكبرِ يكتمه
صُنُّ بالفضيلةِ حسنًا أنت زائنهُ
إنَّ كان حبُّك أقصى عنك لي أملاً
أنت النعيمُ وأنت السعدُ منعطفًا
وأنت كالدهرِ لا يُزْتَى لذي ضرعِ
يا مُرَجِيَّ اللحظِ من دلٍّ ومن خَفَرِ
أسائلُ النفسَ في أمرٍ يرادُ بها
ينأى ويدنو كما شاء الدلالُ له
فيأسر القلبَ في جدِّ وفي لعبِ
أهواه والحبُّ يدلي لي بمعذرةِ
فإن تنأى فما في هجره سرفُ
يتلو على القلبِ في دلٍّ وفي خَفَرِ
فلا يشاركني في لوعتي دنفِ
جاء الخيالُ مضيئًا في الدجى مرحًا
إنَّ الظلامَ على العشاقِ مؤتمنُ
أريق في الدمعِ ما يعيا الفؤاد به
والدمعُ أخونٌ من تُرَجَى معونتهُ

الكبر والمجد

وما الكبرُ إلا داءٌ من يتوقَّلُ
إلى المرءِ منها فهو نصلٌ ومقتلُ
تغلغل في أحشائه منه منصلُ

أهاب بباغي المجدِ كِبَرَ مضللِ
وما الكِبَرُ إلا ثغرة يلج الأذى
إذا ما رمى الرامي به جنة العدا

وما الكبر إلا صنو كل جريمة
فلما دعاه الكبر طاح به الهوى
يرود مراد الغي حتى إذا عنا
وما وإلغ هاب الرجال نيوبه
بأرغد عيشاً من كريم مواع
وداء نبا عنه المداوون مفضل
إلى حيث هاب العاقل المتأمل
له آخر الأهواء جد أول
يعل من الأهواء دهرًا وينهل
له من رجيح الرأي درع ومعقل!

إلى صديق

ليس الذي الهجران من هفواته
ألفيت عتبك يا مراد كأنه
فإذا ضربت به أصابك نضله
أصرفت عنا أم عرتك ملالة
اعذر أخاك إذا تقارب خطوه
ولأنت تعلم أنني ذو منطق
بيني وبينك يا مراد مسافة
إني يدكرنيك خفق أضالعي
فأخوك مثل أبي عبادة لم يجد

بمعاتبي يوماً على الهجران
سيف له حدان مسنونان
فمصيبتى كمصيبة المطعان
أم أسكتتكَ طوارق الحدثان؟
في الشعر أو أعيا علي بيان
يأتي السميع بأحسن التبيان
تنسي الملول أواصر الإخوان
إن الفؤاد لدائم التحنان
«قلبا يشايعه على الهجران»!

الزوجة الغادرة (قصة)

أى شيء يهفو بلبك عن وض
قائماً في النعيم مثل مقام
لا تعد لي زكر الغواني فإني
كل حسناء في لحاظي عظام
أى شيء أسمى صباك بسهم
استبق نهزة المجد إلى صف
كل خلو من الخطوب مبراً

ل الغواني وعيش أهل الجدود؟
طالب الري في جوار الغدير؟
لم أكن عند ذكرها بجليد
عاريات من البهائم المنير
فأراك الجديد غير جديد؟
و زمان فينان رغد نضير
ليس يدري مضاضة المكود

عِشْ بخَيْرٍ ولا يَضُرُّكَ يَأْسِي
 إِنَّ قَلْبِي من ذلك اليَأْسِ دَامِي
 وَأَمْوِي بِمَنْزِلِ الحَبِّ وَالوَدِّ
 إِنَّ يَأْسِي على الحِياةِ نَصِيرِي
 ودموعي أودى بها مجهودي
 ومأوى سِرِّي ونجوى ضميري

* * *

كُنْتُ في صحّةٍ من العيش دهرًا
 لاعِبًا بالنعيمِ لِعَبِّ نَسِيمِ الـ
 فَأَلَحَّتْ لِي الخُطوبُ لِحِينِي
 ولجّت في الصميمِ مني ونالَتْ
 فرأيتُ الحِياةَ بغيّةٍ من يهـ
 وتمادى بي الغرورُ فيا لهـ
 عَيَّنْتُ موعِدًا فبِتُّ أَناجِيـ
 فأزحتُ الرتاجَ أَنْظُرُ ضيفي
 فإذا طارقي أخي صِنُو نَفْسِي
 جاء يسعى سَعْيَ اللهيفِ ويهتِزُّ
 قالَ والدمعُ ملءُ عينيه واللحـ
 إِنَّ «أسماء» لا تحبُّكَ فاستقِّ
 هي رُوحِي التي أعيشُ بها وهـ
 وهي مأواي من مناهضة الدهـ
 قلت والدمعُ كاشفُ ما أُداريـ
 ووجيبُ الضلوعِ يدعو إلى الظنـ
 يا ابنَ أُمِّي ومن أُرْجِي له عيـ
 تلك «أسماء» أَقْبَلْتُ تتهادي
 إِنَّ حبي لكالرياحِ إذا ها
 فاستبينني «أسماء» رأيا رجيحًا
 واعلمي أنني خلصت خلوص الـ
 نافضًا عني الغرورَ كما يندُ
 فرمتني بلحظةٍ هي كالسُهـ

أتمنى زيادةَ المستزيدِ
 رَوْضِ يشدو في الروضِ شدو الخربِ
 بفتاةٍ كُبُغِيّةِ المستجيدِ
 ما يشاءُ الهوى بدلُ غريرِ
 هوى، وإنَّ الهوى قرينُ الخلودِ
 في على نشوةِ الهوى والغرورِ
 هـ إلى أن دعا نذيرُ الوفودِ
 وسروري من اللقاءِ سروري
 ونصيري على المنى وعقيدي
 اهتزازَ المحمومِ والمقرورِ
 طُ شريدٌ في إثرِ نَمعِ شريدِ
 بلُ بحزمِ فَوَاقِرِ المَقْدورِ
 سي سقائي الذي به زهُو عودي
 رٍ ومنجاي من رجامِ القبورِ
 هـ وصوتي صوتُ القوي الجليدِ
 بما تحتوي ضلوعُ الصدورِ
 شةً مستجمعِ الهوى مجدودِ
 في خمارٍ من حسنِها المستنيرِ
 جَتَ زمانًا فطيشها لركودِ
 وأعينني أخي بحبِّ طهورِ
 حُرٌّ من سرِّ حسنِكَ المعبودِ
 فض ليثٌ عنه هباءُ الضفورِ
 م إذا ما استوى بقلبِ المصيدِ

عُ على خدّها طرادَ المغيرِ:
سُوقِ تُشْرِى بَصْرَةَ من نقود!
ج من لا تقريه غير النفورِ؟
إِنَّ ذنبي ذنبُ اللئيمِ الحسودِ
وامتناعي على بنات الدهورِ؟
وشجّى أن أحبَّ غير ودودِ
ني عزمُ طب بداءِ الأمورِ
ه قليلاً بهزة الإقليدِ
مسترابِ الإقدام والتشميرِ
فُع صولاته برأى سديدِ
ونعمنا بيومه المشكورِ
م كرامٍ كجلفنا المعقودِ
طفلِ عينِ المولى لقطفِ الزهورِ
ش نغطّى بظله المدودِ
ووجه طلق الجمالِ جمَّ النورِ
رأ كريم المرأى نضيرِ العودِ
حيبُ في طيبه كنفحِ العبيرِ
ش نعيمًا ما إن له من مزيدِ
مستفزَّ الضحكاتِ جمَّ السرورِ
لى بقايا إلى مكاني تودي
تز من خوفه اهتزازَ الوكورِ
سيدي ما ترى بخطبٍ جديدِ
واب يا هؤل ما جرى في الخدورِ!
سُمُّ والضيفُ خلفها كالعقيدِ
وأبغى غفرانَ ربِّ غفورِ
ك فلم ينعقد له مجلودي
تَبَّقِ روعي معي وكن لي أميري!

ثم قالت والدمع يطرده الدم
تحسبان العروس مثل إماء ال
أى شيء يجني أخوك إذا زو
فدعاني أخي وقال: أقلني
أين كانت رجولتي وإبائي
سَفَهَا أن أرومَ غيرَ رغيبِ
قدك إنني راجعتُ حلمي ونادا
ثم أهوى إلى الرتاج فأجرا
ومضى يمتطي الطريق بعزمِ
فبقينا نُجْرِي العتابَ ونستد
وعقدنا عقدَ الزواجِ وثيقًا
ثمَّ جاءت من بعد ذلك أيا
فخلصنا نعيمها كاغتفال ال
بينما نحن في رواءٍ من العيدِ
جاءنا زائرًا أخي مستنير ال
ضاحكًا كالصباحِ ممتلئًا بش
فلقيناها بالبشاشة، والتز
وأفضنا عليه من كرم العيدِ
ورعيناه آمنًا مأمونًا
كنتُ يومًا أرقى من السُّلمِ الأع
فإنذا خادمٌ صغيرٌ أتى يه
ثم قال: استمع حديثي وانظر
قد تسمعتُ خلفَ بابٍ من الأب
ربة البيت في يديها سقاء ال
قالت: اهدأ دعني أدوف له السمَّ
قد أتاني هواك في غفلةٍ عن
أنت روعي التي أعيش بها فاس

ودهاني بهزة الرعيد
 ضلّ في منطق الغلام الصغير
 مع طنيناً من رعدة المزود
 مة مما قد هيأت في القدور
 بي وقامت تمر غير بعيد
 فوق ماء بكوبها منزور
 وشربنا برءاً من التصريد
 زوجي الرود نومة المقبور
 ودهاها من الردى بقيود
 رق في شملة الظلام سريري!

أي شيء هدّ الأضالع مني
 كلما رُمْتُ أن أقول مقالاً
 فولجت الأبواب ممتلئ السم
 نحن حول الخوان ننتظر الطع
 وهي قد أفرغت لي السم في كو
 ثم غافلتها وأفرغت كوبي
 ثم نلنا من الطعام بلاغاً
 ثم جاء اليوم الجديد فنامت
 فعَلَ السم فعله في حشاها
 كلما جنني الظلام أتت تط

كلمات النفس

ع لَجَّ به العاصفُ الثائرُ
 ع همَّ بها الهائجُ المائرُ
 يرجرجها طفلاً الجامحُ
 يميلُ به الثمرُ الصالحُ
 وإنَّ النفوسَ حياةٌ لها
 وربَّ جِسمٍ تُعنى بها
 سُ أجزاء من بعض أجزاءها
 وتحيا النفوسُ بأزيائها
 ولا يعرفُ المرءُ معنى الحياة
 لما جهلَ المرءُ سرَّ المماتِ
 ولا ضرَّه مثلُ موتِ الضميرِ
 كما يَحزُّ الشرُّ أهلَ القبورِ
 مبين لها عن وجودِ الإلهِ
 وهل يفقه الكونَ حيٌّ سواه؟

وطوراً أكونُ كبعض الهبا
 وطوراً أكونُ كذاتِ القلو
 وطوراً أكونُ كأرجوحة
 وطوراً أكونُ كغصنِ الجنى
 وإنَّ الجِسمَ غذاءُ النفوسِ
 وربَّ نفوسٍ تُعنى الجِسمِ
 وللكونِ روحٌ وهذي النفو
 يحللها الموتُ تحليله
 فيا عجباً كيف نرجو الحياة
 ولو عَرَفَ المرءُ معنى الحياة
 وما ساءه مثلُ وخزِ الضميرِ
 وقد يَحزُّ الشرُّ روحَ الغبي
 وجهلُ النفوسِ بكنهِ النفوسِ
 فهل يعرفُ الغيبَ حيٌّ سواه

عتاب

سَهَوْتُمْ كسهو الموتِ عَنَّا وَفِيكُمْ
أَحْبَابُنَا لَمْ يَنْقُضِ الدَّهْرُ مَرَّتِي
وَلَكِنْ أَمَالًا إِلَيْكُمْ نَوَازِعًا
هَنِيئًا لَكُمْ ذَاكَ التَّقَاطِعِ وَالْجَفَا
لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَثُوبَ ضَمِيرَكُمْ
حَبِيبٌ إِلَيْنَا مِثْلَهُ وَنَصِيرٌ
فَإِنِّي عَلَى رَيْبٍ الزَّمَانِ صَبُورٌ
دَهَّتْهَا أُمُورٌ مِنْكُمْ وَأُمُورٌ
فَكُلُّ حَبِيبٍ بِالْجَفَاءِ خَبِيرٌ
إِلَيْنَا وَكَلَّا لَا يَثُوبَ ضَمِيرٌ

المقاطيع

النفوس الضئيلة

أَدُورُ بَعِينِي لَا أَرَى غَيْرَ أَنْفِسِ
فَهُمْ يَمْدَحُونَ الْخَيْرَ مِنْ خَوْفِ سَامِعِ
ضئالِ المنى والسعي في ضعة القملِ
وَهُمْ يَهْجُرُونَ الشَّرَّ خَوْفًا مِنَ الْعَذْلِ

مصر مهد العلوم

كُنْتُ مَهْدَ الْعُلُومِ وَالذَّهْنَ طِفْلٌ
هَلْ يَعُودُ الزَّمَانُ بِالْعَزِّ وَالْمُلِّ
نَحْنُ نَرْجُو مِنَ الْحِظْوِظِ مَعِينًا
هَلْ فِعَالٌ تَجْلُو عَنِ الْهَمِّ الْعَجْ
كَمْ يَعِيدُ النَّصِيحُ نَصْحًا وَمَا يُو
كُنْتُ أُمَّ النِّعِيمِ وَهُوَ وَلِيدُ
كِ وَمَاضِي الْحَيَاةِ أَنَّى يَعُودُ؟
كَيْفَ تَحْنُو عَلَى الضَّعِيفِ الْجَدُودُ؟
رَأَيْ جَمِ السَّدَادِ حَمِيدُ
دِي بَضْعَفٍ فِي أَنْفِسٍ مَا يَعِيدُ!

عظم الشر وعظم الوجود

كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِمَّا يَرِيقُ الـ
كُلُّ غَدْرِ وَقَسْوَةٍ وَاحْتِيَالِ
كُلُّ شَرٍّ مَهْمَا تَعَاظَمَ، لَوْ قَبِـ
دَّمَعَ أَوْ يَسْتَمِيحُ شَجْوَةَ الرَّحِيمِ
وَاجْتِرَامِ وَلَوْعَةٍ وَهَمُومِ
سَ بِشَأْنِ الْوُجُودِ غَيْرِ عَظِيمِ

عِظْمٌ لِلْهَمُومِ غَطَى عَلَيْهِ عِظْمٌ لِلْحَيَاةِ غَيْرُ زَمِيمِ

الطبيعة

تَعَالَوْا بِنَا نُعْطِ الطَّبِيعَةَ حَقَّهَا من البتِّ والإجلالِ والصلواتِ
فقد زعموا أنَّ الحَيَاةَ رَزيئَةٌ إذا لم تُنَلِّ ساعاتها الحسَنَاتِ
وقد حَرَكْتَ تلكَ العَصافِيرُ شَجُونَا بوقعِ غنَاءٍ لِيَنَّ النغماتِ

نصير الظالم

غُلُّوا يَدَ الجَبَّارِ فِي غلوائِهِ فبِكُمْ يَصُولُ إذا أَرَادَ وَيَظْلِمُ
إِنَّ الَّذِي اتَّخَذَ الظُّلُومَ وَلِيَّهُ أَطغى إذا عَدَّ الطغاةَ وَأَظْلَمُ!

المتعصبون في الدين

يَتَهَارِشُونَ عَلَى العَقِيدَةِ ضَلَّةً فَعَلَ الكلابِ عَلَى خبيثِ المَطْعَمِ
إِنَّ العَقِيدَةَ فِي الضميرِ مَكَانُهَا لَيْسَتْ بِتَحريكِ اللسانِ وَلَا الفَمِ!

أسف على الأسف

كَمْ قَدْ أَسِفْتُ عَلَى الدنْيا وَباطْلِها فَمَا أَسِفْتُ عَلَى شَيْءٍ سِوَى الأَسْفِ!
وَكم سَخِرْتُ مِنَ الأَقْدَارِ فِي صِلْفِ فَمَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ سِوَى الصِّلْفِ!

سوار ومعصم

معصمٌ ناعمُ المجسِّ لطيفُ الـ
وكأنَّ السوارَ وكُلَّ بالمعـ
صُنِعَ يحكي لطفَ النسيمِ أصيلاً
صمَّ خوفاً عليه من أن يسيلاً!

للكاذب

قد عالَجَ الكِذْبَ حتى إنه رجلٌ
لو واقعَ الصدقَ يوماً عدّه خطأً
لو عالَجَ الصدقَ يرجو قوله خاباً!
منه فكان على حاله كذاباً!

ضحكة الفاتن

يشكو إليك القلبُ من لوعةٍ
وكلما أفصح عن شجوه
يا ضحكة الفاتنِ كوني جوى
لو ذُقْتَهَا كُنْتَ الغفورِ الرحيمُ
ضَحِكْتَ سخرًا ودلالاً قديمُ
في الكبدِ الحرَّى وشجواً أليمُ!

المال والحجى

لعمرك إنَّ المالَ حملٌ على الحجا
إذا هو لم يحمله آلمه الطوى
ولكنه حملُ الظعينِ المزودِ
وفي حملِهِ جهدُ المجدِّ المسهدِ!

أنين كائين الريح

رحم الله محبباً والهها
إنَّ مما نابهُ من هَجْرِكُمْ
أنا أهواك فهل ترحمني
لم يَجِدْ عن حبِّكُم وجهَ المآبِ
كائين الريحِ في الربعِ الخرابِ
إنَّما يرحم مذكوُ التصابي!

الحياء الكاذب

بعضُ الحياءِ هو الرياءُ وربما
لبسَ الحياءَ مخادعُ ومنافقُ
ينأى بمكذوب الحياءِ سفاهةً
عما يحث به الحياءُ الصادقُ!

سوء الظن

لا تعدُّ الظن رأياً صادقاً
يفتح الظن مغاليق الحمام
هو كالأخفش في ألحاظه
لا يرى الأشياء إلا في الظلام!

القدرة والرجاء

ومن شقوة الإنسان أن اقتداره
ضئيلٌ وما يرجو من العيشِ واسعُ
فلو كان ما يرجوه دون اقتداره
لهان عليه سؤله والمطامعُ

هائب الموت

متعلقٌ بالعيشِ يرجو صفوهُ
يخشى مجالدةَ الحوادثِ عزمه
كتعلقِ الطفلِ الرضيعِ بأمه
والخوفُ ينقضُ عقدةً من عزمه!

ربح وخسران

إذا بلغَ المرءُ الغنى كان خاسراً
فيربح حالاً لدنة الوجه غضة
بنيلِ الغنى قدرَ الذي هو كاسبهُ
ويخسر شيئاً خافياً عزَّ حاسبهُ!

دافع الشر بالظن

ومتَّقِ بالظنونِ الشرَّ يكلِّؤهُ
دهاهُ بالشرِّ ذاك الظنُّ من أممِ
ومنزلِ الظنِّ في صدقٍ وفي كذبٍ
كمطرحِ العينِ بينِ الفجرِ والظلمِ!

السعادة

إنَّ السعادةَ لم تَسَلَسْ لطالِبها
كربَّةِ الديرِ لا تحنو على رجلِ
كلتاها عفةُ الأديالِ طاهرةٌ
لكنَّ في المنعِ مزجاةٌ إلى الأملِ!

مالك كفاقد

أيا باكيًا يخشى زوالَ محبِّبٍ
من التلذُّ لا تُدنى إليه مسالكهُ
كأنَّك لا تبكي لخوفِ افتقادهِ
ولكنَّما تبكي لأنك مالكهُ

الإحسان

كما يضيئُ الإحسانُ في عالمِ الشرِّ
ضياءَ المصباحِ تحتِ الظلامِ
فيه برءٌ لكلِّ داءٍ ولو كا
ن عقامًا جمَّ الأذى والعرامِ

الود الصحيح

حببتك حبي للضميرِ إذا دعا
فؤادي إلى حبِّ الفضيلةِ والخيرِ
وإنِّي لأرجو في إخائك لذةً
كلذة أهلِ الرأيِ في حَسَنِ الفكرِ

هائب الحياة

لا يهابُ الحياةَ إلا جبانٌ
إن من لا يخشى الحياةَ خليقٌ
لم تُعْنَهُ على الحياةِ الجدودُ
أن يردَّ الخطوبَ وهو جليدٌ

رغبة في العيش

ولولا رجائي أن أقولَ مقالةً
لما كان لي في بسطةِ العمرِ رغبةً
تعودُ بخيرٍ أو تُعين على شرِّ
ولم أحمَدِ الأيامَ أن زيدَ في عمري

غناء يصم

سَمِعْنَا غناءً ما سمعناه رغبةً
تغنيَت حتى ماتت الأرضُ تحتنا
ولكن لأمرٍ في الحوادثِ مقدورِ!
كأنَّكَ إسرافيلُ ينفخُ في الصورِ!

إراقة العمر

لو كان عمري كأسَ خميرٍ في يدي
لأرقتَه طرباً ومن لي أن أرى
ورنَّت إليَّ بطرفِها الفتانِ!
لحظاً يروح بفضلةِ النشوانِ

اسم ممزق

إذا نَكَرَ اسمي حسودٌ لئيمٌ
أبي لي احتجازي وكِبْرٌ حميدٌ
ومزَّقَه بين أسنانهِ
هُجُوٌّ امرئٍ عبدٍ أضغانِه!

عتاب

ألا بعض هذا الذم إن كنت حازماً
لعلك يوماً أن تتوب إلى الرضا
فما الذمُّ مما قد كرهت بمانعي
فتعلم أنني بالرضا غير قانع!

سلوة في جمال الطبيعة

أليس يُسليكَ عمن صدُّهُ مللٌ
يروح كلُّ جليدٍ في تجلُّدِهِ
هذي الأزاهير أو تلك العصافيرُ؟
وأنت في كفنِ الأحزانِ مقبورٌ!

شفة

شفةٌ تحلَّت باللمى
غالى بها رغد النعيـ
فتبيتُ تحلم بالقُبَل!
مِ وفوقها هبط الأمل!

إله الرعد في خرافات الوثنية

رَبِّ البوارق تُزجِيها مشفَعَةٌ
أَنْزَلُ على الزرع ما نرجوه من ديم
إِنِّي لمحتك والأنواء داجيةٌ
فأنت كالناس في حلم وفي غضبٍ
بالرعدِ يضحك ضحك المرءِ من ألمٍ
واحبس عن الناس ما يُخشى من النقمِ
يُضيء لي فيك سرٌّ غير مكتنمِ
وأنت كالناس في بخلٍ وفي كرمِ

لذة الحب

حَرَمَ الناس لذة الحب جهلاً
جَهَلُوا أنه المعينُ على العيـ
متعةٌ للنفود والجسم فيه
وأقاموا العذال للعاشقين
شِ المزيجُ الأسي عن الفاقدينا
متعهُ العاشقين والفاقدينا

حجة المستجدي

شقيتم بإقبالِ النعيمِ وشقوتي
شرقتم بصفوِ العيشِ لو قد تبلَّتُ
بإدباره إِنَّ الشقاءَ فنونُ
لهاتي به كان الشقاءُ يهونُ

عتاب

نَعْمَنَا بِكُمْ حِينًا فَلَمَّا صَدَفْتُمْ
كَمَا أَفَلَّتْ مِنْ قَانِصِ الدَّرِّ دَرَّةٌ
تَكَلْنَاكُمْ تَكَلَّ الْفِتَاةِ رَضِيعَهَا
وَقَدْ أَمَنْتَ أَطْمَاعَهُ أَنْ يَضِيعَهَا

الكسل وصاحبه

يُحْجِمُ حَتَّى كَأَنَّمَا خَشِيْتُ
فَيَدْرِكُ الشَّيْءَ غَيْرُ طَالِبِهِ
وَرَاعَهُ أَنْ يَنَالَ مَا ضَمَّنَ أَلْ
يَوَدُّ أَنْ الْأَقْدَارَ تَسْعِدُهُ
يَحْسَبُ أَنَّ الْأَقْدَارَ مَا خُلِقَتْ
أَعْضَاؤُهُ أَنْ يَمُوتَ فِي غَدِهِ!
وَلَا يَنَالَ الْمَكْسُوبَ فِي يَدِهِ
مَسْعَى فَيَشْقَى بِقَوْلِ حَاسِدِهِ
فَيَغْتَدِي شَاكِرًا لِمَسْعِدِهِ
إِلَّا لِتَجْرِي بِنَسْجِ سَوْدِدِهِ

المجد والفخر

يطلب المجد كي يصح به العيـ
فإذا ما رآه خلوا من الفخـ
ش وقد يبتغيه للفخر باغي
ر طواه عنه القلى والتنائى!

الوسائل والغايات

إِنَّ الوسائلَ والغاياتَ ما اشتَبَهَتْ
فإنَّ مَنْ جَعَلَ الغاياتِ واسِطَةً
لم يَسْتَقِم سَعْيُهُ من حيثِ يَمَمُهُ
على امرئٍ فدواعي الطيشِ في العملِ
أو الوسائلِ غاياتٍ من الأملِ
وعاقَهُ جَهْلُهُ عن دقةِ الحِيلِ

العزيمة المضللة

لَعَزْمُ ذوي العزمِ المضلِّ بالِغٌ
ففي العزمِ إصمَاءٌ وفي السعيِ قِدْوَةٌ
فقد يخطئُ الإنسانُ ما هو طالبُ
من الحزمِ ما لا يبلغُ المتردِّدُ
ولو كان سعيًا شارداً ليس يُحْمَدُ
ويصمي من الأشياءِ ما ليس يقصدُ

سبر غور الرأي

من شاء أن يسبرَ آراءَهُ
فالرأيَ مَيِّتٌ والمعاني لَقَى
فليجعلِ الفعلَ لباسًا لها
إذا المساعي عِيفَ إصدارها

الخرافات

أولِعَ الناسُ بالخرافاتِ حتى
كُلَّمَا قِيلَ قد مضتْ أو شكَّتْ في
أسكنوها العقولَ حصناً حصيناً
خيرِ آراءٍ خيرهم أن تبيناً

الرحمة تهدي إلى صحة الرأي

وما الرحمةُ الغراءُ إلا وسيلةٌ
وما غلظَ الأكبادُ إلا نقيصةٌ
يرى غررَ الأشياءِ لا يستبينها
بها يستقادُ الرأيُ والرأيَ ثاقبُ
تُضِلُّ نكاءَ المرءِ والحقُّ عازبُ
إذا بان منها جانبٌ غاب جانبُ

حجة الأَشقياء

يا مَنْ يعيب علينا أننا نفرُّ
هلاً شربتَ من الكاسِ التي أخذت
كأسٌ من البؤسِ لم تُرؤفْ بشاربها
سود الخلائقِ لَعانونٍ للقدْرِ
منا ماخذٌ مَنْ سَمِعَ ومن بَصَرَ؟
دافت لنا السمُّ في حالٍ من الغيرِ!

عزم في الشر

وأصدقُ الناسِ عزمًا وهو ذو أملٍ
أحقُّ بالمدحِ من مستضعفٍ تَعيسِ
يرجو الفضيلةَ لكنَّ لا يعالجها
في الشرِّ يبلغُ منه كلُّ ما بَعُدَا
مُقَلِّقِ العزمِ لا يصمي الذي قصداً
ويطلبُ الخيرَ لم يمدد له مدداً

العقل والخلد

إنَّما العقلُ خالقٌ جَعَلَ الخُلْدَ
أبداً يبرز الذي حاجة النَّا
د له في القضاءِ أمرُ الحكيمِ
س إليه من حادثٍ وقديمِ

وظيفة الإنسان في الحياة

خُلِقَ الإنسانُ كي يمهدَ ما
فهو حرٌّ ما سعى في نهجه
وهو عبدٌ ما ازدهتُه حالةُ
عاقٍ عن مسعاه من هذا الوجودِ
يدرأ العائقُ بالفعلِ الحميدِ
فنبأ عن خطبةِ الرأيِ السديدِ

حياة الإنسان

كأنَّ حياةَ المرءِ حسناءً أرمل
لها شافعٌ يدعو إلى الحزنِ حُكْمُهُ
إذا قيلَ ساءت حالُها طاب حالُها
وآخر يخشى أن يزولَ جمالُها!

عدو الفضيلة

إذا أنت لم تُعْطِ الفضيلةَ حَقَّهَا
وما كنتَ إلا قاذفَ الريحِ بالثرى
أصابك من رفس الرذيلةِ عائبُ
لَوْتُهُ عليه الريح والترب تاربُ
ألم ترَ أنَّ الشرَّ مُغْرَى برَبِّهِ
يغالبه عن نفسه وهو غالبُ؟

الأديب والشقاء

ألا إِنَّ آلامَ الأديبِ لنفسه
ألم ترَ أن القرطَ ليس بحليةِ
صقالٌ وَإِنَّ النارَ صاقلَةٌ العضبِ
على الأذنِ حتى تألَمَ الأذنُ بالثقبِ؟

الحسن والغرور

عابوا عليها غرورها سفهاً
بالحسنُ فضلٌ، وكلُّ منفردٍ
كلُّ جميلٍ بالعيشِ مغرورُ
بالفضلِ جَمُّ الدلالِ مسرورُ

حب التقدير للعيش

حَبَّ العيشِ للتقديرِ مساعٍ
فلديه الحياةُ نهزةٌ نجحٍ
سامياتٌ ومطمحٌ واختبارُ
وابتغاءُ الحمامِ خذلٌ وعارُ
واصطبارٌ وهمةٌ واقتدارُ
إِنَّ حَبَّ التقديرِ للعيشِ جودُ

كاذبان

وَبُنْتُ أَنِي مَادِحٌ غَيْرَ مَادِحِي
رَقِيْبًا عَلَى الزَّلَّاتِ يَوْسَعْنِي لَوْمًا
لَعْلَ كَلِينَا كَاذِبٌ فِي مَقَالِهِ
أَقْرَطُهُ ظُلْمًا وَيَشْتَمْنِي ظُلْمًا

رباعية من رباعيات عمر الخيام

الشاعر الفارسي

إِرْمُ قَدِ عَفَتْ وَصَوِّحَ قَدَمًا
كَأْسُ جَمَشِيدٍ قَدِ مَضَتْ حَيْثُ لَا حَيٍّ
لَكِنِ الْكِرْمُ لَا يَزَالُ جَوَادًا
وَلَنَا مَنْزَلٌ مِنَ الرُّوضِ فَيُنَا
فِي رِبَاهَا الرَّبِيعُ وَالزَّهْرُ
عَثَ لَدِينَا مِنْ أَمْرهَا خَبْرُ
بِرَحِيْقِ حَبَابِهِ دُرْرُ
نُ تَرَوِيَّ أَزْهَارِهِ الْغُدْرُ

رباعية أخرى

هَاجَ لِلْقَلْبِ جِدَةَ الْحَوْلِ أَشْجَا
تَأْنَسُ النَّفْسُ بِالتَّفْرِدِ وَالْخُلُ
حَيْثُ تَحْكِي الْأَزْهَارَ رَاحَةَ مُوسَى
وَلَهَا نَفْحَةٌ كَأَنْفَاسِ عَيْسَى
نَا لَدِيهِ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ
وَةٌ فِي ظِلِّ حَالِهِ الرَّغْدِ
فِي بِيَاضِ النُّوَارِ وَالْوَرْدِ
بَاعِثَاتٍ لِلْمَيْتِ مِنْ لَحْدِ

رباعية أخرى

هَاتِ لِي الْكَأْسَ يَا حَبِيبِي دِهَاقًا
إِنَّ ثَوْبَ الْوَقَارِ ثَوْبٌ شَتَاءٍ
أَنْضُ عَنْكَ الْوَقَارَ وَارِمِ بِهِ فِي
إِنَّمَا الْعَيْشُ طَائِرٌ بَيْنَ غُصْنَيْ
لَا تَطْعُ عَائِبًا كَثُوسَ الْعَقَارِ
لَيْسَ يَغْنِي فِي الصَّيْفِ ثَوْبُ الْوَقَارِ
جَمْرَاتٍ لِلْقَيْظِ مِثْلَ النَّارِ
مِنْ فَخْذِهِ مَأْخِذَ الْمَسْتَطَارِ

شكوى

أما ترى البدرَ يا حبيبي
والنجمَ حيرانَ مستفزاً
والسحبَ تُرْخِي عليه سترًا
والليلَ بالأفقِ مستقرًا
ما أشبَهَ اليأسَ بالرجاءِ
وأشبَهَ السعدَ بالشقاءِ
وأشبَهَ الحبَّ بالعداءِ
مصيبةُ العينِ بالبكاءِ
كأنَّه في الهوى رقيبي؟
يضارع القلبَ في الوجيبِ
كأنَّها هيئَةُ المريبِ
كأنَّه عيشَةُ الأديبِ
لو دام ما كان يا حبيبي
إِنْ لم أجدُ في الهوى نصيبي
إِنْ كنتِ في الحبِّ كالرقيبِ
مصيبةُ القلبِ بالوجيبِ!

الحب والجمال

عندي من الحبِّ يا حبيبي
فالقَلْبُ أسوان في وجيبِ
ورُبَّ ظمآنٍ من لغوبِ
ورُبَّ ولهانٍ مستثيبِ
قدَّرَ الذي فيكَ من جمالِ
وأنتِ جزلان في دلالِ
يغصُّ بالبارد الزلالِ
أصلحه غائضُ النوالِ!

الأديب المتكلف

يببت طوالَ الليلِ يقدح رأيه
يعالج في نسجِ القريضِ قصيدةً
فيأتي بها كالبكرِ قد طال حبسُها
يُقَلِّبُ فوقَ الفرشِ جنبًا كأنما
ويزحر كالحبلى إذا أنْ وَضَعَهَا
كما قدح المقرورُ صخرَ زنادِ
كأنَّ له فيها أشدَّ جلاذِ
تُحَدِّثُ فينا عن ثمودِ وعادِ
يحكُّ به في الفرشِ شوكِ قتادِ
ولكنَّه زحرٍ بغيرِ ولاذِ!

التأثر

هلِ التَّأثرُ يُحيي المَيِّتَ بعد هلاكِهِ
ألا إنه يحيي العداة وَيَعْمُرُ أَلْ
أم التَّأثرُ يشفي غلَّة المَيِّتِ في القَبْرِ؟
قلوبَ بأضغانٍ عقاربها تسري
ولا تحسبنَّ الذنَبَ يمحو أحا له
ولا تحسبنَّ الشرَّ يُدفعُ بالشرِّ

شكوى الزمان

أعيذك من شكوى الزمان فإنها
فأحسنُ من شكوى الزمانِ احتقارُهُ
تُمرُّ حياة المرءِ وهو طُوبُوبُهَا
إذا عدواتُ الدهرِ غالت خُطوبُهَا!

خلوة

يا خلوة لي بالحسنة أذكُرُهَا
وكلما لَمَسْتُ كفاي راحتها
بالليل، والليل والحسنة من أَملي
تقول إِيَّاكَ إِنَّ البدرَ ثالثنا
وقُمتُ ظمانَ أبغي رشفة القُبْلِ
يرنو لنا بلحاظ الشكِّ والعذْلِ!

العذر في الهجر

لم يَكُنْ عن زهادة ذلك الهجـ
تتخطى إليَّ من حيث لم أَدُ
رُ ولكن هي الحوادث تُنسي
نب فأعدو ما بين طرسي ورمسي!

نظرات مسالك

إذا شئت أن أنساك مما رميتني
وما نظرات العين إلا مسالكُ
به، كيف أنسى أنني لك عاشقُ؟
إليك وإن عاقتك عنِّي العوائقُ!

كاذب أبداً

لام قومٌ أنى وصفتك بالكذِّ
ويك لو أننى وصفتك بالكذِّ
بِ مراراً ومرّة فيك تكفى
ب على سبحةٍ لقصرَ وصفي!

الحب والهجر

يا وُصُولاً في التدانى
وحبيباً ليس يجزى
وحليفَ النَّأى والغدِّ
ومطوِّلاً للتراضى
لك فى القلبِ مكانٌ
غير أن الغدرَ داءٌ
وملُوءاً فى التنائى
عن إخاءٍ بإخاءٍ
رِ ودلٌّ وجفاءٍ
وعدوًّا للرجاءِ
ليس يُطوى من عفاءٍ
لا يداوى بدواءٍ!

ذم الشتاء

جاء الشتاءُ وجاءتنا غياهبهُ
ترى المدينةَ لا يمشى الضياءُ بها
كأنَّها نكدٌ فى قلبٍ متعوسٍ!
كأنَّها قطعة من وجهِ إبليس!

عتاب

نعمتُم بهجرٍ قد شقينا بطوله
هنيئاً لكم هجرانكم ونزاعنا
فلا تحسبونا فى الودادِ سواءٍ
إليكم وإن كان الملامُ هباءً

لكل دهر إمام

لكلِّ دهرٍ إمامٌ قائمٌ أبداً
وليس ينسخ ما جاء الأخير به
يُبينُ للناس معنى الصدقِ والكذبِ
معنى تَمادى على الأيامِ والحقبِ!

صبر في الأمل وصبر في اليأس

طُموحٌ ويأسٌ لا يرى المرءُ فيهما
فصبرٌ يعين المرءَ في حين يأسِه
سوى الصبرِ خلقاً كابحاً من جموحِه
وصبرٌ يُعين المرءَ عند طموحِه

إذا أكرمت اللئيم أهنته

إذا أنتَ أكرمتَ اللئيمَ أهنتَهُ
يرى الحمدَ عبثاً لا يقومُ بحمِّله
بفعل حميدٍ ناقدٍ لفعاليه!
فكيف يردُّ الحمدَ غدرُ نباليه؟

صاحب الغيبة

وأكثرُ الناسِ عيباً للرجالِ فتى
يظنُّ أن عيوبَ الناسِ ماحيةٌ
جمُّ العيوبِ إذا بيئتَ باطنهُ
محوَ البراءةِ ما قد بات ضامنهُ!

الوليد

لكأنَّ الوليدَ عُريان عند الـ
تاجرٌ عارضت مساعيه ريحُ
وَضَع تخفى الأقدارُ عنه بضيرِ
شَّ بجاهٍ جدبٍ وجدَّ عثورِ!
فهما خاسران قد ربَّحَا العيبُ

الدهر بحر

والناسُ غرقاه والبؤسى دواهيهِ
سفينةٌ غفلتَ عنها عواديهِ
بارت بوازِ المساعي في طواميهِ!

وإنما الدهرُ بحرٌ لا انتهاءَ له
وما أحوالُ حياةِ المرءِ فيه سوى
حتى إذا الحدثُ المقدورُ ناهضها

الحسنة ومرأتها

في صفحةِ المرأةِ مطبوعُ
وإن طرفَ العينِ مخدوعُ

لا تحسبي أنْ قد رأيتَ الذي
فالعجبُ قاضٍ والهوى جائزُ

حلم

سماءُ هجيرٍ نال منه لهيبُها
إذا جمراتِ الصيفِ غالت كروبُها
له حركاتٌ أسرٌ لي خلوبُها
وفي النفسِ حاجاتٌ بعيدٌ قريبُها
وقد غاب عن عينِ المشوقِ رقيبُها

رأيتُ كأننا وسطَ روضٍ وفوقنا
خلعنا ثيابًا قد شقينا بلبسها
وفي ساعدي راوٍ من الحسنِ ناعمٌ
أضْمُ إلى نحري محاسنَ جسمِهِ
فإنمنا على الأزهارِ جنبًا لجانِبِ

الجنة الخراب أو الشام في عهد الاستبداد (من الشعر المرسل)

تهفو بلبِّ الشاعرِ الولهانِ
شركِ النهى وحبالةِ الأهواءِ
يفديه عُمرٌ في النعيمِ غيبينُ
والظلمُ موتٌ للنفوسِ ذليلُ
قبل استلابِ الدهرِ من آياتها
لولا افتقادِ تنفُّسِ الأحياءِ
نَسَجَ المماتُ لها غطاءً وقارًا!

إن الشأمَ حديقةٌ فينانةٌ
وكأنما نَسَجَ الإلهُ جنانها
من لي بيومٍ في جنانِكِ صالحِ
مدَّ الظلومُ عليكِ فضلَ عرامه
كالميتةِ الحسناءِ أدركها الردى
فتكاد تحسب في المماتِ حياتها
فإذا رأيتَ رأيتَ ثم محاسنًا

اللئيم المستنبت

مهما تطاولَ بالنباتِ فروعُهُ
وكذا اللئيمُ إذا ترفعَ قدرُهُ
فأصولُهُ في الأرض ذات طرائقِ
ولئن أصيب العالمون بجاهِهِ
غالى برأى في الفسولةِ صادقِ
فمصابه بالجاهِ أعظمُ بائقِ!

اليوم وغد

يسوءُك اليومُ فترجو غداً
فانظرِ إلى أمسٍ مضى واستعِنُ
إنَّ غداً ليس بيومٍ جديدِ
منه على اليومِ برأىٍ سديدِ

منظر

منظرٌ رائعُ البهاءِ جليلُ
يحمدُ السمع ما جنته لحاظي
يَطَّيبي الناظرين منه بلحنِ
فكأنِّي رأيت ذاك بأذني!

كاذب لئيم

حياتُك كُلُّها كَذِبُ
لقد برَّرتَ في اللؤمِ
وودُّك ملؤه حنقُ
وفيك عن العلا جنفُ
وعمرُك كُلُّه ريبُ
إذا ما برز النُّجُبُ
وجدُّك ملؤه لعبُ
وفيك إلى الأذى طربُ
وفي إقبالِك النوبُ
وفي إقبالِك النوبُ
وكلُّ رذيلةٍ فلها
وفيك الشرُّ معهودُ
فلا خيرٌ ولا أدبُ!

عتاب الملك حجر لابنه امرئ القيس (من الشعر المرسل)

ولو قد أرقت الماء كُنْتَ ظَلُومًا!
وهذي السيوف الباترات صوادي
وتهنأ بالذن الروي شرابًا؟
ومُنْج أخاه من أوار صداهُ
وفي داره الضيفُ الذليلُ عزيزُ
أصبت بها جاهي وكان صحيحًا
أتاها ولم يشهد بذاك رقيبُ
من اللوم لِفَاحٍ بكل حرور
مداؤ رمتها بالسهام لحاظُ
لصنو سوادٍ في الغراب معيب
وليس على وجه النهار نقابُ؟
كما يُدركُ الحسناءَ وهي كعابُ
كما يحفلُ الرائي لِفَقْدِ هلالِ
على القومِ أمرًا أنت فيه ملومُ
جنيتُ الذي تغدو له وتروحُ؟
ألست تراني بالعلاءِ خليقًا؟
وكم ولدٍ أهدى إلى الذلِّ والدَا
ويشقى بما لم يَجْنِه ويصابُ
ومن يَقْرَبُ النيرانَ يَصْلَى لَهَيْبَهَا؟
ومن يصحبُ الولهانَ يشقى بدائه!

تريق دماءَ الخمرِ جُبْنًا وخسَّةً
فإنَّ دماءَ الثائرين كثيرةُ
فهل تترك المصقولَ يشكو من الصدى
وإنَّ كريمَ الطبعِ ماضٍ بِظَمِّهِ
وكم من كريمٍ بات يعوي من الطوي
وما حبُّكَ الغاداتِ إلا نقيصةُ
إذا واقَع المرءُ المَسُودُ رذيلةً
فإمَّا أتاها سيد القوم نالهُ
كذلك شهب الطيرِ إن مسَّ ريشها
وإنَّ سوادًا في الممداد مبعَّضًا
ألم ترَ أنَّ الليلَ أسترٌ للهوى
وما يُدركُ الشنعاءَ عارٌ إذا زنتُ
وما يحفلُ الرائي إذا غاب كوكبُ
وما الناسُ إلا كالملوكِ فلا تعبُ
أتركني بين الملوكِ كأنني
ومجدك من مجدي فكيف أذلته
وكم والدٍ أهدى إلى الذلِّ وُلْدُهُ
وقد يحمدُ الإنسانُ عقبى ذنوبه
أليس قنيص العرِّ يعدي قرينه
ومن سكن الوادي شكى من أتيه

واقعة أبي قير (من الشعر المرسل)

كالطير تسبحُ في الفضاءِ الواسعِ
ثبَّتْ وأجبالٌ على أجبالِ
علمٌ على أعوادها خفاقُ

ملكُ البحارِ أتى يحثُّ سفينتهُ
لججٌ على لججٍ يدبر أمرها
حتى إذا بَلَغَتْ أبو قيرَ اعتلى

وسفائنُ الإفرنس تُنَكِرُ أمرَها
أنتى رمى بلحاظه وجدَّ العدا
حِيلٌ يُدَبِّرُهَا المُغَلَّبُ (نلسنُ)
حتى أفاق أميرها المكدودُ
كالأسدِ حَوْلَ فريسةِ المغوارِ
وكذا العدا خديعةٌ ودهاءُ

* * *

يا مُوقِظَ النيرانِ من غَفَلاتها
إنِّي سمعتُك داعياً في صولةِ
كم من غريقٍ في المياهِ ضريحُه
قَذَفَتْ به الأمواجُ من أمعائها
كم من جريحٍ زاد في ألامِه
حيث الحياةُ حديقةٌ، أحداثها
فيجود بالنفسِ العزيزةِ جوده
يا لهفٍ للرجلِ المفارقِ أهلهُ
ما حلَّ بالأحياءِ بعد مماته
وكذا الحياةُ إذا بلوتُ أمورَها
يا رَبِّ عيشٍ في المماتِ منعمٍ

* * *

ماذا أَعَدُّوا للشقاءِ وحزبه
الفقرُ بين ربوعهم ذو عدوةِ
تُبْنَى السفينُ بما يُزيلُ خصاصةَ
والمالُ روحِ الكونِ حين تصوئُه
انظرِ إلى الأسطولِ بعد بهائه
قابيلُ في أرواحنا متنكِّرُ
ماذا دهى الإنسانِ حتى إنه
هل بعد ذاك على فسادِ نفوسنا
لو يعلم المغرورُ يومَ فخاره
لطغى وثارَ ونالَ من قوادهِ
ويَلُ القويُّ من الضعيفِ إذا طغى
ولمَّا أَعَدُّوا للعداءِ عديدهمُ؟
والجهلُ في أرواحهم فعَالُ
ويُبيدُ فعلَ الجهلِ بالأرواحِ
إلا عن الوجهِ السديدِ الأقومِ
قد صارَ أشلاءً على أشلاءِ
متحكِّمُ متأسِّدُ متمادي
يتطلبُ الإصلاحَ بالإفسادِ؟
نبغي الدليلَ لمُنكِرِ ومماري؟
إنَّ الفخارَ خديعةٌ لإسارِ
نيلَ الحديدِ من الأسيرِ المصفدِ
ويَلُ الضعيفِ من القويِ العادي!

أولم يخبرك الزمانُ وصرفه أن الذليلَ قنيسةَ الجبارِ؟!

نابليون والسّاحر المصري (قصة من الشعر المرسل)

والنوم لا يعنو لكلٍ عظيم
 زنجيةً قد عُرِّيت من حلبيها
 منعت مهابتَه الظلام من السرى
 جهم المحيا رائع اللحظات
 وحبيبه بحنينه لم يعلم
 أم لم تُضئك ملائكُ الرحمن!
 خط المدلس في تراب الطالع
 كانت خطوط حذائه أحوالاً
 جيش من الآراء والعزمات
 كالقانس الرامي بسهم صائب
 شبهاً كما نظر المريض الهالك
 متلفعا بعباءة سوداء
 ثم ارتدى قطعاً من الظلماء
 صبغت بلون غدائر الشمطاء
 لطم الرضيع عوارض الآباء
 حتى تكاد تشب فيما ينظر
 شكوى المريض إلى الصديق العائد
 والعود في تحنانه يتألم
 فكأنما ضمنت قلوباً ترحم
 والليل يسجد في غلالة راهب
 مرّ النسيم على الربوع الخالية
 أرح الخطى وأسمع نبوءة ساحر!
 حتى أتيح له الجليل الغامض!

سدكت بنابليون سالبه الكرى
 في ليلة قلب اللئيم كقلبها
 فإذا أراد الطيف أن يسري بها
 عبست فخال الأفق طلعة قاتل
 وتنفست نفس المحب إذا قضى
 هل أطفأتك يا كواكب ريحها
 خرج العظيم يخط في ترب العرا
 ولو أن وجه الأرض دهر واسع
 يمشي وحيداً في الخلاء وحوله
 يرمي بعين النسر أرجاء العرا
 فرأى على بعض التلال بقربه
 متعمماً بعمامة مهدولة
 فكأنما اتخذ الهلال عمامة
 تجري الرياح خلال لحيته التي
 وتهزها حتى لتلطم وجهه
 النار من الحاظه مقدوحة
 في كفه عود ضئيل، صوته
 يستخرج الألحان من أضلاعه
 يبكي فيحتاج الرياح بكأوه
 لما رأى الجبار يمشي قربه
 رفع الغناء ومر في إنشائه
 يا أيها البطل العظيم الغالب
 درس النجوم فلم يغادر غامضاً

وله من الجنِّ الكرامِ معاشرُ
كم قد سقيت من الدماءِ طماعة
في كل جرح مقول ذو سطوةٍ
ولسوفَ تبلغُ بالسيوفِ مبالغاً
لكنَّ سيعقبك الزمانُ وصرفه
في صخرةٍ صماءٍ فوق جزيرةٍ
يسعى بك الجبار سعي موكلٍ
فاستلَّ نابليونُ سيفاً ماضيّاً
لكنه ضربَ الهواءَ بسيفه
فأعاد في الغمدِ الحسامَ تخوّفاً
يأتونه بنفائسِ الأخبارِ!
لك خيرها وعلى سواك خراجها
يدلي عليك بحجةٍ بيضاء
تدعُ الممالكَ في يدَيْكَ بيادقاً
زمناً يكونُ به الطليقُ أسيراً
في البحر يضربها العبابُ الأعظمُ
فيظلُّ يأكلُ من حياتك كيدهُ
لما رأى العوَادَ ساءَ مقالُهُ
حيث اختفى المتنبيُّ السحَّارُ!
ومضى إلى أصحابه يتعجبُ!

الفصل الثالث

أناشيد الصبا

وما الشعرُ إلا القلبُ هاجَ وجيئه
وللريحِ هبَّاتٌ وللنفسِ مثلها
وما الشعرُ إلا أن يثيرَ مثيرُ
تغني رُخاءَ فيهما ودبورُ

من قصيدة «الشعر والطبيعة» لصاحب الديوان

إهداء الديوان

صديقي الأعمى
الأستاذ الأديب والشاعر الجليل
إبراهيم عبد القادر المازني

أهديك هذا الديوان هدية ود، أنشدك فيه قولَ أبي تمام:

وقلتُ أخُ قالوا أخُ من قرابةٍ
نسبييَ في عزمي ورأيي ومذهبي
فقلتُ لهم إن الشكولَ أقاربُ
وإن باعدتْنَا في الأصولِ المناسبِ

كلمة لصاحب الديوان في: العاطفة في الشعر

إن روح الشاعر مثل آلة الغناء، لا بد أن تنتهياً تهياً خاصاً لكل نغمة من النغمات فيَقْصُر بعض الأوتار، ويَطال بعضها، وَيُشَدُّ وتر، وَيُرَخَّى آخر، والشاعر لا يمكنه أن يهَيئ روحه كذلك متى شاء. بل لا بد من أسباب يتوخاها زمنًا، حتى يساعده الطبع فتنهياً نفسه، ثم يوقع عليها ما يشاء وجدانه من الألحان. والشاعر الكبير لا يكتفي بإفهام الناس، بل هو الذي يحاول أن يسكرهم ويجنهم بالرغم منهم. فيخلط شعوره بشعورهم، وعواطفه بعواطفهم. وِلِشْعَرِ العواطف رنَّةً ونغمة لا تجدها في غيره من أصناف الشعر. وسيأتي يوم من الأيام يفيق الناس فيه إلى أنه هو الشعر ولا شعر غيره. فالشعر مهما اختلفت أبوابه لا بد أن يكون ذا عاطفة. وإنما تختلف العواطف التي يعرضها الشاعر. ولا أعني بشعر العواطف رصْفَ كلمات ميته تدل على التوجع أو ذرْفَ الدموع. فإن شِعْرَ العواطف يحتاج إلى ذهن خصب، وذكاء، وخيال واسع، لِذَرْسِ العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها، ودرْسِ اختلافها وتشابهها، وائتلافها وتناكرها، وامتزاجها ومظاهرها وأنغامها، وكل ما توقع عليه أنغام العواطف من أمور الحياة وأعمال الناس. فينبغي للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعاني الشعرية. وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته. وينبغي له أن يُعوِّد نفسه على البحث في كل عاطفة من عواطف قلبه، وكل دافع من دوافع نفسه، لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة، فاضلة أو قبيحة مردولة وضيعة.

والحياة في نظر الشاعر الذي يعيش لِفَنِّه الجليل، قصيدة رائعة تختلف أنغامها باختلاف حالاتها، ففيها نغمة البؤس والشقاء، وفيها نغمة النعيم والجدل، وفيها أنغام الحقد واللؤم، والشر والندم، واليأس والكره، والغيرة والحسد، والمكر والقسوة؛ وأنغام الرحمة والجود، والأمل والرضا والحب. فالشاعر الكبير هو الذي يتعرّف كيف يقتبس من هذه الحالات أنغامها، ويصوغها شعرًا. وهو الذي عواطفه مثل عواطف الوجود؛ مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء أو النار أو الكهرباء. وهو الذي يحكي قلبه الأركسترات الكثير الآلات، الكثير الأنغام، أليس الوجود أيضًا أركسترات آلاته الناس، وعواطفهم وأعمالهم، والرياح والأمواج، والطيور والحيوانات؟ كذلك قلب الشاعر أركسترات آلاته العواطف، ومن أجل ذلك لا يَنْظُم الشاعر الكبير إلا في نوبات انفعال عصبية، في أثنائها تَغْلِي أساليب الشعر في ذهنه، وتتضارب العواطف في قلبه. ولكن تضاربًا لا يُزْعِجُ نَبْضَهُ طيور الأنغام الشعرية التي تغرد في ذهنه. ثم تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل من غير تعمُد

منه لبعضها دون بعضها. أما في غير هذه النوبات، فالشعر الذي يصنعه يأتي فاتر العاطفة، قليل الطلاوة والتأثير. وإدمان الاطلاع أساس في الشعر؛ لأنه هو الذي يهيب الطبع. أما انتقاء الأساليب عند النظم، فدليل على أن الشاعر غير مهياً الطبع ناضبه؛ ليس في أعصابه نغمة، ولا في قلبه عاطفة.

وإذا نظرت في الشعر العربي، وجدت أن شعراء الجاهلية وصدّر الإسلام، كانوا أصدق عاطفة ممن أتى بعدهم. والسبب في ذلك أن النفوس كانت كبيرة، والعواطف قوية، لم يُثَلِّفها بعد الترفُّ والضعف، وغير ذلك من الصفات التي تطرقت إلى الأمة في عهد الدولة العباسية، وما بعدها من العصور، التي أولع فيها الشعراء بالعبث والمغالطة، والمغالة الكاذبة، والتلاعب بالألفاظ، والخيالات الفاسدة. وشعر الأمة مرآة حياتها. فإذا كانت نفوس أفرادها كبيرة، كان شعرها شديد التأثير، صادق العاطفة. وإذا كانت نفوس أفرادها حقيرة، كان شعرها ألقافاً مرصوفة ميتة، ليس فيها عاطفة. والعواطف هي القوة المحركة في الحياة، وهي للشعر بمكانة النور والنار.

الحب والموت

جنونٌ يهيج القلبَ وهو شجونٌ
ولا أنَّ وجدي في هواك يُشِينُ
ويُطَهِّرُ قلباً في هواك طعينُ
فكلُّ قليلٍ من هواك ثمينُ
ولكنَّ ظني في هواك يقينُ
ولا أنَّ قَرَباً في الحياةِ يَحِينُ
على مهجةٍ إن لم تَبْنِ ستبينُ
ولم يُفْشِ سرٌّ في الضلوعِ كمينُ
ولا أن قلبِي في هواك رهينُ
فيؤمِّلُ خفضُ من رضاك ولينُ
وليلي حنينٌ في الهوى وأنينُ
عليه وأعمار الأنامِ سفينُ
فما لي على هذا الشقاءِ مُعينُ

حنيني إلى وجهِ الحبيبِ جنونُ
أحبك لا حبي عليك بسببِ
وحسُنك يجلو النفسَ من كلِّ ريبِ
فجدُّ لي بذخِرٍ من وداك خالدِ
وإنَّ ظنوني في الحياةِ كثيرةُ
فوا حَسْرَتاً لا لي إليك وسيلةُ
وقربك إشفاقٌ وبرٌّ ورحمةُ
وكيف أُرَجِّي منك عطفاً ورحمةُ
ولم تَدْرِ أني منك ضامرٌ لوعة
عسى مخبرٌ عما أعانيه في الهوى
نهاري حنينٌ واشتياقٌ ولوعةُ
وما الدهرُ إلا البحرُ والموتُ عاصفُ
فلا تعصفوا بالهجرِ والبعدِ والقلَى

فيا ليت آمالَ النفوس يقينُ
ويا ليت عطفًا من رضاك يكونُ
مقيمٌ على صَرْفِ الزمانِ ركينُ
وأنت به طول الحياة ضنينُ
فيُحَمَّدُ عَزُّ في هواك وهونُ
فإن شقائي في هواك فنونُ
وحبك في القلب اللجوج مكينُ
كلابٌ ترى أن العواءَ يزينُ
وأصدقُ صحبي في الودادِ يمينُ
ولكن قلبي في هواك أمينُ
يقلُّ لديه تافهٌ وثمينُ
ولحظك فيه الحقُّ وهو مبینُ؟
ويرقأ دمعُ بيننا وشئونُ
وتغمض عنكم أعينُ وجفونُ
وكم من قرينٍ بانَ عنه قرينُ
تبين شمالٍ أو تبين يمينُ
ومَنْ بُزَّ عنه الحُسْنُ فهو غبينُ
وأن عزاءً عن هواك يكونُ
تَمُرُّ كحلم العينِ وهو ظَنُونُ
وما الناسُ إلا هالكٌ وحرزینُ
وكلُّ نفيسٍ في المماتِ يهونُ
وأبي دفينٍ يستبیه دفينُ
من الناسِ خبٌّ ماکرٌ وخبونُ
قرونٌ على أعقابهن قرونُ
إذا ما دهته بالعفاءِ مَنْونُ!

تبشرني الآمالُ بالقربِ منكمُ
ويا ليت لي نهجًا إليك وحيلةُ
ويا ليت أني مُقَعَدٌ في دياركمُ
ويا ليتني شيءٌ إليك محبَّبُ
ويا ليت أن القربَ يُنْصِفُ والنوى
ويا ليت بي نوعًا من النحسِ واحدًا
يُغَيِّرُ صرف الدهر ما شاء في الورى
فلا تنخدع بالناس عني فإِنَّهُمْ
أعزُّ صديقٍ في الخفاءِ يكيديني
وكلُّ فؤادٍ في المحبة كاذبُ
ومن يَصْحَبُ الأيامَ من بعد خبيرةُ
وكيف أضل الحقُّ في العيشِ طرفةُ
غداً يَكْثُرُ السالون منا ومِنكُمْ
ونصبح لا قلبٌ يَجُنُّ إليكمُ
وكم قبلنا خلى حبيبٌ حبيبَه
ويفجع ريب الدهرِ بالكف أختها
ونبكي على حُسْنِ طَوْتِه يدُ البلى
وما كنتُ أدري أن حسنك زائلُ
فلا يخدعَنَّ الحسَنُ فالحسَنُ طرفةُ
غداً يكثر الباكون حولي وحولكمُ
غداً يستذلُّ الموت منا ومِنكُمْ
فنصبح موتى لا نحسُّ افتقادكم
ويسعى على قبري وقبرك بعدنا
وتمضي الليالي والشهورُ وتنقضي
كأن الفتى لم يَحْيَ يوماً لحاجةُ

بين الحياة والموت

وللريح فيه والعباب بوادٍ
وللسحب نوً هاطل اللجّ هامرُ
كأنّ ضجيج الرعد بالناس ساخرُ
وحبّ الردى داءٌ دخيل مُخامرُ
وقُلتُ وبى من سانح الموتِ خاطرُ:
فإن شقائي مثلُ لَجِّك زاخرُ
تمزقه الأرواح وهي ثوائرُ
ونعش لمن يرجو الردى ومقابرُ
وأبّت بهذا العيش والقلب صاغرُ
وأفعل ما تُملي عليّ المقادرُ
ويُفزعني وقُع له وخواطرُ
وللعيش نابٌ قاتلٌ وأظافرُ
وإن سلبت منه النهى والسرائرُ
فهل مُخبرٌ يدري متى أنا سائرُ؟
فقد كان ما قد كنت دهرًا أحاذرُ
ففي الروض فينانٌ وفي الأفق زاهرُ
من اليأس لا تُجدي لديها البصائرُ
فإني بهذا العيش راضٍ وصابرُ!

وقفتُ على البحر الخضمّ عشيّةً
وقد بسطَ الليلُ البهيمُ جلاله
وللرعد ضحكٌ رائعٌ الصوتِ هائلُ
أقطعُ قلبي بالبكاءِ وبالأسى
بكيتُ بكاءً اليأس لا يأس مثله
أجرني من ظلم الحياة ولومها
أرى كفنًا من نسج موجك أبيضًا
وأنت مهأدٌ ليين الطي ناعمُ
فأغرقتُ ضحكُ الرعدِ شكواي ساخرًا
أعالجُ صرف الدهر في غير مطمع
ولكنني أرجو من الموتِ راحةً
وما العيش إلا الذئب تدمى نيوبه
ولكنه كالخمر تحلو لشارب
فها أنا بين العيش والموتِ واقفُ
لعلّ الذي أرجو من الدهر واقفُ
عسى أن يعود العيش جمًّا جماله
ويكشف صرف الدهر عني غشاوةً
فلا تعذلاني بارك الله فيكما

حكمة التجارب

ر فليس الحذارُ يُعني فتيلًا
ت لها في الفؤادِ داءٌ دخيلًا
ت عزاء جمًّا وصبرًا جميلًا
عوا فلسنا نخافُ قالاً وقيلًا
ليس ترضى الحياة غمرًا ذليلًا

انصُ عنك الحذارَ من حدثِ الدهم
ليس تجدي تجاربُ المرءِ لو سبب
فأرق فوق نارِ قلبك ما اسطع
ودع الناس يهذرون بما شا
إنما العيش أن تكون جريئًا

وتلين الحياة للثابت الوا
 كن كثيرَ العزاء عن كلِّ ما فا
 خذ بنصحي فقد حبيبتُ كثيراً
 عشتُ في كل ساعةٍ أبدَ الدهـ
 ورمّنتني الحياةُ بالحلو والمرِّ
 ورفعتُ الستارَ عن خدعة العيـ
 وصحبتُ الحياةَ في حالتِها
 وأعاد الأنامُ قصةً من ما
 فترى الخلقَ في المطامعِ إمّا
 ما ترى الناسَ في الحياةِ حيارى
 لا تُعني بأمرها النفسَ يوماً
 ثم لِنُ للزمانِ ما اشتدَّ واجعلـ
 إن يكن ينفع البكاءُ فإننا
 ورأينا الحياةَ من كل وجهٍ
 ورجعنا إلى الحقائق حتى
 ما لهذا الليل البهيم حزينٌ
 سلَّ عيونَ الظلام أنجمه الغرُّ
 أحداً على الورى يلبس الحا
 أم لأمرٍ مخبأً في حشاه
 أم سديلاً يخفي المقادير عنا

دع لا مَنْ يخافها أن تهولاً
 ت ولو كان في الحياةِ جزيلاً
 ولَو أني لم أمض عمراً طويلاً
 سرِّ وعالجتُ نضرةً وذبولاً
 فطوراً رغداً وطوراً وبَيْلاً
 شِش وقهقهت وانتحبت عويلاً
 وخبرت القنوط والتأميلاً
 ت فكانوا قابيل أو هابيلاً
 قاتلاً ظالماً وإما قتيلاً
 ضلَّ من كان عالماً أو جهولاً
 فتصيرَ الحياةُ فيك كبولاً
 ه إذا لان نجعةً ومقيلاً
 قد بكينا على الحياة طويلاً
 وعشقنا كمالها المستحيلاً
 لم نعدُ نحسب الخيالَ جميلاً
 مطرُقٌ يبحث الحياةَ طويلاً
 أما أن حزنه أن يزولاً
 لك من جنحه يثل أليلاً؟
 لم يُدان ألبابنا والعقولاً؟
 وستارٌ فقد مللنا السديلاً؟

الدفين الحي

أجلّاي لا والله ما بي جفوةٌ
 وأذكركم زكّر النعيم وما له
 ولكن همًّا في الفؤاد مقره
 تضيق عليّ الأرض من جنباتها

ولا أنا أخشى أنها ستكون
 من القلب إلا زفرةً وحنين
 وفي الدم والأحشاء ليس يهون
 كأني على قيد الحياة دفين

وظنوه مَيِّتًا إِنها لظنونُ
دَهَتْهُ من الدهرِ الخَثُونُ منونُ
عليه رجامِ القبرِ وهو ركينُ
وهيهات منه إنه لدفينُ
وأدركهُ حتى المماتِ جنونُ!

دفينٌ طواه الأتربون بلحده
رَأُوا غفوةً منه تغر كأنما
فدَلَّوهُ في قبرٍ سحيقٍ وأطبَّقوا
أفاقَ وما يدري أفي الحلم ما يرى
فهاج هياج النسرِ في الأسرِ طرفُهُ

الحسن مرآة الطبيعة

أوشك الليلِ جنحه أن يزولاً
ونسقي الرحيقَ والسلسبيلاً
رُ نعيمًا جمًّا وحسنًا صقيلاً
لا تَدْعُني متيمًا مخذولاً
نُ من الحسنِ بكرةً وأصيلاً
وأرى في المساءِ منك ذبولاً
وفتورًا لذًا وظلاً ظليلًا
صَيِّفِ حيث النسيمُ يسعى عليلاً
ثمرًا يانعًا وزهرًا جميلًا
حجب الموتُ لحظه أن يصولاً
مَنَعَ الموتُ أمره أن يطولاً
ن يعافُ العناقَ والتقبيلاً
أهلك الناسَ نشأهم والكهولاً!

قم بنا نعشُ النجومِ حبيبي
قم بنا نخلس الزهورَ من الحبِّ
وأرى البدرَ فوقَ وجهك يا بدُّ
قم بنا نعشِ الحياةَ حبيبي
أنت مرآة ما يجيء به الكؤُ
فأرى في الصباحِ منك ضياءً
وأرى فيك للظهيرة حرًّا
وأرى فيك نسمة كليالي الـ
وأرى منك في الخريفِ شبيهاً
كم جميلٌ يُزْهي بحسنِ عميمٍ
ذو بهاءٍ ونضرةٍ وضياءٍ
أَكَلَتْهُ الديدانُ مَيِّتًا وقد كا
هكذا سُنَّةُ الردى وقديماً

سحر الربيع

وبهجةً أزهارِ الربيعِ المبكرِ؟
تفوح وغصن ناعم متأطرِ؟
فذقتُ به من نشوة كَأَسِ مُسْكِرِ؟

أتعرف أنفاسَ النسيمِ المعطرِ
وهل قُمتَ في أظلاله بين نسمةٍ
وهل ذُقتَ من غدранه الماءَ صافياً

ومن تتطايِر شجوه الطيرِ يعذرِ
ودفٍّ ومزمارِ وصنحٍ ومزهرِ
عليك سقوط اللؤلؤ المتحدرِ؟
بضوءِ كألُهب اللظى المُتسَعِرِ؟
ودرٍّ وياقوت يروق وجوهرِ؟
يُشبُّ لظاها بالمنى والتذكُرِ؟
خُفوق الرياح بالرداء المنشرِ
فهل دام ذو عهدٍ فلم يتغيرِ؟
غصونَ جنى من مُثْمِرٍ أو منورِ؟
وفُزَّت بيوم طيبِ الذكرِ أزهْرِ؟
فظل كليلٍ ساطع البدرِ مقمرِ
وتبصر حلمَ المطلب المتوَعِرِ
ومن يلقُ ما لاقيتِ يا قلبُ يُسحِرِ
ولم ترَ أثناء القضاءِ المقدرِ
ولم ترَ صباحًا كالغديرِ المفجّرِ
ولم تدرِ منها مَحْبَرًا أيَّ مَحْبِرِ
ولم تهوِّ وجه الحسن في كل منظرِ
عديم الحجبى ملقى بأكنافِ محجِرِ!

وهل غرَّد الغرَّيدُ في فلقِ الضحى
كأنك منها بين عودٍ وقينةِ
وهل أَلقت الأغصانُ أوراقَ زهرِها
وهل واجهتَكَ الشمسُ من كل وجهِة
ونلتَ من الأزهار ما بين لؤلؤ
وهل حَرَكَتْ فيك الأَزهيرُ صبوةً
وظلَّ فؤادُ بين جنبيك خافقًا
وإن يك حالُ القلبِ عما عهدتَهُ
وهل مدَّت الأشجارُ نحوكَ شرعًا
وهل دُقَّت طعمَ الحبِّ تحت ظلالها
وشاب بياضَ النورِ للشمسِ صفرةً
هناك يلدُ النفسُ أن تُحدثِ المنى
إذا أنتَ لم تدرِ الربيعِ وسحرَهُ
ولم تعترفْ بالحبِّ والوجدِ والصبا
ولم تَسرِ ليلَ الصيفِ في أخرياته
وإن أنتَ لم تهوِّ النجومِ ومضها
ولم تلتمس في كلِّ شيءٍ جمالهُ
فكن حجبًا لا حسَّ فيه للامسِ

جنة الحب وجحيمه

وأحسن الحسن لو يدوم!
إلا إذا كُنْتَ لي نديمًا
وأهونَ الوجدِ والهمومِ
أخشاه أو حادِثِ أليمِ
أشهى من الخلدِ والنعيمِ
وفيك من زهرها نسيمِ

ما أحسنَ الحبِّ يا حبيبي
لست أريد الخلودَ دارًا
ما أهونَ البؤسِ حين تبدو
متى أراكم فأني عيشِ
ونظرة منك يا حبيبي
من جنة الخلد فيك حسنِ

وأنت برقي الذي أشيم
وأنت بالليل لي نجوم
أراه أم مطلب أروم؟
فالعيش من بعدكم جحيم
وينجلي الشك والغيوم
وينقض الحزن والوجوم
والعيش من بعدكم عقيم
ولا مساع ولا مروم
وهو إذا غبتكم سقيم
وهو إذا غبتكم بهيم
فأبرءوا قلبي الكليم
لكن دمعني به نموم
فمن دفين ومن رميم
فالموت من خلفنا غريم
لكننا للردى خصوم!

فأنت زهري وأنت خمري
وأنت لي بالنهار شمس
إن غبت عني فأني نور
إن غبت عن مسمعي وطرفي
وإن تعد لي يعد نعيمي
وإن تعد لي يعد سروري
أحب عيشي إذا دنوتكم
فلا رجاء ولا فعال
والعيش من حسنكم صحيح
والعيش من لحظكم مضيء
أنتم دواء لكل داء
فالقلب في حبكم كتوم
غدا ينال الممات منا
فخففوا هجركم قليلاً
وكلنا بالحياة صب

حسرة العيد

فيا عجباً للدهر كيف يكيّد؟
أم العيد نحس ليس فيه سعود؟
وإن قرّبت منا الديار بعيّد؟
ودون فؤادي من هواك وقود؟
وقلبي شقي من هواك وحيد
وتترى وفود بينهم وفود
وتخفى ترأت بينهم وحقود
وكل محب ضاحك وسعيد
وإني لمن يلتذّه لحسود

أعيد وقلبي من رضاك بعيد
وهل لك في ذا العيد يا قلب فرحة
وكيف يسر العيد قلبي، وودكم
وكيف أرى للعيد طعمًا ولذّة
أرى العيد يُدني من حبيب حبيبّه
يهنئ بعض الناس بالعيد بعضهم
وينسون ماضي البؤس أو حاضر الردى
وكل أمرئ في العيد بالعيد ناعم
ولكن لي في العيد شجواً وحسرة

صَبَّاحِ فَأَيَّامِي لِبَعْدِكَ سَوْدُ
 أَلَا لَيْتَ أَيَّامَ النِّعِيمِ تَعُودُ
 كَأَنِّي يَتِيمٌ فِي الدِّيَارِ وَحِيدُ
 يَلِدُ صَبَّاحِ العَمْرُ وَهُوَ جَدِيدُ
 أَنَاخَ عَلَيْهِ الهَمُّ وَهُوَ جَدُودُ
 صَبُورٌ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ جَلِيدُ
 وَتَوَحَّشَ قَلْبِي وَهُوَ مِنْكَ عَمِيدُ؟
 يَرِفُ بِهَا زَهْرُ الهَوَى وَيَمِيدُ
 مِنَ الحَبِّ حَيَاتٍ هُنَاكَ تَرُودُ
 أَحْسَسْ دَبِيبَ السَّمِّ وَهُوَ شَدِيدُ
 فَكَيْفَ أَسْرُّ الحَبِّ وَهُوَ جَدِيدُ؟
 كَلَابٌ إِذَا كَشَفْتَهُمْ وَقَرُودُ!

حنانك يا شبه الربيع ويا أبا الـ
 وما مرَّ بي يومٌ أودُّ ولم أقلُّ
 أظُلُّ ولم ينعم بمراك ناظري
 فيا ليتني طفلٌ يعيش بغفلةٍ
 ويا ربُّ طفلٍ في الشقاءِ معذبٍ
 فيا ليتني صخرٌ على الأرض هادئٌ
 أتؤنسُ في العيدِ الرياضِ وزهرها
 وما القلبُ إلا روضةِ الوجدِ والهوى
 فللحبِّ أزهارٌ ولكنَّ تحتها
 فمَنْ غرَّهُ زهرُ الغرامِ وحسنه
 إذا كنتُ لا أخشى ملامةً لائمٍ
 أخافُ عليه ظنةَ الناسِ إنهم

الخوف والفرع

فيا ويح نفسي من عناءِ التفرُّعِ
 تطايرَ آمالي ويحتاج مطمعي
 ظللتُ وقلبي كالبناءِ المضضعِ
 يدبُّ إلى قلبي وطرفي ومسمعي؟
 وفي كلِّ يومٍ لي طماح مودعي؟
 ولوعة قلبٍ ذي كلوم مُفزع؟
 وفي كلِّ يومٍ لي حبيبٌ مُفجَّعي؟
 وأفرق منه أن يلمَّ بمضجعي؟
 فيا بؤس أضدادٍ وبؤس المجمعِ
 فتهداً أضلاعي وترقأ أدمعي
 ويخرجني من مجزع أيِّ مجزعِ
 أناخ عليه الهَمُّ من كلِّ موضعِ؟

حذرتُ الذي يُمني لي الدهرُ من أذى
 ويا ويح نفسي كلِّما لاح بارقُ
 ويا ويح نفسي كلِّما جاء كارثُ
 وحتامَ هذا الخوفِ في كلِّ لحظةٍ
 أفي كلِّ يومٍ حادثٍ يستذلني
 وفي كلِّ يومٍ خيبةٌ إثرَ خيبةٍ
 وفي كلِّ يومٍ لي خليلٌ يخونني
 وحتامَ أرجو الموتَ لا أستطيعه
 أعالجُ في الأحشاءِ يأساً ومطمعاً
 عسى أن يتيحَ الله صبراً يحوطني
 وينقذني من مهلك أيِّ مهلك
 أما في ضياءِ الشمسِ مسلى لبائسٍ

أقول لدهري: طرُ بصرفك أو قع!
فأسدِلْ علينا غفلةً ثم فاخدع!

فمن لي بعيش لا أبالي صروفه
نعيشُ بغشٍّ منك يحلو لغافلٍ

نشوة الحب

وأنت بئّي وتهيامي وأشجاني
إلا بقايا رجاءٍ ليس بالداني
من عيشةٍ بين تحنانٍ وهجران
تودي بيأسي ولوعاتي وأحزاني
وأوجهُ الحبِّ من قاصٍ ومن داني
ولا رميت بزقٍ منه ملانٍ
حتى كأني غريبٌ بين أوطاني
حتى يُخالُ حديثي لَغَوَ نشوانٍ
الحب خمري وليس الخمرُ من شاني
من البلادِ وما للنجم عينانٍ
فيستوي فيهمُ جهلي وعرفاني
فطالَ في الحبِّ إنكارِي ونسياني
يصيحُ بِأَسْمِكُمْ في طيِّ آذاني
والطير من ذكركُمُ والزهر خلاني
والوردُ بالحبِّ ناداني وحيّاني
وأنتمُ في مرائي الحلمِ نُدماني
مثل الشرابِ تراءى ثمَّ أظماني
سرّي وأودعه شجوي وتحناني
ولا مررتُ بخلقٍ غيرِ خوانٍ
ألْفَيْتَهُمْ بين أضغانٍ وبهتانٍ
أودت برُشدٍ رجيحِ الرأي غضبانٍ!
والشر يجرع منه كل إنسانٍ!

نجواك في العيشِ إسراري وإعلاني
بَغَضْتُ لي العيشَ حتى ما أسرُّ به
الموتُ أروحُ لي والقبرُ أرفقُ بي
ونظرةُ منك أهواها وآملها
جَرَبْتُ فيك شجونَ الحبِّ قاطبةً
فلم أدعُ شجنًا في الحبِّ أجعله
مِنْ حَبِّكُمْ صرت لا ألوي إلى أحدٍ
أمشي أُحَدِّثُ نفسي عن محاسنكم
نشوانٍ ليس له عقلٌ فيُسَكِّتُهُ
وأسألُ النجمَ عنكم أين موقعكم
يمر بي الناسُ لا أدري مرورهمُ
أنكرت من حَبِّكُمْ ما كنتُ أعرفه
كأنما كلُّ مخلوقٍ أمرُّ به
فأحسب البدرَ صدًا حًا بذكركُمُ
والريخُ تشدو بكم والشمسُ تعرفكم
أنتم حياتي وأنتم مشتكى حزني
يا بؤس للحبِّ، إن الحبُّ ذو خُدعٍ
من لي بمن قلبه قلبي فأخبرُهُ
فما اتخذت خليلاً غير مضطغنٍ
والناس في العيشِ إن كَشَفَتْ أَمْرَهُمْ
إن الحمير — حمير الناس — نهقتها
جهلٌ ولوْمٌ، وأحقاؤٌ ومفسدةٌ

غاية الحب

فإني إليها في دجى الليلِ ناظرٌ
فتعرّفُ ما تُطوى عليه النواظرُ
على لحظةٍ إن اللحاظُ بصائرُ
ويجري بكم منه على البعدِ خاطرُ
وتخبرني عنك النجوم الزواهرُ
وتسعدني حتى أراك الأزاهرُ
ومن لي بها والطرفُ باكٍ وساهرُ
فما لي في غير الكرى منك سامرُ
وما لي في حلم الكرى منك ذاكرُ
وهاجسُ هذا الذكر داءٌ مُخامرُ
ألذُّ بها حتى كأنك حاضرُ
وما لي سواه منك عونٌ وناصرُ
ونخرُ هيامٍ يومَ تَبَلَّى السرائرُ
وفي البعثِ يبدو ما تُكِنُّ الضمائرُ
مناسكُ تهيامي بها والمشاعرُ
غديرُك ملآنٌ وزهرُك ناضرُ
أمِ امْتَنَعَتْ مني إليك المصادرُ؟
فؤادي مخمورٌ ولبيّ طائرُ
وليتركُ وافٍ والأنامُ غوايرُ
فلسْتُ أبالي ما تُعدُّ المقاديرُ
فلسْتُ أبالي أن تدورَ الدوائرُ
وإن تُبَدِّ صداً فالنهارُ دياجرُ
فهل تأتيبي عن رضاك البشائرُ؟
ولا العيشُ خوانٌ ولا الدهرُ جائرُ
إذا كَذَبَتْ فيما تقول الظواهرُ
وبالسُّحرِ من شعري فهل أنت شاعرُ؟

أجلُ في نجوم الليلِ لحظك طرفةً
عسى يلتقي لحظي ولحظك عندها
عسى يلتقي روعي وروحُ عندها
عسى يَشْعُرُ الولهانُ بالقربِ منكمُ
يحدثني عنك الهلال إذا بدا
وإني أحبُّ البدرَ من أجلِ حبِّكم
عسى تجمع الأحلامُ بيني وبينكم
وتذكرني في الحلم، والحلم باطلُ
وهيهات لا في يقظة أنت ذاكري
وأهتف طولَ الليلِ باسمك جاهداً
فتبدو لعيني صورةً منك غضةً
فما لي سوى الأوهامِ منك عُلالة
سيبقى لكم في القلبِ وجدٌ ولوعةُ
ويبدو لكم ما كنتُ أخفيه جاهداً
فيا كعبة الحسنِ التي أنا عابدُ
ويا جنة الحسنِ التي أنا أملُ
أما من سبيلِ لي إليك ومنهج
أظل إذا ما لَحَتَ لي عن فُجاءةٍ
فليتك تحلو والحوادثُ مرةً
إذا كنت لي خِدْنًا أَلْوَدُ بحبِّه
وإن نِلْتُ منك الودَّ والعطفَ والرضا
وإن تَرَضَّ عني فالحياةُ جميلةٌ
وإن حياتي ليلة مدلهمة
وإن تُبَدِّ لي عطفًا فما الكونُ باطلُ
لقد صدقتُ مني الظواهرُ في الهوى
أناجيك بالسُّحرِ الحلالِ من الهوى

فإني له في الدهر ما عشتُ ذاكِرُ
 فرحت وقلبي من جوى الحبِّ حائرُ
 وإن تعطفوا فالقلبُ راضٍ وصابرُ
 وإن تقربوا فالدهرُ فينان زاهرُ
 وإن تشرقوا فالعيشُ أبلجُ ظاهرُ
 تموج وإظلام الدجى والأعاصِرُ
 وأي رجاءٍ بعد بعدك باهرُ؟
 وإن لم تجئ فالقلبُ مجنونُ ثائرُ
 وإن حياتي إن بُعدت لعاقِرُ
 فؤادي مسحورٌ وحسَنُك ساحِرُ
 فقلبي مأسورٌ وحسَنُك أسرُ
 فقلبي مقمورٌ وحسَنُك قامرُ
 وهل عجبٌ في أن تُزارَ المقابرُ؟
 ألا كلُّ حيٍّ مثل ما سرتُ سائرُ
 وقد يعظ الموتُ الفتى وهو سايرُ
 وكلُّ جميلٍ فهو لا بد غابرُ
 وتلقى الذي قد كنتَ قدماً تحاذِرُ
 ووجهك مقبوحٌ وعظْمُك ناخِرُ
 تُسدُّ إذا ما شَمَّ منه المناخرُ
 ولا تحسبنُ أنني بحسَنِكِ ساخرُ!
 فها أنا من حبي لحسَنِكِ هايرُ!
 حزينٍ لعليلٍ، حبه لك ظاهرُ؟
 وإنك إما غبتِ فالهَمُّ حاضرُ
 أما أن تُغشى المنايا البواكرُ؟
 فتهدأ أضلاعي وتهدا المحاجرُ؟
 فيرتاح حُسَّادي وتسلو العواذرُ؟
 كأن لم نكن والحيُّ للحيِّ ذاكِرُ

أتذكر ملقى بالحديقة طيباً
 أشرت بتسليمٍ، فسلمت مثله
 فإن تهجروا فالقلبُ أسوان بائسُ
 وإن تبعدوا فالأرضُ جرداءُ جدبةُ
 وإن تغربوا فالعيشُ أسودُ داجنُ
 حياتي إذا ما غبت عني زواخرُ
 فأني بقاءٍ بعدُ بُعدك نافعُ
 وإن كنت عني جئت بالعقل والحجى
 وإن حياتي إن قرُبت خصبيةُ
 وأمنتُ أن السحرَ حقٌّ فإنما
 وأمنتُ أن الحسنَ مُلكٌ ودولةُ
 وأمنتُ أن الحبَّ والوجدَ ميسرُ
 إذا متُّ فاذاكرني وزرني زورةُ
 وقفٍ وتأملٍ ما بدا لك طرفةُ
 عسى دمة حريّ عليّ تُريقها
 فلا تنذعر فالموتُ غادٍ ورائحُ
 سيُنْفذُ فيك الموتُ أمراً مقدراً
 ويأكلُ منك الدودُ ما شاء حقبه
 وريحك ريح النتن لا نتن مثله
 فلا تحسبنُ أنني من الموت ضاحكُ
 ولكن وجدي منك جُنَّ جنونهُ
 أما رحمةٌ ترجى لديكم لبائسُ
 وفي القرب لو تدنو دواءً لهمه
 فيا بؤس نفسي منك يا بؤس عيشتي
 أما أن أن ألقى جِماماً يريحني
 أما أن أن ألقى قضاءً يميّتي
 وينساني الخُلُ الوفيّ لمييتي

ويرتد عني نابُه والأظافرُ!
فلا طمَعُ يردِي ولا اليأسُ ذاعِرُ
وأصبح ممن غيَّبَتْهُ المقابِرُ
ولا أنا مهجورٌ ولا أنت هاجِرُ
رويدك لا تغنى لديه المغافرُ
بروحي حتى فيه منه بوادرُ
فوقع المنايا بيننا متواترُ!
تغادي المنايا شملنا وتباكرُ
سيهلك منا أولٌ ثم آخرُ!

وينساني الوغدُ اللئيم لميتتي
أما أن أن أنسى الحياةَ ولؤمها
أما أن أن يبكي لي الأهل طرفة
وأصبح لا قلبي يُجن بذكركم
إذا ما الردى بالمرء حلَّ قضاؤه
وإني أحسُّ الموتَ يسري دبيبه
نعيت لكم نفسي فلا لومَ بيننا
فإما غدًا أو بعد ذاك وإنما
سلامٌ عليكم حيث كنتم فإننا

الشعر والطبيعة

تغنت لأشجان الفؤادِ طيورُ
تُغني رُخاءَ فيهما ودبورُ
وما الشعرُ إلا أن يثيرَ مثيرُ
ونبصر فيها البدرَ وهو منيرُ
رياضُ وأضواءُ بها وبحورُ
وفيها خريزٌ خافتٌ وغديرُ
تسير بأفاق بها وتدورُ
يغني على أغصانه ويطيرُ
تسرَّب في أمواجه وتسيرُ
وللنسرِ في شمِّ الجبالِ وكورُ
كما جاد بالشعرِ الجليل شعورُ
ألستم ترون الدائرات تدورُ؟
فكيف ينضو الثوب وهو نضيرُ؟
طربتم وقلتم شاعرٌ وكبيرُ
ويطربكم أن الغناء نعيرُ

إذا غنتِ الأطيوار في الأيك صدحًا
وللريح هباتٌ وللنفسِ مثلها
وما الشعرُ إلا القلب هاج وجيبه
نرى في سماء النفس ما في سمائنا
وما النفس إلا كالطبيعة وجهها
وفيها صراخُ اليمِّ إن ماج موجهُ
وليلٌ وإصباحٌ لها وكواكبُ
إذا كنت في روضٍ فقلبي طائرُ
وإن كنت فوق البحرِ فالقلب موجةُ
وإن كنت فوق الشمِّ فالقلبُ نسرُها
وتنثرُ أغصانُ الخريف زهورها
فيا قوم ما للجهل ملء عيونكم
لبستم على الأيام ثوبَ مذلة
إذا صاح ذاك العيرُ فيكم صياحه
ويزعجكم أن الطيورَ صوايحُ

أصاب نكائي منكم بردٌ طَبَعَكُمْ
ويصدأ طبعي في خبيث هوائكم
فلا تحسبوا أنني أقولُ لتسمعوا
وماذا يفيد الشعرُ والقلب ميتُ
إذا كان يُحْيِي الشعرُ نفساً مريضةً
وأطفأً مني القلبَ وهو قديرُ
وجوُّكم بالداهيات يمورُ
ولا أن مثلي بالقنوط جديرُ
وهل للنفوس الهامدات نشورُ؟
فهيهات تحيا النفسُ وهي قَبُورُ!

الأزاهير السود

قد جنينا من أزاهير الردى
زهرةٌ سوداءُ لا تَعْدِلُهَا
كيف نهوى زهرةً، أوراقها
تشعل الوجدَ ولوعات الغليلِ
ودماءُ القلبِ تجري بمسيلِ
كلما زادَ احمراراً لَوْنُهَا
قد جنينا من أزاهير الشقاءِ
تُبدلُ النفسَ سواداً من ضياءِ
تنفح السم أريجاً والبلاءِ
كم جنينا من أفانين الألمِ
لونها المأخوذُ من لونِ الظلمِ
زهرةٌ سوداءُ من زهرِ النِّقَمِ
كم جنينا من أزاهير القدرِ
زهرةٌ سوداءُ من زهرِ الضجرِ
فهي بالليل سهادٌ وسَهْرُ
هذه الأزهارُ سودٌ كالقضاءِ
ليس لي منها مفرُّ أو نجاءِ
إن هذا العيش داءٌ أيُّ دواءِ

زهرة اليأس وأزهار الأسى
زهرةٌ حمراءُ من زهر الهوى
من دموع الصبِّ تندی والدماءُ؟
وهي مثل الجرح في صدر القليلِ
دمه ري جذور وأصول
راح جسمي بشحوبٍ ونحول
زهرةٌ سوداءُ من زهرِ القضاءِ
ليس تنمو في رجاءٍ أو رخاءِ
وهي تغذى من زفير وبكاءِ
زهرةٌ سوداءُ من زهر الندمِ
عابسٌ فوق شفاه المبتسمِ
فهي طيف من ممات قد أَلَمِ
وأفانين صروفٍ وغيَرِ
وهي من نَبَتِ همومٍ وكَدَرِ
وهي في الصبحِ الشقاءِ المنتظرِ
في رياضٍ من شقاءٍ وعناءِ
فهي حولي في صباحٍ ومساءِ
ليس يُمَحَى بشكاةٍ أو بكاءِ!

طبع الإنسان

سعةُ الآمالِ فيه كالقَدَمِ
وبه عجزٌ وضيقٌ في الهممِ
وهو فوق الأرضِ لَمَّا يحتكمُ
يبتغي النجمَ منالاً من أممِ
ولقد أنظر ما تأتي الأممُ
تترك الناسَ على بؤسٍ وهمِ
ضاع منهم تحت أشلاء الرممِ
يُسأل الجبارُ عما يَجْتَرِمُ
رُبَّ عيشٍ هو شرٌّ من عَدَمِ
نوبةٌ للشرِّ فيه تحتدمُ
أو يذيع الشرَّ منه والألمِ
يصدع الأرضَ إذا ما يصطدمُ
ويزيل الشرَّ منا والتُّهمِ
إنما الناسَ قطيعٌ من غَنَمِ
وصفاتُ القرديِّ والكلبِ النَّهمِ
يردع الأهواءَ من خيرِ الحِكمِ؟
بضَّةُ الملمسِ تخفي من نَقَمِ
فإذا ما غفل الراعي هجمِ
وإذا ما ضعف المرءُ حلمِ
رحمةُ الخبِ بكى حتى احتكمُ
سطواتِ الشرِّ منا ما رَجَمِ
أن نعاني الضيِّمِ من خطبِ يُلَمِ!

إنما المرءُ خيالٌ زائلٌ
مثل قدر الخلدِ أطماع له
ويوُدُّ المرءُ لو نال السهى
فهو مثلُ الطفلِ في آماله
سفهاً أنظم في وصف الهوى
من ذنوبٍ ما لها من رادعِ
غاب رشدُ الناسِ عن أنفسهمِ
يُقتلُ المرءُ على الجرمِ ولا
أسعدُ الناسِ قتيلاً هالكُ
إنَّ بالمرءِ جنوناً جاعلاً
لا ينال البُرءُ من نوبته
هل لنا من كوكبٍ ذي مِرَّةِ
فيريح الناسَ من آمهمِ
حدَثَ الدهرُ حديثاً صادقاً
وصفاتُ الذئبِ طبعٌ فيهمِ
أين فخرُ الناسِ بالعلمِ وما
يبسط العلمُ عليهم جلدةً
جلدةُ السخلِ بها الذئبُ ارتدى
وإذا ما اقتدر المرءُ سطا
لا تُرَجِّى منهمُ مرحمةً
لو يكون المرءُ فينا آمناً
نحن نبكي رحمةً من خشيةِ

الحب واليأس

وابتساماً فيهما كان يجول
ونجومى قد تقاضاها الأفلول
في طريق العيش والعيش وعر
فحجبتهم نورَ قلبي والبصر
في ظلام اليأس تخبو وتنير
كلما هبَّت بها ريحُ الزفير
راقصاتٍ بين نارٍ ورياح
مُحيياتٍ للدجى حتى الصباح
ما عليكم من ملامٍ في جفاء
فاستجبروا بمفرِّ أو نجاء
ريحُ سوءٍ حملت جرثومَ داءٍ
زهُو قلبي من حياةٍ ورجاءٍ
إن في قربي لكم عدوى الشقاء!

حجبت عينك عني نورها
فحياتي كظلامٍ حالِكٍ
كنت أستهدي بمصباحِ الهوى
كنت أستهدي بنورٍ منكمُ
صرت أستهدي بنارٍ للشقاء
تقصر الأشجان فيها وتطول
فهي كالأشباح في جنح الظلام
راقصاتٍ كشياطين الدجى
فاهجروني إن سمعتم من نصيحٍ
إن حبي مثلُ داءٍ قاتلٍ
أنتم كالزهر تمحو زهوه
إن حبي ريح سوءٍ قتلت
فاحذروه واتقوني جهدكم

الحبيبان

مناجاة الحبيب الأول

وأنت إبليس لذاك الجحيمِ
وبالرزايا والبلاء المقيمِ
كالجمر يذكو للعذاب الأليمِ
يُظمي ولا يشفي أوام الكليمِ
يلفح لفتحاً مثل لفتح السمومِ
كالصلِّ إن يعوج أو يستقيمِ
أحب عُشاقك فينا الأثيمِ
وقبحه، ويحُ لحسنِ نديم!

يحكي فؤادي في هواك الجحيمِ
بالشرِّ الحاذك مبيثوثه
وخذك المشبوبُ في حمرةِ
والريقُ كالمهل شرابُ الردى
وحرُّ أنفساك في مرّها
يا تائهاً يختال في مشيه
عينك يغري لحظها بالبعاءِ
أنت إله الشرِّ في حسنه

مناجاة الحبيب الثاني

لأنتَ برءٌ للأسى والهمومُ
كالروضة الغنّاء ذات الكرومُ
ينفتُ سُمًّا فمها أو سمومُ
كما سعى نحو الطبيبِ السقيمِ
ووجهك الزاهر زهر عميمٍ
من الجوى والوجد مثل النسيمِ
ودون أضلاعك قلبٌ رحيمٍ
وحسنها الخالد خلد النجومِ
يصيبه الدهرُ مصابِ الجسومِ

يا جنةَ الحبِّ وروضَ النعيمِ
يا جنةً تترك قلبي لها
يا جنة ما إن بها حيةً
يسعى إليك الكونُ من بدئه
فلفظك العذبُ رحيقُ الهوى
تُبْرِئُ أنفاسك في مرّها
وطيُّ أحاظك نورُ الهدى
وأنت كالدمية في شكلها
للخير في الحسنِ خلودٌ فلا

صداقة الأموات والأحياء

يا أهلَ ودِّي وإخوتي؟
إلا لنحسي وشقوتي!
يَقْرَعَنَ عودي ومروتي؟
وذللُّ عدمي ولوعتي
يُشْعِلُ يَأسي وحسرتي
يكشف غمي وكربتي؟
ونطقهم برءٌ غلتي
يَقْعَنَ في خيرِ نخبتي
وصرت أبكي لوحشتي
وأنتم أصل علّتي؟
أندب حظّي وغربتي
وهم وقائي وجنّتي
يُغْنِي إذا النعل زلّت
بكل شملٍ مشتّت

لأني أمرٌ خذلتُموني
كأنكم ما صحبتُموني
أما كفى وقع نائباتٍ
حسبي سقامي وطول همي
كلُّكم كاذبٌ حقودٌ
أين الألى قريبهم شفاءً
مرأهمُ نشوةٌ وسكرٌ
أواه من وقعة المنايا
ما العيشُ عيش إذا تناءوا
كيف أرجي بكم شفائي
كأنني بينكم غريبٌ
أنتم سهام تهيض عظمي
لا يرتجى منكم معينٌ
غداً ينال الحمام منا

حتى كأن لم نكن نرائي
نعيشُ بالغشِّ ما حيننا
حتى إذا لاحت المنايا
طَهَّرْنَا الموتُ من خطايا
ننسى عداء الذين ماتوا
فنحسب الميت ذا وفاءٍ
ولو يعود الدفينُ حيًّا
لصار في وده كذوبًا
على دهاءٍ وخذعةٍ
غش عِدَى أو أحبةٍ
ورُبَّ حي كميِّتٍ
بَيِّنَةٌ في الأَسْرَةِ
والحيُّ يقلى بزلّةٍ
نبكي عليه بحُرْقَةٍ
من بعد نشرٍ ورجعةٍ
وعاد يُمْنَى بظنّةٍ

شاعر يحتضر

ألّقى الموتَ لم أنبه بشعري
وفي نفسي من الأبد اتساقُ
فَمَنْ للقلب يطربه بلحنٍ
ومن للكون يرمقه بفكرٍ
ومعنى الخلد يصغر عند نفسي
إذا ظمئ الفؤادُ إلى كمالٍ
رأيتُ الناسَ مثل البحر لجًّا
هي الأقوام كالأمواج تعلو
صحوتُ من المعيشة بعد سكرٍ
شربت الحلو من كاسات دهري
وحالات البقاء لها خمارٌ
فحالات السرور لها عقارٌ
وكان الجهلُ لي عيدًا فولّى
وأعقبت التساؤلَ والتقصي
فمن لي بالسكينة في حياةٍ
ظمئت إلى الكمال فلم أنلّه
ولم يعلم سوادُ الناس أمري؟
تدور الكائناتُ بها وتجري
يحن إليه من نظمٍ ونثرٍ؟
شبيه الكون في سعةٍ وقدرٍ؟
يضلُّ الخلدُ في أنحاءٍ فكري
رأى طولَ الخلودِ كقيّدٍ شبرٍ
وكم في البحر من صدفٍ ودرٍّ
كذاك الموج يسفل حين يجري
فيا لهفي على نشوات سكري
كذاك المرُّ من كاسات دهري
على طعميه من حلوٍ ومرٍّ
وللأرزاءِ فينا كأسُ خمرٍ
فيا شوقي إلى جهلات عمري!
وما في ذاك من غينٍ وخسرٍ
أعالجها كأني رهن أسرٍ؟
وذقتُ اليأسَ في صلّةٍ وهجرٍ

هياج النارِ من لهبٍ وجمرٍ
شبيهه الضوء في الأفقِ الأغرِّ
خلود النجم من شهبٍ وزهرٍ

وعالجتُ العواطفَ هائجَاتِ
وجملتُ الحياةَ بنظمِ شعرٍ
قصائد نيرات خالديات

أمل قديم

وتنقل العيش من حالٍ إلى حالٍ
وراح بي اليأس بين الصَّحْبِ والآلِ
عفت على أملٍ كالمنزل الخالي
مهدهم بين آثارٍ وأطلالٍ
من الحياة لباناتي وآمالي
من الحياة سقيم الوجه والحال
تستنزل البر في دفقٍ وتهطل
وكنت أثنى على موتٍ وأجالٍ
جمُّ الأمانى رخي العيش والبال؟
يجلو همومي في حلٍّ وترحالٍ
من الرجاء فيدني بعض آمالي!

ذكراك كالغيث تحيي جذب آمالي
من بعد ما طويت نفسي على مَضَضٍ
وطالعتني خطوبٌ كلما عصفتُ
حتى كأن فؤادي منزلٌ خربُ
من بعد ما يئست نفسي وما بلغتُ
وطننت نفسي أن أحيا إلى أمدٍ
حتى رأيت بروقا منك صادقةً
فصرت أثنى على عيشي ولذته
متى أراني ولي من رعيكم سببُ
أضحى رجائي مثل الشمس منتشرا
علَّ الزمان يرى ما لست أكتمه

مرآة الضمائر

وكم من ضمير لا يُنهنه بالزجر
فتلقاه عند الخير والشر لا يبيري
يواجه وجهًا منك بالحسن والبشر
يريك الذي قد بت تخفيه في الصدر
فليس لها خيرٌ لديك من الكسر
تبيت على زعرٍ وتصحو على دُعرٍ
من السوء والأحقاد واللؤم والشر

ضمائرُ هذا الخلق مثلُ طباعه
وكم من ضمير فاسدٍ تستشيره
وبعض المرائي خادعٌ غيرُ ناصحٍ
ولكن منها صادقًا غيرَ كاذبٍ
فإن تر يومًا مثلها من وذيلةٍ
إذا لاح يومًا شكلٌ وجهك فوقها
تري فوقها ما بت تخفيه جاهداً

يلوحُ كما تبدو الجمامُ في القبرِ
تدلُّ على ما في الضميرِ من السرِّ
ملامحُ لا تخفى تناديك بالجهرِ
وكلُّ ضميرٍ لو بدا لك في حُسْرِ
فما العدلُ إلا ما تَرَوْنَ من الأمرِ
فلا عدلَ يرضاه ولا رحمة تسري
إذا ما أتى ذنباً أحال على العذرِ
إذا خال فيه ما يلذ من الخيرِ
إذا ظن فيه ما يصاب من التجرِ
إذا خاف منه ما يعاف من الضرِّ
أظلُّ مَرُوعاً خوفَ عاقبة البشرِ
ويأكلُ عَرَضاً منك بالنابِ والظفرِ
وكان بخيرٍ قال حظك في الصبرِ
فإن نأقه فالصبرُ شرٌّ من المرِّ!
تطيبُ كلُّ الناسِ بالندِّ والعطرِ
لأصبح كلُّ الناسِ يُوسَمُ بالعرِّ
وربح فإنَّ البرَّ يبذل للبرِ
يبيعون خيراً بالجزاءِ وبالأجرِ
فيا عجباً للدين يُخلطُ بالنكرِ
وودُّهم وُدُّ ينغص بالغدرِ
رياءً كأن الغشَّ في دمهم يجري!

يرى الناس فيها أوجهاً كلها خناً
وفي كلِّ وجهٍ لو فطنت إشارةً
وفي كلِّ وجهٍ من جنونٍ ومن أذى
وكلُّ ضميرٍ لو فطنت مخادعُ
بني آدمَ لا تذكروا العدلَ ذكراً
إذا ما بدت من مطمح المرء حاجةً
وكلُّ ضميرٍ بالمعاذير مولعُ
وقد يحسبُ الشرَّ الوجيعَ فضيلةً
وقد يحسبُ الشيءَ الحرامَ محللاً
وقد يحسبُ العدلَ المبينَ ظلاماً
إذا ما بدا لي البشرُ في وجهٍ صاحبي
يحييكَ من ألاحظه بطلاقةٍ
وكلُّ صديقٍ إن رأى بك حسرةً
هو الصبرُ حلوٌ للذي لا يذوقه
ولو كان للاتام ریحُ خبيثةً
ولو كان سوءُ النفسِ داءً بجلدِهِم
فعالهم حتى الطلاقة متجرُّ
هم ساوموا الخلاقَ في كلِّ فعلةٍ
هم يحسبون الدينَ رزقاً ومتجرّاً
فعدلُهُم ظلمٌ وخيرُهُم أذى
وصدقُهُم كذبٌ وكلُّ فعالهم

عناء الطيف

فإنك توري حسرتي وتزيدها
وحولي صحراء الغرامِ وبيدها
إذا ما انقضت لوعات شوقٍ تعيدها

أرْحِنِي يا طيفَ الحبيبِ بهجرة
ويا طيفه أنت السرابُ تكيدني
تروعنني بالشوق في كلِّ طرفةٍ

وَعَدَّ عيني دمعها وسهوها
ولا في هجود العينِ يخلو هجودها
وتحدث منه لوعة لا أريدها
وقد شَفَّها أن لا حبيبَ يعودها
فيا بؤسها إن لم يمتها جديدها
لذيذٌ ولا الآمال يدنو بعيدها
حبيبٌ ينائيهَا وخبُّ يكيدها
فيُصدع عنها كبلها وقيودها
فوا حسرتا أن لا حمام يببدها!
وسخر وأم البؤ أودى وليدها
كأنِّي تكلَى قد أصيب وحيدها
إذا ما مضت لي لذة أستعيدها
فيا ويحها إن لم أجد من يعيدها
جدود الهوى والنفس شتَّى جدودها
وإن جدودَ الحبِّ فيكم سعودها
وهباتٌ شوقي لا يصاب ركودها
لقد صبرتُ لو أنَّ ذاك يفبدها!

ويا طيفُ قد قَطَّعتَ قلبي صبابَةً
ويا طيفُ لا في يقظة أنت تاركي
وتشعل من شوقي الذي أنا مطفي
وتبتعث النفس اللجوج إلى الهوى
كفاها من الوجدِ الأليم قديمها
حنانك لا حبي قليلٌ ولا الهوى
وإن لنفسي كل يوم شقاوةً
أما أن أن تلقى مماتاً يريحها
حياتي على الهجران شرٌّ من الردى
ويا طيفُ أنت البؤ فيك مضاضة
أبيتُ طوال الليل أبكي بحرقة
فيا ليت أن العمرَ أنغامٌ منشد
ولذات نفسي في الحياة قليلةً
لقد قُسمتُ في الحبِّ بيني وبينكم
فإن جدودَ الحبِّ عند نحوسها
وللريح هباتٌ وللشوق مثلها
يسومون نفسي الصبرَ والصبرُ قاتلٌ

سلوان الجنون

وهل بعدكم في العيش حُسْنٌ فينظرُ
تقرُّ وبالقلبِ الجريح فيجبُرُ
فيا طيبها لو أنَّ قرباً يُقدَّرُ
فلا الدمعُ يقذيهَا ولا النومُ ينفرُ
وأحمد من مرآه ما كنتُ أبصرُ
إلى سلوةِ تنهى الفؤاد فيزجرُ
فأنت الذي علِّمتني كيف أصبرُ

عسى ينعم الولهانُ منك بنظرةٍ
عسى بالضلوع الخافقاتِ من الجوى
عسى تُسعِدُ الأقدارُ يوماً بودكم
عسى أن يعودَ النومُ عيناً كليلَةً
عسى أن يعودَ العيشُ جمًّا ضيأوه
عسى هجرة تدعو المحبَّ فيرعوي
فلا تحزنن إن أدركتني سلوةٌ

فلا ذكرة تصبي ولا فكر يخطرُ
 وإنّ عناءَ الحبِّ ذاك التذكر
 على الأرض تسعى أم دفين معفراً!
 لما سرني منكم سلامٌ ومحضراً
 ولا الهجر يُجري دمعتي حين تهجرُ
 ولا مسمعُ فيكم لذيذ ومنظرُ
 ولم تكُ غضباناً فتدجو وتكدرُ
 إذا ذاقه الظمآنُ يُروى ويسكرُ
 ولم أكُ حتى مَطْلَعِ الفجرِ أسهراً
 ولم يك قلبي وإلهاً يتسعراً
 غناءً وألحانُ تروق وتسحرُ
 لقلبي ولم أعشَقْك من حيث أشعرُ
 لعيني ولا في خطرٍ حين تخطرُ
 أبيت حذار السوءِ أبكي وأذعرُ
 وأنتم نيامٌ، خائفاً أنستَرُ
 أما كل مجنونٍ على الهجر يُعذرُ؟

عسى أن تجنَّ النفسُ فيكم جنونها
 فإن جنونَ النفيسِ سعدٌ وراحةٌ
 فأنساك حتى لستُ أدري أعائش
 وأنساك حتى لو عرضت مسلماً
 وأنساك حتى لا أريد وصالكم
 كأنك ما كنت الضياءَ لمقلتي
 كأنك لم تضحك فتضحك عيشتي
 ولم تك لي الماءَ الزلالَ على الصدى
 كأنني لم أفضِ النهارَ بحسرةٍ
 ولم يجرِ دمعي حرقَةً وصباية
 ولم يك لي في كلِّ قولٍ تقوله
 كأنني لم أعشَقْك في كل نبضةٍ
 كأنني لم أعشَقْك في كلِّ طرفيةٍ
 ولم أكُ من خوفي عليكم مروّعاً
 ولم أكُ من شوقي أمرٌ ببيتكم
 فإن يبلغ الحبُّ الجنونَ فلا تلمُ

ليس لي شغل سواك

فأجز عني جفاك
 لا ترى حتى تراك
 كلُّ مخلوقٍ فذاك
 بالذي فيه رضاك
 بتُّ أخفي من هواك
 فله الله اصطفاك
 منّ عناه قد عناك
 مؤمن يرجو هداك

ليس لي شغلٌ سواك
 شقيتُ بالناس عينُ
 أنت خيرُ الناسِ روحاً
 لا يطيبُ العيشُ إلا
 أنت لا تعرف ما قد
 أنت معنى كلِّ حُسن
 أنت معنى وهو لفظُ
 يا نبيّ الحسنِ إنني

إِنْ طَرَفِي فِي عِنَاءٍ لَيْتَ طَرَفِي مَا رَأَى
 إِنْ قَلْبِي فِي عَذَابٍ لَيْتَ قَلْبِي قَدْ قَلَانُ
 فَخَرَ الْكُونُ وَأَبْدَى بِهِجَةً حَيْثُ احْتَوَانُ
 أَظْلَمَ الْعَيْشُ فَجُدُّ لِي بَضِيَاءٍ مِنْ سِنَانُ
 بِسَلَامٍ أَوْ كَلَامٍ أَجْتَنِيهِ فِي لِقَانُ
 إِنْ نَفْسِي لَكَ غَرَسُ كَيْفَ لَا تَرْجُو جِدَانُ
 إِنْ نَفْسِي لَكَ أَرْضُ وَقَعْتَ تَحْتَ عِلَانُ
 أَنْتَ مَعْنَى كُلِّ مَخْلُو قِي فَلَاحِي سَوَاكُ!
 فَتَعَطَّفَ يَا حَبِيبِي لَا تَخَيَّبُ مَنْ دَعَاكُ!
 وَابْتَسِمَ يَبْتَسِمِ الدَّهْ رُ وَيَدْجُو مِنْ جَفَاكُ
 وَقَعْتَ نَفْسِي مِنْ حُبِّ كَ فِي شَرِّ الشُّبَاكُ
 لَيْسَ لِي فِيهِ مَعِينُ لَا وَلَا مِنْهُ فِكَاكُ
 لَمْ لَا تُدْنِي مُحَبًّا كَلِمَا حَنَّ بَكَاكُ؟
 مَا دَرَى لِلْعَيْشِ مَعْنَى قَلْبُهُ حَتَّى هَوَاكُ
 مَا رَأَى لِلْعَيْشِ حَسَنًا لِحِظُّهُ حَتَّى رَاكُ
 كَيْفَ تَسْلُو عَنْ مُحَبِّ بِكَ صَبُّ مَا سَلَاكُ؟
 لَا هُنَاكَ النَّوْمُ يَا سَا لِبَ نَوْمِي لَا هُنَاكُ!
 مَا هُنَانِي النَّوْمُ مَذْ لَا حَتَّ لِعَيْنِي حُلَاكُ
 أَيُّهَا الْقَلْبُ اسْأَلْ عَنْهُ فَهُوَ لَا يَدْرِي لِظَاكُ
 نَاعِمُ الْبَالِ قَرِيرُ لَيْتَهُ عَانِي جَوَاكُ
 أَيُّهَا النَّشْوَانُ مِنْ حَمِّ رِ الْهَوَى مِنْ ذَا سَقَاكُ؟
 أَيُّهَا الْوَالِهْ مِنْ وَجْدِ دِ الْهَوَى مَاذَا دَهَاكُ؟
 مَا نَهَاكَ الصَّدُّ وَالْإِعْ رَاضُ عَمَنْ قَدْ جَفَاكُ؟
 مَا أَظُنُّ الْحَبَّ يَحْدُو بِكَ إِلَّا لِلْهَلَاكُ!

حلم بالبعث

من المقابر ميتًا حوله رممٌ
ولا طموحٌ ولا حلمٌ ولا كلمٌ
فليس يطرقني همٌّ ولا ألمٌ
ولست أسعى لعيشٍ شأنه العدمُ
ولا ضميرٌ ولا يأسٌ ولا ندمٌ
راعت مظاهره الأحداث والظلمُ
نبحُ العدوُّ وبي عن نبهٍ صممُ
عدًا كأنَّ مرَّ بي الأبادُ والقدمُ
أبواقهم وتنادت تلكمُ الرممُ
هوجاءُ كالسَّيلِ جمٌ لجه عرمُ
وتلك تعوزها الأصداغ واللممُ
وذاك غضبان لا ساقٌ ولا قدمُ
وصاحبُ الرأسِ يبكيه ويختصمُ
عن قبحٍ ما تترك الأحداث والعدمُ
ليلبس اللحم من أضلاعنا الوضمُ
أني عن البعثِ بي نومٌ وبي صممُ
يُنجِي من البعثِ، إن الله مُحَنِّكُمُ
وقد بُعِثتَ فماذا ينفع الندمُ؟
ومن جنائية ما يأتي به الكلمُ!

رأيتُ في النومِ أني رهنٌ مظلمةٍ
ناءً عن الناسِ لا صوتٌ فيزعجني
مطهَّرٌ من عيوبِ العيشِ قاطبةٍ
ولست أشقى لأمرٍ لست أعرفه
فلا بكاءً ولا ضحكٌ ولا أملٌ
والموتُ أطهر من خبثِ الحياة وإن
ما زلتُ في اللحدِ ميتًا ليس يلحقني
مرَّت عليَّ قرونٌ لست أحفظها
حتى بُعِثتُ على نَفخِ الملائكِ في
وقام حولي من الأمواتِ زعنفَةٌ
فذاك يبحثُ عن عينٍ له فُقدتُ
وذاك يمشي على رجلٍ بلا قدمٍ
وربَّ غاصبٍ رأسٍ ليس صاحبه
ويبحثون عن المرأةِ تخبرهم
جاءت ملائكةٌ باللحم تعرضه
رقدتُ مستشعرًا نومًا لأوهمهم
فأعجلوني وقالوا: قم فلا كَسَلُ
قد مُتَّ ما مُتَّ في خيرٍ وفي دعةٍ
أستغفر الله من لغوٍ ومن عبثِ

صنم الملاحه

قَة واللذائِدِ والألمِ!
فما أحسَّ ولا رَجِمُ
أوليس من حجرٍ أصمُّ؟
نِك كالسرابِ إذا ألمُ

صنمَ الملاحَةِ والرِشا
ناجيتُ قلبك كي يَرِقَّ
يقسو فؤادك يا صنمُ
وخذعتني بغديرِ حُسُ

وتركّنتني كالمصحر الـ
صنم الملاحه زفرتي
وتبث فيك الحب يا
فتحس فيك شجونه
فدع الجمود لأهله
صنم الملاحه إنَّ حُسـ
فاذا لقيتك أو سمعـ
تدع الفؤاد كطائر
وتنام ليلك ناعماً
صنم الملاحه إنني
بلغ الغرام إلى الجنو
وملكتني فظلمتني
وحييت بين الناس معـ
والحب حلو ذائب
ومن العجائب أنني
فكان حسنك ما جنى
يا ليت حبك يا صنم
فأفيق منه مسلماً
فكان حسنك لم يكُنْ

ظمآن يهلكه السقم
تحريك من سنة ونوم
صنم الملاحه يا صنم!
وتصير من لحم ودم
إنَّ الجمود هو العدم
نك مثل ألحان النغم
تُك أو رأيتك في اللحم
إن هم بالطيران لم
وأبيت ليلي لم أنم
وهواك في نحس وهم
ن فلا عتاب ولا ندم
والحسن أظلم من حكم
رؤفاً بحبك متهم
والحب من صاب وسم
بسراب حسنك معتصم
شراً علي ولا اجترم
حلم تجيء به الظلم
مثل الظلام إذا انصرم
وكان حبك لم يلم!

بين الحقيقة والخيال

أما عَلِمْتَ عيناك أني قتيلها
فليس عيونُ النرجس الغضُّ مثلها
وليس عيونُ النجم أبهى إذا بدت
لعينيك سحرٌ ليس للسحر فعله
أما عَلِمْتَ عيناك أني عاشق
وكلُّ حبيبٍ بالمحبِّ خبيرٌ؟
ولا القطرُ فوق الوردِ وهو نضيرٌ
وللنجم لحظٌ في الظلام منيرٌ
فليس لها في الفاتنات نظيرٌ
وأني غريبٌ في الحياة أسيرٌ؟

تثير غرامًا واللحاظ تثير؟
 رجعت ولحظي من سناك حسير
 فهل يأتيني عن رضاك بشير؟
 فكلُّ فضاءٍ طائرٍ سيطيرُ
 وكلُّ قليلٍ من رضاك كثيرُ
 له عائفًا، أمُّ الودادِ نَزورُ
 قروُدُ إذا كَشَفْتَهُمْ وحميرُ!
 نعيقُ إذا بينته ونعيمُ!
 وذيلُهُم لا كالقروِدِ قصيرُ!
 عصورٌ على أعقابهن عصور
 فللقرد عقلٌ وافرٌ وضميرُ!
 لها من أباطيل النفاق سيورُ
 فكلُّ حياةٍ لو علمت غرورُ
 وذلك رأيٌ لو غضبت خطيرُ!
 تحدثنا أن النظيرَ نظيرُ!
 وإن قلت أنت الشمسُ فهو فجورُ!
 وبعض الخداعِ للحياة نصيرُ
 وأيُّ سرورٍ في اليقين سرورُ؟
 وأنت جمالٌ للحياة منيرُ!

أما عَلِمْتَ عيناك أن لحاظها
 إذا ما كَرَزْتُ اللحظ نحوك طرفه
 لقد كثرَ الناعون للودِّ بيننا
 حبيبي دع الدنيا تجيء بما تشا
 وجد لي بذخرٍ من ودايك وافرٍ
 وإن تَلَقَّ وداً مثل ودي فلا تكن
 ولا تحسبنَّ الناسَ ناسًا فإنهم
 وأكثر ما خالوه صدقًا وحِكمَةً
 وأذانهم مثلُ الحميرِ طويلة
 بني آدم من قبل آدم قد مضت
 فإن يك فيكم فطنةٌ وضمائرُ
 ضمائرکم لو تعلمون حبائلُ
 حبيبي لا يحدث لك الحسن غرَّة
 أما أنت نسلُ القردِ كالناسِ كلهم
 مشابه لا تخفى لديك كثيرة
 فإن قلت أنت البدرُ فالقولُ كاذبُ
 وما ذاك إلا خدعةٌ وتعلُّلُ
 وهل يستقيمُ العيشُ إلا بخدعةٍ
 بلى أنت نسل البدرِ والشمسِ زوَّجا

الحسود

خليلاً وهل في الحاسدين خليلُ؟
 طواها عنيفٌ عند ذاك عجولُ
 عليه السماء، والنهارُ جميلُ
 له لحظات كلهن غليلُ
 تحيِّرُ في أماقِه وتجولُ

أخ لي، وإخوان الصفاءِ قليل
 إذا ما بدت لي خصلةٌ يستجيدها
 وأدرکه مسُّ الجنونِ وأظلمت
 تنفَسَ أنفاسًا سراعًا، وأبرقت
 فرائصه مرجوفةً، ودموعه

ألا إنها طَبَعُ لديه دخيلُ
إِذَا غَبْتُ عنه كَالهَجَاءِ ثَقِيلُ
يَقُولُ له أَحْسَنْتَ حينَ يَقُولُ
أَجُولُ بَعِيْبٍ فِيهِمْ وَأَصُولُ
أَعِيْبٍ عَلَيْهِمْ فَضْلَهُمْ وَأَذِيلُ
يَجْمَعُ قَوْلًا مَشْكَلاً وَيَمِيلُ
تَمْلَمَلُ حَقْدًا وَالْحَقْوَدُ عَلِيلُ
مَقَالًا وَبَعْضُ الصَّامِتِينَ يَقُولُ
بِفَضْلِي وَمَا تَبَغَى لَدِيْ نَحْوُلُ
عَلِيٍّ وَأَنِي فِي الشَّقَاءِ أَقِيلُ
تَوُجِّهَ رِيْحٍ عَلَيْهِ تَجَوْلُ
يَرُوْعُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ وَيَهْوُلُ
وَلَا زَالُ عَنِي مِنْ هَوَاهُ نَكْوُلُ

وَإِنْ تَبَدُّ مِنِّي رِيْبَةٌ قَالَ بِاسْمًا
وَيَشْدُو بِمَدْحِي حَاضِرًا، وَمَدِيْحُهُ
وَيَبْسُمُ لِلزَّارِي عَلِيٍّ كَأَنَّمَا
وَيُوْهَمُ صَحْبِي أَنَّنِي ذُو عِدَاوَةٍ
وَأَنِّي مَغْتَابٌ وَأَنِّي حَاسِدٌ
إِذَا اسْتَخْبَرُوا عَن شِيْمَتِي وَمَحَاسِنِي
وَإِنْ مَدْحُونِي جَاهِدِينَ وَأَكْثَرُوا
يُعِينُ عَلَيَّ شَتْمِي وَإِنْ هُوَ لَمْ يَقُلْ
وَيَبْغِضُنِي سِرًّا كَأَنِّي وَتَرْتُهُ
وَيَعْتَدُ غَنَمًا أَنْ تَنْبِيْحَ مَصِيْبَةٌ
كَأَنَّ جَحِيْمًا مَوْقَدًا فِي ضُلُوْعِهِ
وَفِيهِ شِيَاطِينَ مِنَ الْحَقْدِ وَجَهَهَا
فَلَا زَالُ مَسْمُومًا مِنَ الْحَقْدِ عَانِيًا

بِاللَّهِ مَا تَفْعَلُ لَوْ بَلَّغُوكَ

أَنِي عَرَّتْنِي جِنَّةٌ مِنْ هَوَاكَ؟
لَمْ يَعْرِفِ الذَّلَّةَ حَتَّى رَأَى؟
وَالسَّخْرَ أَنْ تَضْحَكَ مِمَّنْ بَكَأ؟
إِذْ أَظْلَمْتَ عَيْشَتَهُ مِنْ جَفَاكَ
إِذْ مَضَتْ لِي أَشْهُرٌ لَا أَرَاكَ؟
فَالعَيْنُ لَا تَبْصُرُ حَتَّى تَرَكَ
أَغْدُقُ عَلَيْهَا رَحْمَةً مِنْ سَنَاكَ
وَالنَّفْسُ لَا تَأْمَلُ إِلَّا رِضَاكَ
فَلَيْسَ لِي فِي العَيْشِ شَغْلٌ سِوَاكَ
حَتَّى مَتَى لَا حَظٌّ لِي مِنْ لِقَاكَ
طُوبَى لِعَبْدٍ قَاطِنٍ فِي ذِرَاكَ

بِاللَّهِ مَا تَفْعَلُ لَوْ بَلَّغُوكَ
أَأَنْتَ بَاكِ لِلْمَحَبِّ الَّذِي
أَمْ ضَاحِكٌ لِأِهِ بِهِ سَاخِرُ
بِكَأكَ لِلصَّدِّ وَلِوَعَاتِهِ
وَكَيفَ لَا يُذْهِبُ لَبِيَّ الهَوَى
أَظَلُّ كَالْأَعْمَى إِذَا غَبْتُمْ
يَا نُورَ عَيْنِي، غَالِ عَيْنِي العَمَى
وَالعَقْلُ لَا يَعْقِلُ إِذَا غَبْتُمْ
أَبَيْتُ لَا أَذْكَرُ إِلَّا اسْمَكُمْ
حَتَّى مَتَى لَا وَدٌّ لِي مِنْكُمْ
مَرَّاكَ مَرَّاكَ الَّذِي أَبْتَغِي

بالله ما تفعل لو بلغوك
 وأنني قد صرتُ في حفرةِ
 والدودُ لا يُفلتُ منه الرميم
 أنتِ تبكي للرميمِ الدفينِ
 بالله ما تفعل لو بلغوك
 لما مللتُ العيشَ من بعدكم
 جرعتُ منه جرعةً كأسها
 يا عجباً لو كنتِ لي راحماً
 اضحكُ ولا تحزن لما نابني
 أن الهوى أورد نفسي الهلاكُ
 قنيسةَ الدودِ ويا بؤس ذاكُ
 والموتُ ما للمرءِ منه فكاكُ
 أم ضاحك مما جنته يداكُ؟
 أني أسعى عامداً للهلاكُ!
 سقاني السمَّ الذي لا سقاكُ
 يروي صدى القلب الذي قد هواكُ
 أحرقةَ الرحمةَ تكوي حشاكُ؟
 الجسمُ والروحُ جميعاً فداكُ!

الحب والحياة

إني أحبُّك يا صديقُ
 حباً يزيد على الملا
 إني أحبُّك ما حبيبُ
 وإذا بعثت فأنت شغُ
 والحبُّ فيه لذي الصبا
 والحبُّ مثل الخمر تشُ
 والحبُّ مثل الحرب إنُ
 لا يسلمن من اللوا
 إن السعادةَ والشقا
 فتكاتُ طرفك كالمقا
 لحظٌ يطل به الضيا
 لحظٌ هو الصدقُ المبيدُ
 لحظٌ به سرُّ الحيا
 لا تخجلن إذا وُصفُ
 فالحسنُ أعظمُ ميزةُ
 والحبُّ أهونُهُ شديدُ
 م كأنه الطفل العنيدُ
 ت فإن قضيت فلا يبيدُ
 لي لا الجزاء ولا الوعيدُ
 إما الهلاك أو الخلودُ
 ربيها فيغريك المزيذُ
 شَبَّتْ يَشِيبُ لها الوليدُ
 حظ لا الجبان ولا الجليذُ
 وَهَ والحمام لها جنودُ
 در في المصادر والورودُ
 ء على المباسم والخدودُ
 نٌ وغيره الكذبُ الرديدُ
 ةٍ وسرُّها أبداً جديذُ
 ت بحسن طرف أو بجيدُ
 والحسن كالذخر التليذُ

حدثت نفسي أن حُبَّ
 فإذا عفوت فإنني
 لو كان حسن العيش في الـ
 فإذا انقضى عاودته
 لقضيتُ منه مآربي
 ليس السعادة للمحبِّ
 والحبُّ قد يجني على الـ
 أو ما ترى حسن الطيو
 تجني المناقب والصفاء
 فالعيرُ نالُه الغبا
 تتكسب الرزق القليل
 حسبوا الأديب وقولُه
 أوأه من عنت الجهو
 لو كان قلبي كالرما
 ولئن ضحكت فإنه
 والحبُّ فيه تعلُّة
 تُلهي المحبَّ عن الحيا
 وتليح بالحلم اللذي
 فاضرب بسهمك في الحيا
 واندس في وسط الزحا
 وارْقُص على نغم الحيا
 واضحك وكُل واعمل ونم
 واحمل حياتك في يدي
 واستقبل الأيام في
 فإذا دَعَتَكَ منية
 فادلف لها دلف المجرِّ

ك لا الرشيد ولا الحميد
 وحياة حُبِّك لا أعود
 صَبَوَاتِ كالنغم السديد
 فأعيده للمستجيد
 ونعمتُ بالأمل المديد
 بل الجميل هو السعيد
 مَعشوق من شرِّ وكيد
 رِ يُصاد للريش النزيد؟
 تُ على الذكي أو البليد
 وجنى الذكاء على القروء
 ل لتضحك القوم الجمود
 كالقرد يضحك لا يفيد
 ل وما يقول وما يكيد
 د لما أَلِمْتُ من الخمود
 ضحك البوارق والرعود
 تُلهي الشقي عن الجدود
 ة أو النحوس أو السعود
 ـِ وتحتة الأمل الصدود
 ة فما البكاء على فقيد؟
 م فما الخمول وما الفُعود؟
 ة فما لها أبداً مُعيد
 وادأب على السعي المجيد
 ك فإن أصبَّت فما تميذ
 دعة فمن بيض وسود
 والمرء كالزرع الحصيد
 ب لا يخور ولا يحيذ!

سراب الود

وأتقيهم بقلبٍ غيرٍ مسرورٍ
بادي العداوةٍ مخضوبِ الأظافرِ
عيشي عليلاً وصنعي غيرُ مشكورٍ
وعن ذليلٍ شديدِ الغلِّ مقهورٍ
طبعُ العقورِ وإما طبعُ معقورٍ
لو أنني كنتُ حرّاً غيرِ مجبورٍ
والحقُّ في الطبعِ بادٍ غيرُ مستورٍ
إلا على رنقٍ منه وتكديرِ
دار الزمانِ علينا بالمقاديرِ
وعن مروعٍ كثيرِ الهمِّ مؤتورٍ
لا الود يصفو ولا قلبي بمغرورٍ
وقد ظفرتُ بحظٍّ منه مقمورٍ
أقضي به العيشِ محمودِ المصاديرِ؟
بين البغالِ وأحلامِ العصافيرِ!
كأنما روحه صيغت من النورِ؟

ألوي إلى الناسٍ وجهاً غيرَ منبسِطٍ
أنّي تلفتُ لم أبصر سوى رجلٍ
هم يحسدوني على عيشي فوا أسفي
تكشّف الناسُ عن عادٍ له إحنُّ
للناسِ في العيشِ من بدوٍ وحاضرةٍ
ما كنتُ أختار هذي الناسَ منزلةً
الشرُّ والكذبُ والأحقادُ طبعهمُ
أسقي التصافي خليلاً لا يعاشرني
إذا اتخذتُ خليلاً لي أصادقه
فينجلي صرفه عن واترٍ حنيقٍ
عَلَلْتُ بالودِّ قلبي وهو ذو أملٍ
فما طلابي سراباً عزَّ مطلبُهُ
أما حبيبٌ رغيبٌ ذو مصادقةٍ
إنني لأرحم نفسي أنني أبداً
يا ويح نفسي، أما ألقى أختاً ثقةً

عبث الحياة

(أرسل إلي صديقي الشاعر العبقرى الجليل عباس أفندي محمود العقاد هذه الأبيات الآتية وهو مقيم بأسوان):

هلاً اقتديت بموجه المتجدِّدِ؟
أمةٌ ولكن ما لها من سيِّدِ
غضبانٍ يقذف بالलगامِ المزيدِ
قفّر لأطربني صغيرِ الفدْفِدِ
تمشي على كبدي كحز المبردِ

«يا جارَ بحرِ الرومِ ما لك صامتاً
غضبانٍ من لؤمِ الحياةِ وإنها
إما غضبت ففي جوارك خضرم
إنني ألبُّ بموطن لو أَنَّهُ
تمضي الشهور وفي الجوانح لوعةٌ

أشكو الزمان إلى القريض وتارةً
فاكتب على هذا الزمان ذنوبه
واضحك فإن قالوا تضحك قانط
تالله لو علموا لكان مكاننا
أشكو القريض إلى الزمان المعتدي
إنا نؤجله الحساب إلى الغد
فاضرب لهم مثل الغمام المرعد
فيهم أعز، وكيف علم المقتدي

(فأجبت به هذه الأبيات الآتية بالعنوان السابق):

ماذا يفيدُ تصوُّبي وتصعدي
كالبحر في أحواله متغيراً
عبثاً تعيثُ الریح في هباتها
عبثاً يسير النجم في أبراجه
عبثاً تضيء الشمس وجه مسالك
لو كان يدري المرء قدر شقائه
والناس غرقى في الشقاء ولؤمه
ومن البلية أنني بشقائهم
إن التبلى والبلادة والغبا
ولرب صحو للخمار مبعض
من لي بعيش لا أحس صروفه
ماذا يفيد تضاحك من قانط
ضحك يهد القلب وقع رعوده
ماذا على الإنسان لولا نسله
في مسلك للعيش غير ممهد؟
عبثاً يضج بموجه المتجدد
كالحادثات إذا تروح وتغتدي
متنقلاً في سيره عن موعد
للعيش تزخر بالشقاء المزبد
في العيش ود لو أنه لم يولد
من ناقم يشكو ومن متبلد
وشقاوتي أمحو لذيد تجلدي
مثل الخمر لذيدة والمرقد!
يأتي بهم للحياة مجدداً!
كالماء أو كالنار أو كالجمد!
نار الجحيم بقلبه المتوقد؟
ولرب ضحك في النعيم مغرد!
إن باع دنياه بموت سمرمد!

الحياة والفنون

جملك الله يا حياة كما
حديقةً للنفوس زاهية
تجلو لك العيش من غياهبه
تنور النفس نورها أبداً
جملاً وجه السماء بالشهب
ببدائع في الفنون والأدب
مستخلصاً من شوائب الريب
في مشرق من ضيائها الذهبي

غَرَاءَ فِي حُلَّةٍ مِنَ اللَّهَبِ
وَالنَّفْسُ تَرْهَى بِثَوْبِهَا الْقَشْبِ
مِنْ مُحْكَمِ الصَّنْعِ أَقْرَبِ النَّسَبِ
صَنَعَ مَفِيدِ الْأَلَاتِ وَالْقَضِبِ؟
أَرْضَ بَيوتًا مَرْفُوعَةَ الطُّنْبِ؟
مِزْمَارَ وَالصَّنَجِ لَذَّةَ الطَّرِبِ؟
عَاشِقُ لِينًا وَسُورَةَ الْغَضَبِ
وَاللَّحْنَ سَكْرَ مِثْلِ ابْنَةِ الْعَنْبِ
أَقْدَارُ مِنْ مَغْنَمٍ وَمِنْ سَلْبِ
دَهْرٍ وَطَوْرًا كَرَقِصَةِ اللَّعِبِ
نُصِيبُ مِنْ نِعْمَةٍ وَمِنْ كَرْبِ
حَالِيهِ مِنْ رَاحَةٍ وَمِنْ تَعَبِ
عَقْرَاطِيسَ لُونًا مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ؟
أَجْسَامَ مِنْ نَاضِرٍ وَمِنْ شَحْبِ
وَمَا يَلِيهِ مِنَ الدَّمِ السَّرِبِ
نَرَاهُ فِي بَدْنِهَا وَفِي الْعَقْبِ
شَمْسٍ وَيَأْتِي بِظِلْمَةِ السَّحْبِ
صَخْرٍ دُمِّي فِي وَضَاءَةِ الشَّهْبِ؟
يَظَلُّ عَرِيانَ غَيْرِ مُحْتَجِبِ
رِيحُ بِهَا الْجَسْمَ لَيْسَ فِي حَجَبِ
تَفَكَّرَ فِيمَا تَرِيدُ مِنْ أَرْبِ
خَافِقَةً بِالشَّعُورِ وَالنَّصَبِ
شُعْرَ مَقَالًا كَاللَّحْنِ فِي الطَّرِبِ؟
حِكْمَةَ هَذِي الصَّرُوفِ وَالنُّوبِ
جَمَاعَهَا فِي الْقَرِيضِ وَالْأَدْبِ
دَانَ دَلُوفَ بِالْحَادِثِ الْأَشْبِ
تَقْتُلُ رُوحَ الذِّكَاةِ بِالرَّيْبِ
شَكَّ وَتُودِي بِهَمَّةِ الطَّلِبِ

وَالْحَسْنَ ضَوْءُ النَّفُوسِ يَظْهَرُهَا
وَالْحَسْنَ ثَوْبُ النَّفُوسِ تَلْبَسُهُ
وَكُلُّ فَنٍّ إِلَى الْجَمَالِ لَهُ
مِنْ عِلْمِ الْمَرْءِ فِي بَدَايَتِهِ
مِنْ عِلْمِ الْمَرْءِ أَنْ يَقِيمَ عَلَى الْإِ
مِنْ عِلْمِ الْمَرْءِ أَنْ يِنَالَ مِنْ الْإِ
يُحْكِي بِهَا ضَرْبَهُ مُغَازِلَةَ الْإِ
وَاللَّحْنَ خَمْرُ النَّفُوسِ تَشْرِبُهُ
يُحْكِي بِهِ مَوْقِعَ الْحَوَادِثِ وَالْإِ
يُحْكِي بِهِ الْجَدَّ إِذْ يَجِدُ بِهِ الْإِ
يُحْكِي بِهِ السَّعْدَ وَالشَّقَاءَ وَمَا
يُحْكِي بِهِ خَفَقَةَ الْفُؤَادِ عَلَى
مِنْ عِلْمِ الْمَرْءِ أَنْ يَخْطُ عَلَى الْإِ
يُحْكِي بِهِ الضَّوْءَ وَالِدِيَاغِيرَ وَالْإِ
يُحْكِي بِهِ أَوْجَةَ الْحَيَاةِ وَمَا
كَأَنَّمَا يَقْبَسُ الضِّيَاءَ مِنْ الْإِ
مِنْ عِلْمِ الْمَرْءِ أَنْ يَقْدَّ مِنْ الْإِ
تِلْكَ مِثَالِ الْكَمَالِ صَوْرُهُ
أَوْ فِي ثِيَابٍ كَأَنَّمَا يَبْرُزُ الْإِ
تَحْسَبُهَا فِي الْحَيَاةِ مَائِلَةً
تَحْسَبُ فِيهَا الْقُلُوبَ نَابِضَةً
مِنْ عِلْمِ الْمَرْءِ أَنْ يَقُولَ مِنْ الْإِ
يَعْلَمُ النَّاسَ فِي سُرُورِهِمْ
وَأَنْ هَذِي الْفَنُونُ قَاطِبَةٌ
وَالْفَنُّ جَمٌّ وَالْعَيْشُ آخِرُهُ
وَفِي صَرُوفِ الْقَضَاءِ عَرْقَلَةٌ
وَتَبْعَتْ الْيَأْسَ وَالْمَلَالَةَ وَالْإِ

مناجاة الأرواح

وأودعَ الروحَ طولَ العمرِ في الجسدِ
فيمنع المرءَ من صبرٍ ومن جلدٍ
للقلبِ عن كثبٍ تسعى وعن بعدٍ
مثل الفراشةِ حامتَ حولَ ذي غيدٍ
وتستقيديك في دَلٍّ وفي ميدٍ
صنعًا يلوح بحسنِ الواحدِ الصمدِ
فصرت عريانَ من أثوابِه الجددِ
يزورُ بالليلِ في نومٍ وفي سهدٍ؟
يا ليتَه كان ذا روحٍ وذا جسدٍ!
تجيءُ عفواً فلم تخلفِ ولم تعدِ
وكم صدحتُ كصدحِ الطائرِ الغردِ
وليس يدنيك لا شوقي ولا سهدي
إن الدعاءَ شفيحٌ غيرَ ذي سدِّ
لكنتَ تعرفُ ما وجدِي؟ وما كمدِي؟
في حينِ وجدِي شديدٌ غيرَ متئدٍ!

بحقِّ مَنْ خلقَ الأرواحَ ذاكِيَّةً
وخالقِ الحبِّ والأرواحِ تألفه
وجاعِلِ رسلاً في القلبِ يرسلها
وباعثِ من ضميرِ الصبِّ خاطرةً
تلك المناجاةِ تدني الروحَ عن شحطِ
بحقِّ من أنتَ من آياتِ صنْعَتِه
لو شاء بزكِ ثوبِ الحسنِ أجمعه
ألا بعثتَ خيالاً منك في صلّةِ
وما انتفاعي بطيفِ كله خدعُ
أو زرتني زورةً في الدهرِ واحدةِ
كم قد دعوتك في الظلماءِ منفردًا
أبيتُ سهرانَ مشغوفًا بذكركمُ
هيهات هيهات ما للقلبِ من رسلِ
لو أن للقلبِ ما خالوه من رسلِ
بل أنتَ لاهِ قريرُ اللعينِ ذو سنّةِ

أنا مجنون بحبك

فأزل غُلةَ صبكُ
فُ فأبغِي خلسَ لُبِّكُ
وأنا مُغرَى بشربكُ
ليس قلبي مثلَ قلبكُ
فادنني أحيَ بقربكُ
نَجّني من سوءِ ريبكُ
أحمد العيشَ بجنبكُ
دَهْرٍ مدفونٍ بتربكُ

أنا مجنونٌ بحبِّكُ
ليتني بالسحرِ معرو
ليتكم كأس عقارِ
أيها الظالمُ رفقًا
إن يكن في البعدِ موتُ
أنت كالدهرِ مريبُ
ليتني طولَ حياتي
ليتني في الموتِ طولَ الـ

س فأخمد نار حربك	سلمك المأمول فردو
ووعيدٌ طي سحبتك	وُدُّكم كالسحب وعدٌ
لم أجد عتبا كعتبك	عتبكم عتب الليالي
منك إلا سوء غيبك	أنا أهواك وما لي
أم لرجمٍ لحظ شُهبك	ألهدي ضوء عينك
نضجت أثمار رطبك	أنت بستانٌ أنيقٌ
ليت لي قلبا كقلبك	أتعدُّ الذنبَ ذنبي
ليت ذنبي مثلُ ذنبك	ذنبي الحبِّ لديكم
هجرٌ من ناجعِ طبك	يا طبيبَ الحبِّ ليس أَل
ناظرٌ يرنو لصوبك	إنَّ قلبي طولَ دهري
كلُّ صدقٍ دون كذبك	كلُّ خيرٍ دون شرِّك
كلُّ جدِّ دون لعبك	كلُّ عذبٍ دون مُرِّك
كل فضلٍ دون عيبك!	كلُّ صعِبٍ دون سهلِك

ظالمي ما أعدلك

فاقضِ إنَّ الحكم لك	ظالمي ما أعدلك
وجده عنك ملك	ليت روعي طرفة
ليت حبا قتلك	متُّ من داءِ الهوى
قلبَ عبدٌ ذلَّ لك	لا يغرنَّك أن أَل
فاتنا حتى هلك	كم جميل ما بدا
عن ودادي نقلك؟	أيُّ ذنبٍ جنَّته
عن دعائي شغلك؟	أي أمرٍ طارقٍ
منك أن لا قلب لك	قد بدا لي يا حبيبي
إنَّ شعري جمالك	إن يكن فيك جمالٌ
فيك روعي حاك لك	كل حُسنٍ شمته
طائعا لي بدلك	ليت لي يا قلب قلبا

قد دعا داعي الهوى فاتتد ما أعجلك
لتموتن ولا تب لُغ منه أملك
ما أظن الحب إلا بالغاً بي أجلك!

ليتني وليتك

ألا يا ليتني نسمة
فأهواك وتهواني
وكنت الروض ممطوراً
ألا يا ليتني ماءً
فأحويك وتحويني
ألا يا ليتني ليل
ألست الليل أحويك
ألا يا ليتني طرف
فألحاقك وتلقاني
ألا يا ليتني بحر
ألا يا ليتني أفق
ألا يا ليتني معنى
ألا يا ليتني ميت
فلا شوق ولا يأس
ويا ليتك لي زهره
فلا عتب ولا هجره
وكنت الغيث لي مطره
ويا ليتك لي خمره
ولا وجد ولا غدره
وكنت الدهر لي بدره
وأنت البدر لي غره؟
وكنت الدهر لي نظره
فلا بعد ولا ذكره
ويا ليتك لي قطره
وكنت النجمة الزهره
وكنت الدهر لي سره
ويا ليتك لي حفره
ولا نهى ولا زجره!

لولاك

لولاك ما ذقت طعم العيش لولاكا
لولاك ما بت طول الليل مكتئباً
تصيح بي الطير إني عاشق لكم
والزهر يعذرني فيكم ويبسم لي
فالحلو والمر معقود بجدواكا
ولا حننت لبرق من ثناياكا
من علم الطير أن القلب يهواكا؟
هل يعلم الزهر ما تجنيه عيناكا

كأنما نفحاتُ الوردِ ذكراكا
يا طيبه حينَ يأتينا بريাকা
كأنما قربه من طيبِ رؤياكا
ونظرةُ سُرِقَتْ من حسنِ مرآكا
هل من وداٍ فتلقاني وألقاكا؟
لعلَّ قلبي يسعى بي لمثواكا
فهبَّ قلبي ولباه ولباكا
هل جاءكم هاتفٌ منه فحياكا؟
يا ما أميلحه لو كان إياكا!
أقول يا ليت أن القلبَ يقلاكا
يا قلبُ صبرًا فما تجديك شكواكا!؟

يهبُّ شوقي لريحِ الوردِ أنشقه
أهوى النسيمَ الذي من نحو بيتكمُ
أحببتُ من حبِّكم من كان يعرفكم
فإن في عينه عن حسنكم خبرًا
حبيبُ يا زهرةَ الدنيا وبهجتها
أمشي أحدثُ نفسي عنكمُ أبدًا
اختارني الحبُّ دون الناس كلهمُ
كم يخلقُ القلبُ من نجواكمُ رسلاً
يطيفُ بي هاتفٌ من طيفكمُ أبدًا
من حبِّكم صرتُ أبغي عنكمُ بدلًا
أشكو إلى الريحِ ما ألقى بحبكمُ

الربيع والصبا

أيعودُ شجوك في الربيعِ الآتي؟
تهفو بسمع أحبتي ولداتي
إن أنت تدعو والحبيبُ يؤاتي
أفهل نسيتَ محاسنَ اللذاتِ؟
أفلا يصيخُ لدعوتي وشكاتي؟
ذهبيةُ الأشواقِ والصبواتِ؟
فنعيدها مبيضةَ الصفحاتِ
فالطيرُ خرَّسَ ميتةُ النغماتِ
أيعودُ شجُو القلبِ بعد فواتِ؟
يومًا ويدركه الأسى بمماتِ
ليست حياةً بعدها بحياةِ
ذكرى تليخُ بحفرتي ورفاتي!

يا قلبُ ما لك كالشتاءِ وبؤسه
قد كانت الآمالُ فيك صوادحًا
وتليخ لي بمطامعٍ مرجوةٍ
يا قلبُ نابذك الهوى ونبذته
ذهب الهوى بزهوره وطيورهِ
من لي بأيامٍ له محمودةٍ
نستقبل الأقدارَ وهي كوالحُ
ذهب الربيعُ أخو الصبا بذهابه
أين السبيلُ إلى معاودةِ الصبا؟
والقلبُ مثلُ الزهرِ يحييه الهوى
والمرءُ يحيا بعد فقْدِ شجونهِ
فالصدرُ قبرٌ والشجونُ رفاتُهُ

ليلة القدر

أماناً ليلة الدهرِ أماناً ليلة العمرِ
فقد أبصرتُ مَنْ أهوى شبيهةً الوجهِ بالبدرِ
فبتُّ الليلَ سهراناً أنادي اللهَ بالهجرِ
عسى يدني منى قلب شقيِّ فيك بالهجرِ
وأستدنيك بالنجوى وأستدنيك بالسحرِ
فلم أظفر بمأمولٍ وولتُ ليلةً القدرِ
عناءً كلها كانت من الإمساء للفجرِ

الرحمة (منقولة عن شكسبير)

وما الرحمةُ الغراءُ بالقهرِ تُجندى
تجود كما جادت سماءً بغيثها
أليستُ كقطرِ الغيثِ رياً ونعمةً
وتبدرُ من قلبِ العظيمِ عزيمةً
فطوبى لذي همٍّ ينالُ شفاءها
تطهرُ قلبَ المرءِ لو يستطيعها
هو الرفقُ تاجٌ للملوكِ يزينهم
وفي صولجانِ الملكِ روعٌ لناظر
ويملاً قلبَ المرءِ خوفاً وهيبَةً
ولكن مُلكَ الرفقِ أعلى مكانةً
فإني رأيتُ الرفقَ كالخلدِ ملكه
وما نعتِ الرحمنِ إلا بنعته
إذا ما مزجتَ العدلَ بالرفقِ جاهداً
بلغتَ رضاءَ الله في خيرِ نعتِهِ
ولا يستقيد القسرُ أفضالَ راحمٍ
فتجدي كما يجدي سخيُّ الغمائمِ
تعيد وجوهَ الروضِ غرَّ المباسمِ؟
وأعظمُ نفعاً في فعالِ الأعاضمِ؟
وطوبى لذي فضلٍ كثيرِ المكارمِ
وتكسرُ من شرِّ الخطوبِ الهوامِ
بأحسنِ من تيجانهم والصوارمِ
يدل على بطشِ الملوكِ القماقمِ
فيفرق من سطوِ الطغاةِ الغواشمِ
تبوؤهم ملگاً رفيعَ الدعائمِ
ولكن ملكِ السيفِ ليس بدائمِ
فطوبى لجمِّ الرفقِ جمِّ المراحِمِ
وإني رأيتُ الرفقَ خيرَ المطاعمِ
وسرتَ على نهجِ النفوسِ الكرائمِ

غروب الشباب

ويعقبه بعد الشبابٍ مشيبٌ
 لهم أربٌ من عيشهم ونصيبٌ
 حداها إلى باب السماءِ غروبٌ
 شهياً، وأثمار الحياةِ تطيبٌ
 وأنتِ على ما كان فيك حبيبٌ
 وتطفئك الأحداثُ وهي خطوبٌ
 تأجج في صمّ الضلوع لهيبٌ
 لها منظرٌ عند الغروبٍ مهيبٌ
 لها من دياجير الظلامِ ضروبٌ
 ولكن رماً للحياةِ يريبٌ
 وليس لها في الزاهراتِ ضريبٌ

يموتُ شبابُ المرءِ والمرءُ غافلٌ
 ويمضي شبابُ العاشقين وما انقضى
 شبابٌ أضى لي العيشُ كالشمس كلما
 طلعت طلوعَ الشمسِ والعمرُ واضحٌ
 وتغرب عنا مغربَ الشمسِ رائعا
 تضيء بحارَ العمرِ كالشمسِ حقة
 لك الشفقُ المشبوبُ كالنار كلما
 وتندبك الأشجانُ وهي سحائبٌ
 فقم يا مشيبي واملأ العيشَ وحشةً
 وما الشعرُ المشبوبُ في الرأسِ حليةً
 وما الشعراتُ البيضُ فيك مضيئةً

الحب القديم والجديد

ومضى الوصلُ فلا يُغني الندمُ
 جرعاتٍ هي من خير النعمِ
 وإذا حُسنك طيفٌ في الحلمِ
 حلّه فينا الغرامُ المنصرمِ
 ومدى الحبِّ ملالٌ وسأمٌ
 وأسألُ عنه وهو نضوٌ مثلنمِ
 وبقاياه كموجٍ منهزمِ
 مالئاً للنفسِ كالسيلِ العرمِ
 فبنا عن رجعة العتبي صممِ
 لا يعود الذكرُ إلا بالألمِ
 كلف يجلبُ للقلبِ السقمِ
 ولنا في الناسِ عشقٌ مكتتمِ

ذهب الحبُّ فلا تحزن له
 كنت تسقينني من كأسِ الهوى
 فإذا الحبُّ نعيمٌ ينقضي
 لا يحلُّ البغضُ فينا منزلاً
 كلُّ شيءٍ لبلاغٍ ومدى
 فابتدره وهو في إبانه
 أولُ الحبِّ عبابٌ زاخرٌ
 لا أريدُ الحبَّ إلا رائعا
 ليس للعتبي مجالٌ بيننا
 إن نحاولُ رجوعَ وصلِ دارسِ
 لذة الذكرى إذا ما لم يكن
 لك في الناسِ أليفٌ عاشقٌ

قد بلوناك حميداً في الهوى
 لك من ودي نصيبٌ وافرٌ
 ليس للحبّ قيودٌ أو إسارٌ
 أنت عندي مثلُ حلمٍ رائقٍ
 أو كنورِ البدرِ فضيًّا له
 غير أن الشمسَ يوري نورها
 يبعث الرغبةَ فينا حرُّها
 ولنا في الناسِ إلفٌ حسنه
 أنا منه كلُّ يومٍ في جوى
 ومن العشقِ جنونٌ خابلٌ
 ما على العاشقِ من لوعاته
 وحبیبٌ باسمٌ مثلُ الضحى
 جاهلٌ بالعيشِ لا يعرف ما
 يحسب الحبُّ كحلي زائنٍ
 إنما الحبُّ جنونٌ وجوى
 وبه للنفسِ مَحيا أو ممات
 يرفع الحبُّ ذليلاً خاملاً
 كما محبٌ هالكٍ من لوعةٍ
 ولقد يجني على الحسن الهوى

وبلونه حميداً لا يُذمُّ
 حافظُ عهدَ الزمانِ المنصرمِ
 إنما الودُّ كفيلاً بالذمِّ
 أو خيالٍ يطرق النومَ مُلمِّ
 وترُّ في القلبِ فضيُّ النغمِ
 في نواحي القلبِ حبًّا كالضرمِ
 إنما الرغبةُ نارٌ تضطرمُّ
 مثلُ حسنِ الشمسِ جالٍ للظلمِ
 يستبيح القلبُ من لحمٍ ودمِ
 يزدري المرءُ له وقع التُّهمِ
 ما يرى في الحبِّ من عدلٍ وذمِّ
 وإذا فاتحته الحبُّ وجمِّ
 تخبأ الأيامُ من صرفِ القسَمِ
 لابساً من درّه ما ينتظمِ
 ورجاءٍ واجترامٍ وندمِ
 وبه للقلبِ غنمٌ أو نقمِ
 ويذل الحبُّ شهماً لم يُضمِّ
 وحبیبٍ بات كالصخرِ الأصمِّ
 مثلما يجني على العيشِ العدم!

مواطن الحب

الحبُّ طلاعُ الثنايا له
 وفي الجيالِ الشمُّ وكرُّ له
 وفي الكوخِ نزالٌ وفي الروضةِ ألُّ
 تراه في الصحراءِ في ظعنه
 لا في المكانِ الجذبِ مستوحشاً

في كلِّ وادٍ جيئةً أو زهوبٌ
 كأنه النسرُ إليها يئوبٌ
 غنائٌ نزال بها لا يريبٌ
 وفي القصورِ البيضِ إلف ريبٌ
 وليس يزوهه المكانُ الخصيبُ

له على الأمواج مسعى وفي الـ
 فراشه الأرض على رحبها
 بين القبور ضاحك تارة
 أما ترى العشاق في خلوة
 فلم يبالي الميت في قبره
 إن لهم في عيشهم فسحة
 فدعهم الآن على غرة
 يلعب بالأرواح هذا الهوى
 ليس فقير جاهلاً أمره
 كلاهما طب بأمر الهوى
 في كل أرض منه إثر له
 في كل دار من جواه مريض

رِيَّاحٍ مَسْعَى رَائِعٌ لَا يَخِيبُ
 وَسَقْفَهُ وَجَهُ السَّمَاءِ الرَّحِيبِ
 وَنَائِحٌ طَوْرًا وَطَوْرًا قَطُوبُ
 وَطَاؤُهُمْ قَبْرٌ وَرَوْضٌ قَشِيبُ؟
 مَا دَامَ يَخْلُو بِالْحَبِيبِ الْحَبِيبُ؟
 لِلْفِكْرِ يَحْدُوهُ الْأَسَى وَالْمَشِيبُ
 فَإِنَّمَا الْغِرَّةُ عَيْشٌ خَلُوبُ
 كَالطِّفْلِ يَلْهِيهِ الذَّبَابُ الصَّخُوبُ
 وَلَا غَنِي خَالِيًا لَا يَرِيبُ
 فَإِنَّمَا دَارُ الْغَرَامِ الْقَلُوبُ
 وَكُلُّ رِيحٍ مِنْ شَذَاهُ تَطْيِيبُ
 وَكُلُّ قَلْبٍ فِيهِ جَرْحٌ رَغِيبُ

جنون الحياة

لا تُرْعُ فالدهرُ مجنونُ
 جنٌّ من حولٍ ومقدرة
 كلُّ ثبت الجأش في دعة
 إنما الدنيا لذي خلد
 هذه الأقدار محذقة
 نحن في أقدامها كرة
 لا تفكر في مصادرها
 لا تفكر في مصائبها
 فعلام الخوف من غير
 احس كأس العيش في دعة
 كسراب البید عيشتنا
 صورٌ للدهرِ يعرضها

كُلُّ حَيٍّ فِيهِ مَغْبُونُ
 وَكَذَا ذُو الْحَوْلِ مَجْنُونُ
 وَقَلِيلُ الصَّبْرِ مَحْزُونُ
 رَأْيُهُ بِالْعِزْمِ مَقْرُونُ
 غَرَّ مِنْهَا الضِّيْقُ وَاللَّيْنُ
 مَا لَنَا فِي الْعَيْشِ تَأْمِينُ
 كَلُّ هَذَا الْفِكْرِ مَظْنُونُ
 أَيُّ مَا أَمَلْتَ مَيَقُونُ
 لِلْعَوَادِي شَرُّهَا الْحَيْنُ
 لَا يَزْعَكُ الْعِزُّ وَالْهَوْنُ
 مَا لَنَا فِي الدَّهْرِ تَمَكِينُ
 ثُمَّ تَخْفَى وَهُوَ مَدْجُونُ

كم ترى في العيش ذا وجلٍ
لو يفيد الخوفُ صاحبه
وتناجي ما مضى أبداً
إن أتاك الهمُّ مشتَملاً
ورأيت القلبَ منك جرى
دار عنه الناسَ كلُّهمُ
ثم قَهَقَهُ في وجوههمُ
فتضاحك، ثم قل أبداً
دهرنا دار المجانين

أي شيءٍ فيه مأمونٌ
صحَّ أن السعدَ مضمونٌ
أيجيب الحيَّ مدفونٌ؟
سيفه والسيفُ مسنونٌ
دمه والقلبُ مطعونٌ
إن برَّ الناسَ مظنونٌ
وإذا ما لام محزونٌ
إن هذا الدهرُ مجنونٌ!
كل حي فيه مسجونٌ!

فراشة الحب

شَرِبْتُ بلحظك كأساً تلدُّ
فأنت نعيمي وأنت شقائي
وبعدك عني موتٌ كريهٌ
فحتّامَ أدعوك لا تستجيب
أحوم عليه وفيه الهلاكُ
أظلُّ إذا لحتَ ذا لوعةٍ
أموتُ من الحبِّ يوماً فيوماً
وهيهات أسلو وحسنك ريُّ
وفي الحسنِ حاجةٌ نفسِ الأديب
فلا تأخذنَّ بقولِ العدوِّ
فخيرهمُ فيه طبع الجحاشِ!

فأسكرتني يا مليحَ الهشاشِ!
وأنت هلاكي وأنت معاشي!
وقربك بعثٌ يجد انتعاشي
وطرفي إلى نور وجهك عاشي
كما حامَ بالضوءِ طيرُ الفَراشِ
كذي القرِّ في هزةٍ وارتعاشِ
وحبك في القلبِ نامٍ وناشي
أيسلو عن الري سربُ العطاشِ
هي الطيرُ وهو لها كعشاشِ
فالكذبُ في الناسِ بادٍ وفاشي
وشرهمُ فيه طبعُ الخشاشِ!

عصفور الجنة

ألا يا طائر الفردو
 ففيه الزهر والماء
 فغردُ فيه ما شئتُ
 وفيه منك أنغامُ
 وللأشجان أوتارُ
 ألا يا طائر الفردو
 وفي شذوك شعر النّف
 فلا تعتدّ بالناسِ
 وجد لي منك بالشعرِ
 ألا يا طائر الفردو
 فهل تأنف من روضي
 وهل تفرق من جوي
 وهل تنفر من قلبي
 فما لي منك إسعادُ
 ألا يا طائر الفردو
 وللأقدارِ أحكامُ
 أرى الأحداثِ إسرارًا
 ويهفو بك ريبُ الدهنِ
 فلا حسنٌ ولا شدوُ
 سيبقى لك في قلبي
 فإن ملكَ أحبابُ
 وإن رابك من عيـ
 وإن باعدك الحسن
 فجرّبُ عندها قلبي
 إذن تعرّف أن القلـ
 فعشش فيه في أمنِ
 س قلبي لك بستانُ
 وفيه الغصن فينانُ
 فإن الحبّ مرنانُ
 وفيه منك ألحانُ
 وناياتٌ وعيدانُ
 س إن الشعر وجدانُ
 س لا زورٌ وبهتانُ
 فما في الخلق إنسانُ
 فإننا فيه إخوانُ
 س قلبي منك ولهانُ
 وما في الروض ثعبانُ؟
 وما في الجوّ عقبانُ؟
 كأن القلبَ خوآنُ؟
 ولا لي منك لقيانُ
 س إن الدهر ألوانُ
 وللمخلوق إزعانُ
 ستمسي وهي إعلانُ
 س إن الدهر طعانُ
 ولا زهرٌ وأغصانُ
 موداتٌ وتحنانُ
 وإن عققك إخوانُ
 شكّ لوعات وأحزانُ
 وثوبُ الحسنِ خلقانُ
 فقلبي منك ملائِ
 س من حبك نشوانُ
 فقلبي بك جذلانُ

وأسمِعني من الشعرِ
وهل تفهمُ ما أعني
فإنَّ فيه خلانُ
وهل للطيرِ أذهانُ؟!

إلى الروح التي أهوى

إلى الروح التي أهوى
حياءٌ صدّها عنا
فهل من عطفةٍ تُرجي
وروحٍ نحوها تهفو
لعلّ الموتَ يدنينا
أجوبُ العالمِ المجهو
إلى الروح التي أهوى
لقد أفسدت العيش
ونعم العيش لو تدنو
وكان العيشُ محمودًا
فليت الحبُّ أصماها
فتدري لوعةَ الأشوا
لعلّ الله يرهاها
فهل من مبلغٍ قولي
أعزّ الله مأواها
وسوءُ الظنِّ أقصاها
فإنَّ نتمناها
فليت الحبُّ أدناها
ويؤينا وإياها
لَ جذلانًا بلقياها
أطابَ الله مثواها
فليت القلبَ يقلاها
ويئس العيش لولاها
بملقاها ورؤياها
وليت الحبُّ أعداها
قِ واليأسِ وحاشاها
فإن القلبَ يهواها
إلى الروح التي أهوى؟

بعد الحسن

عتبتُ فلم ينفع لديك عتابُ
وكننتُ أعد الحسنَ فيك فطانةً
سأصبر حتى يتلف الدهرُ حسنكم
وكيف يتيه المرءُ من حسن وجهه
سأصبر حتى تنقضي منه دولةُ
وقلتُ وما لي في هواك جوابُ
وإن جنوني في هواك صوابُ
وكلُّ بناءٍ لو علمتَ خرابُ
وعقبي جمال الفاتنين زهابُ؟
وتصبح تُقلَى تارةً وتعبُ

وَإِنِّي أَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
 إِذَا خَانَ مِنْ فَوْتِ الْجَمَالِ صَحَابُ
 وَتَعْرِفُ أَيُّ الْبَاقِيَيْنِ سِرَابُ
 وَأَيُّ وِدَادٍ بَعْدَ ذَلِكَ يَصَابُ
 تَمْرٌ وَمَا غَرَّ اللَّبِيبَ سَحَابُ
 وَلَيْسَ لِحَسَنِ فَاتِ عَنكَ إِيَابُ
 إِذَا صَالَ ظَفْرُ اللَّزْمَانِ وَنَابُ
 بِفِيكَ وَفِي الْعَيْنَيْنِ مِنْكَ تَرَابُ
 يَقِيءُ الْفَتَى مِنْ مَسْهَاهُ وَيَصَابُ
 فَمَا يَنْفَعُ الْوَجْهَ الْأَعْرُ شَبَابُ
 لَدَيْكَ فَإِنَّ الْبَعْدَ عَنكَ عِقَابُ؟
 فَإِنَّ سَكُوتِي فِي هَوَاكَ خَطَابُ!

فَجَرَّبَ وَدَادِي تَلَقَّنِي لَكَ حَافِظًا
 تَجِدُنِي أَخَاكَ الصَّادِقَ الْوَدَّ لَمْ أَخُنْ
 وَتَعْلَمُ مَا وَدَّيَ وَمَا كَانَ حَسَنُكُمْ
 وَأَبْصُرْ فِيكَ الْحَسْنَ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِ
 وَلَيْسَتْ حَيَاةُ الْمَرْءِ إِلَّا سَحَابَةٌ
 وَتَبْكِي عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الَّذِي مَضَى
 وَمَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ الْحَزِينَ بِكَأُوهِ
 سَتَصْبِحُ يَوْمًا فِي التَّرَابِ مَجْدَلًا
 وَتَمْسِي رَفَاتًا فِي التَّرَابِ ذَلِيلَةً
 فَخَفَّفْ قَلِيلًا مِنْ جَفَائِكَ وَاتَّعِظْ
 أُخِيَّ أَمَا مِنْ عَطْفَةٍ أَسْتَفِيدُهَا
 وَلَا تَحْسَبْنِ أَنِّي سَكْتُ مَلَالَةً

الحب والخلود أو وحي الشعر

وَحْدَا بِي لِلْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ
 صِرْتُ مِثْلَ السَّمَاءِ فَوْقَ السَّمَاءِ
 تُوِّرَائِي نَوَابِغُ الشُّعْرَاءِ
 فِي دَجَى مِنْ جِهَالَةِ الْجَهْلَاءِ
 وَحَدِيثُ النُّجُومِ وَمَضُ الضِّيَاءِ
 وَبَيَانِي وَهَمَّتِي وَذِكَائِي
 سُدَّ شِعْرِي رِيَّ النُّفُوسِ الظَّمَاءِ
 أَمْ زَلَالُ نُوْ نَشْوَةِ وَصَفَاءِ؟
 صَادِقُ الْفِعْلِ نَاجِعُ كَالدَّوَاءِ
 مَمَّ وَمِنْهُ مَسْتَجَلِبٌ لِلشِّفَاءِ
 مَسَّ وَيَرْبُو عَلَى مَدَى الْجُوزَاءِ
 وَمَنْيَرٌ فِي اللَّيْلِ الْقَمْرَاءِ

قَدْ سَقَانِي هَوَاكَ كَأَسِّ الْخُلُودِ
 وَسَمَا بِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ حَتَّى
 وَجَرَى بِي شَوْطًا بَعِيدًا فَخَلَّفُ
 صِرْتُ كَالْبَدْرِ فِي السَّمَاءِ مَنْيَرًا
 حَدَّثْتَنِي عَنكَ النُّجُومُ حَدِيثًا
 أَنْتَ وَحْيِي وَمَنْطِقِي وَخِيَالِي
 شَاعَرَ الْحَسَنِ إِنَّ حَسَنَكَ وَالْخُلُودِ
 ظَمًا دَائِمًا وَرِيَّ سِرَابِ
 رُبَّ شِعْرٍ كَالدَّاءِ مُرٌّ وَشِعْرٍ
 مِنْهُ مَا يَجْلِبُ بِالزَّمَانَةِ وَالسَّقْفِ
 إِنْ تَكُنْ وَحْيِي شَاعِرٌ يَبْلُغُ الشَّمْسِ
 أَنْتَ كَالشَّمْسِ فِي نَهَارِي مَضِيَّ

فأنمحت منه آية الظلماء
 وشعورا يجيش كالهيحاء
 ظنن ما لا يلوح للبصراء
 فألحت بالحجة البيضاء
 أو فصيح مجود الغناء
 وجنانا فسيحة الأرجاء
 س وعلمتني صنوف الرجاء
 ست سهامًا كثيرة الإصماء
 كمسير الدماء في الأعضاء
 ثم أبديت لي كنوز البقاء
 ذا وتيد كالضربة الهوجاء
 سام لولا عواطف الشعراء
 وهي تبدو لغيرهم كذكاء
 ورشادي في العيشة الكدراء
 وعنائي ولذتي وثرائي
 من ضياء وروضة وهواء
 مع غناء يطير بالأهواء
 وعقاري وموردي وغذائي
 ووصفت الكمال للأحياء
 وحكت القريض للفطناء
 ت فأنت الخليق بالإطراء
 ت فحكم مقدر في القضاء
 ض فليس الغراب كالورقاء!

وملأت الفؤاد نورًا ونارًا
 وجعلت الفؤاد بحرًا خضمًا
 كنت لي ناظرًا يرى بلحاظ الـ
 وجلوت الحياة غراء تزهو
 وجعلت الفؤاد كالطير يشدو
 وجعلت الفؤاد زهرًا زكيًا
 أنت أفهمتني الملالة والياء
 أنت أنبت لي جناحًا وأرهف
 لك في النفس منزل ومسير
 وخلقت الحياة خلقًا جديدًا
 وجعلت الفؤاد ينبض نبضًا
 أه ما أتعس المعاش والأيب
 كجنون النعيم والبؤس فيهم
 كنت لي نجمة تلوح لهديي
 كنت نحسي وشقوتي ورخائي
 كنت أتى بالشعر مما أراه
 صرت لي في اللحاظ ضوءًا وفي السم
 ونسيمًا في الأنف رطبًا زكيًا
 وجعلت الكمال فيك مثلاً
 وقبست الأشعار من حسنك الغض
 فلئن كنت قد أصبت وأبدع
 ولئن كنت قد عجزت وقصرت
 عبث نسبة الغناء إلى الرو

الحب والود

وإن سعيد الناس من أنت صاحبه!
 أفاتحه ودي فيزورُ جانبُه؟
 وليس لقلبي سلوة فأجانبُه
 لما كنتُ أفشي ذنبه أو أعاقبه
 ولا لي منه عطفة فأعاتبُه
 غَلَبتِ فَرَفَقًا بالذي أنت غالبُه
 وتترك قلبًا والهأ أنت شاعبه؟
 خميص قد استعصت عليه مكاسبُه
 وكلُّ خليلٍ ماذق الودِّ كاذبُه
 هويتكما والحبُّ شتَّى معاطبُه
 أديبٌ يرى في الفضل قرناً يقاربُه؟
 فتزهر من ليل الحياة كواكبُه؟
 إذا أزدتِ المرء اللئيم مآربُه
 وكلُّ لئيمٍ أسود الروح شاحبُه
 ولا كل من يهوى هوى هو شائبُه
 سنين وحبُّ لا أزال أحاربُه
 رويدكما فالدهرُ شتَّى عجائبُه
 وإن خليلَ السوء تسري عقاربُه
 وأفضي إليه بالأسى وأصاحبُه؟
 وتسكب من هجر الحسان سواكبُه
 إذا اقترنا والخلق شتَّى مطالبُه
 أيرتجع الموهوب مَنْ هو واهبُه؟
 وأهواكما للفضلِ شتَّى غرائبُه
 جميل المحيا لا تصاب معائبُه
 يغالب لَجَّ اليأس واليأس غالبُه
 وكلُّ حزينٍ فارغ العيش خائبُه

ألا إن أشقى الناس من لا تقاربُه
 وكيف أُرَجِّي للملماتِ صاحبًا
 وليس لقلبي جرأة فأؤمه
 وأقسم لو أني عليه مملكُ
 فكيف وما لي قدرة فأقيده
 فيا آفة القلب الطموح إلى الهوى
 أتهدج خلًا وافيًا أنت همه
 أراني إذا ما غبت عني كأنني
 طرقت بيوت الناس أبغي مودة
 فلما بدا لي منكما ما أعزه
 وهل عجبٌ أن يعشق الفضل والحجى
 وهل من جناح أن أكون أخاكما
 وما لي في حسن الحسان مآربُ
 وما الحسن إلا زينة الفضل والنهى
 وما كلُّ حبٍّ لالعجٍ بمحرِّمٍ
 أما أنتما حبُّ قديمٌ كتمته
 فيا أخوي استيقنا وتبصِّرا
 وإن خليلَ الفضلِ ريٌّ ونعمة
 فمن لي بمن ألقى إليه سريرتي
 فما أنا ممن يعشق الغيد قلبُه
 ولكن قلبي يعشق الحسن والحجى
 مَنْحَتْكُمْ قلبي فهل ذاك نافعي؟
 أحبكما للحسن والحسن باهرُ
 وأحسن فضلٍ في الورى فضلُ باسمٍ
 بربكما لا تتركاني كغارقٍ
 ولا تتركاني فارغ العيش خائبًا

ولا تتركاني في الحياة كذي ضنى
ولا تحسبا أن السكوت جلادة
وإن غبتما فالعيش كالليل مظلم
وإن تهجراني فالسلام عليكمما
ولن تجدا ودا كودي فجربا
خليلي إن الدهر ما تعلمانه
تعدته عواد وملت أقاربه
فما كل صمت يحمد العيش صاحبه
تعب طواميه وتدجو غياهبه
سيصدع قلبي منكما ما أغالبه
هل العيش إلا طعمه وتجاربه
وإن مريز الموت ما الخلق شاربه!

وعظ القدر

على الدهر والدينا، على العيش والردى
وتهلك هاتيك الشعوب وتنطوي
فرائض لا تبلى ولا تتحول
كما يهلك المرء الضعيف المقتل

* * *

فقم واستمع خطو الحوادث بيننا
تري سيرها سير الجيوش مهيبة
فكل ضعيف عاجز ليس يسمع
منظمة الأقدام تعدو وتسرع

* * *

لعل لها صوتا ينبه غافلا
فإن تكن الأقدار كالسحب إنها
فينشط مكسال ويفهم أخرق
يضج ضجيج الرعد فيها وتبرق

* * *

أما في رعود الحادثات مواعظ
نصحتكم لو تسمعون نصيحة
أما في بروق للمقادير زاجر
نعم تسمع المرء الضعيف الأوامر

* * *

سلاسل للأحداث فيكم قيودها
وفيكم بقايا للحياة قليلة
فليس بكم قيد الحوادث منبتا
فلا تحسبوا يا قوم أنكم موتى

* * *

إذا رضيت نفسي بحال رغيدة
فقد خنت آمالي وخنت عقيدتي

وما هذه الحالات إلا كسُلِّمٍ فلا تقنعوا منها بحال حميدة

* * *

فما أفسدَ الحالات كالدهر مفسدٌ ولا جدد الحالات كالفكرِ مصلحٌ
وكلُّ قديمٍ للبلى غير أنه سيعقبه أمرٌ به النفس تفلحُ

* * *

فقمْ عاونِ الأحداثِ في وصفِ سيرها وألهبْ بسوطِ الجدِّ خَيْلَ المقادرِ
وعشْ مع هذا الكونِ كونًا معظماً وكُنْ في قواه بين ناهٍ وأمرِ

* * *

فإني رأيتُ النفسَ كالأفقِ بهوها تسير بها الآمالُ سيرَ الكواكبِ
هي النفسُ دنيا لا يقام نظامها إذا اختل في الآفاق سير الرغائبِ

مشتري الأحلام

يا مشتري الأحلامِ يرغبُ في الكرى
عندي من الأحلامِ كلُّ بضاعةٍ
حلمٌ يروع ولا يسرُّ وغيره
حلم يزيل عن الفقير خصاصةً
حلم ترى فيه العزيزَ مرجماً
خذْ منِّي الآمالَ حلماً رائعاً
صدّاع قيد المستحيل سرابه
وفضائل ممدوحة ورتائل
والنورُ حلمٌ والظلامُ وكلما
إن الحياةَ إذا اختبرتْ أمورها
حلمٌ على حلمٍ يغرُّ وقد ترى
وأزاهرُ الأحلامِ مثل نعيمها
لا تحسب الأعمالَ تنفي أنها
كيما ينالُ من الكرى ما يطلبُ
ومتاجر غبانة لا تُكسبُ
حلم يسر إذا يجيء ويعجبُ
حتى يبيت على الدسوت يعصّبُ
مستجدياً خلفاً يذلُّ ويضربُ
شرق النواحي بالضياء يذهبُ
ووميضه البرقُ الكذوبُ الخلبُ
مقبوحة أحلامها لا تنضبُ
يبدو لعينك ظاهراً أو يُخجَبُ
وبلوتٌ من لذاتها ما يطربُ
حلماً على حلمٍ يغرُّ ويعجبُ
وشقاؤها حلمٌ يروعُ ويرهبُ
حلمٌ يجيء به الخيالُ فيكذبُ

ويبيت يعمل جاهداً أو يلعبُ
فتعود تبكي للصروف وتندبُ
إِنْ أَيْقَظَتْهُ الحَادِثَاتُ الغَلَبُ
وأنال من أحلامه ما أطلبُ
يرضى على هذا الأنام ويغضبُ
وشربتُ من أكوابها ما يُشربُ
يرضيه من خلق الوجودِ ويعجبُ
كيما يجيء على الكمالِ فيغربُ
دنيا تهون على هواه وتجذبُ
خلقاً يجيء به الزمانُ ويذهبُ

فالمرءُ يطمع في المنام مطامعاً
يا مشتري الأحلام لا تزهي بها
يا غُبْنَتَا للمرءِ في أحلامه
لو استحيل المستحيلُ على الورى
لجُنِنْتُ جِنَّةً قادرٍ متحكّم
وأخذتُ من هذي الحياة لِبَابِهَا
والكونُ فكرُ الله ينظر في الذي
إن راقه خلق الوجودِ مثاله
أو لم يرقه فهو ليس بصانع
فالكون لم يُخلَقْ ونحن نظنه

جنة الحسن

أرّفهُ قلبى ساعةً في ظلالِكِ
وأسمعُ منك الطيرَ تشدو هنالكِ
وكلُّ جمالٍ خالدٍ في خلاكِ
هل الخلدُ إلا حلية من جلالِكِ؟
وما ليّ منها غير مكدوب آلكِ
فهل أنا أسقى جرعة من زلالِكِ؟
فيُحَرِّمُ قلبي حظه من نوالِكِ؟
فتشفيك فيها فتنة من جمالِكِ؟
رويدك فينا واسألني من مالكِ
حناناً لعيش من جفائكِ حالكِ
فليس دوائى زورة من خيالكِ
هنيئاً مريئاً قد ظفرت بذلكِ
وهل نافعي أني أكونُ ببالِكِ؟

أيا جنة العشاقِ هل ليّ وقفة
وأبصرُ منك الزهرَ والزهْرُ باسمُ
وأعبد فيك الحسنَ شتى صفاته
ففيك معاني الخلدِ والخلدُ فاتنُ
أما أنت دنيا الحسن والحسنُ باهرُ
ويا جنة الفردوس ماؤكِ خمرة
ويا جنة الفردوس هل أنا آثمُ
ويا فتنة العشاقِ هل من وذيلة
ويا بهجة الطاوس حسنك زائلُ
ويا زينة الدنيا التي أنا عاشقُ
فهل زورة تشفي الفؤاد من الجوى
وإن تبتغي بالدلّ موتي فأبشري
فيا ليتني فكرُ يكون ببالِكِ

صوت النذير

هذه قصيدة في وَصْف أخلاق المصريين، وإظهار أماكن النقص فيها، وحضهم على مزاوله الأعمال الاقتصادية النافعة ونشر العلوم. والعلم والمال أصل القوة، والقوة أساس الحياة.)

لا اليأسُ فينا بمحمودٍ ولا الأملُ
فانظر بعينيك أي الأمرِ مقتبلُ
تدعو إلى الموت لا شكُّ ولا جدلُ
أن الهلاكَ إليها عامدٌ عجلُ
والهلك حتمٌ ويخفى سيره المهلُ
والموتُ من حولها كالنقعِ ينسدُّ
وإنما العيشُ فينا والردى عللُ
وليس يُفلتُ إمَّا جاءه الأجلُ
ولا الحضارةُ والأيامُ والدولُ
نصحُ النصيحِ ولا الوعظُ والرسلُ!
عنه ولا عن فناء الجهلِ مرتحلُ
والقومُ صمُّ كما لا تُشْتَهَى هملُ
وفوقهم من بوادي خزيهم حللُ
فتظهر الأرضُ لا رجسٌ ولا خطلُ
نفعٌ يجيء به قومٌ إذا غفلوا؟
فكُذِّبَ الأصدقان: القول والعملُ
وإن أصابوا منالاً هيناً جلدوا
فما يشجعه في السعي محتفلُ
فما يثبطه ردعٌ ولا عنذلُ
ولا عظيمٌ ولا ثبتٌ ولا بطلُ
ألهاكم العجزُ والزلاتُ والمللُ
ضاقَت لديكم به الغاياتُ والسبلُ

خلُّ الهوينى فهذا أمرنا جللُ
ولاح لي بيننا في عيشنا ظلمُ
بوادٍ يعرفُ التاريخُ فعلتها
كم أمةٌ هلكت من قبل ما عرَفَتْ
تعللُ النفسُ بالأحلام تنظرها
تظن أن طريقَ العزِّ مسلُكُها
لا الدهرُ غرٌّ ولا الأيامُ ظالمةٌ
كلُّ له أجلٌ يسعى لِيَبْلُغَهُ
لولا التنافسُ في الدنيا لما صلحت
وا حسرتاه لقومٍ ليس ينفعهم
مستنبتين بأرض العجزِ ليس لهم
تسعى بهم غيرُ الأيامِ واعظةٌ
زاوين إلا عن الفحشاء أنفسهم
يا بارك الله مقدورًا يعاجلهم
بأي حقٍّ يعيش الغافلون ولا
ما باشروا الصدق في قول ولا عملٍ
إذا أصيبوا بشرٌّ هيِّنَ خنعوا
ويغضبون على من رامَ نفعهمُ
ويُحَسِنُونَ إلى من رامَ ضرهمُ
فلا حكيماً ولا ندبٍ ولا فطنُ
إذا هممتم بأمرٍ نفعه عمم
وإن بُدِهُتُمْ بخطبِ ضرِّه أَمَم

وصاحبُ الجهلِ فيكم آمن فرحُ
 إذا نطقتم بحق فيكم حصر
 فإن رقدتم فإن النوم عادتكم
 والعجز مهلكة والضعف مضيعة
 هل خدعة أو همتمكم أن جمعكم
 تهافتون على الأذناس ما نتنت
 أفهامكم مثل أفهام الفراش إذا
 فإن دعيتم إلى خير ومكرمة
 فما طبيب يداوي داءكم أبدًا
 ومن دلائل هذا الهلك أن لنا
 إذا خشيتم فأنتم معشر جبن
 كم من نصيح لكم بالرشد ينصحكم
 كلوا وناموا ونالوا حظكم أبدًا
 وعاقروا الخمر والأفيون في دعة
 واستخبروا عن هوى اللذات قاطبة
 وملء أشداقكم ضحك أسكركم
 أم ضحكة الرجل المجنون من حزن
 أم ضحكة الخنث الموهون أضحكه
 أنا النذير إليكم والنصيح لكم
 يمضي الزمان فلا عزم فيسعدكم
 وفيكم من صفات السوء أخبثها
 أشعلتم نار يآسي وهي خابية
 هيهات هيهات إنني مقول أبدًا
 أنتم بفي كطعم المر أمضغه
 فإن فهمتم فما لي فيكم أرب
 إذا هجوت فما أهجوكم أبدًا
 أنتم أحق بتأبين ومرثية

وصاحبُ العقلِ فيكم حاذرٌ وجلُ
 والبطلُ مبتدرٌ منكم ومرتجلُ
 وليس تصحو لكم روحٌ ولا مُقلُ
 وما لكم إن غفلتم عنهما نقلُ
 جمعٌ كثيرٌ فخير منكم رجلُ
 مثل الذبابِ على الأذناس ينتقلُ
 حام الفراش على المصباح يشتعلُ
 حكيتم البهم لا عقلٌ ولا حيلُ
 إلا الهلاك وهذا ريثه عجلُ
 فخرًا فنحسب أن الفضل متصلُ
 وإن رُجيتم فأنتم معشر خذلُ
 كأنما حظه من نصحه الصحلُ
 من التثاؤب لا لومٌ ولا عدلُ
 فعيشكم مثل ظل سوف يرتحلُ
 أمّا عن العزِّ والعليا فلا تسألوا
 من حسن حالكم خمرة هي الجذلُ؟
 لشد ما نال منك البؤس يا رجلُ؟
 أمرٌ معيب فلا تقوى ولا خجلُ؟
 وليس يؤثر نصحاء عاجز مذلُ
 وليس يزداد إلا العجز والخيلُ
 حتى لقد صار فيكم يُضرب المثلُ
 وقد قتلتكم نكائي وهو مشتعلُ
 حلق الزمان به في الناس يرتجلُ
 حتى تساوى لدي الصاب والعسلُ
 وإن جهلتم فشر العادة الجهلُ
 إلا ودمع على الخدين ينهملُ
 والزرء بالحي جرح ليس يندملُ

أعزُّ ذي قدمٍ يسعى وينتعلُ
 وإن تفاوتت الأخلاق والنحلُ
 وليس لي في الورى من دونكم بدلُ
 يدعو لآخرٍ ما يأتي ويقتبلُ
 مورٍ على القلبِ مثل النارِ يشتعلُ
 إننا ورثنا عن الأسلاف ما فعلوا
 وأعظم الخطبِ ما يأتي به الكسلُ
 حتى يصحَّ وحتى يصدق العملُ
 ونشربُ العيش رياءً كله جذلُ
 في القلبِ منزلها مستمراً خضلُ
 فبالغتهم إلى عليائها القلُّ
 لهم فعزوا بها والدهرُ مقتبلُ
 ما أضيع المرء لولا السعي والأملُ
 وأحسن العلم ما يجدي به العملُ
 في مجدهم لا القنا الخطية الذبلُ
 فيه الحياة لأقوامٍ إذا عقلوا
 إما الحياة وإما الموت والأجلُ
 لا يكره الحق إلا من به دخلُ
 فأين شؤبوبة لا ينفع البلُّ
 فكلُّ فردٍ كعضو ما به شللُ
 إن العزيز لدى الأوطان مبتذلُ
 فيصبح المالُ قد ضاقت به السبلُ
 لا نجتني المال حتى يصدق العملُ
 فإن تولت فمجدُ القوم مرتحلُ
 وأصبح الشعرُ فوضى كُله زللُ
 من ليس يدركهم عجزٌ ولا كلُّ
 به الزمانات والأمراض والعللُ

أنتم عليّ وإن طالت مهانتكم
 فنحن في أمرنا طراً سواسيةً
 وليس لي فيكم حظٌ ولا أملُ
 إنني رأيت حياة الناس أولها
 لقد ورثنا قروناً كلها كمدُ
 فنحصد الشوك مما ذرَّ أولنا
 فمن خمولٌ ومن جهلٌ ومن كسلٍ
 ثقلٌ على النفسِ نمضيه ونصرفه
 ونجتني العمر غصاً كُله ثمزُ
 إن الأمانى دون القلبِ ما برحت
 نستخبر القوم أتى وجهه سلكوا
 هم زالوا الجدُّ قد دانت تجاربه
 قوموا اجعلوا السعي في الأطماع رائدكم
 بعض العلوم إلى الأعمال منتسبُ
 هذا السلاح الذي يدحو لهم سبلاً
 يا قومُ هذا سبيلٌ لا خفاء به
 إنا بمنزلة الفصل يتبعها
 حتماً ننكر حقاً غير مشتبه
 لا يصلح العلمُ مضموناً به أبداً
 هذا الذي يدع الأتوام قادة
 أذلك المال مضمون به أبداً
 والعلمُ مثل عصا السحار يبسطها
 والعلمُ والمال مقرونان في قرنٍ
 وإنما لغة الأتوام ميزتهم
 قد أصبح العلمُ والآداب ضائعةً
 يزقى الوجودُ بعيش الصالحين له
 وما الحياة بمستشفى لمن سدكت

فليس يُفْلِحُ إِلَّا الْأَغْلَبُ الْبَطْلُ
يُصَلِّي الشَّجَاعُ وَيُصَلِّي الْعَاجِزُ الْوَكْلُ
وَلَيْسَ يَخْدَعُهُ جُودٌ وَلَا بَخْلُ
كَأَنَّهُنَّ مَطَايَا تَحْتُنَا ذُلُّ
تَصُولُ بِالْحَقِّ لَا ظَلْمٌ وَلَا خَطْلُ
وَلَا الشَّفَاعَةَ تَقْصِيهَا وَلَا الْخَوْلُ
حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ عَصْرٌ وَلَا دَوْلُ
وَأَشْعَرُوا النِّقْصَ فِيهِمْ ثُمَّ مَا حَفَلُوا
فَمَا وَقَى جَمْعَهُمْ سَهْلٌ وَلَا جِبْلُ
سَمِعَ لَدِيهِمْ وَلَا عَزْمٌ وَلَا جَيْلُ!
فَهُوَ الْمَعِينُ لِمَنْ يَسْعَى وَيَخْتَلُّ!

بِلِ الْحَيَاةِ جِهَادٌ لَا خَفَاءَ بِهِ
إِنَّ الْحَيَاةَ كَتَنُورٍ وَمَعْرَكَةٍ
وَكُلُّكَ الدَّهْرُ لَا يُبْقِي عَلَى ضَرْعٍ
نَلْهُو عَنِ الْعَيْشِ، وَالْأَقْدَارُ نَافِذَةٌ
إِنَّ الْمَقَادِيرَ أَجْنَادٌ مَجْنَدَةٌ
لَا رَحْمَةَ عِنْدَهَا تُرْجَى وَلَا مَقَّةٌ
كَمْ أَعْصَرُ قَبْلَنَا بَادَتْ وَكَمْ دَوْلُ
كَمْ مَعْشَرٌ مِثْلَكُمْ لِيَمُومَا فَمَا انْتَفَعُوا
فَبَادَرْتَهُمْ يَدُ الْأَقْدَارِ حَاصِدَةٌ
إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ قَوْمًا بِالْهَلَاكِ فَلَا
لَيْسَ التَّوَكُّلُ فِي نَوْمٍ وَفِي كَسَلٍ

بين الحب والبغض

وَلَقَّاكَ مِنْ دُنْيَاكَ صَابًا وَعَلَقَمًا!
إِذَا حَلَّ هَمٌّ فِي الْفَوَادِ وَخِيَمًا!
وَمَا نُكِبَ الْمَغْرُورُ إِلَّا لِيَعْلَمًا!
وَأَصْبَحْتَ حِرَّانَ الْفَوَادِ مَتِيمًا
إِذَا مَا مَضَى دَمْعٌ بِكَيْتٍ لَهُ دَمًا
تَعَالَجَ دَاءٌ مِنْ جَوَاهِ مَكْتَمًا
أَرَأَيْتَ لَيْلًا غَائِرَ النُّجُومِ مَظْلَمًا؟
كَأَنَّ لَهَا بَيْنَ الْأَضَالِحِ أَرْقَمًا؟
كَأَنَّ جَحِيمًا دُونَهُ وَجَهَنَّمَ؟
وَأَطْيَبَ مِنْ طَيِّبِ الْحَيَاةِ وَأَكْرَمًا
وَهَلْ تَسْحَرُ الْأَشْعَارُ غَرًّا وَأَعْجَمًا؟
وَمَا ازْدَدْتَ إِلَّا غَلْظَةً وَتَجَهُمًا
لِيَحْزَنَ أَنْ تَلْقَى هَوَانًا وَتَأَلَّمَ

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِكَ بِالسَّهْدِ وَالْعَمَى
وَعَلِمَكَ السَّهْدَ الطَّوِيلَ عَلَى الْأَسَى
وَعَلِمَكَ الْأَحْزَانَ وَالْبِئْسَ وَالْجَوَى
وَأَوْدَعَكَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ هَمُومَهُ
وَأَتْلَفَ طَوْلُ الْهَمِّ عَيْنَيْكَ بِالْبُكَاءِ
وَخَلَّفَ فِيكَ الْيَأْسُ كَالسَّمِّ فِي الْحَشَا
أَنْنَسَى بَكَائِي وَالْعَيْوُونَ هَوَاجِعُ
أَنْنَسَى انْفِرَادِي وَالْتِيَّاحِي وَلُوعَةٌ
أَنْنَسَى عَذَابَ الْقَلْبِ هَاجٌ وَجِيْبُهُ
لَقَدْ كُنْتُ فِي عَيْنِي أَلْدَّ مِنَ الْكُرَى
وَجَوَّدْتُ فِيكَ الشَّعْرَ وَالشَّعْرُ سَاحِرٌ
فَمَا ازْدَدْتَ إِلَّا قَسْوَةً وَتَبَاعِدًا
فَعَلِمْتُ قَلْبِي كَيْفَ يَقْسُو وَإِنَّهُ

إِذَا صَالَ خَطْبٌ أَنْ تَصَابَ وَأَنْدَمَا
لَأَنْزَلْتُ مِنْ نَفْسِي الْمَكَانَ الْمَكْرَمَا
فَكَانَتْ مَجْنَأً صَادِقَ الصَّنْعِ مُحْكَمَا
رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِكَ بِالسَّهْدِ وَالْعَمَى!
وَعِشْتَ سَعِيدًا بِالْحَيَاةِ مُنْعَمًا!
وَجَشَّمْتَ قَلْبِي صَبْرَهُ فَتَجَشَّمَا
فَقَدْ وَدَعَ الصَّبْرَ الْقَدِيمَ وَسَلَّمَا
كَمَا ارْتَعَشَ الْمَصْرُوعُ حِينًا وَجَمَجَمَا
فَإِنْ رَامَ يَوْمًا قَتْلُكَ مَا تَأْتَمَا!
وَهِيهَاتَ يَجْدِي الْقَتْلُ قَلْبًا مُكَلَّمَا!
لِعَمْرِكَ إِنْ الْجَرْمَ لَا يَنْقَعُ الظَّمَا!
لصاحبه حتى يرى الظلم مغنمًا
رويدك هل تبغي إلى الشمس سلما؟!
فلم يُبْقِ لي في حسنكم متوسمًا
ووجهًا صفيقًا في التراب مهدمًا
على حسنٍ إلا رفاتًا وأعظمًا!؟

جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي فَلَيْسَ بِنَافِعِي
وَلَوْ كَانَ فِي نَفْسِي وَقَاءٌ يَصُونُكُمْ
وَحَطَّتْ عَلَيْكَ النَّفْسُ خَوْفًا مِنَ الرَّدَى
وَلَيْتَ لِسَانِي سُلَّ مَنِي وَلَمْ أَقُلْ
سَلِمْتُ، وَمَا حَيٌّ عَلَى الدَّهْرِ سَالِمًا
لَقَدْ سَمْتُ نَفْسِي عَنْكَ صَبْرًا وَسَلْوَةً
وَوَاللَّهِ مَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ أَطِيقُهُ
وَإِنِّي لَتَعْرُونِي إِذَا لَحْتَ هَزَّةً
وَإِنْ بِقَلْبِي مِنْ جَفَائِكَ جِنَّةً
فَأَسْقِي جَنُونِي مِنْ دِمَائِكَ جِرْعَةً
وَأَنْفَعُ مِنْهَا غَلَّتِي وَصَبَابَتِي
أَأَنْتَ زَهَاكِ الْحَسَنُ وَالْحَسَنُ فَتَنَّةً
فَأَصْبَحْتَ مَغْرُورًا تَتِيهِ وَتَنْتَنِي
كَأَنِّي بِصَرْفِ الدَّهْرِ حَلٌّ وَعَيْدُهُ
وَلَمْ يُبْقِ إِلَّا مَنْظَرًا لَكَ شَائِنًا
وَهَلْ تَتْرِكُ الْأَقْدَارَ يَوْمًا إِذَا سَطَّتْ

الفصل الرابع

زهر الربيع

إنما الشعرُ نَغْمَةٌ
يرفع النفسَ سحرُهُ
يُبلغ النفسَ أفقها
يفتح النفسَ ضوءه
مثلما يفتحُ الصَّبَا
مثل ضوءِ التباشيرِ
كحنينِ المزاميرِ
عن وهادِ الحقائقِ
كجناحِ لطائرِ
مثل ضوءِ التباشيرِ
حُ زَهْيِ الأزاهرِ

من قصيدة «أغاريد شاعر» لصاحب الديوان

مقدمة في الشعر لصاحب الديوان

إن وظيفة الشعر في الإبانة عن الصلوات التي تربط أعضاء الوجود ومظاهره. والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق. ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون الشاعر بعيد النظر، غير آخذٍ رواء المظاهر، مأخذه نور الحق. فيميز بين معاني الحياة التي تعرفها العامة وأهل الغفلة. وبين معاني الحياة التي يوحي إليه بها الأبد. وكل شاعر عبقرى، خليق بأن يُدعى متنبئاً، أليس هو الذي يرمي مجاهلَ الأبد بعين الصقر، فيكشف عنها غطاء الظلام، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس، فتغرى به أهل القسوة والجهل؟

كل شيء في الوجود قصيدة من قصائد الله. والشاعر أبلغ قصائده.

الشاعر هو الذي لا يعيش مثل أكثر الناس، مقبورًا في الأحوال التي تحوطه، هو الذي إذا عاش، كان له من شاعريته وقاء من عداء قتلى المظاهر. فإذا مات كانت الشهرة زهرة على قبره. فإذا لم تسعده الشهرة، هبطت روح الطبيعة على قبره، تظللها بجناحها، وتفترخ فوقه أبنائها الشعراء. تلك الأرواح التي تستمد الوحي من عظامه، وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان.

وليس الشاعر الكبير من يُعنى بصغيرات الأمور. ولكنه الذي يُحلق، فوق ذلك اليوم الذي يعيش فيه، ثم ينظر في أعماق الزمن أخذًا بأطراف ما مضى وما يُستقبل. فيجيء شعره أبدياً مثل نظرتة. وهو الذي يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاءها. وهو الذي إذا قذف بأشعاره في حلق الأبد ساغها. فعَيَّب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة الشاعر. لقد كان بالأمس نديم الملوك، وحلية في بيوت الأمراء. ولكنه اليوم رسول الطبيعة ترسله مزودًا بالنعمة العذاب، كي يصقل بها النفوس ويحركها، ويزيدها نورًا ونارًا، فعَظَم الشاعر في عَظَم إحساسه بالحياة، وفي صدق السريرة الذي هو سبب إحساسه بالحياة. وإذا رأيت شاعرًا يأخذ الحقيِر مأخذ الجليل من الأمور، ويحسب الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة، فاعلم أنه ضئيل الشعر. فإن ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث، ولا يعلم أن حوادث النفس على صمتها أجلُّ الحوادث.

سُئِل وردزورث الشاعر الإنكليزي عن شِعْر شاعر، فقال: إنه ليس من الحتم في شيء. فكأنه يقول: إن أَجَلَ الشعر ما يخاله المرء قطعة من القضاء، لا بد من حدوثها. فإذا أردت أن تميِّز بين جلالة الشعر وحقارته، فخذ ديوانًا وقرأه. فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة، مثل النجم أو السماء أو البحر، فاعلم أنه خير الشعر. وأما إذا رأيت أنه وأكثره صنعة كاذبة. فاعلم أنه شر الشعر، فالشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر إيضاحًا لكلمات النفس وتفسيرًا لها.

فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم. فأصوله ثلاثة متزاوجة، فمن كان ضئيل الخيال أتى شعره ضئيل الشأن. ومن كان ضعيف العواطف أتى شعره ميتًا لا حياة له. فإن حياة الشعر في الإبانة عن حركات تلك العواطف. وقوَّتة مستخرجة من قوَّتتها، وجلاله من جلالها. ومن كان سقيم الذوق، أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة. غير أن بعض الناس يحسب أن سلامة الذوق في رصف الكلمات؛ كأنما الشعر عنده جَلَبَةٌ وَقَعَقَةٌ بلا طائل معنَى. أو كأنما هو طنين الذباب. ولا يكون الشعر سائرًا إلا إذا كان عند الشاعر مقدرة على التأليف بين اللفظ والمعنى. ولست أعجب

من أحدٍ عجبي من الأدباء الذين ينظمون الشعر في مواضيع تَطَلَّب منهم الكتابة فيها. فينظمون من أجل إرضاء من سألهم ذلك. كأنما الشاعر آلة وُزِن. ولكن الشاعر هو الذي لا ينظم حتى تنوبه تلك النوبة التي تدفعه إلى قول الشعر، بالرغم منه، في الأمر الذي تنتهياً له نفسه.

قد أصبح الشعر عندنا كلمات ميتة، ليس تحتها طائل معنًى. يحسب الناس أنه إذا أخذ من النحو والصرف والعروض كفاية، وأصاب من طرف الشعر غاية؛ فقد أجاده. وإنما الشعر كلمات تخرج من النفس ببيضاء مشبوبة. وكما أن العاطفة تُنطِق الشاعر، كذلك قد تُحسِرُهُ شِدَّتُهَا. ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفة والتفكير فيها شعرًا. وإنما نعني الذكرى التي تعيد العاطفة، والتفكير الذي يحييها. وليس شعر العاطفة بابًا جديدًا من أبواب الشعر، كما ظن بعض الناس، فإنه يشمل كل أبواب الشعر. وبعض الناس يُقسِّم الشعر إلى أبواب منفردة. فيقول: باب الحكم، وباب الغزل، وباب الوصف ... إلخ. ولكن النفس إذا فاضت بالشعر أخرجت ما تُكِنُّه من الصفات والعواطف المختلفة في القصيدة الواحدة. فإن منزلة أقسام الشعر في النفس كمنزلة المعاني من العقل. فليس لكل معنًى منها حُجْرَةٌ من العقل منفردة، بل تتزواج وتتوالد فيه. فلا رأي لمن يريد أن يجعل كلَّ عاطفة من عواطف النفس في قفص وحدها.

ومن القراء فئة كأنها تريد أن تشم من شعر الشاعر رائحة الدسم، وأن يملأ شعره بطون أفرادها لا عقولهم. كأن النفوس تقاس بالدرهم والدينار. وكأن الشعر لا يوزن إلا بالرطل والأقّة! وبعض القراء يهذي بذكر الشعر الاجتماعي، ويعني شعر الحوادث اليومية، مثل: افتتاح خزان، أو بناء مدرسة، أو حملة جراد، أو حريق، أو زيارة ملك، أو حفلة في نادي الألعاب، أو مجيء طيار؛ فإذا ترفع الشاعر عن هذه الحوادث اليومية، قالوا: ما له؟ هل نضب ذهنه، أم حَبَبَتْ عاطفتُهُ، أم دجا خياله؟ ويجعلون منزلة الشاعر على قدر عدد قصائده في تلك الحوادث! فإذا نظم أحدهم قصيدتين في الجراد، كان عندهم أعلى منزلة ممن نظم قصيدة واحدة، وليس أدل على فوضى الأدب وفساد ذوق الجمهور من هذا الهراء. كأنما الشعر جريدة منظومة، أو كأنما الشاعر مصنع لصنع الأوزان. وإنما الشاعر هو الذي يحاول أن يبلغ إلى أعماق النفس، وأن يضرب على كل وتر من أوتارها، والذي تسمو معه النفس عن تلك الحوادث إلى سماء الشعر فينشقها نسيمه وينعشها بنفحاته، ويسمعها من ألقانه، ويريق عليها من ضيائه ما يرفعها عن منزلة البهم إلى منزلة الآلهة.

وهناك فئة تريد من الشاعر أن يكون أكثرُ شعره تكلفًا للحكمة. فيأتي بأمثال من بطون الكتب، وأفواه العامة، نصفها حق ونصفها باطل. ثم يصوغها شعرًا من غير أن يكون قد أحس لذعها في ذهنه، ولا شعر بقيمتها. وشرُّ الحكمة التي يتكلفها الوزانون. وإنما حكمة الشاعر تبدو في كل قسم من أقسام شعره سواء الغزل والوصف والثناء ... إلخ فإن شعر الشاعر مهما اختلفت أبوابه ينبئ عن نصيبه من التفكير. وحكمة الشاعر تجاربه وخواطره في الحياة. تلك الخواطر التي ينضجها الشعور والتفكير. والشاعر لا يسير على رأيٍ واحد لا يتعداه. فإن المذاهب الفلسفية أزياء تأتي وتروح مثل أزياء باريس. والنفوس أعظم من أزيائها. ولكل حالة زِيٌّ والشاعر لا يعبر عن عاطفة واحدة، أو نفسٍ واحدة، بل يعبر عن عواطف متغايرة، ونفوس متباينة. فلا رأيٌ لمن يريد أن يقيده بمذهب من مذاهب الفلاسفة يزود عنه ويتعصب له. فإن الشاعر يرى جانب الصواب من كل مذهب، ويعبر عن كل نفس.

ولقد رأيت بعض القراء لا يفهم منزلة الغزل في الشعر. إن مزية الغزل سببها أن حبَّ الجمال حبُّ الحياة. وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر، كان نصيبه من حب الحياة أعظم. وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التي تزجي الأمم إلى التفوق والاستعلاء. ولا أعني بالغزل غزل الشهوان، بل الغزل الروحاني الذي ترفَّع عن أوصاف الجسم. إلا ما بدا للروح أثر فيه. والحب أعلق العواطف بالنفس. ومنه تنشأ عواطف كثيرة، مثل البغض أو الود أو الرجاء أو اليأس، أو الحسد أو الندم، أو الشجاعة أو حب العلاء، أو الجود أو البخل. ومن أجل ذلك كان للغزل منزلة كبيرة في الشعر، من حيث هو جماع العواطف، ومظهر دروسها. فالغزل يعبر عن جميع العواطف النفسية. ومن حيث إنَّ حب الجمال حب للحياة ترى فيه آراء الشاعر، وكل ما يعتوره في الحياة من الخواطر، ويصيبه من التجارب. وكل ما يسمو إليه فكَّره أو يحنُّ إليه قلبه، وكل ما يعالجه من أساليب الحياة، وهذا الغزل الذي هو واسطة القلادة، وسلك العقد، وروح الشعر، ليس من شروطه تعليق العاطفة بفرد من أفراد الناس، وقصرها عليه. وإن كان ذلك أدعى إلى ظهورها. فإن الغزل الذي نعينه سببه العاطفة التي تجعل المرء يحس الجمال إحساسًا شديدًا في جميع مظاهره، سواء جمال الوجوه والأجسام، أو جمال الأزهار والأنهار، أو جمال البرق في السحاب، أو جمال الليل ونجومه، أو الصباح ونسيمه، أو جمال النفوس والأخلاق، أو جمال الصفات، أو الحوادث والوقائع، أو جمال الخيالات التي يخلقها الذهن. وليست محبة الفرد للفرد إلا

مظهرًا من مظاهر هذه العاطفة الواسعة التي تحنو على كل جمال يُستَجَلَى في الحياة. وهذه العاطفة الشعرية تُفِيضُ ضياءها على كل شيء، حتى على جوانب الحياة المظلمة الكريهة. فتحبوها جمالاً فنياً؛ مثل جمال الصورة البديعة التي يُعْجِبُ المرءُ جمالها الفني، حتى ولو كانت صورة مذبحة، أو جمال الأنغام الحزينة التي تذيب القلب. والشاعر المناسب مثل المصوّر. إنما يستملي من صور الملاحظة التي في ذهنه، ولقد سئل جيدو ربني المصور الإيطالي: من أين لك هذه الخلق المليحة التي تُودِعُها صورك؟ فقال لسائله: انظر! ثم أتى بشيخ قبيح وأجلسه أمامه نموذجًا، ورسم صورة فتاة مليحة، كأنما قد جمعت بين جمال الملائكة وجمال الحور. ثم قال: «أترى في هذا الشيخ الدميم مثل هذا الجمال؟ نحن أصحاب الفنون نحمل في نفوسنا دنيا أجمل من هذه الدنيا.» وما يُدْرِينَا لعل قيسًا بن الملوّح كان يشبب بليلى التي في الدنيا التي في نفسه، لا بليلى العامرية.

كان جيتي الشاعر يقدر الأشياء والناس، بقدر ما يستفيد من رؤيتهم ولقائهم من صفات الشعر ومواضيعه، وعواطفه وقصصه وبواعثه. فإذا رأى عجوزًا تسعى، أو شيخًا هرمًا أو فتاة أو طفلًا أو فقيرًا أو غنيًا ... إلخ. عدهم كلهم بواعث من بواعث الشعر، مهما اختلفت صفاتهم. وكان يخزن من رؤيتهم ما اكتسبه لساعة الشعر والإلهام. فإن رؤيتهم تبعث على التفكير وتوقظ الملكة الفنية؛ أو كأنما رؤيتهم ريحٌ تهيج أمواج نفس الشاعر فيعلوها دُرّها وأصدافها، وكذلك يهيج الشاعر إلى الشعر لذاته وآلامه. فيصوغ الشعر من لذاته وآلامه، كما يصوغه من لذات الناس وآلامهم وأمالهم.

الباحث الأزلي

مقدمة

قد صَوَّرَ كثيرٌ من المفكرين والشعراء حياة الإنسان عصرًا بعد عصر، كأنها حياة إنسان واحد، أو كأنها بحثٌ مُتَّصِلٌ دهرًا بعد دَهر. وهذا البحث هو ما يزكون به حياة الإنسان، وما يعذرون به شقاءها وآلامها، ويأملون آمالًا كبارًا من وراء تقلب الإنسانية في بحث الحياة. ومن هذه الآمال رجاءهم أن يعم الشعور بوحدة الإنسانية على اختلاف الأجناس والشعوب، والمطامع والضرورات والمطالب والنزعات النفسية، ويأملون إذا عم

هذا الشعور بوحدة الإنسانية أن يقلل الإحساس العام بوحدها، من البغضاء والشور والحروب، والآلام والجشع، وأن يؤدي إلى التعاون على الحياة، بدل التقاتل عليها. وهذا البحث الإنساني المستفيض دهرًا بعد دهر للحياة، وما يدعو إليه من الإحساس بكل شعور وكل حالة من الحالات، كي يعم مبدأ وحدة الإنسانية، هو الذي دعا إلى تخيل إنسان يعيش دهرًا بعد دهر في كل حال وفي كل مكان، حتى يملأ العطف قلبه ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة. وعلى فرض أن هذا الأمل الكبير في أن يعم، فإن بقاءه كَمَثَلٍ أعلى مما يخالط مرارة الحياة بحلاوة منه.

وعلى فرض أن المثل الأعلى لا يكون في تحقيق وحدة الإنسانية، ففي القصيدة مثل آخر وهو أن نشدان الحق هو الشعلة المقدسة التي ينبغي أن يرهاها الفرد، وأن ترعاها الإنسانية عامة.

نو سكونٍ ونظرَةٍ هوجاءِ
فهو بين الأنامِ صنوُ الهوائِ
غاب عن عين غيره في السماءِ
ل ذكرى لسالف الآبائِ
ل رأى ما مضى على الغبراءِ
نك بين الأموات والأحياءِ؟
لخليقٌ بضحكة الجهلاءِ
وشبابُ الأيامِ في الغلواءِ
ني طولَ الحياة حُكمُ الفناءِ
وبقائِي بين الأنامِ بقائِي
والمنايا تجرُّ ذيلَ العَفَاءِ
طل فالحق يُطبِّي بالرجاءِ
و لولاه لم أفزُ بالنجاءِ
موت فينا كثيرة الإصماءِ
لعلي أراه في الدهماءِ
أهل أبغي رِيَّ النفوسِ الظماءِ
م وداؤُ النفوسِ كالأدواءِ

بينما كنتُ سائرًا لاح شيخُ
ويكاد الضياءُ ينفذ مِنْهُ
باحثٌ في السماءِ يطلب شيئًا
وهو فينا جزء من الزمن الأَوَّ
وجهه رائِعٌ كوجه أبي الهُو
قلتُ: يا شيخ ما دهاك وما شأ
قال: مَنْ يدرس الحياة طويلاً
كنت والكونُ في الطفولة أغدو
وصرعتُ المنونَ حتى لأنسا
دولٌ قد أتتْ وأخرى تقصَّتْ
وشهدتُ الصروفَ من قبل عادٍ
أنشدُ الحقَّ لست ألوي إلى الباءِ
عشتُ دهري بالبحثِ والأملِ الحُلِّ
من سهامِ المنونِ إن سهامِ الـ
هَمَّتْ يوماً من قريتي أنشد الحقَّ
عفتُ بيتي وبلدتي وهجرتُ الـ
ظماً النفسِ مثله ظماً الجسدِ

طالبَ الحقَّ أخرقَ الأحياءِ
 حقَّ يغدو من خلفه بإزائي
 خارجًا من سائر الظلماءِ
 منه يُرجى في وحدة الصحراءِ
 إنما الدرُّ منه في الأحشاءِ
 لسؤالي في منطلق الأصداءِ
 عن دعائي فلا تُجيبُ دعائي
 منه يبهى في الأفق جمَّ الضياءِ
 أرتجي منه لقيّةً في الفضاءِ
 رجائي كما عهدتُ رجائي
 طالما كان مُضمّرًا في الخفاءِ
 في سماءِ الأحلام مثل نكاءِ
 بينهم في تلون الحرباءِ
 فنَجَوْنَا من مُهلكِ الأنواءِ
 مى بسِيْبٍ من جوده وثناءِ
 ش مُشِيحًا ورافعًا للواءِ
 صر يقضي في شَعْبِهِ بالقضاءِ
 طون يتلو فصاحةَ الحكماءِ
 مى عظام الأعمالِ والأهواءِ
 وحباني من رُوحِهِ بالصفاءِ
 قد سما بي الإيمان للسمحاءِ
 فر قدمًا في صحبة الخلفاءِ
 لم أدعُ كأس لذةٍ أو شقاءِ
 عَيْشٍ حتى جُنِنْتُ بالضرَّاءِ
 تُ عذابًا أتيح للتعساءِ
 أنستُ بي الوحوش في البيداءِ
 جُنَّ قلبي من نشوة الهيجاءِ

زعمَ الناس بي الجنونَ وخالوا
 كلما لاح شامخٌ قلت إن الـ
 ورَعَيْتُ الظمَاءَ عَلَيَّ أراه
 وجزعتُ الصحراءَ أرجو لقاءً
 ولكم غُصْتُ في العُبابِ عليه
 وأثرتُ الأصداءَ أبغي جوابًا
 وسألتُ الرياح فضُمَّتْ
 وسألتُ السماء تبرز وجهًا
 وأعارتني الطيورُ جناحًا
 طالما خاب ناشد الحق لكنَّ
 قد يجيء الصباح منه بوجه
 أو تُبينُ الأحلام منه ضياءً
 قد صحبت الأنام طرًا كأنني
 كان لي نوح في السفينة خدنا
 وحباني أشورُ في نينوى العُظُ
 ورآني فرعون أقدم في الجيد
 وتجلّى آمون في معبد الأقف
 ولكم جُلْتُ في أثينا وأفلا
 ورأيتُ الرومان في رومة العُظُ
 وصحبتُ المسيح في القدس دهرًا
 وعبدت النيران قديمًا ولكنَّ
 وحمدت النعيم والترف النوا
 وحسوتُ النعيم والبؤس حتى
 وصحبتُ العبيد في ظلمات الـ
 وألِمتُ الألام طرًا ولُقيتُ
 وصحبتُ الوحوش في البيد حتى
 وأرقت الدماء في الحرب حتى

لم أدعُ خطرةً أتاحت ولا مع
أو شعورًا أو هاجسًا أو طموحًا
أنشد الحق بالتقلب في العي
أنت أيضًا شهدت هذا جميعا
قال ما قال ثم غاب عن العي
سنى ولا فكرة من الآراء
لا ولا مشهدًا تركت لرائي
ش وأبغى سريرة الأشياء
غير أن لا تعدد في الفطناء
من كما يخفت الصدى في الهواء!

سمو النفس

أهبتُ بحزمي فلم تسمعي
فيا نفس حتمًا هذا الطموح
فإن عزاءً يريح النفوس
يعفُّ الأبى وليست تعفُّ
ولو قد زهدت طلاب الحطام
هممت بكسب فلم تبلغي
وخفت المقادير في ظلمها
وأشقاك أن قيود المقاب
فأصبحت فيها كطير الحباء
وحرًا أوام لورد الفضائ
ردي العيش يا نفس لا تأنفي
فكلُّ حياةٍ إلى منتهى
وعفت الطماخ فلم تردعي
وخير المكاسب أن تقنعي
س خير من الأمل المطمع
نوات المخالب والأربع
لأشقاك حب العلاء الأرفع
ورمت الكمال فلم ينفع
وأشقاك يا نفس أن تخضعي
ح غلت عليك فلم تصدع
ل رمت الخلاص فلم ترفعي
ل باق على الدهر لم ينقع
وجوبي المقادير لا تخشعي
وكلُّ شقاءٍ إلى منزع

حديقة الصيف

هي برء من العشي
وهي للشيخ مبعث
وهي للطفل ملعب
وهي للبايس الحزيب
وشفاء من الكبر
للأمانى والذكر
فيه ملهى على غرر
من ملاذ من الفكر

وَهِيَ لِلْعَاشِقِينَ ظِلٌّ	وَهِيَ لِلْعَاشِقِينَ ظِلٌّ
فِي رِيَاضٍ مِنَ الْمَنَى	فِي رِيَاضٍ مِنَ الْمَنَى
حَيْثُ تَلْهُو الْعَيُونُ فِي	حَيْثُ تَلْهُو الْعَيُونُ فِي
قَمِ بِنَا نَنْثُرُ الزَّهْوِ	قَمِ بِنَا نَنْثُرُ الزَّهْوِ
هَذِهِ الْغَيْدِ فِي الْغَيْدِ	هَذِهِ الْغَيْدِ فِي الْغَيْدِ
غَرَّدَ الطَّيْرُ قَائِلًا:	غَرَّدَ الطَّيْرُ قَائِلًا:
وَتَمَارٌ قَطُوفُهَا	وَتَمَارٌ قَطُوفُهَا
وَالْغَوَانِي حَدِيقَةٌ	وَالْغَوَانِي حَدِيقَةٌ
وَهَجِيرٌ كَأَنَّهُ	وَهَجِيرٌ كَأَنَّهُ
يَدْعُ الْمَرْءَ نَاعِسًا	يَدْعُ الْمَرْءَ نَاعِسًا
يَدْعُ الْمَرْءَ نَاعِمًا	يَدْعُ الْمَرْءَ نَاعِمًا
إِنَّمَا الصَّيْفُ زِينَةٌ	إِنَّمَا الصَّيْفُ زِينَةٌ
تَلْبَسُ الْأَرْضُ حَسَنَهَا	تَلْبَسُ الْأَرْضُ حَسَنَهَا
وَتَرَاءَى لِعَاشِقٍ	وَتَرَاءَى لِعَاشِقٍ
يَنْتَشِي الْمَرْءُ كُلَّمَا	يَنْتَشِي الْمَرْءُ كُلَّمَا
سَلَ ظَلِيلٌ وَمُسْتَتِرٌ	
وَأَمَانٌ مِنَ الزَّهْرِ	
نَزْهَةٌ النَّفْسِ وَالْبَصْرِ	
رَ عَلَى صَفْحَةِ الْغُدْرِ	
رَجَلَتْ صَفْحَةَ الْقَمْرِ	
فَازَ بِالْحَسَنِ مَنْ نَظَرَ	
تَتَدَلَّى مِنَ الشَّجَرِ	
مَلُؤُهَا الزَّهْرُ وَالثَّمَرُ	
لَهَبُ النَّارِ يَسْتَعِزُّ	
فَاتِرَ النَّطْقِ وَالنَّظَرِ	
نَائِمِ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ	
غَضَّةُ الْحَسَنِ وَالْأَثْرِ	
بَعْدَ مَا غَابَ وَاسْتَتَرَ	
عَبَدَ الْحَسَنِ مَا ظَهَرَ	
نَالَ مِنْ نَشْرِهَا الْعَطْرُ	

مصارع النجباء

لَعَذَّرْتَنِي فِي لَوْعَتِي وَبِكَائِي	لَوْ كُنْتَ ذَا رُوحٍ عَظِيمٍ هُمُّهُ
إِنَّ النَّفُوسَ قَرَارَةٌ الْأَدْوَاءِ	تَعْدُو وَهَمُّكَ فِي الْحَيَاةِ حَطَامُهَا
فَاذْهَبْ لِشَأْنِكَ لَا يَصْبُكُ شِقَائِي	لَيْسَ السَّعَادَةُ كَنْزٌ كُلُّ فَضِيلَةٍ
وَعَصَابَةٌ لِمَصَارِعِ النَّجْبَاءِ	لِلْمَالِ وَالْجَاهِ الْعَرِيضِ عَصَابَةٌ
فَرُدَّ مِنَ الْخُلُصَانِ وَالْقَرْنَاءِ	فَفَتَى وَحِيدٌ لَا أُنَيْسَ لِنَفْسِهِ
وَأَخُو الذِّكَاةِ يُعَدُّ فِي الْغَرْبَاءِ	وَفَتَى لَهُ عَيْشُ الْغَرِيبِ وَحَالُهُ
وَفَتَى تَذُوبُ حِشَاهُ فِي الظُّلْمَاءِ	وَفَتَى يَجُودُ بِمَالِهِ وَبِنَفْسِهِ
مَجْدُ النَّفُوسِ أَحَقُّ بِالْبِرْحَاءِ	شَوْقًا إِلَى الْمَجْدِ الْعَزِيزِ مَنَالُهُ
عَنْ نَفْسِهِ وَيُعَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ	يَقْضِي الْغَيْبِي حَيَاتِهِ فِي غَفْلَةٍ

هبةً من النجباء والشهداء
بقي الوري كالترية الغبراء
سامي المنال كمنزل الجوزاء
هَبُّوا هبوبَ الصَّرصر الهوجاء
والعقلُ أعظمُ هادمِ بناءِ
ن المرسلون بأيةِ غراءِ
فيهم على السراءِ والضراءِ
قبل ابتناء منازل العلياء
مثل الهدى وكواكب الإسرائِ

إن الحياةَ جمالها وبهاؤها
لولا طماحُ الحالمين وهمهم
الحالمون بكل مجدِّ خالدِ
الغاضبون الناقمون على الوري
الشائدون الهادمون ذوو النهي
الخالقون المهلكون الشارعو
آي الجلالةِ والذكاءِ جميعها
فلئن أصابهمُ الزمان بمهلكِ
فحياتهم وفعالهم ودمائهم

المجاهد الجريح

وإنَّ حياةَ العالمين سهادُ
فيا ليتَ عُمرًا في الحياة يعادُ
مشارب من يهوى الحياة برادُ
لها كل يومٍ مطعن وجلاذُ
سيوف ولكن ما لهن غمادُ
إذا كان سيفًا ليس فيه مذاذُ
وآخر ذِيَاك الضرام رمادُ
هل العيشُ إلا مطمح ومرادُ
أليست لَدَاذَاتُ الطرادِ تراءدُ؟
وللمرءِ يومٌ ليس فيه حَصَادُ
إذا ظلَّ ورد المرءِ وهو ثمادُ
جريحٌ ولم يعزز عليه تلاءدُ
جريحٌ من الأحداث وهي صعادُ
أصبتُ ولي بين الكماة فؤادُ
رجاءٌ أَلَا إنَّ الرجاءَ جوادُ

هو العيش حربٌ والحياةُ جهادُ
ولا أشتكى أنِّي جرعتُ مريرها
فأجرع منه الحلو والمرَّ إنما
وليست نفوسُ الناسِ إلا أسنَّةُ
وليست نفوسُ الناسِ إلا سيوفهم
ويصدأ وجهُ السيفِ والسيفُ قاطعُ
وليست حياةُ المرءِ إلا كشعلةُ
وفي العيش مسعى لليبب ومطلبُ
وهبٌ أن ما يأتي الفتى غير مقنع
ويحصدُ سغي المرءِ ما شاء عزمه
وما ينفع المرءَ الحزينَ بكأؤه
ولولا خضوعُ النفسِ للجسم ما بكى
فلا تعذلوني إن أَلِمْتُ فإنني
ولا تعذلوني إن حزنت فطالما
ويا طالما خضتُ الخطوبَ وصهوتي

جلادَكُمُ إِنَّ الحِياةَ جِلاَدُ
ولي عزمات كلهن صِلاَدُ
هُمُ الناس ركبُ والمطامع زادُ
وبادت بلادُ بعدها وبلادُ
يراد بعيشِ نحن فيه نقادُ
وَأَنَّ يقينًا في الحياة رشادُ
له عزماتُ في الحياةِ جِدادُ!

فإِن مُتْ فَاسْعَوْا فوق قبري وباشروا
ولا تحسبوا أَني جِبت لميتتي
وقلْتُ لِنفسي إِنما الموتُ سِنَةٌ
وقَدِّمًا مَضَّتْ تلك العصور وأهلُها
جهلنا فما ندري على العيشِ ما الذي
سوى أَنَّ عيش المرءِ بالشك فاسدُ
يقينًا بأن العيش نشوة صائل

عبث الشكوى

يشقى بك الناس أم تشقى من الناس؟
وأنت فيهم كمصباح ونبراس
في لُجَّةِ اليمِّ لا راوٍ ولا حاسي
إليك، كلا، ولا جاءوا بمقياس
وإن غضبت فهم من نسل نسناس!
وأرضها النتن من رجس وأدناس
أَنَّ الفضائلَ من أحلام وسواس
بين الأنام فأنت الذاكر الناسي
علمت كيف تداوي اليأس بالياس
أن الرخاء قنوعُ الطاعم الكاسي
غيرَ الحياةِ وناسًا غيرَ ذا الناس
يُعْطَلُ العيشُ من بشرٍ وإيناس!

يا صاحبَ العقل يقضي العيش في حَزَنٍ
وتحسب الناس بُهْمًا لا عقولَ لها
وأنت في الناس قَطْرٌ ضاع قاطره
وما أَحَسُّوا بِهِمْ من حاجةٍ لهم
ملائكُ الله إن أَرْضَوْكَ بينَهُمْ
للنفس أْفُقٌ مضيءٌ نورُه عَمَمُ
وراعك اليأسُ حتى خَلَّتْ من جزع
وكِدَّتْ تنسى حياةً أنت صاحبها
حتى إذا بلغت شكواك غايتها
وما ضرارك نفسًا بعدما علمت
وكم تريد حياةً كلها جِذْلُ
الناسُ والبُهْمُ تدري أن ذا عنثِ

الطائر الحبيس

(وهي قصة جرت للشاعر، وهو غلام صغير، مع عصفور في قفص اتخذه لعبة له.)

أذْكَرُ فيما مضى من العُمُرِ
وكنْتُ ألهو بطائرٍ غَرِيٍّ
في حيثُ لا روضة له أنْفُ
بل كان يشدو الحبيسُ في قفصِ
وكننت غفلانَ عن لواعجه
قد كنت كالطائرِ الطليقِ فلا
قَدْ كَانَ قلبي لقلبه حجرًا
قَدْ كَانَ لي لعبة أعابثها
قَدْ قمتُ ألهو بجانب القفصِ
وأقرع الأرض صارحًا جذلاً
والطيرُ من رعبِ قلبه حَذِرُ
حتى إذا ما سكتُ من كلِّ
إذا به صادقًا ينوح من الـ
قد جمعَ اللحنَ من لواعجه
لا ما لشدو من بعده أثرُ
ناحَ على نفسه وما فقدتُ
لم أكُ أدري ما هاجَ لوعته
حتى رأيتُ العصفورَ منجدلاً
نسيته والسنونُ منسيةً
حتى عرتني الخطوبُ في عمري
نذكرته والخطوبُ مُذْكَرةً
نفسِي كالطائرِ الحبيسِ فلا
قد شقَّ صدري نابُ الحياة فأمـ
يا طيرُ لو كنتُ حاضري أَلْفَتْ

وكنْتُ ألهو في غفلة الصُّغَرِ
مرتجل للغناءِ مبتدرِ
والشدوُ شعرٌ لعاشقِ الزهرِ
شدو حزينِ الفؤادِ منفطرِ
وكيف يرثي الجذلانُ للكدرِ؟
شجُو يروع الفؤادُ بالفكرِ
وكيف يجدي الغناءُ للحجرِ؟
ما كان سرُّ الغناءِ من وطري
في صخبِ رائعِ بلا حَذِرِ
وضجة الصوتِ شيمة الصُّغَرِ
يهتز مثل المقرورِ من خصرِ
قعدتُ ألهو عنه على غرِ
رعبِ بلحنٍ يقدر في المررِ
لم يُبقِ من نغمةٍ ولم يَذِرِ
في القلبِ باقٍ كذلك الأثرِ
بين ثمارِ الرياضِ من وَطَرِ
والقلبُ من شدوه على كدرِ
قد مات من لوعةٍ ومن حذرِ
وكلُّ ما فات مَيِّتُ الخبرِ
وروعتني الحياةُ بالغيرِ
وصاحبُ الهمِّ حاضرُ الذكرِ
مفرَّ من جورِ سطوةِ القدرِ
سَيِّتُ بقلبي خفَّاقٍ منذرِ
نفسك نفسي من رحمة الخورِ

وأي خَلق يُلَامُ في خورٍ
لا يعرفُ الحزنَ غيرُ نائقه
والممرءُ فينا فريسةَ الخطرِ
أصبَحَت مني لك الزمانُ وقدُ
فليس حزنُ العيان كالخبرِ
السمع والبصرِ!

الإنسان والكون

سلامٌ على عهد الشبابِ سلامٌ
تعاودني ذكرى الربيع الذي مضى
وأحسبُ أنَّ الزهر يزهو لكي أرى
وأحسبُ أنَّ الماءَ كالخمر سلسلاً
وأحسبُ أنَّ الشمسَ ترنو بلحظها
وأحسبُ أنَّ النجمَ حلِّي لناظري
وأحسبُ أنَّ الكونَ بيتي وأنني
وأعلمُ أنني هالكٌ غير خالدٍ
وأنِّي لا طيرٌ ينوح لميتتي
ولا النور يدجو لا ولا الماء غائضٌ
كذلك لا يبكي على الحبِّ طائرٌ
ولا الزهرُ يأسى للفقودِ وشجوه
لقد جفَّ قلبي والزهور نضيرةٌ
سلامٌ وهل يدني البعيدَ سلامٌ؟
كأنَّ حبيباً قد طواه حمامٌ
محاسنَ منه في الرياضِ تُرامُ
لأجرعَ منه والنميرِ جِمامُ
إِلَيَّ وَأَنَّ الليلَ منه خيامُ
وبرق الغواصي للضياءِ يشامُ
أميرٌ على عليائه وإمامُ
وأنني رفاتٌ للثرى وعظامُ
ولا الزهو شجواً إن هلكت يسامُ
وليس على وجه الهلالِ سقامُ
وليس على نقض العهودِ يُلامُ
وليس بكاء ما يريق غمامُ
وقد شاب قلبي والزمانُ غلامُ!

الإنسان والكون

سلامٌ على عهد الشبابِ سلامٌ
تعاودني ذكرى الربيع الذي مضى
وأحسبُ أنَّ الزهر يزهو لكي أرى
وأحسبُ أنَّ الماءَ كالخمر سلسلاً
وأحسبُ أنَّ الشمسَ ترنو بلحظها
سلامٌ وهل يدني البعيدَ سلامٌ؟
كأنَّ حبيباً قد طواه حمامٌ
محاسنَ منه في الرياضِ تُرامُ
لأجرعَ منه والنميرِ جِمامُ
إِلَيَّ وَأَنَّ الليلَ منه خيامُ

وأحسبُ أَنَّ النَجْمَ حَلِيٌّ لِنَاظِرِي
وأحسبُ أَنَّ الكَوْنَ بَيْتِي وَأَنْنِي
وأعلمُ أَنِّي هَالِكٌ غَيْرَ خَالِدٍ
وَأَنِّي لَا طَيْرٌ يَنْوَحُ لِمَيْتَتِي
وَلَا النُّورُ يَدْجُو لَا وَلَا الْمَاءُ غَائِضٌ
كَذَلِكَ لَا يَبْكِي عَلَى الْحَبِّ طَائِرٌ
وَلَا الزَّهْرُ يَأْسَى لِلْفَوَادِ وَشَجْوِهِ
لَقَدْ جَفَّ قَلْبِي وَالزَّهْرُ نَضِيرَةٌ

وَبِرْقِ الْغَوَادِي لِلضِّيَاءِ يَشَامُ
أَمِيرٌ عَلَى عَلِيَّائِهِ وَإِمَامٌ
وَأَنِّي رَفَاتٌ لِلثَّرَى وَعِظَامٌ
وَلَا الزَّهْوُ شَجْوًا إِنْ هَلَكْتَ يَسَامُ
وَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْهَلَالِ سِقَامٌ
وَلَيْسَ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ يُلَامُ
وَلَيْسَ بَكَاءٌ مَا يَرِيْقُ غَمَامٌ
وَقَدْ شَابَ قَلْبِي وَالزَّمَانُ غَلَامٌ!

وعظ الموت

تذكر شجِّي القلبِ أَنَا جميعنا
هل العيشُ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي
نرى حولنا الهُلاكَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
ونعلمُ علمًا ليس بالظنِّ أَننا
وهوَنَ عِنْدِي المَوْتُ مَا الدَّهْرُ صَانِعٌ
وليسَت مَسَاعِي المَرَّةِ إِلَّا جَنَازَةٌ
وما عَرَفَ الأَيَّامَ إِلَّا مَجْرِبٌ
ونبكي لموتانا لأن حياتهم
يخلفنا الأحباب كالدوح هزه
أنشقى بفقد الميْتِ والميْتِ ناعِمٌ
وما المَوْتُ إِلَّا الأَمْنُ والخُلْدُ صنوهُ
خَلِيقٌ بِنَا أَن نَغْبَطَ الميْتِ حاله

نئولِ إِلَى وَرْدِ الرَّدَى وَنصيرُ
هل الدَّهْرُ إِلَّا أَشْهُرٌ وَعَصُورٌ؟
كَأَنَّ بِيوتَ العالَمينَ قَبُورُ
سنمضي على آثارهم فنحورُ
فلست من الخُطْبِ العَظِيمِ أَحُورُ
تخبُّ بِهِ نَحْوِ الرَّدَى وَتَسِيرُ
لبيبُ بِأحداثِ الزمانِ خَبِيرُ
مَنافعُ تُغْنِي فِي الخُطُوبِ وَخَيْرُ
شِتاؤُ يَعرِّي غِصنَه وَدَبُورُ
سَعِيدٌ بِمَا جَرَّ الحِمامِ قَريرُ؟
ألا إِنْ فَقدانَ الحِياةِ حَبُورُ
فإن حِياةَ العالَمينَ غُرُورُ

أبناء الشمال (الآريون)

إِنَّ أَبْنَاءَ الشَّمَالِ
 وَرَثَا الْمَلِكِ جَمِيعًا
 إِنَّ لِلْمَلِكِ اعْتِزَاظًا
 فَلَهُمْ فِيهِ فَلَاحُ
 عَمَّرُوا الْأَرْضَ وَنَمَّنَا
 وَلَهُمْ فِي الْكَوْنِ عَرْشُ
 كُلِّ شَيْءٍ لَهُمْ فِي الْـ
 حُرْمِ الْأَمْرِ عَلَى الْعَا
 إِنَّمَا الْقُدْرَةُ إِيمَا
 إِنْ أَبْنَاءَ الشَّمَالِ
 وَرَثَا الْعِزْمَ جَمِيعًا
 هُمْ لِدَاعِي السَّعْيِ وَالْآ
 تَعْرِفُ الْبِيدَاءَ مَسْعَا
 وَبِبَطْنِ الْأَرْضِ مَسْعَى
 سَلْ أَقَاصِي الْأَرْضِ تُحْبِرُ
 هِيَ تَنْبِي عَنْ جَلَالِ الْـ
 بِيَدِيهِمْ لَجْمُ الْأَقْـ
 يَرِكُضُ الدَّهْرُ لَدِيهِمْ
 مِنْ ثَمَارِ الْقُدْرَةِ الْعُلْـ
 عَيْشُهُمْ كَالنَّهْرِ يَجْرِي
 كُلُّ يَوْمٍ فِي جَدِيدٍ
 وَجَدِيدُ الْمَرْءِ يُبْلِيـ
 وَيَكَادُ الْغَيْبُ يَبْدُو
 عَرَفُوا الْعَيْشَ فَفَازُوا
 إِنَّمَا الْعَيْشُ طَمُوْحُ
 بَيْنَ عَجْزٍ وَاقْتِدَارٍ

عَمَّرُوا الْأَرْضَ وَصَالُوا
 كُلُّ مَنْ يَسْعَى يِنَالُ
 لَيْسَ يَدْنِيهِ اتِّكَالُ
 وَلَهُمْ فِيهِ مَجَالُ
 دَاوْنَا الدَّاءَ الْعِضَالُ
 قِيَمَةُ الْعَرْشِ الرَّجَالُ
 عَيْشٌ مَبْذُولٌ حَلَالُ
 جِزٍ لَا يَخْدَعُكَ أَلْ
 نٌ وَأَمَالٌ وَمَالُ
 عَمَّرُوا الْأَرْضَ وَصَالُوا
 مَا عَرَا الْقَوْمَ مَلَالُ
 مَالُ عَمَالُ عَجَالُ
 هُمْ وَتُنْبِيكَ الْجِبَالُ
 وَلِدَى الْجَوِّ مَنَالُ
 عُظُمَتْ تِلْكَ الْفِعَالُ
 نَفْسٍ لِلنَّفْسِ جَلَالُ
 دَارٍ يُجْرِيهَا الصِّيَالُ
 مِثْلَمَا شَاءَ الرَّجَالُ
 مِ فِي الْعَجْزِ الضَّلَالُ
 فَهُوَ حَالٌ ثُمَّ حَالُ
 كَشَفَتْ عَنْهُ الْفِعَالُ
 هُ وَيَفْنِيهِ ابْتِدَالُ
 لَهُمْ مِنْهُ الْمَالُ
 إِنَّمَا الْعَيْشُ قِتَالُ
 وَاعْتِزَامٌ وَاحْتِيَالُ
 ضَاقَ بِالْعَجْزِ الْمَجَالُ

إنما العجزُ هو الذلُّ إذا اشتد النضالُ
قيمة المرءِ مساعيد ه إذا عزَّ المنالُ
إنَّ أبناءَ الشمالِ عمَّروا الأرضَ وصالوا
لم يرعُهمُ فشلٌ إن ثبَّطَ الغرَّ المطالُ
بذلوا النفسَ ليحظُّوا إنما البذلُ نوالُ
قد بروا أهلَ الجمودِ مثلما تُبرى النعالُ
ويل أبناءَ الجنوبِ أع تـز بالملكِ الشمالُ

توأم النفس

(الفكرة الأساسية التي بُنيت عليها هذه القصيدة، هي أنك قد ترى أحد الناس أول رؤية، فيُخيلُ لك كأنك رأيتهُ وصحبته في حياة قبل هذه الحياة. فتكاد تصدق قول من يقول: إن الروح لا تُخلَق منفردة ولكن يُخلَق معها توأم لها!)

أخيَّ وكلُّ الناسِ صحب وإخوةُ وكل امرئٍ تلقاه فهو قريبُ
أتذكرني بل لا أخالك ذاكرًا أيذكرُ مجهولٌ لديك غريبُ؟
جلستُ على قربٍ ولم يكُ بيننا إخاءٌ ولا عهدٌ إليه نئوبُ
تحدثني نفسي بأنك خدُّتها وللنفس من ودِّ النفوس نصيبُ
وأحسبُ أنني قد صحبتك حقبةً من الدهر ذكرها لدي تطيبُ
حياةً لنا قبلَ الحياةِ رغيدة إذ العيشُ صفوٌ والزمانُ أريبُ
فنفسُ الفتى في مسلكِ العيشِ توأمٌ لها في الأداني توأمٌ وحبیبُ
وكل امرئٍ في العيشِ يبغي قرينه وكلُّ ضريبٍ ينتحيه ضريبُ
فويحُ لنفسٍ لم تجدُ من يحبُّها وللقلبِ لم تعطفَ عليه قلوبُ
جلسنا ومنا مُرسلٌ لحظَّ عينه وآخر محمود اللحاظِ هيوُبُ
نظرتُ وكم من نظرةٍ لك سرُّها جليٌّ وفي لحظِ العيونِ خطيبُ
جلوتَ لي النفسَ التي أنت ربها فإني بأسرار اللحاظِ لبيبُ
ولحظُ الفتى من نفسه وخصاله إذا طاب نفسًا فاللحاظِ تطيبُ

وفي لحظِ أهلِ اللؤمِ لؤمٌ وقسوةٌ
 وعطفٌ وفي لحظِ العدوِّ قطوبٌ
 وكلُّ جليسٍ للجليسِ طروبٌ
 تروحُ رسولاً بيننا وتئوبٌ
 ويورقُ غصنٌ للودادِ رطيبٌ
 فمنها مضيءٌ مغدقٌ وخلوبٌ
 يظل لها القلبُ الطروبُ يذوبُ
 ظليلٌ وروضُ المكرماتِ قشيبٌ
 إذا نظرتِ عيني وأنتِ قريبٌ
 فقمنا وكلُّ عن أخيه غريبٌ
 ورحتُ وعيشي من هوكِ جديبٌ
 يكادُ لها عهدُ اللقاءِ يثوبُ
 فيكذبُ ظني والرجاءُ كذوبُ
 ولا أن قلبي من نواكِ كئيبٌ
 وكلُّ لقاءٍ في الحياةِ عجيبٌ
 ومن فرصاتِ في الحياةِ تخبِ
 لهم كلُّ يومٍ إحنةٌ وحروبُ
 وكلُّ لكلِّ منهلٌ وقليبُ
 دعوتُ فهل من سامعٍ فيجيبُ؟
 لعل لقاءً يا حبيبِ يثوبُ
 من الحبِّ والودِّ المكينِ نصيبُ!

وفي لحظِ أهلِ اللؤمِ لؤمٌ وقسوةٌ
 وفي لحظِ أهلِ الودِّ أنسٌ ورقةٌ
 فقلتُ لعلَّ القربِ يُدني نفوسنا
 وما هي إلا لفتةٌ وبشاشةٌ
 فينشأ عطفٌ بيننا وتعارفٌ
 وكلُّ وداد لو فطنت تجاربُ
 وما هي إلا لُقيةٌ بعد لُقيةٍ
 فنحيا ودوح الودِّ سامٍ وظلُّه
 يقرُّ بعيني أن أرى الضوءَ والدجى
 وهيهاتَ حالتُ دون ذلك وحشةٌ
 فوا حسرتنا من نُهزةٍ ما انتهزتها
 أسائلُ عنك الدهرَ في كل ذكرِ
 أعلل نفسي أن قلبك ذاكري
 وأنت بعيدٌ لست تعرفُ نُكرتي
 وأعجب من هذا اللقاءِ وأمرِه
 فيا ويح هذا الخلق من كل وحشةٍ
 يعيشون كالأشباح في العيشِ حقبةً
 وكلُّ لكلِّ لو يفيقون جنةً
 فيا توأم النفس الذي أنا ناشدُ
 يقنتُ خلودَ النفسِ من بعد ميتةٍ
 فيرجى لنا في عيشةٍ بعد هذه

حلم النفس

وقبر الودِّ والحبِّ
 وفي الوافين من يصبي
 فتون الوجهِ واللُبِّ

ألا يا طلل القلبِ
 لججتُ بحبِ خوان
 ذكي الحسنِ فتانٌ

هو الحلمُ الذي تبغي
 فدع حلمًا مضى أبدًا
 سرابٌ كان فانقشعت
 فهذا الطير صداحُ
 ألا يا طائرًا يهوى
 لِقَلْبِي فيك تحنانُ
 فجدد دارسَ العهدِ
 وأطربني بألحانِ
 وداو غلَّةَ النفسِ
 لكي يصبح قلبي منذُ
 فما بالقلب من كلم
 وأغدو بك جذلاًناً
 وأنسى حلم الجذبِ
 فإن الحب أحلام
 وبعضُ الحلم جلابُ
 ألا يا حلم النفسِ
 فما في الحب من عيبِ
 ألا يا طائرَ الحسنِ
 فؤادي لك فردوس
 وصن لي حسنك الباهِ
 وكن لي خيرَ مصحوبِ

فما بالعيش من عتبِ
 أيروى القلبُ بالكذبِ؟
 خلاصة نبتة الجذبِ
 شدا في الغصنِ الرطبِ
 نضير الروض والعشبِ
 يُنير القلبَ أو يُخبِي
 وجد لي منك بالقربِ
 كفيض الطاهر العذبِ
 بما في الحسن من طبِّ
 ك روض الودِّ والحبِّ
 ولا في القلب من ندبِ
 خصيبَ الروض والتربِ
 بما في حلم الخصبِ
 وخيرُ الحلم ما يُصبِي
 مريزُ الهمِّ والكربِ
 أتروي غلَّةَ الصبِّ؟
 ولا بالقلب من ريبِ
 أليفَ الروض والعشبِ
 فطر في جوه الرطبِ
 ر من شينٍ ومن عيبِ
 أكن من خيرة الصحبِ!

زهر الهوى ونبت الفيافي

بين زهر الهوى ونبتِ الفيافي
 جاء نجوى بمن أعز وأهوى
 واقفاً بين من أحب وبينني
 وبيدينا يداه معقودتانِ
 وزهورٍ من النجوم رواني
 ملكٌ من ملائك الرحمنِ

بين زهر الهوى ونبت الفيافي

ثم خلّى بيني وبين حبيبي فاقتربنا اقتراب غير مريب
وعقدنا من العناق نطاقاً ما دُهينا باللوم والتشريب
وروينا بالدمع غُلة نفسٍ كيف يُروى الجوى بدمع صبيب

بين زهر الهوى ونبت الفيافي

قال لي الناصحُ الكريمُ مقالاً في خفوت ورقّة وسكون
كن أميناً على الفؤاد الأمين إنما الحسنُ نهضةً للخنون
هل جزاءُ الحبيبِ إلا وفاءً خالص من شوائبٍ أو ظنون

بين زهر الهوى ونبت الفيافي

ثم ألقى إلى الحبيب مقالاً إن خير المقال نصحُ القلوب
كن رءوفاً ووافياً ومنيلاً وطروباً إلى المحب الطروب
إنما المرءُ ساعة ثم يمضي فاجعلنها في خلوة بحبيب!

بين زهر الهوى ونبت الفيافي

جنون الأمانى

أيا روضةً الريحانِ مَنْ لي بنفحةٍ ويا نفحةً الريحانِ هبي مع الصبا
وإن بقلبي لوعةً أنت هجتها وما ظمئي للماءِ والقيظ لافح
فيا ظمأ القلب الجريح وريه ويا منهل الحسن الذي أنا حائم
ويا واحة العيش الجديد أحبّه لقد جبتُ هذا العيش والعيش بلقع
وأبصرتُ فيك الماء كالخمر سلسلاً وأبصرتُ أثماراً هناك وموردًا
فقلتُ لقلبي: إنما العيشُ في الهوى ولا عيشٌ إلا أن تنال الأمانيا

من الموت لا تبلّغه يا قلبُ صاديًا
 فيا بؤس آمالي وطول بلائيا
 من العيش ما يدنو وإن كان شافيًا
 فما الخلدُ إلا نجعتي وشفائيًا
 فكيف أرى في العيش جذلانَ راضيًا
 ترى الموتَ أن تحيا ذليلاً مداجيًا
 لأعطيتُ نفسي سُؤلها وعباديا
 وأثملت بالآلاءِ منها الأمانيا
 تجيء بأحلامي وترضي خياليا!
 ولكنَّ قولَ النفسِ: يا لَيْتَ ذا لِيَا
 ولا قلتُ يومًا: أين مني جماليا
 فلست عليه الدهرَ والموتَ خاشيا
 فتزهي بحسنِ فيك كالخلدِ ناميا
 ألدُّ الأمانيا ما يجن فؤاديا!

وقلتُ لقلبي: إنما العيشُ خلسةُ
 لئن خانني العيشُ الذي كنتُ أرتجي
 وما أحسبُ النفسَ اللجوجَ شفاؤها
 فمن لي بماءِ الخلدِ أروي به الصدى
 وما العيشُ إلا مطلبٌ بعد مطلبٍ
 وما العيشُ إلا عزةٌ واستطالة
 ولو كنتُ ربًّا نافذُ الأمرِ قادرًا
 وأفسحتُ في الأبادِ للنفسِ منزلًا
 فمن لي بها أمنية ما أجلها
 حبيبي، لا والله ما الكفر شائقي
 ولو أنني ربُّ لما نالك الردى
 جمالكُ مكلوءٌ بعين رعايتي
 أزيدك من زهرِ الصبا وثماره
 جنون الأمانيا فيك أحلى من الحجى

هذا الحبيب

يردد اللحظَ بين الدلِّ والتيه
 واحبس فؤادك لا تجري أمانيه
 واستبق دمعك لا تهمني هواميه
 ويلمس الهالك المودي فيحييه
 شرخُ الشبابِ الذي قد راق ماضيه
 أحلا لدى القلبِ من دهري وما فيه
 إذا رآها مشوقُ الطرفِ تعشيه
 وقسوةُ الحسنِ تبدو في مآقيه
 تلوح للعاشقِ العاني فتريه
 وعلمَ الروحِ ما تحوي مراقيه

هذا الحبيبُ الذي قد لُمتني فيه
 فانظر محاسنه واحذر لواظنه
 وارفق بلبك لا تودي اللحاظُ به
 هذا الذي يدرك الأعمى محاسنه
 هذا الذي إن رآه الشيخُ عاوده
 هذا الذي ضحكات في مباسمه
 تكاد طلعتُه من نورِ بهجته
 ونعمةُ الحسنِ تهفو في معاطفه
 وطلعةُ الحسنِ فيها قسوةُ جليلُ
 هذا الذي جمَلُ الله الحياةَ به

ومهجةُ المرءِ تسعى في مساعيه
مثل الطيور إذا غنت تناجيه
فربما نظرةً للمرءِ تشفيه
وربما نظرةً للمرءِ تشقيه
ومطمحُ النفسِ تبغيه وتدنيه

هذا الذي نبضاتُ القلبِ تتبعه
هذا الذي خطرات القلبِ صادحة
فانظرْ لعلَّك أن تحظى بنظرتيه
وربما نظرةً للمرءِ تسعدهُ
هل الحياةُ سوى مسعى تعانیه

أحلام الصيف

تراودني حتى تلجّ وتستشري
فذكرُك يثني النفسَ مني عن الشرِّ
ويسعد نفسي بالفضيلة والطهرِ
وأنت هُدى نفسي على السرِّ والجهرِ
وقربك قربٌ للمكارم والخيرِ
وأنت جميلٌ كالكواكب والبدرِ
وفيك جمالُ الأفقِ في وضح الفجرِ
كذاك جمالُ الروضِ يُحمدُ في العطرِ
محاسنٌ من مرآك في الأنجم الزهرِ
كما يلعبُ الطفلُ المدللُ بالطيرِ
فقد ضاعَ عمري في القطيعة والهجرِ
لكيما ترى السرَّ الجليلَ من الأمرِ
إذا ما ثوى بين الجوانح كالجمرِ
وإن الهوى كأسٌ أمرٌ من الصبرِ
وأخشى عليك الشرَّ يطرق بالضرِّ
ولا أنت معصومًا من السوءِ والمكرِ
من الشرِّ أمرًا كان منه على قدرِ
فإني سمعتُ الحبَّ يخفق في صدري
تزول ويبقى منه حسنك في شعري

إذا ما دعنتي النفسُ يومًا لريبة
ذكرتُك كيما تحدث النفس عفةً
وذكرك يثني ناظرِي عن الخنا
فأنت سميري في صحابي وخلوتي
فلا تبتعد عني فبعدك فتنة
فأنت جميلٌ كالنهار وضاءة
وأنت جميلٌ كالزهور نضارة
فيا آية الكونِ الذي أنت عطره
أظن نجومَ الليل تزهو لكي ترى
وعذبت قلبي في يديك ضلالةً
فجد لي بيومٍ من لقاءك صالح
تعال أعلمك الهوى ما فعاله
ولكنني أخشى عليك من الهوى
فإن الهوى مثل المدامة مُسكرٌ
وأخشى عليك العيش فالعيشُ فتنة
فما أنت معصومًا من الشرِّ والأذى
وكل امرئٍ في العيش لا بد فاعلٌ
لقد خلت أن الحبَّ طيرٌ مغرّدٌ
إذا زال عنك الحسنُ والحسنُ دولةٌ

وما كنت تبديه من الصدِّ والغدرِ
 إذا صرتَ منسياً كأَمْسِكَ في العمرِ
 أراها على وجه الخليفة كالسترِ
 لتجمعَ ما بيني وبينك في السرِّ
 دعاءُ لهيفِ ذي لواعج مضطرِّ
 فينساك إلا أن يغيبَ في القبرِ
 عسى تلتقي روعي وروحك بالذكرِ
 لوجهك إن الزهرَ يُعرَفُ بالزهرِ
 فوجهك مثلُ الزهرِ يضحك من بشرِ
 فكل ضئيل النفس يفخر بالشرِّ
 وأخف جنوني فيك بالصبر والكبرِ
 ولكنما الذكرى أمرٌ من الصبرِ
 لديك فإنَّ الشوقَ ضربٌ من السحرِ
 فإنك مقدود الفؤاد من الصخرِ
 أرقّت كئوسَ العمر من طرب السكرِ
 سواسية ما يأكل الدود في القبرِ
 فقد حُطَّ شعري في الصميم من الدهرِ
 عقود معانٍ لا تطوَّقُ بالنشيرِ
 فأصبح يشدو بالجليل من الشعرِ
 فحولي أناس كالجماد من الوقرِ!
 وشعري أحلى للنفوس من الخمرِ
 ومنك نسيم الحبِّ يعبث في صدري
 فيوقظ أنغامي ويحمل من نشري!

ندمت على الهجران في غير علةٍ
 وهيهات أن تسري لحاظك بالهوى
 كأنَّ على الآفاق بعدك وحشةً
 أبيتُ أنادي الجنَّ في مستقرها
 دعاءُ الفتى سحرٌ وأبلغُ دعوةٍ
 دعاءُ الذي ما من نزوع لقلبه
 فلا تَنَسَ ذكري مثلما أنا ذاكر
 أحبُّ من الأشياءِ ما كان مشبهًا
 فأرسل إليَّ الزهرَ منك علامةً
 ولا تفخرنِ إنِّي جُنِنْتُ محبةً
 ودعني أُمِّنُ النفسَ عطفَ ورحمةً
 فليتَكَ حلم الصيف يحلو لحالم
 أعلُّ نفسي أن شوقي نافعِي
 وهيهات لا تجدي لديك شفاعة
 حسوتُ كئوسَ الحبِّ طرًّا وإنني
 فلا تعذلا قلبي لإسراف نشوة
 سيذكر هذا الدهرُ أمري وأمركم
 لقد كان قبلي عاطلاً فحبوته
 وقد كان قبلي أخرسَ الفم أبكما
 فمن لي بأسماع تعي ما يقوله
 ألا إن هذا الدهرَ أوتارُ شاعرِ
 ألا إن قلبي روضة الشعر والهوى
 يحركُ أغصان الخميطة مرةً

فتنة الظهر

كم ذا البعاد فقد أطلت بعادي
 وسل الوسادَ فما قربت وسادي
 وتظن أنك قد سبرت فؤادي
 شوقي ومُورٍ من هواك زنادي
 يوم يجيء براحتي ورقادي
 ويزيد من غصص الزمان العادي
 إن لم تُنَلِّ من عفة ورشادٍ
 أو أن تجلَّ مظنة لفسادٍ
 إن الدنيايا جمَّة الورادِ
 فكأنه القمر المنير الهادي
 شوهاء رهن حوائج الأجسادِ
 ومودة الأمثال والأندادِ
 وخصاله من مضمِر أو بادي
 فتكون أنت مظنة الحسادِ
 يغدو لها الخلان كالأضدادِ
 وتناصرُ كتناصر الأجنادِ
 فإذا وجدت مغامرًا لأعادي
 نكب الأنامَ وقتَّ في الأعضاءِ
 خلصت من الأدناس والأحقادِ
 تثني عليه ألسنُ الحصادِ
 تدعوك بالتغريد والإنشادِ
 هزَّ الزهورَ بقده الميادِ
 حتى الرياح عليك من حسادي
 نظر المحبِّ إلى الحبيب البادي
 طربًا فحبُّك زادها والحادي
 والبدر شيب بياضه بسوادِ
 يا غلَّة القلب المشوق الصادي!

يا غلَّة القلب المشوق الصادي
 سل عني الليل البهيمَ وطوله
 أتخال أنك قد كشفت سرائري
 أو ما علمت بأن طهرك باعث
 يومٌ يخال الظنُّ فيك نقيصةً
 لا بل يجيء بحسرةٍ وندامةٍ
 لست الخليق بأن تُنال محبتي
 النفس أعظم أن تحبَّ ذوي الخنا
 إني أريدك كعبةً لا حانةً
 طهرُ الحبيبِ يزيلُ همَّ محبِّه
 السعد أظهر أن ينال بخسةٍ
 خيرُ الهوى حبُّ الفضائل والنهى
 ظنُّ الفتى كفعاله ومقاله
 لا ترميني بالدنية باطلًا
 حبُّ النقيصة إثره مذمومةٌ
 وهي المحاسن ألفة ومودةٌ
 انظر لنفسي في خصالك صادقًا
 فاذهب كما ذهب الوباءُ مُبغضًا
 وإذا وجدت محامدًا ومحاسنًا
 أقبلُ كإقبال الربيع محببًا
 الطيرُ تشدو في الرياض محبةً
 والغصنُ كالنشوان منٍ وله بكُم
 والريحُ تبكي شجوها بأنينها
 والنجمُ يومض عاشقًا لجمالكم
 وكواكبُ الفلك المدار رواقصُ
 والشمسُ صفراءُ الجبين مريضة
 أنت الذي فتن الوجودَ جماله

في الفردوس

نَبَتْ عِينَاهُ عَنْ زَهْرِ الْجَنَانِ
 وَطَيْرُ الْأَيْكَ تَصْدَحُ بِالْأَغْنَانِ
 يَنْبِرُ الزَّهْرُ مِنْ حَدَقِ الْحَسَانِ
 مَذَاعُ الْعَطْرِ مَحْمُودِ الزَّمَانِ
 وَتَبْصُرُ حَوْلَهَا حَلَمَ الْأَمَانِ
 قَطُوفٌ بَيْنَ قَاصِيهِ وَدَانِي
 فَوَادِكُ لَيْسَ يَنْعَمُ بِالْأَمَانِ
 وَقَلْبُكَ كَالْكَلِيمِ مِنَ الطَّعَانِ
 وَنَفْسُكَ بَيْنَ حَلْقِكَ وَاللِّسَانِ
 شَقِيٌّ فِي الْفِرَادِسِ وَالْجِنَانِ
 كَأَنَّ دِمَاكَ رَيْقَةَ أَفْعَوَانِ!
 وَوَجْهُكَ شَاخِبٌ وَالْدمعُ قَانِي
 وَتَنْشُدُ صَنَوَ نَفْسِكَ وَالْجَنَانِ
 يَحْنُ عَلَى الْقَطِيعَةِ وَاللِّيَانِ
 جَمِيلُ النَّفْسِ مَحْمُودِ الْعِيَانِ
 عَمِيمًا حُسْنُهُ جَمَّ الْمَعَانِي
 وَلَا صَبٌّ يَرُوعُ بِالشَّنَانِ
 وَطَرْفٌ مِنْهُ مَعْهُودِ الْبِيَانِ
 وَسِرُّ النَّفْسِ مَا تُوْحِي الْيَدَانِ
 وَتَطْرِبُكَ الْمَثَالِثُ وَالْمَثَانِي
 فَطِيبُ اللَّحْنِ فِي طَيْبِ الزَّمَانِ!

شَرِيدُ اللَّبِّ هَامِي الدَّمْعِ عَانِي
 تُرْتَلُّ حَوْلَهُ الْأَمْلاَكُ أَيَّا
 وَنُورُ الْخَلْدِ وَضَاءٌ عَلَيْهِ
 تَظَلُّ النَّفْسُ مِنْهُ فِي رَبِيعِ
 تَظَلُّ النَّفْسُ تَمْرُحُ فِي رَبَاهِ
 تَجَلُّهُ ثَمَارٌ فِي غُصُونِ
 بَأْيَةِ شَقْوَةٍ قَدْ رُغِبَتْ حَتَّى
 يَظَلُّ النَّاسُ حَوْلَكَ فِي نَعِيمِ
 نَفُوسُ النَّاسِ فِي دَعَاةٍ وَأَمْنِ
 فَيَا بؤْسًا وَيَا تَعَسًّا لَصَبِّ
 دِمَاؤِكَ فِي الْعُرُوقِ لَهَا لَهَيْبُ
 وَأَنْفَاسٌ تَصْعَدُهَا طَوَالَ
 تَمُدُّ إِلَى وَجْهِهِ الْقَوْمِ لِحَظًّا
 وَلَيْسَ الْحَبُّ إِلَّا حَبُّ صَبِّ
 وَلَيْسَ الْخَلْدُ إِلَّا قَرَبُ خَلِّ
 سَتَّصِرُ مِنْهُ فِي الْفِرْدُوسِ وَجْهًا
 يَسَلُّ الضَّغْنَ لَا وَاشٍ فَيَخْشَى
 فَطَرْفُ مَنْكَ مَعْقُودٌ بِلِحْظِ
 يَدُ بِيَدٍ وَقَلْبُ قَرَبِ قَلْبِ
 تَحْيِيكَ الْمَلَائِكُ بَابِتْسَامِ
 فَقُلْ لِلطَّيْرِ تَصْدَحُ فِي رَبَاهَا

حلم الفردوس

وحتى حنيني نحوكم وهيامي!
 فإنكم لا تصرفون غرامي
 وليس اقترابي منكمو بحرام
 فقد سار في ذاك النسيم سلامي
 لحيّتك من تحت الرجامِ عظامي
 وأبغضت في هذي الحياةِ مقامي
 وقد بان حتى راحتني ومنامي
 ولم تشف من داءِ الهمومِ مداми
 فأنقع من ذاك الخيالِ أوامي
 فقربك فيه راحتني وجمامي
 ومراك فيه نهلتني وطعامي
 إذا جاد طيفٌ منكمُ بلمامِ
 دواءِ همومي كلّها وسقامي
 لأيام عيشٍ في الجنانِ وسامِ
 وعيش قديم قد مضى بسلامِ
 لعهد جنانٍ قد مضى ومرامِ
 فليت مقاماً في الجنانِ مقامي
 له بهجةٌ في زهرها المتسامي
 وقلبي من ذكرى الفرادس دامي
 إلى مقبلٍ من دهرنا المترامي
 فيا ليت أوراق النعيم خيامي
 وما هو إلا مثل حلم نيامِ
 من العيش إلا غلتي وسوامي
 ولا برئت نفسي وطاب منامي
 وأني في أيدي الخطوبِ زمامي
 كما لاح صبحٌ من وراءِ ظلامِ

أيحرم حتى نظرتي وسلامي
 أقيموا كما شئتم على الصدِّ والجفا
 أعللُ نفسي باقترابٍ ولُقية
 فإن طرقتك الريحُ يوماً بأنة
 ولو أنني في القبر ميّتُ وزرتني
 وإني إذا ما اعتادني الهمُّ والأسى
 وأشعرت ذلّ العيش حتى قليته
 وأصبحتُ أرجو الموت من سورة الأسي
 أبين لنفسي صورةً منك غضةً
 ويفرحُ قلبي بعد يأسٍ وحسرة
 وفي ذكركم روح الحياةِ وطيبها
 قنعت بذكراكم وبالطيف منكمُ
 لقد كنتُ أشكو الحبّ حتى رأيتُه
 فيا حلمَ الفردوس حُبك ذكرة
 ورثنا ولوغاً بالنعيم وطيبه
 وكلُّ مرامٍ نرتجيه تذكرُ
 أكاد أرى الفردوسَ خضراً غصونه
 وأبصر فيه الضوءَ لا ضوء مثله
 وأسمع فيها الطيرَ تشدو فأنثني
 فأوي إلى عهدٍ مضى ثم أنثني
 وكلُّ جمالٍ يسحر القلبَ طيبه
 سراب طماح المرء في غير كنهه
 فيا ليتني في الريف لا شيء شاغلي
 ولو أنني في الريف ما فاتني الأسي
 حبيبي إن خُبرت أني بحسرة
 فأرسلُ خيالاً منك يأسو لواعجي

ولا نالك الدهرُ الخئون بذامٍ
فأي مرامٍ يا حبيبٍ مرامي
وأعظمُ سُكْرَ العاشقين هيامي
إذا كانت الأخلاقُ غيرَ لئامٍ
فتروى لحاظً من جفاك ظوامي؟
وأقضي وهل حبُّ يردُّ حمامي؟
تصرمُ عامٍ في هواك وعامٍ
فلولا الردى بشرته بدوامٍ

معيني على الأحزان لا مسك الأسي
أريد على الأيام عوناً من الهوى
أجلُّ مرامٍ في هواك أرومه
وإنَّ هيامَ المرءِ فضل وفطنة
فيا حلمَ الأحلام هل لك عطفة
وأحيا حياةً من هواك سعيدة
ولو ردَّ هذا الموت شيء لرده
فحبُّك حلمٌ بالخلود لعاشقٍ

الجمال المنشود

وفوقه من نجوم الليل تيجانُ
كما يُتَّوَجُّ بالأزهار جذلانُ
إذا بدوت ووجه الأفق غيمان
وأنهل القلب منكم وهو صديانُ
فإن عينيك لي سحرٌ وتبيانُ
سعدٌ ونحس وإحسانٌ وحرمانُ
من الخمائل فيها الغصنُ فينانُ
فالنجمُ من حسنكم والزهرُ يزدانُ
يا طيبه لو دنا والدهرُ نيسانُ
بين الأضالع أحقادٌ وأضغانُ
أضئ حياتي فوجه العيش طحيانُ
وكيف يدجو ولم يدركك نقصانُ
فالصبُّ والبدر والظلماءُ خلانُ
منكم فما لكم عطف ولُقيانُ
حتى أبيت وضوء البدر ندمانُ
لم يدنني منه تطلاب ونشدانُ

رأيتُ في الحلم وجهًا منك أعبده
توجت نفسك بالأفلاك مكرمة
فإنَّ وجهك بدرٌ يستضاء به
فقمت أملأ عيني من محاسنكم
إن راقب الناس في الأفلاك طالعهم
وإن طرفك نجم الحظ أرقبه
وقمتُ في الحلم أسعى نحو حالية
لنور وجهك فيها بهجة أبدًا
يا جنة الحلم كم لي فيك من أرب
أصفيت قلبي فلا والله ما سكنت
ويا هلالاً أرى في النفس طلعتة
وكيف يقبح عيش أنت بهجته
يا بدر إنَّ أخاك البدر يؤنسني
البدرُ في أفقه أدنى لناظره
يلقي إليَّ بنور من أشعته
وأنت في العيش حلمٌ لست أدركه

ما نال شأوك لا إنس ولا جان
 ومطلبًا ليس لي من بعده شأن
 يناله بين هذا الخلق إنسان
 صنع المَخِيلَةَ لا يحويه جثمان
 فإنما المرء في دنياه وسنان؟
 لك الملائك إخوان وخلصان؟
 قد نابه منك هجران وفقدان؟
 إن السماء لزهرة النجم بستان؟
 وفيك لله آيات وبرهان؟
 وآفة الحسن أكفان وديدان
 ولا دلال ولا لطف وتحنان
 أم كلُّ عيشك أزهار وأغصان؟
 منعّم البال لا يؤذيه حدّثان
 وفارغ القلب قلبي منك ملائ
 فالقلب من حُبِّك والطرف سهران
 أليس في الناس حُسان وحُنان؟
 أشباه قلبك أحجار وصوان!
 وأنت كالطير جدلان وغفلان
 وأنت زهرٌ وبعض الحبّ ذيفان
 فأنت ربيّ وقد أخطاك ظمآن
 فأنت نورٌ وطرفي منك عشوان
 الحسن نارٌ وقلبي منه حرّان
 يا بؤس نفسي إن أقصاك هجران
 في الهجر ما لي على الهجران أعوان
 لكن نصيبك وجدان وأشجان
 أو تألم النار لم تحرقك نيران
 ما كان في الناس إشفاق وإحسان

وأنت للحسن جنّي فتَه مرحًا
 يا غاية العيش والآمال قاطبة
 ما كنت أحسب حسناً أنت لابسه
 فذاك حسنٌ عزيزٌ معجز أبدًا
 هل أنت طيفُ خيالٍ زار في سنة
 أم كنت من جنة الفردوس في وطن
 أي الكواكب قدّمًا كنت ساكنه
 أم كنت في الأفق نجمًا لا أقول له
 وكيف أجد هذا الكون خالقه
 انكُر حبيبي أن الموت غايتنا
 لا لقيه بعده تُرجى ولا صلة
 ألم يعلمك وقع الخطبِ مرحمة
 هيهات لا يرحم المسكين ذو ترف
 يا ناعم البال ما لي راحة أبدًا
 وراقد الليل ليلي لست أرقده
 استجد لي رحمةً وانظر إليّ بها
 لا تحسبن قلوب الناس قاطبة
 لا عيب في الطير لم يأنس بعاشقه
 لا عيب في الزهر إن أردى بنكهته
 لا عيب في الماء لم يبلغه طالبه
 لا عيب في الضوء أعمى مقلّة نظرت
 لا عيب في النار أن النار محرقة
 إنني أعلمك الأعذار من سفه
 بالله لا تتخذ حُبّيك معذرة
 النار ليس لها قلبٌ فنعدّلها
 لو تشعر النار لم تعنف بلامسها
 لولا المصائب والآلام قاطبة

وليس نظمي للأشعار من عبث
وإن شعري نفس فيك هالكة
فارحم شجون فؤاد طالما صدحت
يا نائي الروح روعي منك دانية
فإن شعري قلب منك ولهان
وإن شعري أشواق وتحنان
فالقلب طير له في الحسن أوكان
وصاحي القلب قلبي منك نشوان

(أرسل حضرة الأستاذ الجليل حسن أفندي فهمي المحامي هذه الأبيات الرائقة إلى صاحب الديوان):

أتظلم أيامي ووجهك شمسها
هجرت فقلبي قلب ثكلى حزينة
وأظمأت زهراً للمودة ناضراً
وحدّثني عنك الفؤاد بسلوة
فما سمعت أذني لشكري بسابق
إذا قال شعراً خلته قال آية
إذا أنزل الأشعار فالدهر ساجد
لياليك أشهى للنفوس من المنى
وتجذب آمالي وأنت تليها؟
أصاب الردى يوماً جميع بنيتها
سأروي بدمعي زهرها وأقيها
فأضحى فؤادي للفؤاد كريها
ولا أبصرت عيناى قط شبيها
هي السحر في الباب مستمعها
لمنزلها جاث لمتبعيها
أذ الليالي ما رأيتك فيها

(فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة):

منى النفس

منى النفس أن تحيا وأنت هواها
وإن مماتي في هواك حياتها
فيا مطمح القلب الطلوب مودة
كأنني إذا ما غبت أضللت هادياً
فأطلب نهج الرشيد في كل وجهة
وإن لحت لاح الرشيد حتى كأنني
لقد علقت نفسي بكم قبل قربكم
فكنت كراء في الكرى زهر جنة
فإن جنوني في هواك هداها
وإن سلوي عن هواك رداها
سلاها فلما أن رآك بغاها
رشيداً وعيني ما يزول عماها
وأنك في أرض العراء ثراها
بصير درى الأشياء حين رآها
فإنك من قبل اللقاء مناها
فلما تمشى في الصباح أتاها

فيا حلم نفسي هل تزيل صداها؟
 حبيب لقلبي ماؤها وشذاها
 مُنى كل نفسٍ حيث كان هواها
 وواهاً على عهد الأحبةِ وأها
 وما زان طيف من لدنك كراها
 وشر الليالي ما أبيت أراها
 وقد شقَّ عن وجه السماءِ دجاها
 أرى بدأها يهدي إليّ ضحاها
 فهل ليلة لي من سنك حُلاها
 لقلب شجيٍّ إن عدته بَكاها
 تأسى وفي النفس اللجوج شجاها
 هوى كل نفسٍ أن تنال مداها
 كفاها من العيش القليلُ كفاها
 أحبُّ هلوگًا قاربت فقلاها
 تقرب من نفس التعيسِ رداها
 فمن لي بنفس ما يبين حجاها؟
 تطلب دنيا حلمه فشكاها؟
 وتهداً من نحس الحياةِ عساها
 كأن الليالي لا تدور رحاها؟
 فمن لي بنفس في الحياة سواها؟
 وحتّام يضمنيها الرجاءُ سلاها

فكان على وعدٍ من الحلم ما أتى
 ويا جنة الأحلام طالت فروعها
 فأنت حبيبي ما حييت وإنما
 فواهاً على العهد القديم الذي مضى
 وخير ليالي التي أنت حلمها
 وخير ليالي التي أنا ذاكر
 وخير ليالي التي أنت بدرها
 وخير ليالي القصار بقربكم
 فيا بدر إنَّ الليلَ بعدك مظلمٌ
 فربُّ ليالٍ هُنَّ ذات قرابة
 بكأها فلما لم يرَ الدمع نافعاً
 أريد من الأيام ما لست مُدرگًا
 فقل لطموح النفس حتّام نحسها
 أحبُّك يا دنيا على البعد مثلما
 ألا فاسقني الأيام إنَّ كتوسها
 لعمرک إنَّ العقل يُفضي إلى الأسي
 وكيف ترجي العدلَ في قول حالم
 عسى أن يصيبَ النفسَ صبرٌ يحوطها
 أخشى طروق الحادثات ولبثها
 شقيتُ بنفسي شقوةً لا أطيعها
 سلاها غلام الخوف من كل حادثٍ

* * *

مزجت بنفسي ماءه فشفاها
 يعلل نفسًا قد أطيل صداها
 فهیئى لنفسي من لدنك رقاها
 وان قيلت الجلى فأنت فتاها
 أتحت لقلبي نهلةً فحساها

ولولا نميرٌ من وداك طاهرٌ
 لمتُّ ولم أظفر بخلٌ مصادق
 أبا الفهم أن السحرَ ما أنت قائلٌ
 إذا قيلت النكباءُ كنت جلاءها
 فيا مدرها لا مدره اليوم مثله

وكم حادثات لا تسوغ قضاها
وكم من ديونٍ لي عليه لواها
كأنَّ خميسًا من لدنك غزاها
حقوقِي أمانِيّ ليديه حماها
جنايةً جانٍ ما يخال جناها
عن المرءِ حتى ما يخاف لظاها
وأفحش ما تقلى النفوس رباها
فأنت خليق أن تزيح خناها
لأدركها مما تقول هداها!

خصيمي دهر ليس يرضى خصيمه
ولي عند هذا الدهر حق أضاعه
وكم موقفٍ تفري به كل بطلّة
فقم هاتِ لي حقي من الدهر إنما
فإنك يوم الحشر لو قمت دافعًا
فإن بيانًا منك يقصي جهنمًا
تقارضنا الدنيا حياة بشقوةٍ
أدُنْ هذه الدنيا بما أنت ربه
أما إنها لو ألحقت بمسامع

قريب بعيد

فهل هو مخضّرُ النباتِ قشيبُ؟
وكلُّ حياةٍ بالحبیبِ تطيبُ؟
فما بين أغصانِ الرياضِ رطيبُ
إذا أنت لم يطرب إليك حبيبُ
وكل أديبٍ للأديبِ طروبُ
فإن بشاشاتِ الوجوه تصوبُ
ولحظِ العيونِ العاشقاتِ نسيبُ
ورُبَّ بعيدٍ وهو منك قريبُ
ويا رُبَّ لحظٍ للمحبِّ طبيبُ
ألا إنَّ ألحاظِ العيونِ خطيبُ
وما كل مزحٍ في الودادِ يريبُ
وماءٌ طهور لا يعاف شروبُ
وكيف يشوق القلب وهو كئيبُ
وأين ضياء في اللحاظِ خلوبُ
فكلُّ وداٍ بعد ذاك كذوبُ

لقد عاود الطيرُ المغرّدُ روضه
وهل عاده زهو الحياة وطيبها
إذا الطير لم يأنس ولم يبيد عطفه
ولا خيرَ في نيل الودادِ بشافع
لقد كنتُ أبغي منك أنسا وألفةً
وجئت فلم تظهر إخاءً وعطفه
ولحظُ العيونِ الفاتناتِ بشاشةً
وزرت فلم تأنس كأنك لم تزرُ
ولم أرَ في عينيك إغراءً عاطفٍ
لقد كان في عينيك شكٌ ووحشة
ولم تتبسط بالمزاح توددًا
فكلُّ مزاحٍ منك أنس أحبه
فلا أنت مشتاقٌ ولا أنا شائق
فاين ابتسام كنت أهوى وميضه
تحدثني عيناك أنك مبغضي

أحْبَبُ حَبًّا لست أهلاً لمثله
فإنك لا برٌّ لديك لآملٍ
فنفْسُك مثلُ القبرِ قَبِيحٌ وظلْمَةٌ
فلا تتركْنِي بين يأسٍ ومطمعٍ
ودعني أمت أو أَحْيَ دهرًا كميَّتٍ
وإني خليق أن أبوءَ بسلوَةٍ

وما كلُّ حبٍّ للجمالِ يطيبُ
رضاك ولا ودًّا لديك أصيبُ
وحسْنُك غصنٌ في القبورِ جديبُ
إذا لم يكن لي من هواك نصيبُ
تعدته عُودًا ومملٌّ طيبُ
إذا أنا لم يعطف عليَّ ضريبُ

* * *

وأهوى رفيقًا ذاكِ الروحِ والنهى
فيا خالقَ الألحانِ جدُّ لي بمنطقٍ
لأطرب قلبًا لا يلين لمطربٍ
أظللُّ إذا ما غبت عني كأنني
شفيعي إليكم في المحبة أننا
ولو كنتُ تدري كنه حسنك كله
وعربت من سكر الجمالِ وإنه
ولو جنَّ إنسانٌ من الحسنِ كُنْتَه
ولو كنتُ تدري سرَّ حبي كلَّه
وما في الورى مثلي عليمٌ بحسنكم
أبيتُ أناجيكم على بعد داركم
وأطعمه زادي وأسقيه خمرتي
وأجلسه جنبًا لجنبي وإنني
وأسأله عن حاله كيف حاله
نظمتُ معاني الحبِّ فيكم جميعها
ولم يبقَ إلا أن أجنَّ بحبكم
كأنكم طيفٌ لطيفٌ يزورني

وما لي سواكم في الحياة طليبُ
وجدُّ لي بلحنٍ من لدنك يذيبُ
ألا كل شأٍ للجمادِ يخيبُ
يتيمُّ غريب في الحياة سليبُ
كلانا يتيمُّ في الحياة غريبُ
عذرتَ ولم يعنف عليك رقيبُ
لسُكْرُ إذا فكَرْت فيه يطيبُ
فأنت فريدٌ في الجمالِ عجيبُ
لما خلت أني في هواك مريبُ
فإني بأسرارِ الجمالِ لبيبُ
وأدعو خيالًا منكم فيجيبُ
وأبغيه في الظلماءِ وهو قريبُ
إليه وإن طال البعادُ أءوبُ
ولي منه إلفٌ شائقٌ وجنيبُ
فلم يبقَ منها شاردٌ وغريبُ
وتَهلك قلبي زفرةٌ ونحيبُ
فيا طيفَ طيفٍ هل أراك تتوبُ؟!

عشيق القمر

(وهي أنشودة من أناشيد الصيف والليل والقمر).

خلعًا والدارُ تزهو بالضياء
شجوه بين التمني والرجاء
لخليق ببهاءٍ وسناء
ساطعًا بين عراض وفناء
ما ديار الحي عندي بسواء
ويبيت البدر مسلوب العزاء
حائرٌ يقطع أرجاء السماء
وهو مثلي بين يأسٍ ورجاء
ويحييكم بألحاظ بطاء
حُلَّةً فضيةً شتى الرِّواء
كضياءِ الطهر محمود الوضاء
وجهه في حلمكم جمُّ السناء
ليس يشقى فيكم بالرقباء
منك في دارِ ضنين باللقاء
ليس يلقاني بعذلٍ أو عداء
خائبًا بين صباحٍ ومساء؟
كيف ترمي القلبَ بالدَّاءِ العياء!
كم عدتنا عنك أيام الشتاء
قد تمادى حكم أيام الشقاء!

نشر البدرُ على داركمو
في ليالي الصيفِ حيث القلب من
إن بيتًا أنتمُ سكانه
لخليق أن يبيت البدر فيه
أحسن الضوء على داركمُ
يخشع الطاووس من حسنكمُ
فكأنَّ البدرَ من حُبِّكمُ
فهو مثلي هالكٌ من حُبِّكمُ
ويطلُّ البدرُ من طاقاتكم
بسَطَ البدرُ على فرشكمُ
وعلا وجهكم منه ضياءُ
وهو في أحلامكم آفاقه
وهو في أحضانكم ذو سِنَةٍ
ليتنى يا بدر ضوءٌ ساطعُ
فأراه وهو عنِّي غافلُ
أأقضي العمرَ في هجركمُ
يا دواء القلبِ من أسقامه
يا ليالي الصيفِ عودي بالهوى
يا ليالي السعدِ عودي بالمنى

الحب والرحمة

وَأَنْ بُعِدْكُمْ وَالْمَوْتَ سِيَانِ
وَلَا تَحْسُونِ مَا بَثِي وَتَحْنَانِي
وَأَنْ أُبَيْتَ عَلَى صَبْرٍ وَسَلْوَانِ!
وَقَسْوَةَ كَمَنْتُ فِي صَخْرٍ صَوَانِ
لَمَا بَلَلْتُمْ بِمَاءِ الدَّمْعِ أَكْفَانِي
بَلْ كَانَ حَظِي مِنْ سَخَرٍ وَنَسِيَانِ
وَرُحْتُمْ بَيْنَ مَزْهَوٍّ وَجَذَلَانِ
تَبْدُونَ لِلنَّاسِ مِنْ صَحْبِي وَإِخْوَانِي؟
فَأَنْتَ أَرْحَمُ مِنْ صَحْبِي وَخَلَانِي!

لَمَا رَأَيْتُمْ حَيَاتِي فِي اقْتِرَابِكُمْ
بِنْتُمْ فَلَا رَحْمَةَ فِيكُمْ أَوْمَلَّهَا
فَادْعُوا لِي اللَّهَ أَنْ أَنْسَاكُمْ أَبَدًا
حَسْبِي الَّذِي قَدْ عَنَانِي مِنْ جَفَائِكُمْ
وَاللَّهِ لَوْ مِتُّ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ كَمَدٍ
وَلَا عَنَاكُمْ مَمَاتِي فِي مَحَبَّتِكُمْ
وَلَوْ جُنُنْتُ لَمَا اهْتَاجْتُ لَوَاعِجِكُمْ
أَبْعَدُ مَا قَدْ بَدَا لِي مِنْ عَدَاوَتِكُمْ
يَا طَارِقَ الْمَوْتِ فِيكَ الْأَمْنُ أَنْشُدُهُ

أملح الناس

وطاق الورد والآس
وقد حرمت إيناسي
أما لي فيك من آسي؟
وما بالحب من باس!
مَ قلبي قلبك القاسي
على همٍّ ووسواس
أريق الهم في الكاس
فهل يهنيكم ياسي
وأحسوه مع الحاسي
وأن تركد أنفاسي؟
قتيل الحب والياس؟
ومن يسخر بالناس؟
رَ جهراً غير إبلاس
على العينين والراس!

ألا يا أملح الناس
لقد حللت إباحشي
ألا يا أملح الناس
وهل تزهد في حبي
أما يقدر أن يرحـ
أبيت الليل سهراناً
وأقضي اليوم في همٍّ
وقد حببت لي الموت
سينعاني لك الموت
فهل يهنيكم موتي
وأن أدرج في قبري
فمن يصدح بالشعر
ولو أني دعوت البد
لحياني ولباني

وأدعوك فلا تدنو
ألا يا أملح الناس
لقد خلفني الحبُّ
وقد مزقني الحبُّ

وأنت الغافل الناسي
وطاق الورد والآس
صموتًا بين جُلَّاسي
بأنياپٍ وأضراسٍ!

ذكري الحبيب الأول

ذكري الحبيب الأول
أورى هيامك يا فؤا
فدع الشجونَ لأهلها
أصبحت ربعا دارسا
ولقد عهدتك أهلا
وعهدتُ فيك الحب بيـ
يا قلبُ هل من مرجعٍ
هيات ليس بعائدٍ
أصبحت كالقبر الذليـ
من بعد ما قد كان حبـ
فثملت من شجوى ومَن
وتقول إنَّ أملُ بدا
قد كان يعجبك الدلا
أصبحت لا أملًا ترا
كأس الحياة تمجُّها
في كل يومٍ لوعة
حتام أنت معدَّب
ولقد ظمئت إلى السرا
هذا جزاء معاندي
ويذوب إثر الغادريـ

أم لحن شدو البلبل؟
دُ وكنت عنه بمعزلٍ
ليس الزمانُ بمقبِلٍ
بين الصبا والشمالِ
بالحبِّ غيرَ مُعدِّلٍ
سَنَ مُنورٍ ومكَلِّلٍ
ذاك الزمان المنجلي
عهد الهوى المتحملِ
لِ وكالظلامِ الأليلِ
ك كالرحيقِ السلسلِ
يعشَقُ كعشَقك يثملِ
يا ليت ذلك كان لي
ل وعزة المتدلِّلِ
ه ولا رضا المتجملِ
كالشهدِ شيبَ بحنظلِ
بين الضلوعِ كمرجلِ
ترضى بعيشِ مذلِّلِ
بِ فَعِشْ كقفرٍ محلِّ
يرضى بحبِّ مضللِ
ن بلهفةِ المتعجلِ

ويحبُّ سحارَ اللوا حظ قلبه كالجنـدل
فاكُتْم حنينك يا فؤا د فما السرابُ بمنهل
ودعِ النسيبَ فسحره أعياك من متغزل
إن الذي أحببته ينأى بقلب معضل
يا قلبُ ما لك خافقًا أشجاك شدوُ البلبـل؟

(أرسل الأستاذ الجليل عبد الحميد العبادي هذه الأبيات البديعة إلى صاحب الديوان):

يا شاعر القلب رفقا إنني وصب دامي الفؤاد أحيان أنت أم جان؟
رفقا فلي مهجة إن لم تكن فنيت فقد غدت أشبه الأشياء بالفاني
قرأت شعرك كي أسو به حزني والشعر خير دواء المدنف العاني
فهاج شعرك ما بي اليوم من كبد مصدوعة وفؤادٍ جدَّ حرانٍ
له أنت أقوال بالسننا تبدي خفي مَشوق القلب ولهانٍ
إلا تكن عارفا نجوى ضمائرنا فما لنا قد حننا كل تحنان!
كم ذا أريد لأنساه فيخذلني هوى دخيل وقلب غير معوانٍ
سأقرأ الشعر يا «شكري» تبعته وإن أثار علي الشعر أشجاني
قد يعشق المرء ما يبلى حشاشته كأنما موتها محيا لها ثان!

(فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة):

الشعر

طرب الفؤاد فهاتها فالخمر في أبياتها!
«عبد الحميد» جلوتها كالكأس في لمعاتها
إن النفوس صحائفُ الشعرُ من آياتها
والنفس طيرٌ صادحٌ والسحرُ في نغماتها
لو راع كسرَ الدهر شيءٌ ريع من نبراتها
فترى الحياة قنيسة في الشعر من عقداتها

والعيشُ نهضةُ شاعرٍ
والشعرُ تاريخُ النفوسِ
والشعرُ كأسٌ للنفوسِ
والشعرُ وردٌ يانعُ
والنفسُ ريحٌ قد هفتُ
والنفسُ طورًا كالسمو
والنفسُ بحرٌ زاخرُ
والنفسُ طيرٌ في الحيا
في أرضها وسماؤها
إن القلوبَ خوافقُ
فترى الحياةَ جميعها
والشعرُ مرآةُ الحيا
تجلو أساليبَ الحيا
فتراه في آلامها
والشعرُ في عبراتها
وهو المعينُ على الحيا
والشعرُ نورٌ ساطعُ
ويصيغُ من ألمِ النفوسِ
ويضيءُ كلَّ جريمةٍ
فهو الخبيرُ بما يحدثُ
للنفسِ نشوةً راقصِ
للنفسِ همّةً ساحرِ
في كلِّ نفسٍ منزلُ
في الطفلِ والرجلِ الكبيـ
وتراه في فتيانها
في حزنها وسرورها
والشعرُ نغمةٌ صادح

يقتصُّ من فلتاتها
س ومعقلٌ لحياتها
س حذارٍ من نشواتها
غرسته في جناتها
بالشعرِ من نفحاتها
م تروع في لفحاتها
والشعرُ من موجاتها
ة يطير في روضاتها
عرد وفي جنباتها
والشعرُ من نبضاتها
منشورةً بصفاتها
ة تطل في مرآتها
ة تلوح في صفحاتها
وتراه في لذاتها
والشعرُ في ضحكاتها
ة يغضُّ من نكباتها
عادٍ على ظلُماتها
سِ اللحن في أناتها
فيبين عن غاياتها
النفسُ في فعلاتها
والشعرُ من رقصاتها
والشعرُ من نفثاتها
للشعرِ من حركاتها
رِ يجول في حالاتها
وتراه في فتَيَاتِهَا
وطموحها وشكاتها
والنفسُ من آلاتها

أشجانها أوتارها
ولكل شيءٍ مبعثُ
والشعرُ كالإلهامِ يأ
والكون آيةُ شاعرٍ
والشعرُ من رناتها
للنفس من رقداتها
تي النفس في يقظاتها
يأتي بمبتكراتها!

بين العذر واللوم

ألا عللوني بالظنون الكواذب
ولا تسألوني كيف أنت فإنني
بخلتُ به بخلَ الشحيحِ بماله
فلا تحسبوا حبي غرورًا وزهوهً
وإني لأدري أنني لستُ للهوى
لذلك أذود القلبَ عنكم فينثني
فلا تعجبوا أنني لججت بحبكم
وكنتُ أظنُّ الحبَّ أمنًا ولذةً
وكنتُ أظنُّ الحبَّ في العيشِ بلسمًا
ومن لي بنزع السهمِ والسهمُ قاتلُ
أحبابنا رفقا بقلبِ مولاهُ
جعلتُ لكم عذرًا على الصدِّ واسعًا
وما كان لي في حبِّكم وجهٌ حيلةٍ
وخلفتُموني أحسدُ الناسِ حبَّهم
وخلفتُموني إن مررتُ برفقةٍ
وما لي حقٌّ عندهم فألومكم
قبلتم غرامي رحمةً وتطولاً
وحسبي في حُبِّيكمو أن علمتمُ
فيا نشوة الحبِّ الذي أنا شارِبُ
ومن لو رأني هالكا من صبايةٍ

ولا تتركوا قلبي لنهبِ النواهبِ
أرى الموتَ في هجر الحبيبِ المجانبِ
وكان جوادًا بي على كل عاتبِ
كأنني خليقُ باقترابِ الحبابِ
وأنِّي مشنوءٌ كثيرُ المعائبِ
إليكم فقلبي عندهم غير آيبِ
فإن عزاء النفسِ شرُّ العجائبِ
فجار عليَّ الحبُّ بين النوائِبِ
فكان كريشٍ في سهامِ المصائبِ
إذا ولغت أطرافه كالمخالبِ
كثير الجوى عفاً الهوى والرغائبِ
فإن فؤادي عاذرٌ غيرُ عائبِ
وكيف وقد سُدَّتْ وجوهُ المذاهبِ
وأوحشتُموني من حبيبٍ وصاحبِ
بكيثُ على فقد اللدات الأصاحبِ
على الهجر إن أدلى مُحبُّ بواجبِ
فإن ارتضاءَ الحبِّ جهدُ المناقبِ
بأنكم في النفسِ خيرِ الحبابِ
هو الحبُّ مثلُ الخمرِ مرُّ العواقبِ
لخال فؤادي نهزةً للوابعِ

فقد ضلَّ قلبي في سواد الغياهبِ
وإن كنتَ مثلَ العيشِ مرَّ التجاربِ
أرددُ لحظي في عيونِ الكواكبِ
أراك ضئيلاً أفلاً غيرَ ثاقبِ
وأصبحت في قبرِ ذليلِ الترابِ
ويُحثني عليَّ التراب من كل جانبِ
ولا تُسمِعوا روحي نواحِ النوادِبِ
وخشيّة لوم ما نواحِ الأقاربِ
وتُبصِرُ في الأحلامِ صفوَ المشارِبِ
وتصحو طويلاً بين خبِّ وكاذبِ
فلا تأسِ إن أمسيت في عيشِ خائبِ
صميمِ الخنى جمُّ الأذى والمثالبِ
يقادُ الفتى في العيشِ قودَ الجنائبِ

أضئُ لي وجوهَ العيشِ منك بعطفةٍ
وأنت جميلٌ كالحياةِ محببٌ
أبيت وطرفي بالنجومِ مقيدٌ
فيا نَجْمِي النحسِ الذي أنا ناشد
فليت حياتي غالها الموتُ غولةً
أدلى بمهواةٍ سحيقٍ قرارها
فإن متُّ لا تبكوا عليَّ بلهفةٍ
فإن نفاقاً ما يكون بكأؤكم
ويا قلبُ كم تبغي صادقاً
فتغفى قليلاً بين وافٍ وصادقٍ
وإن غروراً بغية قد بغيتها
أما أنت مثلِ الناسِ خباً وكاذباً
وكلُّ امرئٍ في العيشِ للعيشِ خادمٌ

نجوى

فترجعني عنه العيونُ النواظرُ
ويزهد في حبيِّ وحبِّي طاهرُ
وهل أنت إلا منسك ومشاعرُ!
وإن كنت بين الزهر فالروض باكرُ
إذا لم يكن في أيكه منك طائرُ!
فلا النبتُ مخضِرُّ ولا الزهرُ زاهرُ
عليه أكاثيبُ الترابِ الأعاصِرُ
وحوشُ الفيافي والطيورُ الكواسِرُ
فأهلكه صرف من الدهر غادرُ
فلا الطير تهواه ولا الغيث ماطرُ
وكيف يسرُّ القلب والحسنُ هاجرُ؟

أسارقه الألحاظُ والناسُ بيننا
وينفر من قلبي وقلبي روضه
وهل أنت إلا كعبةُ أنا عابد
وإن كنت في الصحراء فهي خميلةُ
وكيف يكون الروضُ بعدك ناضراً
ألا إن روضي صوّحت شجراته
وغاضت عيونُ الماء فيه وأدرجت
وأصبح مهجوراً خراباً تروده
وقد كان كالفردوس حسناً وبهجةً
وأهلكه أن لا حبيبَ يزوره
وكيف يعيشُ النبتُ والغيثُ باخلُ

علالة نحس الجدُّ، والجدُّ عاثرُ
 فلست أبالي الدهرَ، والدهرُ غادرُ
 وما كلُّ حبٍّ فخرٌ مَنْ هو فاجرُ
 فشطَّتْ به عني المنايا البواكرُ
 وهيهات لا تجدي الحزينَ الخواطرُ
 وكنا كسرٌّ غيَّبَتْه الضمائرُ
 وكنا نوْمُ الفجرِ، والفجرُ حاسرُ
 هيامًا وتحنانًا تجن السرائرُ
 وليس على البدرِ الذي هو هاجرُ
 ويا بدرٍ إن الطرفَ بعدك ساهرُ
 بضوئِكَ إن الضوءَ كالماءِ مائرُ
 وأنت كما تهوى النهى والبصائرُ
 ينوح على مَنْ غيَّبَتْه المقابرُ!

وما الحسنُ إلا روضة النفس، والهوى
 وما الحسنُ إلا حاجة النفس إن أُصب
 وحبِّي فضلٌ للذي أنا عاشقُ
 وأحبتُّ من قد كان مثلك بهجة
 يذكِّرُنِيهِ كُلُّ قولٍ تقوله
 وكنتُ وإياه كعَيْنٍ وأختها
 وكنا نجوم الليلِ، والليلُ فاتنُ
 وكان على رغم الحسودِ ودانا
 سلامٌ على البدرِ الذي غيَّب الردى
 فيا بدرٍ إن العيشَ بعدك مظلمُ
 ويا بدرٍ طهرْ بؤسَ عيشي ونحسه
 ففك معاني الحسنِ والشعرِ والهوى
 فيا بؤسٍ للحيِّ الذي ليس فاتنًا

عقوق الغدر

كأنما النصحُ من ديني وإيماني!
 يجلو همومي ويأسو كَلَمَ أحزاني
 أواصرُ الشعرِ من سحرٍ وتبيانِ
 والنفسُ تُجلى بأوصافٍ وعنوانِ
 فما اعتذاري إذا ما طاش حساباني؟
 بأي وجهيك بين الناسِ تلقاني؟
 حسيبك الله من عادٍ ومن جاني
 ولا الخيانة والإسفاف من شاني
 حتى تقابل تحنانًا بعدوانِ؟
 يا بُعْدَ ما بين ني صدقٍ وظنانِ
 فسوءُ ظنِّكَ فيه شكُّ حيرانِ

محضتكَ النصحَ في سرِّي وإعلاني
 قد كان لي حلمٌ في الناس أنشده
 حلم من الصدق والإخلاص تنسجه
 وشممتُ فيك خصال النفس زاهيةً
 حسبت نفسك نورًا ما به ظلم
 قوارصُ عنك تأتيني وأكتمها
 تذيع أن ودادي فيَّ منقصةً
 حسيبك الله ليس السوءُ من شيمي
 في أي شرع يجوز الغدرُ عندكمُ
 تقول بالظن قولاً لست صادقاه
 أحسنت ظني وحسن الظن تجهله

فيكم وأبرأ من وُدِّ وتحنانٍ
 وراح ينقض بين الناس بنياني
 فالخلقُ للخلق شيطانٌ لشيطانٍ
 كي لا ألام على سخرٍ وأحزانٍ
 إن الفضائل من أحلامٍ غفلانٍ
 والقلب ملآن من سوءٍ وأضغانٍ
 وفيه حتفك من سمٍّ وذيفانٍ
 فراح يقدح في صحبٍ وخلانٍ
 إذ أنت تنقص من قدري ومن شاني
 فالغافل الغرُّ فينا فرصة الجاني
 هيهات ما هو من إفكٍ وبهتانٍ
 وهل يكذب من يسعى ببرهانٍ؟
 عفُّ اللسان على صحبٍ وخلصانٍ
 أما تضيق على خبٍّ وخوانٍ
 إن الكبيرَ كبيرُ النفسِ والشانِ
 كوني عن الصدقِ والإخلاص في شانٍ
 فاربأ بنفسك عن نتنٍ وديدانٍ
 وحسب نفسك من لبٍّ وأذهانٍ
 فلا ألومك في مكرٍ وعدوانٍ
 الطبع أغلبُّ من نصحٍ وعرفانٍ!

أستودع الله ما قد خلته زمنًا
 ما أنت أول من خانت أوأصره
 أعياء على الناس أمرُ الناس كلهمُ
 ليت الزمان عداني عن لقاءكمُ
 لولا خيانتكم ما خلْتُ من شجنٍ
 تغتابني ثم تلقاني وتضحك لي
 كم ضاحكٍ هو مثلُ الزهرِ مبسمه
 يا ربُّ شكِّ شكاه الناس قاطبة
 بينا أنوهُ في أمنٍ بذكركمُ
 هذا جزاء امرئٍ بالناس منخدع
 أقول علَّ الذي بُلِّغْتَهُ كذبٌ
 فقد أتى بدليلٍ لست تدفعه
 يا ربُّ لا يُرجى في الأرض ذو ثقةٍ
 لأي أمرٍ يعيش الغادرون بها
 من صح نفسًا فلا يزرى به صغر
 بعضُ القلوب قلوبٌ قال بارئها
 بعضُ النفوس نفوسٌ كلها جيفٌ
 وكن كما خلْتُ فيك الفضل أجمعه
 اعتدت من أهل دهرى كلَّ منقصةٍ
 وما عتابيك في طبعٍ بُلِّيتَ به

بعد الود

لقد طال هجرٌ منكمُ فنسيتمُ
 وقد كان قدماً مطمح العين فيكمُ
 وأسمع شدو الطيرِ إما نطقتمُ
 فراح بنا عنكم عزاءٍ ورحمتُ

سلامٌ عليكم يا أخلاي أنتمُ
 فأصبحتُ في العين كالناس كلهمُ
 وقد كنت قدماً أبصر الزهر منكمُ
 فخلتم وداي خلة العبد ضلَّةً

ولم ترَ نفسي الودَّ برًّا لديكمُ
 كما يخلع القلبُ المحبُّ عليكمُ
 يلوحُ لعيني مطمحُ النفس منكمُ
 وعُضَّت لحاظُ العينِ والقلبُ عنكمُ
 عرفتُ عزاءَ الصبرِ حينَ غدرتُمُ
 ونامَ على السلوانِ طرفي ونمتُمُ
 ولا أنتمُ منا ولا نحن منكمُ
 ولو صنتُمُ ودي لكانا وكننتمُ
 فأطغاكمُ ذاك المكانُ فهنتُمُ
 فكان بكمُ وقرُّ إذا ما دُعيتُمُ
 فهل كان نبي أنكمُ ما فهمتُمُ
 فلما بلونا راحةَ الصبرِ لمتُمُ
 فلما أردنا هجركم ما رحمتُمُ
 فإن شئتُمُ عدنا إليكم وعدتُمُ

فما كان من فضلٍ لديكم وددتكمُ
 خلعت عليكم نورَ حبي وخلتكمُ
 فكنتم لدى نفسي كما النفسُ تشتهي
 فأصبحتُم ذكرى كأمس الذي مضى
 فكونوا كما شئتُم جفاةً فإنني
 وهونتُ من وجدى وكفكتُ عبرتي
 فإن غبتُم ما حنَّ قلبي لذكركمُ
 لقد هنتُم إذ هان حبي لديكمُ
 وكنتم مكان النجمِ عندي عزةً
 دعوتكم للودِّ حين وددتكمُ
 ورتلت آيات الإخاء عليكمُ
 وأنتم وجدتم قسوةَ الغدرِ لذةً
 قسوتُم علينا إذ حننا إليكمُ
 نزعنا نزوع اليأسِ عنكم فلمتُمُ

الحب والطبيعة

لم يجدُ من حبِّكم وجهَ المآبِ
 كأنين الريحِ في الربعِ الخرابِ
 غصنه والغصنُ يزهو كالشبابِ
 أبداً بين سكونٍ واصخطابِ
 كجلال البحرِ مخشي العبابِ
 أقبلَ الليلُ كإقبالِ السحابِ
 سرَّه وعدُّ حبيبٍ باقترابِ
 غلواء الصيفِ ريعانِ التصابي
 وهو آناً ذلةً مثل الترابِ
 أبداً بين اضطرَامٍ والتِهَابِ

رحمَ الله محبِّاً والهأ
 إنَّ مما نابِه من هجركمُ
 وهو كالعصفورِ غرَّيداً على
 وترى العاشقَ في لوعاته
 وهو كالبحرِ وللحب جلالُ
 وقطوبُ كقطوبِ الليلِ إنَّ
 وله بشرِ كبشرِ الفجرِ إنَّ
 وهجير كهجيرِ القيظِ إذ
 وهو آناً عزةً مثل السهى
 وهو مثل النارِ من أشجانه

رسم من يهوى مضيئاً كالشهاب
وحبيب النفس معني للكتاب
نشوة العيش وغايات الطلاب
عبث للعيش خداع السراب
فترى العيش بألحاظ غضاب
فجمال العيش في ذاك الشراب

يحسب الكون إطاراً دونه
أو كتاباً فصلت آياته
الهوى والمال والجاه سواءً
فهي تلهي المرء في دنياه عن
لا ترُح بالصحو من كاساتها
اسقني خمراً المساعي والهوى

نرجس

تشتاقك الأبصار والأنفس
واليوم صحو أفقه مُشمس
يا زهرة في روضها تغرس
بحسنه كل امرئ يأنس
يزينه في ثوبه الحندس
يُلْتَدُّ منه الشمُّ والملمس
والدرُّ في أصدافه يُحرس
خلعت من ثوبك ما يلبس
تخلص منه العين ما تخلص
والبدر دان فوقه يلمس
بدران قد حَفَّهما الحندس
وأنت من بدريكما الأنفس
لكي ترى أيكما الأملس
تُسكِر من خمرة الأكوُس
يقبس منك الطرف ما يقبس
قدك من أغصانها أُميس
يشوق فيه الحسن إذ ينعس!

نَرْجِسُ أَنْتِ الحسَنُ يا نرجسُ
ترضعك الشمس بأضوائها
تحنو على الغدران مستأنساً
تبصر وجه الحسن في مائها
حتى إذا البدر بدا ضوءه
أفقت في جسم كجسم الدمى
كالدُرِّ من أصدافه خارجاً
عند غدير شِيمِ ماؤه
لكي ترى حسنك في مائه
تدل بالحسن على بدره
فأنت والبدر على مائه
وتستحمان على مائه
تقوم قرب البدر في مائه
تعوم كالنشوان من حسنه
نرجس أنت الحسن يا نرجس
أشهى من الروضة إذ تنثني
وطرفك الأدعج يا نرجس

الخطاب والحشرة أو دين الكون

حَرَجَتْ مِنْ حُجْرَاتِ الْأَرْضِ وَالْعَيْنُ تَرَاهَا
 ذَاتُ ذُلٍّ وَخَشْوَعٍ تَحْسِبُ الْخَيْرَ نَمَاهَا
 دَاسَهَا الْعَابِرُ قَدَمًا فَهِيَ لَا يُخْشَى أَذَاهَا
 فَرَأَاهَا حَاطِبٌ يَسُوقُ عَى لِحَاجٍ قَدْ بَغَاهَا
 قَالَ بِالظَّنِّ وَقَدَمًا قَالَ لَا يَسْعَى إِلَى الشَّرِّ
 بَلِغِ الْإِشْفَاقِ مِنْهُ قَالَتْ الْحَيَّةُ قَوْلًا
 إِنَّمَا الْحَمْدُ قَيُودُ الْأَعْيُنِ عَلَى الْخَدِّ
 كُلِّ نَفْسٍ ذَاتِ مَكْرٍ حِينَ تَسْتَدْنِي مِنْهَا
 كَمْ مُدَاجٍ وَجَدَ الشَّرَّ مَطَايَا فَامْتَطَاهَا
 بَلِغِ الْقَصْدِ وَلَمَّا يَعْبُدُ التَّقْوَى إِلَهَهَا
 بَلِغِ النِّجَاحِ وَلَمَّا يَبْلُغُ الْحَسَنَى رِضَاهَا
 لَذَعْتَهُ لَذْعَةَ الْخَبِّ فَأَخْطَاهُ أَذَاهَا
 فَرَمَاهَا تَحْتَ رِجْلَيْهِ هُوَانًا وَقَلَاهَا
 لَيْتَ وَطْئًا مَا عَدَاهَا لَيْتَ طَرْفًا مَا رَأَاهَا
 رَبِّ خَبِّ دَفَنُوهُ تَحْتَ أَرْضٍ قَدْ حَشَاهَا
 لَا تُصَبِّ بِالْخَيْرِ نَفْسًا لَيْسَ لِلْخَيْرِ هَوَاهَا
 قَدْ يُضِلُّ السُّوءَ حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ عِمَاهَا
 فَتَرْجِي كُلَّ خَيْرٍ فِي الَّذِي فِيهِ رَدَاهَا
 إِنَّمَا الرَّحْمَةُ ضَعْفٌ إِنْ تُصَبِّ مَنْ لَا يَرَاهَا!

الوتر المفقود

أَحْسَسْتُ أَنَّ نَفْسِي
أُوتِرَهَا مَلِيَّةً
تَخْلُقُ مِنْ أَلْحَانِهَا
أَلْحَانَهَا مَعَانٍ
لِكُلِّ مَعْنَى وَتَرٍ
فَلِلشِّقَاءِ وَتَرٍ
وَوَتْرٍ يَشْدُو لَهَا
كَأَنَّ رِيحًا إِنْ شَدَّتْ
وَوَتْرُ الْحَزِينِ
وَوَتْرٌ مَقْتَبَسٌ
قَدْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَلْ
كَأَنَّهَا مِنْ لَحْنِهِ
تَسْمَعُ فِي أَلْحَانِهِ
يَا نَفْسُ مَا دِهَاكَ
فَوْقَ عِيَالِي عَلَيْهِ
وَاحْسِي الْغِنَاءَ وَانْتَشِي
هِيَهَاتَ أَيْنَ مَنِي
قَدْ كَانَ فِي فَوَادِي
لَشَدِّ مَا أَعَانِي

من شجوها كعودٍ
بالنغم السديد
روحًا لذي الجمود
من محكم القصيد
في عودها المشدود
ووتر المسعود
بالمطلب البعيد
تُطَلِّقُ مِنْ رَكْوَدِ
ووتر السعيد
من جنة الخلود
ألحانًا بالترديد
في فرح وعيد
بلايل التغريد
من شقوة الجدود؟
وغيري وعودي
من طرب النشيد
ذو الوتر المنشود
كجنة الخلود
للوتر المفقود!

أغاريد شاعر

نغمات البلايل
لعبت بالسرائر
نقعت غلة الفؤا
وغيوث مواطن
أم أغاريد شاعر
واستبدت بخاطري
د بري الهوامر
من غيوث البصائر

أخصب القلب بعدها
بعدما كان مجدبًا
إنما الشعرُ نغمةٌ
أو رعود الرواعد
ومعانِ خواليدٍ
إنما المرءُ ذرَّةٌ
إنما العيشُ نغمةٌ
نغمةُ الخفيضِ والنعيدِ
إنما العيشُ قصةٌ
فأجز عني الهمو
نغماتٌ شجيةٌ
كل أمرٍ نُجِسُهُ
إنما الشعرُ في الحيا
يصف الناسَ كلهم
يُشعر المرءَ حالهم
يرفع النفسَ سحره
لسماءِ العظائم
فهو دينٌ لطامحٍ
يصف العيشَ في الكما
فيحنُّ الوريُّ إليهِ
فيه إغراءٌ واري
يجعل اليأسَ والطمو
يدفع النفسَ بالخيا
يُبلغ النفسَ أفقها
لا تُقاس النفوسُ بأل
وهو دينٌ الضمائرِ
يفتح النفسَ ضوءه

من صنوف الأزاهرِ
من قشيبٍ وناضِرِ
كحنينِ المزامِرِ
أو أنينِ الأعاصِرِ
كالنجومِ الزواهرِ
في رياحِ المقادرِ
في زفيرِ الزوافِرِ
م ونحسِ مخامرِ
أو أحاديثِ سامِرِ
مَ بألحانِ شاعرِ
هي خمُرُ المشاعرِ
فرصاتٍ لشاعرِ
ة كمنظارِ ناظرِ
من تقيٍّ وفاجرِ
من صروفِ المقادرِ
عن وهادِ الحقائرِ
عن حضيضِ الصغائرِ
من مصيبِ وعائرِ
لِ عديمِ المحاذِرِ
ه حنينِ المسافرِ
وبه حثٌّ صادرِ
ح دواءِ المغامرِ
لِ لوردِ المآثرِ
كجناحِ لطائرِ
مالٍ في ذُخْرٍ ذاخِرِ
لا مقالِ المنابرِ
مثل ضوءِ التباشرِ

مثلما يفتح الصَّبَا حُ زهْي الأَزهْرِ
يلقح النفس وقعه ربَّ نفس كعاقِرِ

صوت الله نجوى المؤمن

أَنْصِتْ فِي الْإِنصَاتِ نَجْوَى النّفوسِ فَإِنَّ صَوْتَ اللّهِ دَانَ كَلِيمِ
وَكُلُّنَا مُوسَى لَدَى رَبِّهِ
وَإِنَّمَا نَفْسُ الْفَتَى مَعْبُدٌ يَضِيئُهَا اللّهُ بِنُورِ عَمِيمِ
وَالنَّفْسُ بَيْتُ اللّهِ إِنْ طَهَّرَتْ وَالنَّفْسُ إِنْ لَمْ تَصْفُ مِثْلَ الْجَحِيمِ

* * *

أَنْصِتْ أَمَا تَسْمَعُ ذَاكَ الدَّعَاءِ صَدَاهُ فِي الْأَنْفَسِ صَوْتُ الضَّمِيرِ؟
مَنْ ذَا الَّذِي أَوْدَعَ فِيكَ الرَّجَاءِ وَمَطْلَبَ الْخَيْرِ وَكَرِهَ الشَّرُورِ؟
يَا هَاتِفًا فِي جُنْحِ لَيْلٍ بِهِيمِ لَبِيكَ فَالْقَلْبُ كَعَبْدٍ أَسِيرِ
أَنْتَ رَجَاءُ النَّفْسِ فِي أَسْرِهَا تَضِيءُ فِي الْعَيْشِ ظِلَامَ الْأُمُورِ
وَأَنْتَ صَحْوُ الرُّوحِ فِي بَحْثِهَا مِنْ نَشْوَةِ الْفِكْرِ وَسُكْرِ الْغُرُورِ

* * *

إِنْ كَرَّتْ الْخَطْبُ وَعَمَّ الْبَلَاءُ فَكُرْبُهُ لِلنَّفْسِ قَرَبَ الرَّجَاءِ
فَفِي الْأَسَى يَبْدُو ضِيَاءُ الْمَنَى وَفِي الْأَسَى نُبْصِرُ مِنْهُ الضِّيَاءِ
وَالوَقْرُ عَنِ نَجْوَاهُ وَهِيَ النّفوسِ وَالوَهْنُ فِي الْأَنْفَسِ دَاءُ عِيَاءِ
نَجْوَاكَ نَجْوَاكَ دَوَاءَ الْأَنَامِ مِنْ عَنَتِ الْعَيْشِ وَوَقَعَ الشَّقَاءِ

* * *

تَسْكَبُ مِنْكَ الضَّوْءُ فِي الْأَنْفَسِ فَيَرْفُلُ الْعَيْشُ بِبِرْدِ قَشِيْبِ
يَعْبُدُكَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَمَا يِعَانُونَ لَوَقْعِ الْخَطُوبِ
وَبِالْأَسَى فِي عَيْشِهِمْ وَالنَّدَمِ عِبَادَةُ النَّدْبِ الْجَلِيدِ الْمَصِيْبِ
طُوبَى لِمَنْ رَوَّضَ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّ صَوْتَ اللّهِ مِنْهُ قَرِيْبِ

وارحمة للناس

فقلبي لكل العالمين رحيمٌ
على شرهم داءُ النفوس قديمٌ
وإن كان فيهم جارمٌ وذيمةٌ
مقادير يتلوها أذى وهمومٌ
فإننا جميعًا للقضاءِ خصومٌ
وأبي امرئٍ مما يُذمُّ سليمٌ
به من حزازات النفوس كلومٌ
وإن خفيت عن يودٍ وُصومٌ
وليس على قدر العقولِ نعيمٌ
تناهب قوتٍ إنه لكئيمٌ
يبيع بها من نفسه ويسومٌ
إذا سلمت طول الحياةِ جُسومٌ
وفضلٌ وجاءَ واسعٌ وعلومٌ
يريم به في عيشه ويقيمٌ
وكل الذي يبغي الشرورَ سقيمٌ
هو العزمُ إن حال القضاءِ عقيمٌ
يحنُّ إلى وِردِ المنى ويحومٌ
وسيان فيهم واجدٌ وعديمٌ
فيسقم فيها أشيبٌ وفطيمٌ
فكلُّ لكلِّ عاذرٌ ورحيمٌ

تَعَلَّمَنِي الْأَقْدَارُ أَنْ أَرْحَمَ الْوَرَى
وَأَنْظُرُ فِي نَفْسِي وَأَعْرِفُ عُذْرَهُمْ
وَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ أَهْلِي وَإِخْوَتِي
فِيَا وَيْحَ هَذَا الْخَلْقِ مِمَّا يَصِيبُهُمْ
وَلَيْسَ خَصِيمِي مَنْ يَرِيدُ شِقَاوَتِي
أَلَيْسَ أَسِيرُ الشَّرِّ أَوْلَى بِرَحْمَةٍ
أَلَيْسَ أَسِيرُ السُّوءِ يَغْدُو مَعَذَّبًا
وَأَحْسَنُ مَا فَاتَ امْرَأً حُسْنُ نَفْسِهِ
وَلَيْسَ شِقَاءُ الْمَرْءِ رَهْنًا بِشَرِّهِ
فَوَا رَحْمَةً لِلْمَرْءِ حَتَّى حَيَاتِهِ
وَإِنْ أَشَدَّ اللَّوْمُ لَوْمُ ابْنِ طَعْمَةٍ
وَلَيْسَ يِبَالِي النَّاسُ هَلْكَ نَفْسِهِمْ
فَنُونٌَ وَأَدَابٌ وَفَقَهُ وَصَنَعَةٌ
وَسَائِلُ يَسْتَدْنِي بِهَا رِزْقُ يَوْمِهِ
فَوَا رَحْمَةً لِلْمَرْءِ مِنْ سَقَمِ نَفْسِهِ
وَوَا رَحْمَةً لِلْمَرْءِ مِنْ عَجْزِ نَفْسِهِ
وَوَا رَحْمَةً لِلْمَرْءِ إِنْ بَاتَ عَانِيًا
وَوَا رَحْمَةً لِلنَّاسِ مِنْ سَخَرِ عَيْشِهِمْ
حَيَاةً كَمَسْتَشْفَى السَّقَامِ أَلِيمَةٍ
خَلِيقٌ بِنَا أَنْ يَرْحَمَ الْمَرْءُ صَنَوَهُ

جهاد المصلحين

فيخرس داعٍ بيننا ومجيبٌ
حروبٍ على آثارهن حروبٌ
فإن شقاء العاملين حبيبٌ

أسائلُ عن هذا الورى ومآله
أفي كل يومٍ معركٍ بعد معركٍ
ولو كان يجدي أن تطيح ضحية

أَصْلَحَهُ فِي الْعَامِلِينَ طَبِيبٌ؟
فَعَادَتْ بِأَدْنَسِ الْحَيَاةِ طَبِيبٌ
يَرَى أَنْ أَحْلَامَ النُّفُوسِ لَغُوبٌ
وَأَنْ مَسَاعِيَ الْمَصْلِحِينَ تَخِيبٌ
وَوَحْيُ النُّفُوسِ السَّامِيَاتِ مَرِيبٌ
وَأَنْ أَسَالِيبَ الْحَيَاةِ ضُرُوبٌ
تَجُوبُ بِهِ الْأَيَّامُ حَيْثُ تَجُوبُ
دَوَاعِي النُّفُوسِ السَّامِيَاتِ عِيُوبٌ
وَأَنْ دَعَاءَ الْمَصْلِحِينَ ذُنُوبٌ
مَسَاعٍ وَذَلَّتْ أَنْفُسٌ وَقُلُوبٌ
وَإِنَّ الْخُطُوبَ الْعَائِقَاتِ تَنُوبٌ
وَقَلْبُ الَّذِي يَبْغِي الْكَمَالَ رَحِيبٌ
تُرِيكَ ضِيَاءَ النُّجُجِ وَهُوَ قَرِيبٌ
إِذَا حَانَ مِنْ نَجْمِ الرَّجَاءِ غُرُوبٌ
شُرُورٌ عَلَى إِثْرِ الشُّرُورِ تَصِيبٌ
وَلَكِنَّ بِأَسَ الْعَامِلِينَ عَجِيبٌ!

خَلِيلِي هَذَا الْكُونُ مِنْ أَوْلِيَاتِهِ
وَكَمْ مِنْ نَفُوسٍ سَامِيَاتٍ أَدَلَّهَا
تَرَى دَنْسَ الْأَشْيَاءِ رُؤْيَا أَلْفَ
يُظَنُّ جِهَادَ الْمَرءِ فِي الْعَيْشِ ضَلَّةُ
يَرَى أَنْ خَيْرَ الْكُونِ مَا هُوَ كَائِنٌ
وَيَحْسَبُ أَنَّ الشَّرَّ ضَرْبَةٌ لِزَبٍ
وَيُصْبِحُ فِي مَجْرَى الْحَوَادِثِ رَيْشَةً
وَيُطْفِئُ نُورَ النَّفْسِ حَتَّى كَأَنَّمَا
وَيَحْسَبُ نَشْدَانَ الْكَمَالِ حِمَاقَةً
لِنَّ فَشَلْتَ لِلْعَامِلِينَ أَوْلِي النَّهْيِ
فَإِنَّ شُرُورَ الْعَالَمِينَ كَثِيرَةٌ
وَهَمَّةٌ بَاغِي الْخَيْرِ كَالدَّهْرِ صَبْرُهَا
وَإِنَّ أَمَانِي النُّفُوسِ كَثِيرَةٌ
وَكَيْفَ يَرَى سَارِي الْحَيَاةِ سَبِيلَهُ
وَلَوْلَا ضَحَايَا الْعَامِلِينَ لِأَرْهَقْتَ
فَلَا تَعْجَبَنَّ أَنَّ الشُّرُورَ كَثِيرَةٌ

الروح السوداء

مَا بَكَ مِنْ حَقْدٍ وَأَوْغَامٍ
تَنْمُو بِمَرِّ الْعَامِ وَالْعَامِ
وَعَيْبِكَ الْمَسْتَنْبِتِ النَّامِي
لَأَلْبَسْتَهُ ثُوبَ إِظْلَامٍ
يَزْخَرُ فِي دِيَجُورِهِ الطَّامِي
يَطِيرُ فِيهَا لَوْمَ لَوْمٍ
كَأَنَّهَا مِنْ خَطِّ أَقْلَامٍ
بَيْنَةً فِيهِ لِأَفْهَامٍ

يَا سَوَاءَ مَا مِثْلَهَا سَوَاءَ
يَا سَوَاءَ كَالدَّهْرِ فِي وَسْعِهِ
تَنْقُصُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ عَفَّةٍ
لَوْ أُطْلِقَتْ رُوحُكَ وَسَطَ الضُّحَى
كَأَنَّمَا يَنْسَابُ مِنْهَا الدُّجَى
مَا خَلَقَ الرَّحْمَنُ مِنْ خَصْلَةٍ
إِلَّا عَلَى وَجْهِهِ مَكْتُوبَةٌ
خَاتَمَ إِبْلِيسَ عَلَى جِلْدِهِ

ريض بأسراج وألجام
فلم تكن أضغاث أحلام!
تنهشه في نابك الدامي
والصدق ذو وقع وإحكام!

روحك كانت قبل في ناهق
فلسفة لا شك في صدقتها
في كل فضلٍ قادح واقع
وذاك برهانٌ على صدقتها

سنة العيش التنافس أم التعاون

في السابقين وفي التالين من أمم
وكم عيونٍ بكت من شجوها بدم
وكم أناسٍ شقوا بالعيش في الظلم
مرأى الشقاء لدى المحدود كالتهم
عيش المناكيد بالأسقام والألم
إلا كأن مَزَجَتْ في صنعها بدم
وما أصاب صواب الرأي في الكلام:
وأضيق الأمر عيش حيط بالعدم
قد صير الناس للذات كالخدم
إلا على الحقد والبغضاء والنقم
عزو الأمور إلى الأقدار والقسم
ليس المحال محال السعي والهمم
إن التنافس داء الجائع النهم
مثل الأديم نضته صمة الصمم
حتى يفيق سواد الناس من صمم
داء الخماص وداء الهمم والتخيم
فعل الوحوش على الأدناس والرمم
غير التباغض والأوجال والسأم
قالوا هو الغرُّ يرعى روضة اللحم
حرب الطبيعة حرب الخير والحكم

إنني لأفكر، والأيام موعظة
من عهد آدم كم من أنفيس شقيت
في النور قوم، ضياء العيش خمرتهم
ظن السعيد شقاء النحس متهما
فإنما طعمة المسعود يمزجها
ما نال طعمة قوت ساغها سغب
لا تسمعن مقالاً قال قائله
اضحك ولد فإن العيش منتهب
فذلك القول حربٌ للنهي أبداً
ظنوا الحياة محالاً أمرها أبداً
وإنما ملجأ النفس التي كرهت
إن المحال لديها كل ما كرهت
هذي المقابح طراً في تنافسهم
طبع قديم سينضو المرء خلعته
لا بد من فشلٍ من بعده فشل
انظر إلى الناس ما في عيشتهم أرب
ظنوا التقاتل فيه سنة أبداً
انظر إلى الناس هل يبدي تنافسهم
وكلما قام فيهم ناصح وجل
العيش حربٌ ولكن في عدوهم

حَسْبُ العُقُولِ وحَسْبُ العِزْمِ والهِمَمِ
فأحسِنِ الداءِ داءَ العقمِ في الرحمِ!
بين المصانِعِ والأسيافِ والسقمِ!
حتى يُطَهَّرَ داءُ الحرصِ بالندمِ!

حَرْبُ الطبيعة حَرْبٌ لا انتهاءَ لها
إنْ كان يُخشى على الأرزاقِ أنْ كثُروا
أتحملَ الزوجُ كي يفنى الألى حملت
لا يسعدُ الناسَ سنَ الحرصِ سنتهم

الكونان

قلب اليائس

ونفسي بما تشا
نازح الأهل قد خوى
فاسدُ الماءِ والهوا
ه إذا رددَ الصدى
جمعتها فيه ما ثوى
مُظْلِمُ الأرضِ والسما
ونفسي بما تشا
يُفزعُ الطرفَ بالدِما
فاتكُ النفسِ ما ارعوى
مسكنُ البومِ والدجى
صراخًا إذا دنا
رُوعَ الأمنِ والكرى
وروحى بما يشا
قبلَ ذا الكونِ قد مضى
تهبُ العينَ ما يُرى
ويبدو الذي انقضى
لا يُرى بعده مدى
بَقِي السعيِ والمنى
ونفسي بما تشا

ضاق قلبي بما يجنُّ
فهى كالبیتِ مغلُقٌ
راكدُ الجوِّ قاتمٌ
يُفزعُ المرءَ من صدا
يحسبُ الجنُّ قد ثوى
أغبرُ اللونِ عابسٌ
ضاق صدري بما يجنُّ
فهى كالبیتِ مفرعٌ
أهلكُ النفسَ جارمٌ
أصبحَ البیتُ خاليًا
يُسمعُ العابرُ المجدُّ
أسكتَ القلبَ وقعه
ضاق صدري بما يجنُّ
فهو قبرٌ لعالمٌ
كلُّ روحٍ وذيلةٌ
فترى العينَ ما يجيء
كان كالكونِ واسعًا
قُضِيَ الأمرُ فانقضى
ضاق قلبي بما يجنُّ

فمتى يصبحُ الخرا
ومتى تبلغُ النفو
ومتى ينزعُ الورى
ومتى ينجلي الظلا
ومتى تطهر النفو
ضاق صدري بما يجنُّ
تبتغي عالماً جديـ
خارجاً منه مثلما
حدّثَ الناسُ أنه
قَبُرَ ذا الكونِ مَهْدُ كَو
حدّثَ الناسُ أنه
ضاق صدري بما يجنُّ
أيظل الورى كذا
عبثاً يحلم الورى
أم للأمر مَقَدَّر
حلمُ الخيرِ مُبلغُ الـ
فلئن كان خدعةً
ضاق صدري بما يجنُّ

بُ جناناً كما مضى؟
س مَداها من الحجى؟
قسوةُ السوءِ والخنى؟
مُ عن الفجرِ والضحى؟
سُ من الشرِّ والأذى؟
ونفسي بما تشا
دًا من الكونِ قد نشا
تُخْرِجُ الليلةُ الضحى
حُلمُ النفسِ في الكرى
ن جنينٍ ما إنْ بدا
قولُ غرٍّ قد انتشى
ونفسي بما تشا
بئس ما يفعل الورى!
حلمَ الخيرِ والنهى
فهو للكونِ كالحدا
كونٍ ما ينقع الظما
عبثًا ننقل الخطى
ونفسي بما تشا!

نظرتان في النفس

إذا جعل الإنسانُ نصبَ لحاظه
فبيأس حتى يحسبَ الخيرَ خدعةً
ويصبح لا يرجو صلاحًا لنفسه
ويحسب كلَّ الناسِ خبثًا وماكرًا
ويحسب أن الخيرَ والشرَّ كذبة

مآثمه هانت عليه مكارمُه
وينحلُّ عنه صبرُه وعزائمُه
كأن سرابَ الخيرِ ما هو شائمه
يداريه عن آثامه ويكاتمه
وأنَّ خيالَ الحقِّ ما هو حالمه

فيلتذ ما قد كان بالأمس كارهاً
وإن جعل الإنسان نصباً لحاظه
فيصبح مغروراً يتيه بخيره
وإن صفات السوء ما ليس ربها
كأن محالاً أن يجيء بريبة
وإن هوان الفضل ينأى بلبه
وإن هوان الإثم يسعى بعزمه
وكم مغرم للمرء في بعض غنمه
فتعدو عواديه وتسري أراقمه
مكارمه هانت عليه مآثمه
يرى أن كل الخير ما هو عالمه
وإن فتكت أسيافه ولهانمه
وإن لامة في الخلق من هو لاثمه
عن الفضل حتى يغرم الفضل غارمه
إلى الإثم حتى يأتي الجرم جارمه
وكم مغنم تزجى إليه مغارمه

الفصل الخامس

الخطرات

إن القلوبَ خوافقُ والشُّعْرُ من نبضاتها
والشعرُ مرآةَ الحيا ة تطلُّ في مرآتها
فتراه في آلامها وتراه في لذاتها
والشعرُ في عبراتها والشعرُ في ضحكاتها
والشعر كالألهام يأ تي النفس في يقظاتها
والكون آيةً شاعرٍ يأتي بمبتكراتها

من قصيدة «الشعر» في الجزء الرابع لصاحب الديوان

مقدمة لصاحب الديوان (في الشعر ومذاهبه)

يقولون: إن الشعر ليس من لوازم الحياة. ولو جاز لنا أن نعدَّ الإحساس غير لازم للنفس، أو التفكير غير لازم للعقل، لجاز لنا أن نعدَّ الشعر غير لازم للحياة. أليس مجال الشعر الإحساس بخوارج النفس وشرح ما يعتورها؟ ويقولون: إن الشاعر ينبغي أن لا يجعل الشعر مألئاً لحياته. كأن الشعر ليس ضرورة الشاعر ودينه. فإن الشاعر الصميم يرى أن الشعر أجلُّ عمل يعمله في حياته، وأنه خُلِقَ للشعر، فليس الشعر متمماً لحياته بل هو أساسها. هل العطر كمالياً متممٌ للزهر، أم العذوبة كمالية للماء؟! كلا. فإن الزهر يراد لعطره، والماء لعذوبته، والنحل لِشَهْدِهِ، والشاعر لشعره.

ولو جئت بنفس ليست من النفوس المنغومة الموسيقية، وأردت أن توقع عليها ألحان الشعر، ما أفلحت. ولكن الشاعر إذا لم يتعهد بالتهذيب، بقي كالحديقة التي طغى عليها كلؤها ومات زهرها. وينبغي للشاعر أن يتذكر كي يجيء شعره عظيمًا أنه لا يكتب للعامة، ولا لقرية، ولا لأمة، وإنما يكتب للعقل البشري، ونفس الإنسان، أين كان. وهو لا يكتب لليوم الذي يعيش فيه، وإنما يكتب لكل يوم وكل دهر. وهذا ليس معناه أنه لا يكتب أولًا لأمته، المتأثر بحالتها، والمتهيئ ببيئتها. ولا نقول إن كل شاعر قادر على أن يرقى إلى هذه المنزلة، ولكنه باعث من البواعث التي تجعل شعره أشبه بالمحيط — إن لم يكن محيطًا — منه بالبركة العطنة في المستنقع الوبيء.

ويمتاز الشاعر العبقرى بذلك الشره العقلي الذي يجعله راغبًا في أن يفكر كلَّ فِكْرٍ، وأن يحس كل إحساس. وهذا هو الدافع الذي يدفعه — بالرغم منه — إلى أداء ما قد خُلِقَ له من التعبير عن حقائق هَيَّأَتْ لها الطبيعة. فهو يقدر أن يتحمل جهل الناس، لأن الشاعر الكبير يخلق الجيل الذي يفهمه ويهيئه لفهم شعره. ويُعين الشاعر العبقرى في أداء ما فرضته عليه الطبيعة ثِقْنَهُ من شعره بالرغم من كثرة إساءة ظنه به. فإن إساءة ظنه بشعره، إنما سببها رغبته في الكمال. وهي سائقة به إلى منازلها. والشاعر العبقرى يعلم أن حياة الشاعر حرب أدبية ينجلي بعدها النقع، فيعرف الظافر والمنهزم.

ولقد فسد ذوق المتأخرين في الحكم على الشعر. حتى صار الشعر كله عبثًا لا طائل تحته. فإذا تغزلوا جعلوا حبيبههم مصنوعًا من قمر، وغصن، وتل، وعين من عيون البقر، ولؤلؤ، وبرد، وعنب، ورجس ... إلخ، ومثل ذلك قول الواواء الدمشقي، وهو البيت الذي يُنسَبُ ظلمًا إلى يزيد بن معاوية:

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ رَجَسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ

وذوق الأمويين بريء من أمثال هذا القول. ولا أريد أن أجمع على يزيد جُرْمَيْنِ: قتل الحسين، وقول هذا الشعر الذي لا بأس به، إذا أريد للفكاهة والعبث، لا للغزل الذي يشرح عواطف النفس ويشعرك إياها. وإذا أراد المتأخرون وَصْفَ الحب، أكثرُوا مِنْ ذِكْرِ الدموع، وقالوا: إن دموعهم تُغْنِي عن المطر، وإن البحر قطرة إذا قيس بها، وإنهم سلخوا عامًا لم يذوقوا فيه النوم، وإن جسمهم صار أقل من القليل، حتى إنهم يَحْسَبُونَ أن يطيروا مع الهواء لنحولهم. وإنهم لا يريدون أن يروا حبيبهم بالليل؛ لأن

طلعته تجعل الليل نهارًا فيفتضحون، ولكنهم يريدون أن يروه نهارًا؛ لأن طلعتهم من نورها تجعل ضوء النهار ظلامًا، فيخفون عن العذال، إلى آخر ما ذكروا من هرائهم. وإذا رثوا قالوا: إن السماء كادت أن تسقط لموت المرثي. وإن الليالي لابسة حدادًا عليه. وإنه قد شاعت تعازي الشهب باللمح بينها حزنًا على النير الهاوي إلى الفلوات. وإن القمر به كلف حزنًا عليه. وإن الرياح تنوح أسفًا على موته. وإن الملائكة لبست السواد حدادًا عليه. وإن القبر لا يسعه لأنه بحر. وإذا صلب أحد الأمراء، قالوا: إن قاتليه أجلوه فلم يرضوا له القبر. وينشدون أبيات الأنباري التي يقول فيها:

ولما ضاق بطن الأرض عن أن يَضُمَّ علاك من بَعْدِ المماتِ
أصاروا الجو قبرك

... إلخ

ويقولون: انظر إلى مهارة الشاعر في قلب الحقائق، وإظهار الذميمة مظهر الحسن. وإذا مدحوا قالوا لمدوحهم: إن وجهك قمر، ولحيتك ذهب يطرز هذا القمر. وأنت بحر، وأسد، وغمام، وإن الدنيا لو دخلت في صدرك لوسعها لأنه رحيب، وأنشده قول المتنبي:

وقلبك في الدنيا ولو دخلت بنا وبالجن فيه ما درت كيف ترجع

وقالوا له: إنك لو غضبت على النجوم، لأنطفأت من غضبك. وإنك لولا انقطاع الوحي لنزلت فيك الآيات والسور. وإذا مات للممدوح قريب، لم يكن في بيته حينما أدركته المنية، قالوا: إن المنية لم تجرؤ عليه إلا لأنه كان غائبًا عنك. وقد فسد ذوق القراء حتى إنهم إذا رأوا خيالًا يفسر حقيقة، لم تتملكهم هزة الطرب التي تنويهم عند قراءة الخيال الفاسد، إنما يعجبهم من الخيال استحالته وبُعده عن المألوف عقلاً. وإذا وضح لهم فساده قالوا: إذن كل خيال فاسد. وزعموا أن حلاوة الشعر في قلب الحقائق! وإخراجنا من هذا العالم إلى عالم ليس للعقل فيه سبيل. عالم يُرخص المرء لعقله أن يتنزه فيه أينما شاء من غير خشية رقيب. كما يفعل الموظف كل سنة حين يترك فروض الحياة. ومن أجل ذلك شاع عندهم أن الشعر نوع من الكذب، وليس أدل على جهلهم وظيفته الشعر من قرئهم الشعر إلى الكذب. فليس الشعر كذبًا،

بل هو منظار الحقائق المقلوبة، ووَضِعَ كل واحدة منها في مكانها. ولئن كان بعض الشعر نزهة، فإن بعض النزهة فرض. ولئن كان بعض الشعر رحلة، فهي رحلة إلى عالم أجمل وأكمل وأصدق من هذا العالم. رحلة إلى عالم يحس المرء فيه لذات التفكير، أكثر مما يحسها في هذا العالم الأرضي.

وإذا تدبَّرتَ ما ذَكَرْتُهُ، عَرَفْتَ فساد ذوق الجمهور في حُكْمه على الشعر، وكيف أنه يُقْبَلُ على الشعر المرذول وَيَعُدُّه جَيِّدًا. ويعاف الشعر الجليل، الصادق الخيال، الكثير الحقائق، وبعض القراء يرى أن الشعر مقصور على التشبيه، مهما كان الشبه الذي فيه متوهِّمًا. ومثل الشاعر الذي يرمي بالتشبيهات على صحيفته من غير حساب مثل الرسام الذي تغره مظاهر الألوان، فيملأ بها رسمه من غير حساب. وليس الخيال مقصورًا على التشبيه، فإنه يشمل روح القصيدة وموضوعها وخواطرها، وقد تكون القصيدة ملأى بالتشبيهات، وهي بالرغم من ذلك تدل على ضآلة خيال الشاعر، وقد تكون خالية من التشبيهات، وهي تدل على عظم خياله. وقيمة التشبيهات في إثارة الذكرى أو الأمل، أو عاطفة أخرى من عواطف النفس، أو إظهار حقيقة. ولا يراد التشبيه لنفسه، كما أن الوصف الذي اسْتُخْدِمَ التشبيه من أجله لا يُطَلَّبُ لذاته، وإنما يُطَلَّبُ لعلاقة الشيء الموصوف بالنفس البشرية وعقل الإنسان. وكلما كان الشيء الموصوف ألصق بالنفس، وأقرب إلى العقل، كان حقيقًا بالوصف. وهذا يوضح فساد مذهب من يريد وُصِفَ الأشياء المادية لأنها مما يرى، لا لسبب آخر. وهذا الوصف خليق بأن يُسَمَّى الوصف الميكانيكي. فوصف الأشياء ليس بشعر إذا لم يكن مقرونًا بعواطف الإنسان وخواطره، وذِكْرُه وأمانيه وصلات نفسه.

فالخيال ليس مقصورًا على التشبيهات. والشاعر الكبير، ليس هو ذا التشبيهات الكثيرة، الذي يُكْتَرُ من مثل وكأن. ولو كان ليس بعدها إلا المعنى المتضائل، والصورة المضطربة غير المتجانسة الأجزاء. فإن الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وُصِفَ جوانب الحياة. وشرح عواطف النفس وحالاتها، والفكر وتقلباته، والموضوعات الشعرية وتباينها، والبواعث الشعرية. وهذا يُحْتَاجُ فيه إلى خيال واسع. والتشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير. وإنما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة، أو بيان حقيقة. وإن أجلَّ الشعر هو ما خلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية. انظر مثلاً إلى قول مويك يرثي امرأته وقد خلفت له بنتًا صغيرة، فقال يصف حالها بعد موت أمها:

فلقد تَرَكَتِ صغيرةً مرحومةً لم تَدْرِ ما جَزَعُ عَلَيْكَ فتَجَزَعُ
فَقَدَّتْ شمائلَ من لزامِكِ حلوةً فتَبَيَّتْ تُسَهِّرُ أَهْلَهَا وتُفَجِّعُ
وإذا سمعت أنينها في ليلها طفقت عليك شئون عيني تدمعُ

فهو لم يُعْلِمَكَ شيئاً جديداً لم تكن تعرفه. ولم يبهز خيالك بالتشبيهات الفاسدة، والمغالطات المعنوية، ولكنه ذكر حقيقة، ومهارته في تخيل هذه الحالة ووصفها بدقة. وهذا أجَلُّ التخيل. وأجَلُّ المعاني الشعرية ما قيل في تحليل عواطف النفس، ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم. ومن أمثال هذا الغزل قول ابن الدمينة في وصف حياء الحبيب:

بنفسي وأهلي مَنْ إذا عرضوا له ببعض الأذى لم يَدْرِ كيف يجبُ
ولم يعتذر عُذْرَ البريء ولم تَزَلْ به سكتة حتى يقال مريبُ

مثل هذا الشعر يصل إلى أعماق النفس ويهزها هزاً. والشعر ما أَسْعَرَكَ وجعلك تُحَسُّ عواطف النفس إحساساً شديداً، لا ما كان لغزاً منطقيًا، أو خيالاً من خيالات مُعَاقِرِي الحشيش، فالمعاني الشعرية هي خواطر المرء وأراؤه، وتجاربه وأحوال نفسه، وعبارات عواطفه. وليست المعاني الشعرية — كما يتوهم بعض الناس — التشبيهات والخيالات الفاسدة والمغالطات السقيمة، مما يتطلبه أصحاب الذوق القبيح. فإذا لم يجد هؤلاء في الشعر مغالاة سخيفة، أو مغالطة معنوية، أو ألعوبة منطقية، أو تشبيهاً بينه وبين الخيال مثل ما بين لعب الأطفال بالألوان. وبين رسم تسشيانو ومهارته في استخدام الألوان. أقول: إذا لم يجدوا ذلك في الشعر قالوا: إنه ليس فيه معنى، فإذا سمعت هؤلاء يصفون قصيدة بأنها ملأى، حسبت أن قائلها ذو ذهن خصب، وعقل راجح كبير، ونفس عظيمة. وأنه جعلها ذخيرة الحقائق، والآراء السامية الشريفة. ولكن الأمر ليس كذلك، إذ إنهم يعنون أنها مملوءة بالخيالات والمغالطات المضطربة، وأن خيال صاحبها بهلوان شعري، أو مشعوذ يغرك بحركاته. فينبغي أن نميز، في معاني الشعر وصوره بين نوعين: نسمي أحدهما التخيل والآخر التوهم. فالتخيل هو أن يُظْهِر الشاعر الصلات التي بين الأشياء والحقائق. ويُسْتَرَطُّ في هذا النوع أن يُعَبَّرَ عن حق. والتوهم أن يتوهم الشاعر بين شيئين صلةً ليس لها وجود، وهذا النوع الثاني يُغْرَى

به الشعراء الصغار، ولم يسلم منه الشعراء الكبار، ومثله قول أبي العلاء المعري:

واهجم على جنح الدجى ولو انه أسد يصول من الهلال بمخلب

فالصلة التي بين المشبه والمشبه به، صلة توهم، ليس لها وجود. وكذلك قول أبي العلاء في سهيل النجوم:

ضرجته دمًا سيوف الأعادي فبَكَتْ رحمةً له الشعريان

أيُّ أعادٍ، وأيُّ سيوف؟ في مثل هذا البيت ترى الفرق واضحًا بين التخيل والتوهم. أما أمثلة الخيال الصحيح فهو أن يقول قائل: إن ضياء الأمل يظهر في ظلمة الشقاء، كما يقول البحري:

كالكوكب الدرِّي أَخْصَ ضوءُهُ حلكُ الدجى حتى تَأَلَّقَ وانجلى

فهذا تفسير لحقيقة وإيضاح لها. وكذلك قول الشريف:

ما للزمان رمى قومي فزعزعم تطايرُ القعب لما صَكَّهُ الحجرُ

فهو يُشَبَّهُ تفرَّقَ قومه بتطاير أجزاء الإناء المكسور. وهذا أيضًا توضيح لصورة حقيقة من الحقائق، وهي تفرَّقَ قومه.

فتكلَّف الخيال أن تجيء به كأنه السراب الخادع، فهو صادق إذا نظرت إليه من بعيد، وهو كاذب إذا نظرت إليه من قريب. وبينه وبين الخيال الصحيح، مثل ما بين الماس الصناعي وماس كمبرلي. وقد يكون سبب هذا الخيال الكاذب، التأليف بين شيئين لا يصح التأليف بينهما. ثم إنَّ بُعَدَ وجه التأليف وخفاء الصلة ليس بمعيب إذا كان وجه الشبه بين الشيئين صحيحًا صادقًا، وكانت الصلة التي بينهما متينة. فليس ظهور الصلة لكل قارئ دليلًا على متانتها. فقد تكون ظاهرة ضعيفة، وقد تكون خفية سليمة صادقة. فليس كل ما يخطر على أذهان العامة من الخيالات صادقًا صحيحًا. وهذا سببٌ من أسباب اشتباه العظيم من الشعراء بالضعيف. وعجز الناس عن التمييز بينهما. فإن العبقري قد يُعزى باستخراج الصلات المتينة الصادقة بين الأشياء. فتقصر

أذهان العامة عن إدراكها. وهذا ليس مذهب الناظم الوزان الذي يولع بأن يوجد صلوات سقيمة بين حقائق ليس بينهما صلة. ولكن الشاعر الضئيل يشبه الشاعر الكبير من حيث إن الشاعر الضئيل يعرف أنه ضئيل بحسناته، كما يعرف أنه ضئيل بسيئاته. وكذلك الشاعر العبقري يعرف أنه عبقري بحسناته، كما يعرف أنه عبقري بسيئاته؛ لأن سيئاته سببها أنه واسع النفس، حر الذهن، غير مقيد بقيود المحاكاة في فن الشعر. إن القراء من الجمهور إذا قرءوا قصيدة جعلوا يلتقطون منها ما يناسب أذواقهم، ثم ينبذون ما بقي من غير أن يبحثوا عن السبب الذي جعل الشاعر ينظم في قصيدته هذه المعاني، فهم كالمرضى الذي فقد شهوة الطعام، يأخذه متكرهاً. فهم لا يغتفرون للشاعر أن يكون أوسع منهم روحاً، وأسلم ذوقاً، وأكبر عقلاً. ويريدون منه أن ينزل إلى مستوى عقولهم ونفوسهم وأذواقهم. ويحكمون على قصيدته بأبيات منها تستهوي أنفسهم إما بحق وإما بباطل، لأنهم يعدون كل بيت وحدة تامة. وهذا خطأ؛ فإن قيمة البيت في الصلة التي بين معناه وبين موضوع القصيدة؛ لأن البيت جزء مكمل، ولا يصح أن يكون البيت شاذاً خارجاً عن مكانه من القصيدة، بعيداً عن موضوعها. وقد يكون الإحساس بطلاوة البيت وحسن معناه رهيناً بتفهم الصلة التي بينه وبين موضوع القصيدة. ومن أجل ذلك لا يصح أن تحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة، بل بالنظرة المتأملة الفنية. فينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء فرد كامل، لا من حيث هي أبيات مستقلة؛ فإننا إذا فعلنا ذلك وجدنا أن البيت قد لا يكون مما يستفز القارئ لغرابته، وهو بالرغم من ذلك جليل لازم لتمام معنى القصيدة. ومثل الشاعر الذي لا يُعنى بإعطاء وحدة القصيدة حقها، مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي ينقشها من الضوء نصيباً واحداً.

وكما أنه ينبغي للنقاش أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام في نقشه، كذلك ينبغي للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير. وكذلك ينبغي أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع. فإن بعض القراء يقسم الشعر إلى شعر عاطفة وشعر عقل. وهي مغالطة غريبة؛ إذ إن كل موضوع من موضوعات الشعر يستلزم نوعاً ومقداراً خاصاً من العاطفة والتفكير. فبعض شعر الشاعر تكون العاطفة فيه أوضح وألزم؛ وفي بعضه تكون أقل وضوحاً. ولا ريب في ذلك؛ إذ إن الغزل مثلاً يستلزم نوعاً خاصاً من العاطفة غير العاطفة التي تبعث على خواطر الحكم والوعظ.

والأدباء في مصر يخلطون في الكلام عن الأساليب خلطاً كثيراً؛ فهم يتناسون أن أجلَّ الشعر العربي وأفخمه، وأجزله وأسبره، وأكثره نفعاً وتوكيداً لبقاء اللغة، هو الشعر الذي لم تُتكلَّف فيه الغرابة. فإن المعلقة أسلس وأجزل شعر جاهليين (ما عدا الغزل) وأقله غرابة وتعقيداً. وشعر الشريف أجلُّه وأفخمه ما لم يتكلف فيه الغرابة، إن في شعر الشريف صفتين؛ حسن الديباجة والفخامة، والسلامة في أكثر شعره، وتكَلَّفَ الغريب في بعضه، فصار الأدباء يخلطون بين الصفتين، ويزعمون أن الغريب من لوازم حسن الديباجة، ولو قرأت شعر الشريف لعلمت كذب ذلك.

وإذا نظرت في شعر الحريري، وجدت أنه مُترَعٌ بالغريب، ولكنه بالرغم من ذلك، ليس من حسن الشعر. وهذه قصيدة ابن زريق، ليس فيها شيء من الغريب، ولكنها من أجلَّ الشعر وأفخمه. وإذا شئت فقل وأضخمه؛ لأن الضخامة صفة في الأسلوب الملتهب الذي يُشبه الصخور الذائبة، التي تسيل من فم البركان. ذلك الأسلوب الذي توجَّهه العواطف القوية. وهذا الأبيوردي مغرَى بالأساليب الغريبة، ولكن شعره ليس عليه طلاوة، وليس فيه مجتنى. فللشاعر أن يستخدم كل أسلوب صحيح، سواء كان غريباً أو معهوداً أليفاً. وليس له أن يتكلف بعض الأساليب. ولا أنكر أن الشعر من قواميس اللغة، ولكن له وظيفة كبيرة غير وظيفة القواميس. وعاطفة الغريب، الذائعة بين فئة خاصة منَّا هي ردُّ فعلٍ سببه ولوعُ شعراء القرنين الماضيين بالركيك من العبارات والأساليب. وقد وجدْتُ بعض الأدباء يقسم الكلمات إلى شريفة ووضيعة. ويحسب أن كل كلمة كثر استعمالها صارت وضیعة. وكل كلمة قلَّ استعمالها صارت شريفة! وهذا يؤدي إلى ضيق الذوق، وفوضى الآراء في الأدب. قرأ أحد الأدباء قول الشريف:

إن غداً مجدوعة أشرافُهُ فالبنى وافية والمجد عالي

فقال: المجد عالي، عبارة وضیعة من عبارات الفقهاء كثير استعمالها. ولو أردنا أن نحذف من شعر الشاعر، سواء كان الشريف الرضي أو امرأ القيس، العبارات الكثيرة الاستعمال، لحذفنا أكثر شعره!

إن فامتهان الكلمة أو العبارة لكثرة استعمالها رأي غير رجيح. فإننا نجد أجلَّ الشعر كانت عباراته كثيراً استعمالها. أفترید أن نحذف ونمتهن كل ما كان من نوع قول المتنبی:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

أو قول أبي نواس:

إذا اُمْتَحَنَ الدنيا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ له عن عَدُوِّ في ثيابِ صديقِ

أو قول أبي العلاء:

حَفَّفِ الوطأ ما أَظُنُّ أديمَ الـ أَرْضِ إلا من هذه الأَجْسَادِ

أو قول ابن زريق:

لا تعذليه فإن العذل يولعه

إلى آخر القصيدة ...

أو غزل جميل، وكثير، وابن الدمينه، وغيرهم ...

هل يرى القارئ في أسلوب ما ذكرنا شيئاً غريباً؟ كلا، ولكنه بالرغم من ذلك أجلاً وأفخم وأروع الأساليب. فإذن قولهم الروعة في الغريب هراء المتكلفين الوزانين، الذين يسرقون معانيهم. وجعلهم حسن الديباجة في الغريب مغالطة تُكذِّبها كل دواوين أشعار العرب. فإن الشاعر الكبير يأتي بالأسلوب رائئاً جليلاً من غير تكلف للغريب. أما المبتدئ فهو الذي يتكلف الغريب، كي يُخفي به ركاكة عبارته. وكذلك الوزان يتكلف الغريب، كي يخفي به جمود طبعه وقلة معانيه. وقد سمع أحد الأدباء قول مصطفى المنفلوطي في وصف العامل: «كأنه الآلة في المعمل». وهذا وصف بديع لبؤس الصانع. فقال: الآلة من الكلمات الوضيعة؛ لأنها تبعث الذكر الوضيعة! ولو أخذنا برأي أمثال هذا لقضينا العمر في مجادلات لفظية ليس تحتها طائل، فإن الغرابة لا تستعصي على أحد. وإنما الصعوبة في الجمع بين المتانة والسهولة. وليس لشاعر بدُّ من استعمال الكلمات المستعملة؛ إذ إن ثلاثة أرباع اللغة من هذا القبيل.

وقد تكون العبارة الملائى بالكلمات الغريبة أحسَّ أسلوبًا وديباجة، وأقل متانة من العبارة السهلة، التي ليس بها غير المؤلف من الكلمات. فينبغي للشاعر المتبدئ أن يتطلب المتانة، وأن لا يخلط بينها وبين الغرابة؛ كي لا تُضِلَّه الغرابة عن المتانة فيقنع بها. انظر مثلاً إلى قول المتنبي:

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا فَلَمَّا دَهَنْتَنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا

هذا أسلوب فخم جزل، رائع متين. ولكن ليس به غريب. ومن عجيب أدبائنا أن بعضهم إذا قرأت شعره لا تجد فيه شيئاً غريباً، ولكنه يأتي أحياناً في بعض شعره بكلمات قليلة غريبة بعض الغرابة كي تجيز له ادعاء الغرابة. كأن الغرابة تستعصي على أقل الناس ذهنًا واطلاعًا! فإن الجزالة والمتانة تتطلب من الاطلاع أكثر مما يتطلبه استعمال الغريب؛ لأن المتانة تستلزم درس آداب كل العصور التي مرت على اللغة العربية حتى يكون ذوق الشاعر واسعاً صحيحاً. ولو فرضنا أن في الكلمات؛ الوضعية والشريفة، لكان للكلمة الوضعية منزلتها من الشعر مثل الكلمة الشريفة. وإنما العيب في استعمال الكلمات في غير مواضعها. فينبغي للشاعر أن يتعرف أية كلماته تعبر عن المعنى أو العاطفة التي يريد وصفها أتم تعبير. فالكلمة قد تكون شريفة أو وضعية حسب الاستعمال. فشرف الكلمة في دلالتها على المعنى، وفي وقوعها موقعها الخاص بها من الشعر، لا في غرابتها. فلو كانت الكلمات وضعية تلووها الألسن فيزري بها ذلك، لأزرى باللغة العربية أن لاكتها الألسن هذه العصور الطويلة. فضعة الكلمة إذا هي غطت على المعنى والعاطفة وزادتهما غموضاً، وأفسدت نغمة الشعر وروحه وخفة طبعه، وموهت غثاثة المعنى والعاطفة، وأخفت ضعف الشاعر وعجزه.

والذي يجني على بعض شعرائنا تعصُّبهم لشاعر دون شاعر أو لعصر دون عصر. في حين ينبغي تطلب صحة الذوق التي أساسها سعة الاطلاع. فإن الشاعر ينبغي أن يتميز الأساليب كما يتميز الخمر المعتقة، ويطرفها كما يطرف الكئوس، ولكنه يلتذ منها جمالها لا غرابتها. فإن الأساليب الصحيحة مهما تبينت في غرابتها وسهولتها، من قماش واحد وذات لون واحد، هذه حقيقة يعرفها الطبع، وإن كان ينكرها التصنع.

والاطلاع شراب روح الشاعر. وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها، ويلقح ذهنه، ونفس الشاعر ينبوع، والاطلاع هو الآلة التي يرفع بها ماء ذلك ينبوع إلى الأماكن العالية. والشاعر في حاجة إلى محرّكات وبواعث. والاطلاع فيه كثير من هذه المحركات والبواعث. والأديب الذي لا يغرم بالاطلاع كالماء الأجن العطن. الذي لا يحركه محرّك. وإنما عمل الشاعر فيما يطلع به عمل النحل في قول أبي العلاء المعري:

والنحل يجني المر من نَوْرِ الرّبي فيصير شهداً في طريق رضايه

فالعالم الماهر يُخْرِج من الجيد جيّداً، ولكن العبقرى يخرج أيضاً من الرديء جيّداً، ولكن بعض القراء يقىء على صحيفته ما قد قرأه بدل أن يخرج من أزهار ما قرأ شهداً. وهذا هو الفرق بين العبقرى وغيره من الناس. نعم إن المطلع بأداب لغة من اللغات، لا بد أن يجتني بعض ما يقرأ من المعاني والخيالات من غير أن يشعر. وإنك إذا أدمنت قراءة المتنبي مثلاً عَلِقَتْ بذهنك بعض معانيه. وأما المعيب فهو أن يأخذ الشاعر المعنى عمداً. أما إثبات العمد فليس من الصعوبة بمكان؛ فمن مظاهر تعمّد السرقة دقة النقل والأخذ لا المشابهة والتوليد. فإن المشابهة والتوليد لا تُعدُّ سرقة. ومنها تسلسل المعاني كما في الأصل. وكثرة التشابه وعجز الشاعر عن الابتداع والتوليد. وشعراء العرب لم يكونوا جهالاً بأداب غيرهم وعلومهم وحضارتهم. فليس كل التربية مدرسية. انظر إلى زهير بن أبي سلمى وحكمه، وانظر إلى امرئ القيس وعلاقته بالحضارة البيزنطية، وعدي بن زيد وتفكيره وعلاقته بالحضارة الفارسية. وانظر إلى رواج العلوم في أيام الدولة العباسية، وتأثر أبي العتاهية وابن الرومي والمتنبي والشريف الرضي وأبي العلاء المعري بهذه العلوم. فإن هذا التأثر واضح في أشعارهم كل الوضوح، وإنما فسدت آداب العربية حين ساد الجهل في الممالك العربية في العصور الأخيرة. فإن سُنَّةَ التقدم تقتضى الاطلاع بما يُسْتَحَدَّثُ في الآداب والعلوم. وكلما كان الشاعر أبعد مرماً وأسمى روحاً، كان أغزر اطلائاً؛ فلا يُقَصِّرُ همته على درس شيء قليل من شعر أمة من الأمم. فإن الشاعر يحاول أن يعبر عن العقل البشري والنفس البشرية، وأن يكون خلاصة زمنه. وأن يكون شعره تاريخاً للنفوس، ومظهر ما بلَغَتْهُ النفوس في عصره، وما عَجِبَتْ من شيء عجبى من القوم الذين يريدون أن يجعلوا حدّاً فاصلاً بين آداب الغرب وآداب العرب؛ زاعمين أن هناك خيالاً غريباً وخيالاً عربياً.

نعم، إن كل لغة لها خصائص وذوق. ولكن بالرغم من ذلك نجد الخيال الجليل والمعنى الرائع المصيب محمودًا حيث كان. إذ إنه ليس رهنًا بخصائص اللغات؛ وإنما مرجعه العقل البشري والنفس الإنسانية. إنما المغالطات المنطقية والتشبيهات المتوهمة رهينة بخصائص اللغات. وتختلف في كلِّ حسب ذوق الجماهير فيها. وإذا قرأ الشاعر العربي آداب الأمم الأخرى أكَسَبَتْه قراءتها جدة في معانيه، وفتحت له أبواب التوليد. فإن الشاعر الكبير، كي يعبر عما في نفسه من العبقرية تمام التعبير حتى لا يبقى بعضها مكتومًا مجهولًا، لا بد أن يجدد ذهنه دائمًا بالاطلاع. وأن يحرك به نفسه، وأن ينوع من ذلك الاطلاع. فإن شَرَه الإحساس والتفكير هو ميزة العبقرية. فإن مذاهب القول التي تستلزمها حياتنا تقتضي درس آداب العناصر الأخرى التي عمرت العالم، وأنشأت لها حضارة وعلومًا وفنونًا. فإن درسها يوسع عقولنا، ويجدد آمالنا وقوانا، ويهيئ وحي ذكائنا ويعلي خيالنا، ولكن ينبغي أن لا نكون ناقلين، بل ينبغي أن نكون مفكرين باحثين فيها. ومن دلائل هلاك الأمم نَظَرُها دائمًا إلى حياة أجدادها واحتذائهم فيها احتذاء روح لا قوة فيه، ولا نكاء ولا فطنة. ولقد بدأ الناس يتهمون ذوي الاطلاع بالنقل والأخذ والسرقه. وهذا الاتهام شيء لا غرابة فيه؛ فإن دخول الآراء الجديدة والمذاهب والأفراض والمسالك الشعرية الحديثة، واتخاذ الآداب شكلًا غير شكلها المعهود، يدعو إلى الظنة والاتهام.

ولكن مما زاد الطين بلة، أن بعض الأدباء لا يرفع حُرمة، ولا يردعه ضميره عن السرقه الفظيعة. وأمثال هذه الأفعال قد بَثَّتْ في أذهان كثير من القراء أن كل شيء جليل معناه، غريب موضوعه، مسروق لا محالة. وروَّج هذا الرأي طلاب فوضى الآداب الذين يمرحون في ظلامها مَرَحَ الخفافيش في الظلام، وهؤلاء هم الغلمان المغرورون والجهلاء، وأهل الحسد والحقد والكذب، ومُغْلَقُو الأذهان، ممن يكره كل جديد ويتهمه، وشعراء المسلك القديم الذين ظهر عجزهم ونقص تعليمهم، وفسدت معانيهم، وجهال القراء الذين يزعمون أنهم من الخاصة. ولكنني أعتقد أن الشاعر العبقرية الكبير يُخْرِسُ هؤلاء — حتى ولو بعد موته — بكثرة ما يجيد، ويزيحه من طريقه كما يزيح الخنفساء بنعله عن قارعة الطريق، وهو يعلم أن عداءهم له سُنَّةٌ طبيعية لا مناص منها، كانت لها مظاهر في كل عصر من عصور الآداب في الأمم كلها. ولكن — بالرغم من ذلك — ينبغي للقراء أن يميزوا ما يقال. فإنه ليس السبيل لمعرفة السارق أن يتهم كل المطلعين من غير حق. فإن هذه الزحمة فرصة السارق. فيزاول مهنته في خفاء وأمان. فالاتهام

الذي أساسه سوء الظن والجهل والحسد والسفالة وقلة التبصر والكسل. والذي ينأى بالمتهم عن البحث والتدقيق، يؤدي إلى الفوضى التي هي فرصة ينتهزها اللص. ولو فرضنا أن أحد المتهمين (بالكسر) نَظَّمَ قصيدة بديعة فاتَّهم أنه سارقها، بأي شيء كان يحارب المتهم؟ أبادعاء الجهل وقلة الاطلاع؟ إنه قد يكون جاهلاً، ولكن الجهل لا يمنع من السرقة، كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة.

وقد لفتني أديب إلى قصيدة المازني التي عنوانها «الشاعر المحتضر» اليائبة التي نُشِرتْ في عكاظ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدوني للشاعر شلي الإنكليزي. كما لفتني أديب آخر إلى قصيدة المازني التي عنوانها «قبر الشعر»، وهي منقولة عن هيني الشاعر الألماني. ولفتني آخر إلى قصيدة المازني «فتى في سياق الموت»، وهي للشاعر هود الإنكليزي. ولفتني أيضاً أديب إلى قصيدة المازني التي عنوانها «الراعي المعبود»، وهي منقولة عن الشاعر لويل الأمريكي. وقصيدة المازني التي عنوانها «الوردة الرسول»، وهي للشاعر ولر الإنكليزي، وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها. وقرأت له في مجلة البيان مقالة «تناسخ الأرواح» وهي من أولها إلى آخرها من مجلة السبكتاتور لأدسون الكاتب الإنكليزي. ومن مقالاته في ابن الرومي التي نُشِرتْ في البيان، قَطَعَ طويلة عن العظماء، وهي مأخوذة من كتاب شكسبير والعظماء تأليف فكتور هيجو. ومن مقالات كارليل الأدبية، وقد ذاعت هذه الأشياء. ولو كُنْتُ أعرف أن المازني تعمَّدَ أَخْذَهَا، لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال، ولكني لا أصدق تعمَّدَ أَخْذَهَا. ولو أنني رأيت عفريتاً لما عراني من الحيرة والدهشة قدر ما عراني لرؤية هذه الأشياء! ولا أظن أنني أبرأ من دهشتي طول عمري. وفي أقل من ذلك مبرر لمرجعي الإشاعات والتهم. ولا أظن أن أحداً يجهل مدحي المازني، وإيثاري إياه، وإهدائي الجزء الثاني من ديواني إليه، وصادقتي له، ولكن كل هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرتُ، ومعابته في عمله؛ لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنَعَ في ماضيه. حتى يداوي ما فعَلَ ويرد كل شيء إلى أصله، وليس الاطلاع قاصراً على رجل دون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء. ولسنا في قرية من قرى النمل حتى تخفى!

الصنع والكسب

قد فاق كلَّ الناس في صنعه
سواه مما جلَّ من بدعه
يحسر طرف الناس عن علمه
إن يرميه عن عزمه يُصميه
يرتدُّ لحظ الناس عن سمته
ويعجز الناعت عن نعتيه
كما يرون الأفق في بُعدِه
ويكروهون العقل في مدّه
وإن أصاب القبح من نفسه
تستهو لب المرء في حسّه
كيما تنال الخيز من بيعه
للناس ما يخرج من ريعه
قد حار كلُّ الناس في فعله
فساد هذا الكون في عقله
اغدُر سواد الناس في جهله
كالغيث يحيي الأرض من وئله
وقد يحبُّ الصنع من كسبه
وقد يُرادُّ الحقُّ من حُبّه
لما رأى الفقرَ على بابه
قد تعبت في نسج جلبابه
وراح يبغي الصيت في فنه
وقيل هذا الصنع في حسنه
قدماً فلجوا الآن في مدحه
يعافُ ذاك المدح من قدحه
وأخلف المأمول من عمره
يبكي على ما فات من سرّه

قد حدَّثوا عن صانعٍ حاذق
يرى من الحسن الذي لا يرى
كأنما ينظر في عالم
والحسن في الصنعة طيرٌ بدأ
يا راقِيَ الصنع إلى منزل
يحارُّ لبُّ المرء في أمره
الناس في السهل يرون الذرى
ويحمدون العقل في جزره
كلُّ امرئٍ يبغي هوى نفسه
فاصنع له إن شئت ما يبتغي
إن كان هذا الصنع قد صغته
فالصنع وإد أنت أجرتُه
ولا تشكُّ الدهر في فعله
ما حيرة المرء دليلاً على
يا شاكياً من قومه جهلهم
واستنزل الأرزاق من أفقها
فقد يحبُّ الصنع من حسنه
وقد يُرادُّ الحقُّ من نفعه
قد عنفتَه نفسه مرةً
وعنكبوت من خمول به
فموه الصنع وجارى الورى
فازدحم الناس على بابه
باللو والليت رموا صنعه
لكنه بات على لوعة
أثرى فلم ينفعه إثراؤه
وعاد يبكي صنعه خائباً

وكان ذاك الصنع ربًّا له
فنال ما قد نالَ من رزقه
وصار عبد الوفرِ في خفضه
وخرقت من قدره نفسه
هواه دين كهوى عرسه
وباع ما قد باعَ من نفسه
وكان عبد الصنعِ في سخره
ورفع الجهال من قدره!

نجي النجوم

رأيتُ عقودًا أم رأيتُ الدراريَا
كأنِّي في بحرٍ من الليلِ غارقُ
وإني إذا ما طار بالنفْسِ طيرُها
أبيتُ فلا أدري أتلِك أزهْرُ
ويبعثنُ نحوي باللحاظ كأنما
فغضِّي عيون الليلِ لحظًا بعثته
أذاك بريقُ اللحظِ لحظ رأى الأذى
ولا عجبُ أن صار لحظك قاسيَا
أم اقتدحتُ فيك الحوادثُ رحمةً
وقد كنتِ ندمان الحزين وراحة الـ
وكم كنتِ هديًا للرجاء وللمنى
وكم عشقتُ نفسي النجومَ لأنها
وكم كُنْتُ نجوى عاشقٍ وسميرهُ
وكم لُحْتُ لي والدمع في العين حائرُ
وقبّة رمسٍ في السّماءِ نجومها
أزاهر آمالٍ مضت لا يعيدها
فيا مَنْ لِمَيّتٍ بالحياة معذبٍ
ويا تاج مُلكِ الليلِ تهنيك نعمة
كأنك فردوسٌ تقضى نعيمه
تضيءُ همومًا في الضلوع مقيمةً

أم الزهر منثورًا على الأفقِ زاهيَا
طففتُ فوقه زهُرُ النجومِ لآليَا
وحلّق في أفقِ السماء خيالِيَا
مفتحةً أم قد رأيتُ الدراريَا
يَرِدُنْ ليعرفن الذي في فؤادِيَا
فإنَّ بريقَ اللحظِ أصمى جنانيَا
وعودَ حتى صار كالصخرِ قاسيَا
فقدما رأيتُ الشرَّ في الناس فاشيَا
فعاطى حنانًا قد أصبتِ حنانِيَا
ووحيد فسليّ خائب القلبِ عانيَا
إذا صار عيش المرء كالليلِ داغيَا
إذا أبصرتُها العينُ تُحيي الأمانِيَا
إذا غابَ صبُّ عن حبيبٍ لِياليَا
أودعُ آمالي وأندبُ حاليَا
ننثرن على قبري الزهور الزواهيَا
بكائي وهل يُغني لديها بكائيَا
ومن لي بميتٍ طامع في حياتِيَا
وإن كان قلبي عاطلَ العرشِ خاليَا
وخلفَ أطلالًا لديك بوالِيَا
حنانك خلُّ الهمِّ أسود خافيَا

وأخشى بريقًا يترك الهمَّ بادياً
 وضوءك يفشي سرّها في الدجى ليًا
 فإن شقاء العيش أصمى حياتيا
 وليس شقاء النّحس للنّحس شافيا
 فيا بؤس أيامي وطول ملاييا
 وماذا يقول النّجم لو كان وإعيا؟
 فيا ربّ ذكرى هنّ قد هجنتها ليًا
 إذا كان من أهواه أصبح نائيًا
 وأبصرن مغبوطًا من العيش حاليًا
 سوى أنجم زنّ السنين الخوليًا
 وهيهات ليس النّحس حلماً بدا ليا
 إذ القلب لا يلقي على الحبّ عاديًا
 كأنّي ما كنت السّمير المدانيًا
 بها كنت أرى الحسن فينان زاهيًا
 ويرتاح قلبي أن سهيل رنا ليًا
 وأنات قلب تترك الليل شاديًا
 وأصبحت منبؤدًا عن الناس ساليًا
 ليالٍ وأيام تخال لياليًا
 ولذات عيشي والحبيب المصافيًا
 وتذبل حتى يصبح الكون ذاويًا؟
 وأصبح نور الحسن في العين داجيا

فإنني أدري النفس عما تكنه
 أبيت كأنّ النفس ليلٌ وظلمة
 أفيك أناس للشقاء حياتهم
 لعلّ حزينًا فيك يرثي لشقوتي
 أبيت فلا أدري لعيشي علّة
 أسألك هذا النجم والنجم لا يعي
 فيا عين ما لحظ النجوم بِنافع
 وما في مرير الذكر أنس ولذة
 أتلك نجوم كن أبصرنه معي
 أم استحدثت بعدي السماء دراريا
 أم العين غير العين أم أنا حالم
 فما لحظها مثل اللحاظ التي مضت
 وتلحظني لحظ الغريب جليسه
 كأنّي لم أرع النجوم بمقلية
 وقد كان يصبيني الهلال إذا بدا
 وكم لي من نجوى لديها أسرها
 ولم أعرف الأحباب حتى فقدتهم
 وما كنت أدري الحب حتى بدت له
 وودعت أمالي وودعت عزمتي
 فهل تنضر الأفلاك كالزهر حقية
 وهيهات! إن القلب أصبح ذاويًا

سحر اللحاظ

أم ذاك لحظ نافذ كالنبال؟
 أم ذلك النجم البعيد المنال؟
 فرّب لحظ فيه رجع السؤال

أسرتنا منك بسحر حلال
 أم تلك خمّر من عصير النّهي
 يا هل لطرفي منك من نظرة

يا عينُ ما أَقْتَلَ هذا النضالُ
 تكسَّرتُ فيه صدور النصالُ
 غيرُ علااتِ حكاها الخيالُ
 يا ليته يجهل سحرَ الجمالُ
 والحبُّ في الأحشاء داءٌ عضالُ
 شقاؤه في الحبِّ حالُ فحالُ
 يحسبُ أن الحسنَ ماءٌ زلالُ
 يحلمُ بالغصنِ وبردِ الظلالُ
 على ضلوعِ نصبت كالجمالُ
 يا قلبُ كم تبغي سرابَ المحالُ
 شوقاً إلى طلعةِ ذاك الجمالُ
 نهوى عيوناً لحظها كالنصالُ
 فليلتي منك ليالٍ طوالُ
 أبصرها في الحلمِ مثل الذبَّالُ
 يجلو دجى العيشِ وليل الخبالُ
 في جنَّةِ الخلدِ وريفِ الظلالُ
 ليس بها من شقوةٍ أو ملالُ
 فالكوثرُ العذبُ شهى المنالُ
 أهكذا حظِّي آلُ فالُ!
 وطال من ذاك العشيرِ احتمالُ
 وأنتِ أحلى من كئوسِ الثَّمالُ
 وربِّ ذكري مثل شوكِ السلالُ
 نفوسنا في أسرِ ذاك العقالُ
 والنفسُ أسمى ما يحبُّ الرجالُ

يقولُ قلبُ قد رماه الهوى
 يا عين رفقا بفؤادِ عليل
 قد عشق الحسنَ فلم يُجِدِه
 قد لَجَّ هذا القلبُ في خفقِه
 فالحسنُ في العينِ طريرٌ غرير
 آه على خيبةِ قلبِ طروب
 أتعبتني يا قلبُ، يا طائراً
 يا طائراً بين ضلوعي ثوى
 هذا جناحُ منك أدميتُه
 هيهات أن تُفَلت من أسرها
 وأنتِ يا عينُ عداك الكرى
 يا حسرةً ما مثلها حسرة
 يا عين من أهوى رعاك الكرى
 يا نجمةِ الآمالِ قد أشرقَت
 عُودي بلحظٍ صادقِ ضوءه
 يا طاقةً أبصرُ منها النعيم
 كأنها بابٌ إلى جنَّةِ
 عُودي بلحظٍ أحتسى خمره
 ولا يَكُنْ برقك لي خلَباً
 مهما تناءت بك عنَّ الديار
 فأنتِ أدنى من نجى الرجاء
 فإنَّ في ذكراك برءُ العليل
 في لحظِ عينيك عقلُ الهوى
 تطلُّ في العينِ معاني النفوس.

أسري من العقل إلى القلوب
أبتُ فيها الهمم الصليبه
كالكهرباءِ فعلها يبين
لكنّها عن العيون خافية
ألوي برب الفكر عن ذويه
طورًا وطورًا راحة وسلّمًا
وأرخص العزيز والكبيرا
أليخ بالمطامع البعيده
وربّ غرّ كان عبد عمره
كان صغيرًا فغدا عظيمًا
رفعته عن لذة وألم
مشهّرًا بين الأنام معلّمًا
حملته مئونة العظام
الكون بردي والزمان داري
والكون كالنشوان من كتوسي
آمالها من طرب الخمار
كم حقيه قد اختمرت فيها
أقوى على الأيام والدهور
والناس قد غرهم خمودي
نبهتهم للحادث العظيم
فأشعل النيران واللهيبا
طويت جيلًا ونشرت جيلًا
وكم رماني الجور في الأخود
واستبشروا بمقتلي وهلكي
وأوسعوا من نالني عذابا
فصار لي في قتله انتشار

أكاد أن أعرف في الوجيب
وأنزع العزيمة المغلوبه
يخبر أين سرها المصون
ساكنة طورًا وطورًا عاديه
وأذهل العازم عن أخيه
أجبر عظمًا وأهيض عظمًا
حتى يصير هيئنا حقيرا
وأهلك الجاحل العبيده
زودته من خيره وشره
كان يرى عيش النهى أليما
فصار نارًا أضرمت في علم
مبغضا طورًا وطورًا مكزما
حتى استبان صابر ونايم
أكتب فيها سير الدراري
ألا ترى تطرب النفوس؟
فلذة الحياة من عقاري
وكان كأسه قبلها كريها
كما صفت عتيقة الخمر
وهم على غرتهم وقودي
كما تشب النار في الهشيم
وأشغل الأحمق واللبيبا
وكم بعنت فيهم رسولا
وقيدوني فوهت قيودي
وبينهم لو يفطنون ملكي
وقطعوا من لحمه عقابا
يقام لي من قبره منار

يخط في الدهر به السداد
وليس منها حافظٌ وواقِي
فيسعد النفوسَ باللقاح
فلا تُرْعُ أن صلت بالدواهي
فلا تُرْعُ من سهمها المسدد
ثم يظلُّ خيره يرب
ثم اغتدى مجالدًا عنيفًا
مضرمًا من عزمه جهادًا
أأنت تدري سره وخلقه؟
فعمره كخلده المديد
إن لكل زيٍّ منه حدًا
وهو كثيرُ اللون كالضياءِ
أجدُّ من أعماقه مطالبًا
فهو علينا حاكمٌ وقاضٍ!

وصار لي من دمه مداد
الفكرُ عدوى ما لها من راقِي
يذرُّ نرَّ البذرِ في الرياح
سأغمُرُ الأنامَ من مياهي
إن الخطوبَ سنةً التجدد
وأولُ الفكرِ الكبيرِ خطبٌ
وهو كطفلٍ قد بدا ضعيفًا
يوسعُ مَنْ جالدهُ عنادًا
يا برما بالفكرِ يبغى خنقه
الفكرُ نورُ الله في الوجود
يلبسُ بُردًا ثم ينضو بُردًا
فهو كثيرُ اللون كالحرباءِ
إن حَقَّقُوا بالفعلِ منه جانبًا
فكن كسيفٍ في يديه ماضٍ

الذكر

ما تفعل الخمرُ بالراءوسِ
من الهوى مُتَرَعِ الكئوسِ
كالنَّارِ في عودها اليببِسِ
كالنَّارِ في معبدِ المجوسِ
خُصًّا لقربانها النفيسِ
والحبُّ مِنْ جَمْرِهِ القبيسِ
والنَّارُ رمزٌ إلى الشموسِ
وأحسبُ الذكرَ كالهسيسِ
أو نعمة المطربِ الأنيسِ
قد غمر اليأسُ بالطموسِ

قد يفعلُ الذكرُ بالنفوسِ
يعيدُ لي الذكرُ ما تقضى
فيقده الشوقُ في فؤادي
فإنَّ نكراك في فؤادي
راحةٌ عيشي ونومٌ عيني
والحسنُ كالنَّارِ في ضياءِ
فالذكرُ رمزٌ إلى حبيبِ
أُصْغِي إلى الذُّكْرِ في فؤادي
كأنما شدَّوه خريزُ
كأنما شدَّوه أتيُّ

كأنه الريح حين هبَّتْ
 والذكر كالريح في شذاها
 كم قرَّب الصبِّ من حبيبٍ
 فينشق العطرَ من حبيبٍ
 حتى كأن لم يكن بعيداً
 كأنه ساحرٌ قديرٌ
 يُليحُ للعين ما تقصَّى
 يمزقُ الستَرَ عن خفيٍّ
 ويُرجعُ الدهرَ عن فريسٍ
 بالروضة الغضة الميوسِ
 وعطرُه نشوةُ النفوسِ
 حتى يُرى دانيَ الحسيسِ
 يكاد ينقاد للَموسِ
 ولم يكن طعمةَ الرموسِ
 يدوف من نعمة وبوسِ
 كأنه خُطٌّ في الطروسِ
 ويصدعُ القيدَ عن حبسِ
 والناسُ للدهر كالفريسِ!

المجرم

يرى الناسُ أنَّ النومَ أمُّ رحيمَةٌ
 يسألُ عليَّ الحُلمَ أسيافِ نعمة
 وكم هدَّ من عزمٍ صليبِ عذابها
 فيا بلسمَ الأحزانِ أصبَحْتَ عونها
 أما يهربُ المسكينُ فيك من الأذى
 شرابٌ من النسيانِ يحلو لذائق
 يبيتُ فلا وقعَ الصروفِ بكارثِ
 وما العيشُ إلا نومةٌ راعَ حُلمها
 وغيَّرني عما عهدت جرائري
 فلا تحسبن الشرَّ يُمحي بتوبةٍ
 كذلك فِعْلُ الطَّبِّ يشفي دواؤه
 ولكنَّ بعضَ الضعفِ في المرءِ كامنٌ
 وروَّع عني الوزرُ كل محبِّ
 وقد غاب بشرُ الناسِ عني وأنسُهُمُ
 ألوح فيبدو الخوفُ في وجه مبصري
 ولكنَّ نومَ الجارمين عقابُ
 فأحلامُ نومي كالجحيمِ عذابُ
 وشيَّبَ وزَّاد الذنوبِ فشابوا
 عليَّ فَبَطُلَ ما وَعَدْتَ كِذابُ
 فيسكره مما تدوف شرابُ
 له من وميضِ النيِّراتِ حبابُ
 ولا تزدهيه عزمةٌ وطلابُ
 ووقع سؤالٍ ما عليه جوابُ
 فليس إلى الحالِ القديمِ إيابُ
 وإنَّ غَفَرَ الجرمَ العظيمَ متابُ
 فيُحَمَّدُ من مرأى السقامِ نهابُ
 وإنَّ حَسَنَتِ حالٌ وراقٌ إهابُ
 فقد بانَ أحبابُ وفاتَ شبابُ
 كأنِّي على ضوءِ النهارِ سحابُ
 كأنِّي سيفٌ والرقابُ قرابُ

على راحتي مما سفكتُ خضابُ
فما لي لديهم إن دعوتُ جوابُ
على أنهم مما يخافُ غضابُ
وبيني وبين العالمين حجابُ
يُسَرُّ بما أُرْمَى به وأُعبأُ
هواه من الفعل الحميدِ ثوابُ
وأصبحَ يُخشى شره ويُهَابُ
يُصيب بها من عيشه ويثأبُ
ضئيلًا وقال القائلون وعابوا
وقد عابني أني جرؤت وهابوا
وذاك حديثٌ ما عليه عقابُ
وكلُّ ضميرٍ بالمعيب يشأبُ
ولكنَّ ورَدَ الجارمين سرابُ

أو إن دماءَ الهالكين جَعَلْتُهَا
ويسكت عني الناسُ سكتةً مبغض
ولا أنس إلا أن يكونَ مخافه
فبيني وبين الخوفِ ودُّ وألفة
ويلحظني المغرورُ لحظةً جاهلِ
رجوتُ من الإِجرامِ نفعًا وإنما
ولو لم يجد في الخيرِ نفعًا لعافه
وإنَّ رواءَ الطهرِ حيلةٌ ماكرِ
وإن يَلُوقَ ما لاقيتُ أصبَحَ خيرُه
يُواقع كلَّ الناسِ بالفكرِ شرهم
وكم حدَّثتُ بالشرِّ ذا الخيرِ نفسُه
ولكنه في النفسِ إثرٌ يشوبها
ظمئنا فخلنا الشرَّ في العيشِ منهلاً

ليلة الحسن

فعاوَدَ القلبَ عهدًا كان مدفونًا
فصار عهدُ الهوى يا حُسنُ يُبْكِينَا
ولستُ بالعيشِ واللذاتِ مفتونًا
وأها لها حسنات لا تؤاتِينَا
تهفو علينا فتصبينا وتحيينَا
إذ أنت حلْمٌ لذيد في ليالِينَا
نسعى إليه ويسعى في مساعِينَا
وإن يُمسُ فلا تخطيه أيديْنَا
راضُ الفنونَ فلبَّتهُ أفانِينَا
يا فتنةَ الحسنِ قد جار الهوى فيْنَا
ومرمرٍ ناصعٍ باللونِ يسبينَا

أحيا اللواعجَ ماضٍ من أمانِينَا
وكان عهدُ الهوى يا حُسنُ يُضجِكُنَا
ما لي وللحُسنِ لا أمري بمقتبَلِ
ما العيشِ إلا ليالٍ في الهوى سلفت
في نكرها نفحاتُ الحبِّ عاطرة
إن تَنَسَّ لا أنس ليلاَتِ لنا سلفت
يا مَنْ رأى حلْمًا بالحسن مرتديًا
يرنو إلينا فلا وهمٌ ولا خُدَع
حسن تأنق فيه خالقٌ لبق
كأنه صاغكم كيما يحبكم
كأنه صاغكم من عسجِدٍ بهج

فالعيشُ يظمئنا والحسنُ يروينا
فكنتَ في جنّةٍ وردًا ونسرينا
إنَّ القُطوفِ إلى الفردوسِ تشهينا
وَأَنَّ رُؤيتَكم كالشَّهَدِ تشفينا
يكاد يأكلها لحظُ المحبينَا
تعيي ذوي الفنِّ خيرَ الحسنِ يعيينَا
ودميةً بثَّ فيها الحسنُ واللينَا
فصار حسنُك بالأرواحِ مقرونَا
حتى يبيت تقيُّ النفسِ مفتونَا
أنتَ الحبيبُ إلى كلِّ المحبينَا
فأنتَ كعبةُ أرواحِ الملبينَا
بالقلبِ مني قد داويتها حينَا
كالخمرِ تصرعنا حينًا وتحيينَا
سحرِ العيونِ الذي قد باتَ يبلينَا
فالحسنُ يسحرنا والسحرُ يرقينَا
طافَ الغرامُ بها يا حسنِ يسقينَا
وخمرةُ الكرمِ تروينا وتصبينَا
تهفو وللليلِ أذنٌ فيه تبغينَا
فإنما الحبُّ ضربٌ من تَعَنِينَا
حتى كأنَّ سناهُ من تصافينَا
حتى كأنَّ ضياءَ البدرِ وإشينَا
وفوقَ وجهك ضوءُ الحسنِ يُشجِينَا
فغَارَ حتى لكادِ البدرُ يأتينا
وفتّرَ اللحظَ، لحظَ الحسنِ يسبينَا
فعلَّ الحسانِ بسهمِ الحظِّ تصمينَا
يسعى لدينا فنبغيه ويبغينا
يا حُسنُ لولاكَ ما ابيضتْ ليالينا

فجاء حسنُك ريَّ النفسِ ما ظمئت
هل صاعُ من ورقِ الأزهارِ حسنكمُ
أم من قُطوفِ جنى الفردوسِ صاعكمُ
نرى الثمارَ كأنَّ الشَّهَدَ في فمنا
وفيكِ فاكهةُ الأبصارِ يانعةُ
هل أنتَ من فلتاتِ الخلقِ معجزةُ
يا صورةً صاغها ذو الصنعِ متئدًا
وبثَّ فيها معاني الخلدِ أجمعها
تسمو إليك نفوسِ الناسِ كلهمُ
ففيك من كلِّ نفسٍ خيرٌ ما ضمنتُ
تدعو النفوسَ فتأتي غيرَ كارهةٍ
يا حُسنُ كيف سرتَ بي نشوةً لعبت
في بعضِ سكرِ الهوى عن بعضِهِ عوضُ
يا حُسنُ من لي بسحرٍ مثلِ سحرِكُمُ
يا حُسنِ من لي بسحرِ أثقيكَ به
يا حسنِ هل أنتَ ناسٍ ليلةً سلفت
خمرُ الغرامِ وخمرُ الحسنِ تُسكرنا
كأننا نغمَةٌ في الليلِ سارية
كأننا نغمَةٌ بالنفسِ آخذة
ورقٌ فيه أديمُ البدرِ مؤتلقًا
قد باتَ يلحظنا ريبًا ونلحظه
وبتُّ ألحظكم طورًا وألحظه
أبديت أحسنَ منه صفحةً وسنا
وصار يصقلُ وجهًا منه ذا كلفِ
وصار يغمرنا باللحظِ في مهلِ
هيهات يا بدرُ إنَّ الحسنَ أجمعه
يا حُسنُ لا تحسبنَ البدرَ يشغلنا

كيما أضاحك ثغراً منه يلهينا
ولم أدن غير حبي حُسنكم ديناً
سيماً تعزُّ وأوصافاً أفانيناً
لك النفوس ولبَّاك المحبوناً
فمنهل العيش حلو في تدانينا
أظمأتنا من قريض منك يروينا
فإنما الشعرُ الهامُّ يناجيناً
إن شئت زِدْتُكَ منه لو تواتينا!

لم أنس قولي له يوماً أمارحُه
مذ ألف جيل مَضَّتْ قد كنتُ أعرفُكمُ
لا تُخفِ عنا الذي ندري فإنَّ لكم
فأنت أنت إله الحسن كم سجدتُ
جاذبته كفه كي لا يفارقني
وقوله لي في دلٍّ ومعتبةٍ
فصِفْ لنا ليلنا شعراً تَقُلْ عجباً
هذا قليلٌ مقالٍ أنتَ باعته

البطل المنتظر

تناجيه منّا أنفسٌ وضميرُ
أمينٌ على وحي النفوسِ أميرُ
فقد حانَ من ذاك الكمينِ ظهورُ
فذلك سرٌّ في الوجودِ ستيرُ
أمرٌ وقدمًا كان وهو طهورُ
فيترع منه جدولٌ وغديرُ
مريزٌ، وماءُ النابغينِ نَميرُ
يشبُّ لهيباً، والأنامِ قشورُ
ويصبحُ روضُ النفسِ وهو نضيرُ
بشيرٌ لمن يبغي العلى ونذيرُ
فيحمد منهم أسرٌ وأسيرُ
يجدُّ بها نحو العلى ويسيرُ
وللطيرِ من نفسِ العظيمِ وكورُ
أما أن من خلف الغيوبِ سفورُ؟
وليس لها إلا لديكِ نشورُ!
وقولك طبُّ للنفوسِ قديرُ!

عليماً بأسرارِ القلوبِ خبيرُ
فيحكمها حكم المطربِ عوده
وقد كان سرّاً في الطبيعة كامناً
وهل مخبرٌ عن نابغ كيف خلقه
تمرُّ دهورٌ والحياةُ كآجنُ
إلى أن يحلَّ الغيثُ حبوة مائه
كذلك حالُ الناسِ فالناسُ آجنُ
وبارقة تجلو الظلامَ وصاعقُ
فيضطرمُّ القلبُ الذي كان خامداً
لذاك يُرجى بينهم كلُّ حقبيةٍ
ليصبح عزمُ الناسِ وهنا بعزمه
وقد كان مزجُ النفسِ بالنفسِ باعناً
كأنَّ نفوسَ الناسِ طيرٌ تَشَرَّدتُ
فيا ساكناً في الغيب هل أنت مسعدُ
فإن نفوسَ الناسِ قد مات جدُّها
وصارت حياةُ القومِ مزحةً عابثُ

خميلة الحب

وأتلُّ على تلك الرياض تَحِيَّتِي
 وفيها رأيتُ الحسنَ أولَ رُؤْيَةٍ
 نظرتُ فلم أملك على الحبِّ نظرتي
 وزهرة حسنٍ ناضرٍ أيُّ زهرة
 وقد كان قدمًا في سوادِ الدجنة
 هنا كان بدءُ الحبِّ قدمًا ونشوتي
 هنا سَكِرَتِ نفسي غرامًا وجُنَّتِ
 جرعتُ به من خمرةٍ أيُّ خمرة
 جناحُ قطاةٍ في الضلوعِ أَجَنَّتِ
 وكم لي فيها من لقاءٍ ونظرة
 رأى خطرةً من شبهةٍ أيُّ خطرة
 فغنَّى مغني الطير في كلِّ أَيْكَةٍ
 وأنتَ بعيدٌ لستَ تحنو لِلْقِيَّتِي
 ألا خابت النَجوى لدى كلِّ صخرة
 فتُعدي على بعدٍ يروع وغيبَةٍ
 كأنَّ لم يُرِعْ قلبيهما شحطُ غربةٍ
 ويا دعوةً بالليل، يا طول دعوتي!
 وحتى متى يحنو على غير مُنصِتٍ؟
 وبعد مضيٍّ من جمالٍ ونضرة
 لِوَجْهِكَ إِنَّ الحسنَ يُجَلِّي بذكرة
 وحسنك فيه خالدٌ غير مفلتٍ
 وهل نافعي حبي هناك ولوعتي؟
 وأنتَ سحري يا حبيبُ ورُقيتي؟
 وإن كنتُ قد أحببتُ كلَّ محبةٍ
 فتضحك جذلاًنا ببئتي وعبرتي
 فتمسح أجفاني وتُوقِفُ دمعتي

تمهَّلْ رعاكَ اللهُ أَقْضِ لبانتي
 فإني تعلَّمْتُ الهوى في ظلالتها
 تمهَّلْ خليلي في رباها فعندها
 نظرتُ إلى زهرين، زهر نباتها
 هنا قد عرفتُ العيشَ جمًّا ضياؤه
 هنا نالني سحرُ الهوى في نسيمها
 هنا مهَّدُ آمالي، هنا حُلْمُ يقظتي
 هنا قد جرعتُ الحبَّ حتى كأنني
 هنا زادَ هذا القلبُ خفًّا كأنه
 وكم لي فيها من أمانٍ لذيدة
 وناجيتُ فيها كلَّ غصنٍ لعله
 وسألتُ فيها الطيرَ هل مرَّ صنوه
 وناجيتُ فيها كلَّ شادٍ وأعجم
 وهل تنفعُ النَجوى وقلبك صخرة
 نعم يسمع النجوى الذي طاب روحه
 وتُدْني أليفًا من أليفٍ موافقٍ
 فيا دعوةً بالروضِ لم تَلَقْ سامعًا
 إلّا ما يُحبُّ القلبُ من لا يحبه
 لعلك يومًا بعد شحطٍ من الصبا
 ترى في قريضي ما مضى من نضارةٍ
 فإنَّ قريضي جنَّةُ الخلدِ حُسْنُهُ
 فلا تَنَسَّ حبي عندها ولواعجي
 أيرضيك شعري فيك أنك وحيه
 فَمُرني أن أهواك أزددَ مَحَبَّةً
 فإن نعيمًا أن أبثُّك لوعتي
 وإن نعيمًا أن تراني باكيا

أحُبُّكَ أَمْ تَقْرِي الْهَوَى كُلَّ بَغْضَةٍ
مَنْ أَجَلَكَ حَبِّي يَا حَبِيبُ وَمُهَجَّتِي
فَإِنْ تَمَقَّتْ النَّفْسُ الْمَشْوُوقَةَ أَمَقَّتْ
فَأَتَلُو عَلَيْهَا نَغْمَةً أَيَّ نَغْمَةٍ
فَيَسْعُدُ قَلْبِي فِي حَنِينٍ وَأَنَّةٍ
أُعِيدُكَ مِنْ صَدِّ يَرُوعُ وَجَفْوَةٍ
فَأَقْطِفُ مِنْ أَثْمَارِ عَيْشِ جَنِيَّةٍ
وَأَبْصُرُ فِيهِ جَنَّةَ أَيَّ جَنَّةٍ
وَأَنْهَلُهَا مِنْ كَوَثْرِ فَتْرَوْتِ
فَأَيْنَ رَيْبِعُ الْقَلْبِ، يَا طَوْلَ حَسْرَتِي؟!

فيا ليت شعري هل يروقك أنني
فإن تكن الأخرى فإنني مهلك
فإن هلاك الحب حب لكاره
فيا ليت لي من صخر قلبك آله
يئن أنين العود من شجو ضارب
فيا صبوة القلب العفيف وهمه
بك العيش حلو والحياة شهية
وأنهل فيه من رحيق وسلسل
وأنت جنا أنبت الحسن زهرها
وأنت ربيع ليس يخشى انقضاؤه

علالة العيش

أحقُّ ومِلك يُبْتَغَى وَيُرَامُ
خطوب فما يجدي لديه ملام
ولكن أطماع النفوس قوام
أمانني تدعو للكمال عظام؟
سيخرسها مما يُتَّاحُ جِمامُ
وهيهات لا يصبي الرميم مرام
وليس بمن تطوي المنون سام
لأن حاطه بين الأنام ظلام
يبيت ضياء العيش فيه يشام
فهل رائعي أن الخطوب أمام
ويشقيه من وقع الخطوب لمام
وليس لأدواء الكلوم دوام
وإن شب منها في الضلوع ضرام
فلا تنك من ذاقوا الصروف فلاموا

أيا طالباً من عيشه ما يؤده
سفاه سؤال المرء لو قدرت له
ولو شاءت الأقدار لم يشك خطبها
وهل يحمّد الأقدار من كل عيشه
فلا تحزن من ضجة العيش، إنها
لعلك بعد الموت تبغي ضجيجها
ستسكن بعد الموت حتى تملّه
وإن ضياء العيش يزهو رواؤه
ظلام من الأحداث والخطب والردى
وما العيش إلا خمرة أنا شارب
وهل يفرق النشوان من صرف دهره
وما لي لا أرضى وفي الخوف لذة
مغالبة الأخطار سكر ولذة
وقد لا يزيل الهم إلا تعتب

وتُظمي فيروى بالأوام أوامُ
ومن عادةٍ ضيمٌ فليس يضامُ
ويسهلُ بميدان الحياةٍ مقامُ
فليس لحزنٍ ما بقيت دوامُ
وذكرى دموعِ البائسين غمامُ
فللرُمد من لون المنونِ جمامُ
فكلُّ نقيضٍ بالنقيضِ يُشامُ
كما تألف الماء الطهورَ مدامُ
لأنَّ قادننا مما تريد زمامُ
هداه زمامٌ جاذبٌ وخطامُ
قضاءٍ فلا صونٌ لديه يرامُ

وإن صروفَ الدهرِ تأسو جراحها
ومن رحمةِ الأقدارِ كُرُّ خطوبها
فسرُّ في غمار العيشِ تَعْتَدُ خطوبه
ولا تحسبنَّ الحزنَ تبقى قروحه
كأنَّ وجيعَ الحزنِ حلمٌ إذا مضى
وإن شقيتُ بالعيشِ نفسٌ كليله
ولولا الأذى ما نُقِتْ في العيشِ لذه
ولا شرًّا إلا فيه للخيرِ مألِفُ
لقد وَسَعَتْنَا الحادثاتُ إِرَاحَةً
فمن ضلَّ في خرقٍ من العيشِ لبه
وهوَّ وَقَعَ الخطبِ أَنَا ذرائعُ الـ

لص أم أديب

كذاك لصوص الشُّعرِ في مسلكٍ وعرٍ؟
وراكبها من خفة اللصِّ لا يدري
إذا لم تُهَيِّئْهُ النوافخُ للزُّمْرِ
إذا لم تهَيِّئْكَ الأصابعُ بالنَّقْرِ
فربُّ وعيدٍ في التواضعِ والصبرِ
ولو شئتُ لم تُحمد على السُّرِّ والجهرِ
فمَنْ منصفٍ يا قوم من ورمٍ وعرٍ؟
إذا كان مطبوعاً على اللؤمِ والغدرِ
إذا ما غباءً فيه قصَّر عن شعري!

أُتسرَّق من شعري وتقدِّح في شعري
كمن يسرق الدهماءَ من تحت راكبٍ
وإنَّكَ كالمزمارِ أحرَسُ أبْكَمُ
وإنَّكَ كالمزمارِ ما لك منطِقُ
فلا تحسبنَّ الصبرَ في استكانةٍ
خلقتُك من لا شيءٍ لو شئتُ لم تكن
ورمتَ غروراً كنتُ فيك نفثته
وهل يُصلح الإنسانَ لومْ يصيبه
يظن غبياً جهلهُ في سُبَّة

تزاوج النفوس

إِنَّ النّفوسَ لِأَسْرَارٍ مَخْبِئَاتٍ
 وَكُلُّ رُوحٍ عَلَى الْأَيَّامِ مَنْفَرِدٌ
 إِنْ كَانَ رُوحَكَ لَغْرًا أَنْتَ بَاحِثُهُ
 مَجَاهِلَ النّفْسِ هَلْ مِنْ كَاشِفِ فِطْنٍ
 مَجَاهِلَ النّفْسِ هَلْ مِنْ بَاحِثٍ يَقِظُ
 وَالحَبُّ تَكشِفُ بَعْضَ النّفْسِ هَبَّتْهُ
 كَأَنَّمَا النّفْسُ تَبْدُو خَلْفَ كَلْتِهِ
 لِلنّفْسِ بِالنّفْسِ تَلْقِيحٌ يَطِيبُهَا
 وَفِي النّفُوسِ دَرُوعٌ لِلنّفُوسِ فَلَا
 أَهْوَتْ إِلَى النّفْسِ نَفْسٌ تَبْتَغِي سَكَنًا
 يُولِّدُ الحَبُّ نَفْسًا غَيْرَ مَا ضَمْنَا
 وَكُلُّ قَلْبٍ يَعْيشُ الدَّهْرَ مَنْفَرِدًا
 وَالحَبُّ كَالنَّارِ زَانَ النّفْسِ صَيْقَلُهُ
 كَمْ خَائِفٍ جَاءَهُ مِنْ حَيْثُ يَدْفَعُهُ
 الخلدُ فِي وَحْشَةٍ كَالْمَوْتِ نَجْنِبُهُ
 لَا يُبْتَغَى الخلدُ إِلَّا وَالهوى سَكَنٌ
 وَيَبْتَغِي المرءُ وَرْدًا فِي الهوى أَبَدًا
 وَالنّفْسُ لِلنّفْسِ رَوْحٌ طَابَ عَرَسُهُمَا
 مِنْ لِي بِنَفْسٍ أَرَى نَفْسِي بِهَا مُزَجَّتْ
 وَالنّفْسُ فِي عَيْشِهَا شَتَى مَنَافِذِهَا
 وَالحَبُّ فِي النَّاسِ ذَنْبٌ لَا اغْتِفَارَ لَهُ
 يَثِيرُ فِي النّفْسِ مَا قَدْ كَانَ ذَا سِنَةِ
 وَالحَبُّ كَالنَّهْرِ يُغْرِي الرُّوحَ رَوْنَقَهُ
 وَالنّفْسُ كَالرِّكْبِ فِي الصَّحْرَاءِ سِيرَتِهَا
 هَذِي العِظَامُ عَلَى الصَّحْرَاءِ قَدْ نَخَرَتْ
 وَرَبُّ نَفْسَيْنِ مِثْلَ اللَّجَّتَيْنِ إِذَا

فَكُلُّ رُوحٍ عَنِ الْأَدْنَيْنِ مَسْتَتِرٌ
 إِنَّ النّفُوسَ لَدَى أَسْرَارِهَا جُرُورٌ
 فَكَيْفَ تَعْرِفُ نَفْسًا دَابَّهَا الحِذْرُ
 لَقَدْ بَعَدَتْ فَلَا رَكْبَ وَلَا سَفْرُ
 طَالَ التَّسَاوُلُ لَا رَاوٍ وَلَا خَبْرُ
 وَأَكْثَرُ النّفْسِ كَنْزٌ صَانَهُ المَدْرُ
 سَحَابَةُ الصَّيْفِ فِيهَا البَدْرُ يَسْتَتِرُ
 كَمَا يَلْقَحُ فِي بَسْتَانِهِ الشَّجَرُ
 تَرْقَى إِلَى كَيْدِهَا الأَقْدَارُ وَالعِغْرُ
 حَتَّى تَطَايَرَ مِنْ حُبِّيهِمَا الشَّرُّ
 فَالوَامِقُونَ بِمَا قَدْ عَالَجُوا كَثُرُوا
 كَالبَيْدِ وَالبَيْدُ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرُ
 وَالحَبُّ كَالنَّارِ لَا يُبْقِي وَلَا يَذُرُ
 خَوْفًا وَكَمْ حَازِرٍ لَمْ يُجِدِهِ الحِذْرُ
 فَكُلُّ رُوحٍ إِلَى الأرواحِ مُفْتَقِرٌ
 فَالخدُّ لَوْلَا الهوى الزَّقُومُ وَالصَّبْرُ
 وَقَلْبُهُ جَاهِلٌ لَمْ يَدْرِ مَا الصَّدْرُ
 وَمَهْرُهَا الحَبُّ لَا يَغْلُو لَهَا المَهْرُ
 كَمَا تَمَازَجُ فِي وَدْيَانِهَا العُدْرُ
 مِنْهَا القَلُوبُ وَمِنْهَا السَّمْعُ وَالبَصْرُ
 لَكِنَّهُ فِي صَمِيمِ النّفْسِ مَغْتَفَرُ
 تَبْدُو اللَّكَلِي وَيَبْدُو مَاوْهَا العَكِرُ
 رُوحَ المَحَبِّ بِهِ عَرِيَانٌ مَنحَسَرُ
 تَمْضِي الشَّجُونُ وَيَبْقَى بَعْدَهَا الأَثْرُ
 وَالحَبُّ آثَارُهُ الأَمَالُ وَالدَّكْرُ
 تَهَاوَتَا نَحْوَ شَطِّ اليَمِّ يُبْتَدَرُ

وَدُّ كَمَا ضَمَّ قَطَرَ الْمَزْنَةِ الزَّهْرُ
أَمَالَهَا أَمَلٌ أَوْطَارُهَا وَطَرُ
كَمَا يَدِين لَصَدْعِ اللُّجَّةِ الْحَجْرُ
شَطْرَيْنِ وَالنَّفْسُ دُونَ النَّفْسِ تَنْشَطُرُ
صَدْعُ الزَّمَانِ وَسَوْءُ الظَّنِّ وَالضَّجْرُ
تَدُورُ حَوْلَ النُّجُومِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
بَحْرُ النَّفُوسِ وَمِنَهَا الْعُشْبُ وَالذُّرُّ
وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُنْتَشِرُ

أَوْ مِثْلَ قَطْرِ الْحَيَا قَدْ ضَمَّ شَمَلَهُمَا
تَسَرَّيْتُ أَنْفُسُ فِي أَنْفُسٍ فَمَضَتْ
وَرُبَّ نَفْسَيْنِ حَالَ الدَّهْرِ بَيْنَهُمَا
كَصَخْرَةٍ هَدَّ مِنْهَا الْيَمُّ فَانْشَطَرَتْ
وَإِنَّ أَوْجَعَ مَا تُمْنَى النَّفُوسُ بِهِ
وَلِلنَّفُوسِ مَطَافُ بِالنَّفُوسِ كَمَا
وَالدَّهْرُ لِلنَّفْسِ بَحْرٌ زَاخِرٌ أَبَدًا
فَمَا تَأَلَّفَ مِنْهَا فَهُوَ مُنْتَظَمٌ

عيش الأدياء

فَالنَّحْسُ رَهْنٌ مَعِيشَةِ الْأَدْبَاءِ
وَنَعِمَتْ فِي حَرِّ مِنَ الْأَرْزَاءِ
وَيَسْعُرُ النَّيْرَانَ فِي الْأَحْشَاءِ
فَالشَّعْرُ يَأْكُلُ جَدَّةَ الْأَحْيَاءِ
وَأَرْفُقُ بِنَفْسِكَ إِنَّهُ كَالدَّاءِ
مِثْلَ التَّمَاعِ الْأَلِّ فِي الصَّحْرَاءِ
إِلَّا أَمْرُ مَا كَانَ فِي الشَّعْرَاءِ
وَالنَّحْلُ لَصُ الرُّوْضَةِ الْغَنَاءِ
فَحَلُومُهُمْ رَهْنٌ لَدَى الْعَلِيَاءِ
كَالنَّارِ تَذْكِي الْعُودَ بِالْإِصْلَاءِ
شَيْمَ الْمَلُوكِ وَحَالَةَ الْفُقَرَاءِ
فَتَعَثَرُوا بِمَعَاوِلِ الْغُبْرَاءِ
مَهْدُ الرِّدَى وَقَرَارَةُ الْأَدْوَاءِ
تَنْمُو عَلَى الْإِسْرَافِ وَالْإِمْضَاءِ
مَنْ ذَا يُعِينُ نِكَاهَهُ بِذَكَاءِ
وَرَمَاهُ حَيْثُ تَنَازَعُ الْأَهْوَاءِ

أَخْشَى عَلَيْكَ مِصَارِعَ الْأَدْبَاءِ
لَا بَلَّ وُقِيَتْ مِنَ الصَّرُوفِ وَعَدْرُهَا
فَالشَّعْرُ يَنْفُتُ فِي ذَوِيهِ سُمُومَهُ
لَا تَنْحَتَنَّ مِنَ الْفُؤَادِ قَاصِدِهِ
وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ سَاعَةً مِنْ لَهْوِهِ
وَالصَّيْتُ وَهُمْ فِي الْحَيَاةِ مَخَادِعُ
هَيْهَاتَ مَا هَجَرَ الْقَرِيضَ مَطَاوِعًا
يَتَهَافَتُونَ عَلَى الْمَحَاسِنِ كُلِّهَا
ذَهَبُ الْخِيَالِ بِحَزْمِهِمْ وَحُلُومِهِمْ
يَسْتَخْلَصُ الْأَلْمُ الْوَجِيعُ نَضَارَهُمْ
فَإِذَا حَبَّرْتَهُمْ وَجَدْتَ لَدَيْهِمْ
لَفَتَتْ دَرَارِي النُّجُومِ عِيُونَهُمْ
فَتَبَّوْا بِلذَاتِ الْحَيَاةِ فَعَيْشُهُمْ
يَا وَيْحَ مَنْ حَسَبَ الْحَيَاةَ نَخِيرَةً
فَمَخِيَّبٌ مَحَتِ الْعَقَارُ نِكَاءَهُ
وَأَخُو هَوَى فِتْكَ الْغَرَامِ بَلْبَهُ

لا عزمَ يهدي في المسالك خطوه متواضعون فإن ألمت ذلّة
ويرونَ وحى الشّعيرِ فرضاً واجباً وكأنّ فيه غذاءهم وشرابهم
بل ليت في نشقِ الهوائِ غذاءهم إن الذي حلّى الحياةَ بشعره
عرفوا الحياةَ نعيمها وشقاءها جرعوا الحياةَ وليس يسأرُ جارِعُ
كم مات منهم حاملٌ ذو شقوة فاحذر مصارعهم ولا يكُ عيشهم
وإذا استطعتَ فداوِ نفسك وانتبذْ كالذرِّ دان لعصفةِ الهوجاءِ
ألقيتَهُم في منزلِ الجوزاءِ فرض يئود وليُّه بأداءِ
يا ليتهم لم يُخلَقوا لغذاءِ وشرابهم من خمرةِ الأضواءِ
أحرى بحلّي محاسنِ النعماءِ فمضوا بكلِّ لذائذِ وشقاءِ
منهم فإن ماتوا فموتَ ظمأِ عيش الأديب وموته كالداءِ
عدوى تجيء بشقوةٍ وعناءِ خلق الأديب وخلة الأديب

إلى المجهول

مقدمة

الولوع بالمجهول من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون. والشغف باستطلاعهِ وكشفه هو الذي أخرج الإنسان من المعيشة في الكهوف، ومن حضارة العصر الحجري من عصور الحضارة، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة؛ فأخذ يبحث تلك المظاهر ... وهو الذي أدى إلى كشف القارات والبحار، وزاد علمه بالسماء، وعلمه ركوب الهواء في الطائرات، حتى طمع في الوصول إلى الأفلاك. وذلك الولوع بالمجهول هو الذي جعله يخترع مخترعات الحضارة التي زادت حياته بهاء ومرتعة وراحة ولذة، وجعله يجد لذة حتى في ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك، في أثناء بحثه المجهول من أمور الحياة والكون.

والولوع بالمجهول هو الذي أدى إلى سيطرة الأمم القوية التي تمكّنت من كشف المخترعات التي زادت قوتها واستعلاء. وإذا بحثت عما يميز أبناء الدول القوية التي تمتعت بالثروة والسطوة والعلم والحضارة، عن أبناء الأمم المتأخرة التي لا تزال تعيش في الكهوف أو الغابات، أو في المدن، أو الأحياء المتهدمة القديمة الفقيرة، المربوطة

بالأسقام والأقدار، المغلوبة على أمرها، لرأيت أن صفة النفس التي مَيَّزَتْ أبناء الشعوب القوية السعيدة المسطيرة على الحياة والناس، هي الصفة التي تجعلهم يجدون لذَّتَهُمْ في كشف مغاليق المجهول من أمور الحياة، والأمة التي تريد أن تعلو وأن تأخذ مكانتها تحت الشمس، ينبغي أن تهَيِّئَ لأبنائها نوعاً من التربية والتعليم يبيث في نفوسهم حُبَّ استطلاع المجهول وكشف مغاليقه. أما التعليم الذي لا يَبِيْثُ هذه الصفة في النفوس، فهو تعليم لا يليق إلا بالذين يجدون لذتهم في حياة الخمول من المألوف الذي أصبح كالمخدرات. وكلما كان فقدان صفة حب استطلاع المجهول من النفوس أوضح وأظهر من أجل المؤثرات التاريخية المذلة المؤخرة، كان ذلك أدعى إلى إصلاح نظم التعليم، وإلى اتخاذ التربية التي تزيل هذه المؤثرات. والمراد بهذه القصيدة الدعوة إلى بث صفة حب استطلاع المجهول في نفوس النشء؛ لأن نفوس النشء تحب الاستطلاع الغريب والمجهول بطبيعتها. وترى لذاتها في ذلك قبل أن تُعَلِّمَهَا التقاليد والأوضاع الخمول والقنوع بالمألوف. ومن الخطأ أن يَظُنَّ أحد أن عاطفة الشغف بالمجهول لا تُنَمِّي بالتربية، وأنها قوة طبيعية في الأمم القوية فحسب ... لا ... بل إن أسلوب التربية والتعليم قد يُقَوِّي هذه العاطفة التي هي أساس الرقي العلمي والاجتماعي الصحيح، وهذا الأسلوب من التربية ألزم في الأمم الضعيفة لشدة احتياجها إليه.

الخطاب موجّه إلى المجهول

وَمَهْمَهُ لست أدري ما أقاصيه
وَحَوْلِي الكونُ لم تُدركُ مجاليه
لعلَّ فيه ضياءُ الحقِّ يُبديهِ
خَابَ الغريبُ الذي يرجو مُقاصيه
وتكشفُ السُّتْرَ عن خافي مساعيه
فابسطُ يديكَ وأطلقُ من أغانيهِ
عند اللُّبیبِ ولا تبدو أعاليهِ
شوقًا إليك وقلبي فيه ما فيه
يأبى لي العيش لم تُدركُ معانيهِ
قد استوى فيك قاصيه ودانيهِ

يحوطني منك بحرٌ لستُ أعرفه
أقضي حياتي بنفسٍ لستُ أعرفها
يا ليتَ لي نظرةٌ في الغيبِ تسعدني
أخالُ أنِّي غريبٌ وهو لي وَطَنُ
أو ليتَ لي خطوةٌ تدحو مجاهلهُ
كأنَّ رُوحِي عودٌ أنتَ تُحكِمُهُ
والروحُ كالكونِ لا تبدو أسافلُهُ
وأكبرُ الظنِّ أنِّي هالكٌ أبدًا
من حسرةٍ وإبائه لستُ أملكه
وأنتَ في الكونِ من قاصٍ ومقترِبٍ

المرءُ يسعى ولُغزُ العيشِ يَدْمِيهِ
 وربَّ مُطَلَّبٍ قد خابَ باغِيهِ
 كنتُ ادَّرَيْتُ بسهمِ القوسِ أرمِيهِ
 لكانَ لي منه سهمٌ صالَ رامِيهِ
 ورامي السَّهْمِ قد خابتَ مرامِيهِ
 رضًا بجهلِ ذليلِ اللَّبِّ يُرضِيهِ
 وطار طائرٌ لُبٌّ في مراقِيهِ
 ولا الصواعقُ والأرواحُ تَنُنِيهِ
 مثلَ العيونِ علاها منك داجِيهِ
 تكاد تسمع منه صوتَ طامِيهِ
 أدحو بها الكونَ تبدو لي خوافيهِ
 ولا السموُّ إلى حقِّ بمكروهِ
 قد يحمد المرءُ ماءً ليس يرويهِ
 موتَ فإنَّ خضوعَ اللَّبِّ يُزِدِيهِ
 إلى الغرائبِ ممَّا عزَّ سامِيهِ
 تجارب المرءِ تُدْمِيهِ وتُعْلِيهِ
 لم يُسلِّ قلبي أن غابت أمانِيهِ
 يدنو بما أنا طولَ العمرِ أبغِيهِ
 وأفهم العيشَ تستهوي بواديهِ

كَأَنَّنِي منك في نابٍ لمفترِسِ
 كم تجعل العقلَ طفلاً حارِ حائرُهُ
 لو النَّبَالُ نبالُ القوسِ مُضْمِيَّةُ
 أو كان للسحرِ سهمٌ نافذٌ أبداً
 يا مُصَلَّتِ السَّيْفِ قد فُلَّتْ مضاربه
 قلبي يحدثني أن لا يليق به
 قد ثارَ ثائرٌ نفسٍ عزَّ مُطَلَّبُهَا
 كالنَّسرِ لا حاجبٌ للشمسِ يحرقه
 وأنتِ كاللَّيْلِ والأفهامِ حائرة
 ليل مهيبِ كليلِ البحرِ حنْدِسُهُ
 فليت لي فكرة كالكونِ واسعة
 ليس الطموحُ إلى المجهولِ من سفهِ
 إن لم أُنلْ منه ما أروي الغليل به
 والقانعون بما قد دانَ عيشُهُمْ
 يا قلبُ يهنيك نبضُ كُلِّ حُرِّقِ
 فالعيشُ حُبٌّ لما استعصت مسالكه
 كم ليلةٍ بئتها ولَهانَ ذا أملٍ
 لعلَّ خاطرَ فِكْرٍ طارقي عرضاً
 يوضح الغامضَ المستور عن فطنٍ

إلى ماضٍ من العمر

يَ ما ألقاه من دهري
 يَ في ماضٍ من العمرِ
 أقاد إليه بالإثرِ
 سبيلُ المسلكِ الوعرِ
 وظلُّ بحَفَقِهِ يجري

شكا قلبي إلى يَوْمِ
 وقال: لقد تركت هوا
 فدعني أقتفيه عسى
 وإنَّ سبيلَ ما يمضي
 فراحَ القلبُ ولهاناً

إلى ماضٍ من العمر!

فقال اليوم يا قلبُ عَلَامَ تروغ من أسري؟
وما لك غير ساعتك الـ تتي تلاقك في الدهرِ
لِأَمْسِكَ قلبك الماضي وما للأمس من كُرِّ
لقد جَشَّمَتَ نفسَكَ ما عييت به من الضرِّ
غدوت تقاد بالذُّكْرِ وفي التذكارِ ما يغري

بما قد فات من عمر!

فيا ماضي دَعِ قلبي فما لي عنه من صبرِ
وإنَّكَ قبرٌ آمالي فهل لي فيك من قبر؟
فأه لو يجول المر ءُ فيما شاء من دهرِ
لطار القلبُ كالعصفو ر عافَ تريثَ السَّيرِ
وحنَّ لروضه النضيرِ وما آواه من وكرِ

لدى ماضٍ من العمر!

إلى الريح

يا ريحُ هَيَّجَتِ قلبًا شَجَّوه واري
يا ريحُ رفقًا بقلبٍ هجت لوعته
كم قد نسيت شجونًا نارها خمدت
يا ريحُ أيُّ زئيرٍ فيك يُفزعُني
يا ريحُ أيُّ أنينٍ حنَّ سامعه
يا ريحُ ما لك بين الخلقِ موحشة
أم أنتِ ثكلى أصاب الموتُ واحدها
يا ريحُ ما لك من إلفٍ فُجعت به
يا ريحُ كم لك من نفعٍ يجيء به
وهبةً منك تحيي النفس من عرض
يا ريحُ فيك جنونُ النفسِ يفزعني

كما تَهيجينَ عودَ الغابِ بالنارِ
يا ريحُ أفشيت أشجاني وأسراري
فهجت قلبي بإغراءٍ وإنكارِ
كما يروع زئيرُ الفاتكِ الضاري
فهل بليت بِفَقْدِ الصَّحبِ والجارِ؟
مثل الغريب غريب الأهل والدار!
تظلُّ تبغي يدَ الأقدارِ بالثارِ؟
مثلي ولا لك آمالي وأوطاري
حدو السحابِ بصوبٍ منه مدارِ
بنفحةٍ من شذى الأزهارِ معطارِ
إذا سطوتُ بعصفٍ منك إعصارِ

يطهّر الكونَ من شرٍّ وأشرارٍ
نسمُ الرياحِ على زهرٍ وأثمارِ
الكونِ بيتي وما أهفو به داري
تجري الرياحُ بأحكامٍ ومقدارِ
كما أطيّر إلى أفنانِ أشجارِ
وتحملين أغاريدي وأشعاري
أما تقرين في روضٍ وأوكارٍ؟
قد خان نفسي أحبابي وأنصاري
في جحفلٍ من جنودِ الريحِ جرّارِ
شكوى الضعيفِ لبادي البطشِ مغوارِ
فما حُنوّي لقاسي القلبِ جبارِ
ولا تنوحين من صولاتِ أقدارِ
فليت مثلكِ إيرادي وإصداري

يا ليت نفسي ريحٌ لفتحٍ لافحها
وتنشر الخيرَ نثرَ البذرِ يحمله
أو ليت لي فيك نفساً حرةً أبداً
هيهات ما لك فيما شئتُ مُنطلق
أو ليت أنّ جناحاً منك يسعدني
فأنشد الشعرَ كالغريدِ في فننِ
يا ريحُ هل أنتِ طيرٌ طائرٌ أبداً
يا ريحُ يا صنو نفسِ طالما شقيتُ
فليتها ملكٌ في الجوِّ دولتهُ
أشكو إليك همومَ العيشِ قاطبةً
يا ريح ما لك من عطفٍ ولا مقّة
لا تسألين عن الحادي وحكمته
وليس يعنك لا سُؤلٌ ولا سببٌ

طيف الجنون

وأكثرُ من تلاحظها وأطيلُ
وهيهات ما لي من هواك بديلُ
تجسّم حتى ما يكادُ يزولُ
ويسمعُ ما أشدو به ويقولُ
سُلوّاً تصدّى دونه فيحولُ
فما لي إلى وجهِ الخلاصِ سبيلُ
وأرجو مُجيراً في المماتِ يغولُ
وقد كنتُ لا يقوى عليّ غليلُ
فإنّ عزيزَ العاشقينِ ذليلُ
إذا تَلِفَتْ نفسي لديك عويلُ
فعزمي شريد في هواك ضئيلُ

أقلّبُ طرفي في وجوهِ كثيرةٍ
وأبغي بديلاً من هواك يتاح لي
وكيف وعندي من خيالك حارسُ
فيهمسُ في أذني ويسري بخاطري
ويشغلني عمّا سواه فإنِ أُرِدُ
كأنّي أسيرُ وهو في السجنِ حارسُ
وأفزعُ حتى تشعرَ النفسُ جنةً
وأعجبُ من أمري وكيف عَشَقْتُمْ
وأرخصني حبيك من طولِ هجرةٍ
فأبكي على نفسي وليس بنافعي
وأبكي على العزمِ الذي أنا ناشدُ

وقد صُمَّ عزمٍ من هواك قتيلٌ؟
وإنِّي في حرِّ الغرامِ أقيلاً
جُنْتُتُ فهل يبكي عليَّ خليلٌ؟
وخبل أليمٌ في الفؤادِ دخیلٌ
وأصبحَ في أفقِ السَّماءِ يَجولُ
فأنتَ قَطوعُ والخيالِ وَصُولُ
يُليحُ بحسنِ منكمُ ويصُولُ
فطيفُك لي ظلٌّ لديّ ظليلٌ
طبيبٌ وقلبي من هواك عليلٌ
فحبُّك داءٌ للضلوعِ أكلُ؟

أُناديه هل من سلوةٍ فتريحني
فيا جَنَّةَ العُشاقِ ظلُّك وارفِ
لئن لم يُرحني الطيفُ منه بهجرةٍ
فإنَّ اقترابَ الطيفِ سخرٌ وشقوةٍ
تملِّكُ أرضي رحبها وفضاءها
ويسخر بي طوراً وطوراً يهشُّ لي
وأحسب شيطاناً من الجنِّ أتمَّما
وكيف يفرُّ المرءُ من ظلِّ جسمه
وأستعطفُ النسيانَ في الحبِّ إنَّه
فمن لي بكأسٍ منه تمحو لواعجي

المموه

ووغدُ صيال اللئامِ بالتهمِ
أودتُ بما يخلقونه شيمي
لُبُّ بنفيسِ شنعاءِ كالظلمِ
في راجحِ العقلِ ساقطِ الهممِ
يكبحُ شين الخصالِ باللجمِ
سَتُّمٌ وبيغي الخليلِ بالألمِ
وهو كَنابٌ مخضَّبٌ بدمِ
هيهات ما كان ذاك من عَظَمِ
طاكِ علاءِ فالذنبُ للقسَمِ
هيهات ليس الحضيضُ كالعلمِ
كلُّ امرئٍ قادرٌ على التهمِ
حتى تباهي بالهَجْرِ في الكَلِمِ
فما رعى لي فضيلةَ الكرمِ
يا خبُّ، ماذا تلذُّ في ألمي؟

شهادة للكريم يبغضه أَلُ
ولستُ أخشى زورَ المقالِ إذا
يحننني المرءُ ذو الفطانةِ والـ
قد تسفلُ النفسُ والحجى صعِدُ
وأنت لا فطنة ولا أدبُ
إن أخا اللؤمِ ينتشي بأذى الـ
يغالط الناسَ عن مقابحه
يحسبُ خفضي لشأنه عِظَمًا
لستُ ملومًا إذا علوتُ وأخُـ
يحسبُ قدرِي رهناً بسببته
هيهات ما سبة الحقيِرِ أدنى
وليس قولُ السبابِ معجزةٌ
وغادرٌ قد غفرتُ زلته
وعادَ يبغي بشتمه ألمي

ويوهم الناس أنه مَلَكٌ
بحسبُ رأي الأنام نهبه خدٌّ
يزعمُ ما سطرَّ الورى كذبًا
بل في ادعاءِ اللبيبِ إن خدع الـ
يحوكُ من نسجِ كذبه كفنًا
أو عنكبوتِ زميمةٍ سكنتُ
الكِذْبُ أحبولةٌ يصاد بها الـ
لتقضمُ البنانَ من ندمٍ
والشرُّ قد تجتويه من ندمٍ
لا يندم المرءُ نفسه خبيثُ
تحملُ الناسُ وزرها أبدًا
وأُنني لست راعيَ الذمِّ
اع وأنَّ الصوابَ كالحُلْمِ
والفضل والنقص ليس في الشيمِ
نَاسٌ جميعًا بباطلِ الكَلِمِ
للنفس، والنفسُ منه كالرَمِ
بيتًا من الكِذْبِ حيكٌ في الظلمِ
عقاصٍ فيها عدلٌ من النقمِ
لو كنت تدري فضيلةَ الندمِ
يدعو نفوسًا لأحسنِ الشيمِ
فأنكرت خُبثَها من السَّقَمِ
وذاك يغري بزلةِ القدمِ

شِقْوَةُ العيش

حياتي! أَمَا لِلنحسِ حَدٌّ وَلَا مَدَى
فإني كرهت العيشَ في أولِ الصُّبَا!
حياتي! إِنَّ الجِسمَ يبلى ودونه
فؤادٌ شجيٌّ ليس يدركه البلى
إِلَّامَ حياتي أذرف الدمعَ حَسْرَةً
ولا ينفع المحزون أن رددَ البكا
وبين ضلوعي للتصبرِ لوعةٌ
تَحْمَلُنِي ما لا أطيق من الأسى
وحتى متى أبلو نفوسًا ضئيلةً
أبين لها ودِّي فتبدي لي القلى؟
وحتى متى يبغون ضرِّي وشقوتي
وما لي لو خيرتُ في الناسِ من عدى؟
يهيجون أقدارَ النفوسِ بشرُّهم
فما يقنعون الدهرَ مني بالصفَا

فيكدرُ ماءُ العيشِ والعيشُ منهلٌ
إذا ما طفا من كدرِ الشرِّ ما طفا
وليس لهم نفعٌ يرجون نيله
إذا ما كوى قلبي من الهمِّ ما كوى
كأنَّ عذابَ المرءِ للمرءِ ضحكةٌ
فقد أُغرمَ الإنسانُ بالشرِّ والأذى
ينالون من قلبي بنايٍ ومخلبٍ
وما راعهم أن خضَّبوا القلبَ بالدما
كأنني ربيبُ النحسِ ليس يجوزني
فيا شرُّ ما راعٍ يجور إذا رعى
إذا كان في نحسِ الفتى شرفٌ له
فما لي لم أشبع من المجد والعلأ؟
يقولون بؤس العيشِ نيل لصابرٍ
فلا مجدٍ إلا في ذوي النحس والشقا
فإن كان في هذا العذاب مهذبٌ
فأغدق على راجيه يا عيشُ ما رجا
حياتي! أعفوا جئت أم عمْد عامدٍ
قضى من صروفِ الدهر في الخلقِ ما قضى
ولو أنني كالنَّاسِ لؤمًا وغلظةً
جريتُ على شرعِ الزمانِ كما جرى
فيا موتُ أقبِلْ لا كإقبالِ رائعٍ
مريـرٍ كطعمِ العيشِ يؤلم من حسا
ولكن كترنيقِ النَّعاسِ بمقلَّةٍ
طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلا
وكن لي على الأحزان عونًا ورحمةً
فما نافعي في العيشِ لومٌ ولا رضا
وما طلبني للموتِ تَطْلَابِ كاذبٍ
رأى الموتِ ينحوه فأبكاها ما رأى

الخطرات

فإنَّ حياتي غلَّةٌ رِيُّها الردى
وخيرُ شرابِ المرءِ ما نقعَ الظُّمأ
فتخمد نارٌ كان جمًّا ضرامها
إذا ما خبا من لوعةِ العيشِ ما خبا
فيا قلبُ كن في الصدرِ كالميتِ واسترِخْ
كفى من مريزِ العيشِ يا قلبُ ما مضى
لعلك إن نهنهت يا قلب رغبةً
وعفتَ طمأحِ العيشِ يدركك الردى
فيا ليت أن المرءَ إمَّا دعا الردى
أتاه فلا نحسُّ يروع ولا أسى
أما يصطفيني الدهرُ إلا لحسرةٍ
فهلا اصطفى لي عيشةً غير ما اصطفى
ويشعل في قلبي جحيماً، وناسه
شياطين، فيه تضرم الهمَّ والجوى
أدأريهمُ جهدي وما ذاك نافعي
وأمنح منهم مُدَّعي الفهم ما ادعى
فأصبحت أخشى الناس في كل خطرةٍ
وأفرق من داعي المودة إن دعا
ومن شقوةِ الإنسان أن حار لبه
وأصبح خفاق الأضالع والحشى
كأنِّي بين الناس من أهل عالمٍ
جديدٍ غريبٍ أخطأ الأهل والحمى
فما لي من عطفٍ لديهم ورحمة
ولا لي فيهم من إخاءٍ ولا هوى
يعيبون نفسي ضلَّةً وجهالة
ويرمونني بالسوءِ والمكرِ والخنى
إذا ما أراد المرءُ إخفاء عيبه
رمى غَيْرَهُ بالعيب لم يغدُ من رمى

وما قوميَ القومَ الذين أراهمُ
ألا إن قومي في البعيد من الدنى
كأنَّ حياةَ الناسِ ضجَّةٌ أخرق
وعيشيَ فيهم نعمة البؤس والأسى
وأوجع ما لاقيت جاه مصدق
كأن ثيابَ الجاه خيَّطت من الحجى
يخال ذووها في كمالٍ وعفةٍ
وتحت ثيابِ الجاه ما شئت من خنى
يصدق رأيَ الجمعِ والجمعِ ظالم
ويحقر رأيَ الفرد ريان من نهى
بذا قضت الأخلاق ما بين أهلها
وما تنفع الشكوى إلا خاب من شكا!
وكم من جموعٍ ليس تعدل واحدًا
فإن ظلام الجهل في الناس كالعمى
فيا شقوة الأيام هل منك مهربُ
فأعدو وهل ينجو من النحس مَنْ عدا؟
كأنَّ همومَ المرءِ ننبُ مراوغ
فيا بؤس مقتولٍ ويا بؤس من نجا
وبعض دواعي العقل حربٌ لبعضها
فلا يعرف الإنسان في العيش من دعا
أليس الحجى والحقُّ لغزًا ومجهلاً
فهل سعد الإنسان بالعقل واهتدى؟

أمل ميت

وإنك في قلبي حبيبٌ مبجلٌ
 فحظُّك من حبي فؤادٌ ومقولٌ
 وعرضتُ نفسي للذي ليس يجملُ
 وشوقني الودَّ الأغرُّ المحجلُ
 وحتّامَ أدوي في ثراكِ وأذبلُ؟
 وتترك قلبي والهّا يتململُ
 فأصبحتُ أبكي إن زكرتُ وأعولُ
 جزاؤك عندي نعم ما أتبدلُ
 لأعترَّ بالأمال لولا التعلُّلُ
 فأخراجه بالمرءِ أحرى وأمثُلُ
 وفي اليأسِ ما يلقي الفتى حيثُ يأملُ
 لهم عزيمةٌ في كلِّ يومٍ تقلقلُ
 فلا العهدُ محفوظًا ولا القولُ يفعلُ

لحُبُّك من عمري أخيرٌ وأولُ
 قصرتُ عليك الأنفسين محبةً
 وإن كنتُ قد قطعتُ قلبي صبايةً
 وذكّرتني العهد القديم الذي مضى
 فحتّامَ أرجو منك ما ليس واقعًا
 سفاهةً أحلامٍ تغرُّ وتنثني
 وبشّرتُ نفسي منك بالسعد والمُنَى
 خذ اليأسَ مني مدحةً لك إنه
 لفظتُ الأمانى كالْبُصاقِ ولم أكن
 هو الرغبُ مثل الريقِ إن ساءَ طعمُهُ
 ولكن يأسَ الحبِّ حبٌّ وذكره
 وهل أنت إلا كالأنام وحالهم
 يريدون أمرًا طرفه ثم غيره

التفاهم في الحب

فأخو الملام كثيرةٌ تُهمُّه
 نُو نحو قلبٍ هانٍ فيك دمه
 وهواك دون القلبِ مضطرمُّه
 لا عيشه تدري ولا عدمه
 ضاعت لديك من الهوى ذممه
 أعني ولا محموده كليمه
 لبٌّ ولا حسنتُ بكم شيمه
 وجوى المحبِّ مشفعٌ قسّمه
 تبدُّ لديك من الهوى حكّمه
 قلبي فتخصب قلبكم ديمه

إن خبّروك بسلوّة كذبًا
 ولقد رأوك على جفائك تحّ
 فتحدثوا أني استعضت هوى
 ساموك نسيانًا لذي سقم
 إن كنت أنت وأنت ذو فظن
 أضمنصفي من ليس يفهم ما
 أضمنصفي من ليس مثلك في
 أقسمتُ بالأشواقِ نحوكم
 فانظر إلى روجي وروجكم
 فلقد خلقتكم كي يحبكم

والحبُّ يخصبُ قلبَ صاحبه
قلبي على الهجرانِ ذو أملٍ
بيني وبينك حاجبٌ فمتى
ومتى أحققُ فيكمُ حلمي
ولقد عشقتُ فما عشقتُ سدى
حَتَّى يفيضَ على الورى كرمُهُ
إِنَّ الرجاءَ محبَّبٌ حُلْمُهُ
تنجأبُ عنا في الهوى ظَلْمُهُ
ويطيبُ من شجنِ الهوى نَعْمُهُ
إِنَّ الغرامَ كثيرةٌ نَعْمُهُ

ملك القلوب

حجبوكَ عن طرفي وأنت سميْرُهُ
فوحقُّ حسنِكَ وهو خيرُ أليّةِ
ووحقُّ حسنِكَ ما انتفعتُ بعيشةِ
كالليلِ، والبحرِ الخضمِّ، وصرصرِ
ظَلْمٌ على لجاجِ تجيِّءٍ وتتنثني
يا أيُّها المَلِكُ البعيدِ بوْدُهُ
القلبُ فوضى وهو مُلكٌ واسعٌ
فأرفقُ بملكك في فؤادي واحتكمُ
والحبُّ خرُقٌ والوفاءُ سرابه
والحبُّ كأسٌ قد شربتُ عقارَهُ
أوما أويتَ لعاشقٍ مُتَعَبِّدٍ
إن كنتَ أنتَ مع الزمانِ عدوهُ
والشعرُ مثلُ الروضِ باكره الحيا
وبعثتُ قلبي قاطفًا من روضه
فجنيتُ من ثمرِ القريضِ أطايبًا
هذي قصائدِي التي يُزهى بها
زهبُ الوفاءِ فلا حبيبٌ صفوه
وَنَفَوُكَ عن قلبي وأنتَ أميرُهُ
الحسنُ فيك غريبه وغريْرُهُ
لم يَأَنَّ فيها من سنك سفورُهُ
تغدو عليه تميره وتثيره
حتى يروع من العُباب زئيرُهُ
لكَ من هوايِ جليُّه وستيرُهُ
وُكَلتُ إليك شئونُهُ وأمورُهُ
فالملكُ ملككُ تاجُهُ وسريْرُهُ
هيهات ما نفعَ المحبِّ غديرُهُ
لم يُغنِ فيك صغيرةً وكبيرُهُ
لجليلِ حسنِكَ دينه وضميرُهُ
من ذا على جورِ الزمانِ يجيرُهُ؟
يُجَنِي لذي الحسنِ الطريرِ نضيرُهُ
والقلبُ يسعى في هواك أسيرُهُ
يُجَنِي لغيرك يا حبيبِ مريْرُهُ
وخيالٌ شعرٌ للجلالِ خطيرُهُ
يُرَجِي ولا أملٌ تذرُّ درورُهُ

الحق المكتوم

إِذَا مَضَيْتَ بِشَلْوٍ مِنْهُ مَقْبُورٍ
 بَلْ طَبُّهُ حِينَ يَبْدُو غَيْرِ مُسْتَوِرٍ
 يَظَلُّ يَضْرِبُهُ وَقَعُ الْأَعَاصِيرِ
 حَتَّى يِذَاعَ فَيَبْدُو سَاطِعَ النُّورِ
 فَلِلْأَجْنَةِ حَدٌّ فِي الْمَقَادِيرِ
 كَأَنَّهُ الطِّفْلُ يُغْذَى فِي الْمَقَاصِيرِ
 عَاشَتْ بِحَالٍ بِغِيضِ الْعَيْشِ مَصْدُورِ
 رَاعِ الْأَنَامِ بِدَامِي الصَّدْرِ مَنحُورِ
 وَكَادَ أَحْمَدُ يَقْضِي غَيْرَ مَذْكَورِ
 وَالْحَقُّ فِي النَّاسِ خَافٍ غَيْرَ مَشْهُورِ
 نِدَاءَهُ خَوْفِ إِقْدَامِ وَتَشْمِيرِ
 وَغَافِلُ الْقَلْبِ مَيِّتٌ غَيْرَ مَذْعُورِ
 كَأَنَّمَا وَقَعَهُ وَقَعُ الْأَظْفِيرِ
 كَأَنَّمَا لَسَعُهُ لَسَعُ الزَّنَابِيرِ
 غُلَّتْ عَلَى خَاشِعِ الْأَمَالِ مَأْسُورِ
 وَلَيْسَ مَنْدَفَعًا بِالزُّورِ وَالْجُورِ

الْحَقُّ حَمْلٌ يَبُودُ النَّفْسَ مَحْمُلُهُ
 إِذَا كَتَمْتَ، فِدَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ
 كَأَنَّمَا النَّفْسُ مِنْهُ الِيمُّ مَصْطَخِبُهُ
 وَالْفَكْرُ كَالنَّارِ فِي الْأَحْشَاءِ كَامِنَةٌ
 لَا تَكْتُمُ النَّفْسُ حَقًّا أَبْصَرْتَ أَبَدًا
 هُوَ الْوَلِيدُ وَلِيدُ النَّفْسِ تَحْمَلُهُ
 إِنْ كَتَمْتَهُ عَلَى رَغْمٍ لَذَلْتَهَا
 وَالْحَرُّ إِنْ لَمْ يُجِطَّقْ إِرسَالُ فِكْرَتِهِ
 قَدْ حَدَّثَتْ نَفْسُهُ عَيْسَى بِقَلْبَتِهَا
 أَشْقَاهُمَا مِنْ لَجَاجِ الْحَقِّ شِدَّتُهُ
 وَالْحَقُّ يَقْتُلُ نَفْسَ الْحَرِّ إِنْ كَتَمْتَ
 وَالْحَقُّ تَذَعُرُ نَفْسَ الْحَرِّ رُوعَتِهِ
 وَالْحَقُّ إِنْ لَمْ يُجَبَّ كَالْوَحْشِ مَفْتَرَسًا
 وَيُوسِعُ النَّفْسَ لَسَعًا حِينَ تَكْتُمُهُ
 وَالْحَقُّ مَنكُتَمًا كَبَلٍ وَجَامِعَةٌ
 وَلَيْسَ يَنْفِيهِ نَكَرَانٌ وَلَا فَرَقٌ

بلاغ الحب

وَمَنْ هُوَ فِي نَفْسِي أَمِيرٌ وَحَاكِمٌ
 قَلِي الْحَبِّ مَا أَدَّتْ إِلَيْهِ الْمَائِمُ
 كَأَنَّكَ أَحْلَامٌ وَإِنِّي نَائِمٌ
 لِأَبْدِيَتِ لِي النَّفْسِ الَّتِي أَنْتَ كَاتِمٌ
 فَلَسْتُ بِشَارٍ لِلنَّفُوسِ يَسَاوِمُ
 وَلَا تُكُ مِثْلَ اللَّيْلِ، وَاللَّيْلُ قَاتِمٌ
 وَتَثَبَّتْ مِنْهُ فِي الْخَطُوبِ الدَّعَائِمُ

أَيَا نَفْسٍ مَنْ نَفْسِي إِلَيْهِ مَشُوقَةٌ
 أَحْبَبْتُ حَبًّا لَيْسَ يَدْرِكُهُ قَلِي
 إِلَامٌ تَحُولُ الْحَبِّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
 وَلَوْ كُنْتُ تَدْرِي قَدْرَ حَبِّي كُلَّهُ
 فَلَا تُخَفِ عَنِّي يَا حَبِيبَ سَرِيرَةٍ
 وَكُنْ لِي مِثْلَ الْمَاءِ يَبْدِي ضَمِيرَهُ
 بِذَلِكَ يَصْحُ الْحَبُّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

ونادوك أني فاتك النفس جارم
 فما يغفر الزلات إلا الأعظم
 فإن فؤادي ناصر لك راحم
 وإن كان بين الناس عاد ولائم
 فما راعني في الناس خب مسالم
 وينفت فيها ما تكيد الأراقم
 وأنف الذي يسعى لكيدك راغم
 فما راعني إلا النفوس الرواغم
 وهل حاكم بين السرائر حاكم
 وما لسواه منه عون وخادم
 وأن سواه فاتك النفس آثم
 وما الناس إلا مستغيث وظالم
 إذا أنت غرّتك الثنايا البواسم
 أينقم أن محضته الحب ناقم
 سيدهمه صرف من الدهر هادم
 فتعدو عواديه وتسري المظالم
 وأن هدلت في وكرهن الحمائم
 شريك في أفعاله ومقاسم
 نصيبك من قلبي مجير وعاصم
 وإنك لا يجديك أنك نادم
 فتحمد بين الناس منك العزائم
 وأمنحك العزم الذي أنا عازم
 ولم ترو نفسي من هواك المكارم
 ولم يزج نفساً نحو نفس تفاهم
 كما يمزج الصهباء بالماء ناعم
 ولم تطبيني من هواك العظامم
 علا الحب ما تبغي النفوس الكرائم

فلو كنت بين الناس رباً معزراً
 لالفت غفراناً لديك ورحمة
 وإنك لو أصبحت فيهم مرجماً
 ستعلم يوماً أنني لك عاذر
 فإنني قتلت العيش علماً وخبرة
 ولست كمن يرجو على الحب رشوة
 بسطت لكم عرضي مجناً يقيكم
 نظرت إلى الأعمال كيف ابتعائها
 وما قسموا الأفعال قسمة عادل
 فللمرء فينا خادم من ضميره
 يرى أنه في فعله غير آثم
 وما العيش إلا خدعة بعد خدعة
 وما دنس أن تمنح الحب ماكرًا
 يعيبك أن محضته الحب جاهداً
 وما خير حب أحكم الكيد أمره
 وكل لئيم يجعل الحب سببة
 وهل سببة في الزهر أن فاح نشره
 وألوم من عاداك من هو حقبه
 فلا تأس أن الناس خب وكائد
 وإنك لا تجديك خشية كائد
 فيا ليت لي عزم القضاء وحوله
 أعلمك الأمر الذي أنا عالم
 فإن أنت لم يكسبك حبي رفعة
 ولم أخل من شك تعالج مثله
 ولم تمتزج نفسي بنفس أحبها
 ولم يبتعث حبي للبك فطنة
 فوا أسفاً لا حب يجدي لديكم

الآمال الذاتية

محال علينا أن نلدَّ بك النوما
 فقد صارت الأيامُ أغربَةً سُحْمًا
 وإنَّ ألدَّ العيش ما خلته حلماً
 وأن لا يكون الحسنُ إلا كذا وهماً
 فلما استبان الحقُّ زودتني الهماً
 كلا زين في قلبي يجدد لي كلُّما
 ألودُ بزهرٍ منك أعلو به اليمِّما
 بوهنٍ فما وهنٌ لدى مهلك عصماً
 ويحسبُ زهراً طافياً أجبلاً شماً
 ويا طيبها خدناً ويا طيبها خلماً
 أقلِّبُه طوراً وأوسعُه لئماً
 فأكلأ من وقع البلى ذلك الجسما
 فكم نلَّ جسمٌ لم ينل قبله وضماً
 وكم غالَ آمالاً يلاذ بها قدماً
 وتزجي نفوساً كي تتوق وكي تظماً
 فيا ربَّ أطماعٍ تدوف لها السُّمَّما
 ونَبِّلاً لكي أرمي به مثلما أُرْمَى
 فيا طيبها رؤياً تهيج بي السقمَّما
 تلين لنا كذباً وتوسعنا صرماً
 كذاك ثمارُ السوءِ أخبثها طعمَّما
 لما زودَّ الأقدار مدحاً ولا ذمَّما!

أيا فتنةَ الأحلام قد لاحَ كذبُها
 لقد كنت في عيشي مصابيح حلية
 فيا حُسنَ مرأى العيش لو عاد حلمُه
 عزيزُ علينا أن نقولَ بكذبه
 لقد كنت زادي في الحياة ونهلتني
 أأرثيك أم أقلاك لو ينفع القلى
 كأني غريقُ اليمِّ قد لاحَ حينه
 فيا لائذاً بالزهر خابَ تشبُّتُ
 يربِّجي غريقُ اليمِّ حتى عدوه
 فيا حسنَ أحلامٍ تقصَّصت لذيذة
 وكانت حبيباً مات أنكرت هلكه
 عسى أن تعودَ الروحُ جسمًا أحبه
 وهيهات يُعفي النتن جسمًا نحبه
 كذا أنت آمالي التي غالها الردى
 علامٌ تُري الأقدار ما لا نناله
 إذا لم يكن في منهل العيش طيبها
 أعيري جناحاً كي أنالَ به المنى
 فإنَّ سنا الآمالِ أعشى لواحظي
 وما فتنةُ الآمالِ إلا كغادةٍ
 وقد تسعدُ الآمالُ بعدَ فسادها
 ولو كان قلبُ المرءِ بالعقل حكمه

شكوى

فمرُّ، وأمَّا وقَعُها فوجيعُ
فقاقيع، طرفي نحوهن نَزُوعُ
وأخَّرني أنَّ الذكاءَ يروغُ
على فطنةٍ يعصي بها ويطيعُ
سمياه وما للجاريات رجوعُ
أمامي، وعيشي في الهوان يضيعُ
تعلُّي، وقدماً كان وهو مطيعُ
فيغلو مقالاً أو يسوءُ صنيعُ؟
بعينٍ ولا طيب النسيمِ يצועُ؟
وما للذي يُشقي القضاءَ شفيغُ
سُتاءٍ وعيشَ القانعين ربيعُ!

حياةُ كدمع العينِ أمَّا مذاقها
وإنَّ الأمانِيَّ التي أنا ناشدُ
تَقَدَّمني في الناسِ مَنْ لم يُجارني
وأخرنِي أنَّ اللبيبَ محسَّدُ
كأنِّي بجاري النهر صخرُ تجوزه الـ
يمرُّ لداتي واحداً بعد واحدٍ
وأوجعُ ذلَّ النفسِ طاعة سائدٍ
أيخشون منِّي خلَّةً عبقريةً
ويبغون أن لا يجتلى البرق في الدُّجى
فيا نفس صبراً إنما العيش لوعةُ
وإنَّ حياةَ الطامحين عواصف الـ

العلم وعزة النفس

ألا إنَّ عيشَ الجاهلين عليلُ
ومركب من يبغي العلاء ذلولُ
ولكنَّ مرعى الجاهلين وبيلُ
وكلُّ جهولٍ لو فَطِنْتَ ذليلُ
هو الجهل داءٌ للنفوس قتولُ
ولا يطبِّي المرءَ العليمَ قليلُ
عوالمُ فيها الكائناتُ تجولُ
فأهل النهى في الصاغرين قليلُ
وأكثر ذل الجاهلين خمولُ
يُحَكِّمُه أهلُ النهى فيصولُ
فإن سلاح الصائلين عقولُ
نفوسٌ على حدِّ السيوفِ تسيلُ

رأيت بيوتًا كالوجارِ ذليلةً
رضاءً بعيش البهم والخصبُ وافرُ
يعيشون كالأنعام في نَفْعِ ربِّها
ويعلو الفتى بالعلم عن كلِّ ذلَّةٍ
وفي الجهل أسرُّ للنفوس ورهبةُ
ويرضى جهولٌ بالقليل مهابةُ
وتعظم نفس المرءِ حتى كأنها
على قَدْرِ علم المرءِ عزةُ نفسه
وأكثر ذلَّ العاقلين خديعةُ
وما العلمُ إلا قوة واستطالةُ
فلا تحسبنَّ الحربَ سهماً ومغفراً
وكم بلغت شأوَ العلا في منيةُ

سريعٌ إلى داعي المنون عجولُ
 تراه إذا ما لم يَزَلْ سيزولُ
 وعيشٌ نبيل لو فطنت جميلُ
 كما خاف طفلٌ في الظلام يجولُ
 فأصبحَ صرْحُ العلم وهو طولُ
 يزل حميات النهى فتزولُ
 ألا إنَّ نهنَ المترفين كليلُ
 علاءٌ مضى إلا عليه دليلُ
 سيولٌ على آثارهنَّ سيولُ
 وللجهلِ حملٌ في الحياة ثقيلُ
 ستارٌ على ما يكرهون سديلُ
 فطرفهمُ دون العلاءِ كليلُ
 يقتتر في مسعاته ويكيلُ
 يجودُ بها باغي العلا ويصولُ
 ضنينٌ بما يدني الطليب بخيلُ
 فمجدٌ الذي يُعطي الجزيلَ جزيلُ
 عظيم بنيلِ الساميات كفيلُ
 وليس بجمعِ الجاهلين ملولُ
 ولكنَّ صبرَ العاقلين مقيلُ

وكم أخطأ العلياءَ غرٌّ ونالها
 وفي مُلكِ أهل الجهل جبنٌ وذلةُ
 وفي العلم حسنٌ للنفوس وبهجةُ
 ويفزع أهلُ الجهل من كل حادثٍ
 وكم خفض الأقوام أن زال علمهم
 وكم ترفٍ للعلم والعزُّ قاتل
 فلا علم إلا عابثٌ كلُّ نهنه
 كذلك حالُ الغابرين فلا ترى
 فإن صروفَ الدهرِ في وثباتها
 فيا مَنْ لغرقى أثقلَ الجهلُ ظهرهم
 كأنَّ ظلامَ الجهلِ بين عيونهم
 لقد أزمَدَتْ شمسُ العلاءِ عيونهم
 همُ يحسبون المجدَ نهبةً باخلٍ
 وما علموا أنَّ النفوسَ وسائلُ
 وما غبن الأقدار باغي طليبة
 على قدر ما يُعطي الفتى هو أخذُ
 ويبذل من أعماله وحياته
 وقد يضجرُ اليقظان من سقم عيشه
 فصبرُ الجهولِ القدمُ نومةً راقِدِ

نجم الحياة

يا طيبه من رجاءِ
 يضيء وجه سماءي
 كالليلة الليلاءِ
 إليك غير وفائي
 فريسةً للشقاءِ

أنتم رجاءُ حياتي
 وأنتم نجمُ سعدِ
 لولاه كانت حياتي
 ما لي لديك شفيع
 لا تتركُنَّ حياتي

فإن نبهت ذكاءً
وإن بلغت علاءً
وأنتم نجمٌ حظي
إن شئت وقيت عيشي
فلا تكلني لقومٍ
فأنت واقفي ذكائي
فأنت أصلُ علائي
من شقوةٍ ورخاءٍ
مصارع الأدياءِ
لا يسمعون دعائي!

ذل المشيب

تمر بي الأيام حتى تروعني
وأخشى مزيدَ العمرِ يسلب جدتي
ولم أَلَفِ خلاً في الشباب مصادقاً
فيا خيبة للمرءِ قاربه الردى
يجوبُ فيافي الشيبِ والموتُ راصدٌ
يرى فيه أشباحَ السنين التي مَضَتْ
وكم نهزةً في العيشِ يبكي ضياعها
تُجدُّ له يا ليت شجواً وحسرةً
ولم أحمد الأيام أيامَ شرّتي
أظُلُّ غريباً بين أهلي ومعشري
وأصبح كلاً في العشيرة مقعداً
ويهزأ بي الأهلون من بعد هيبته
وأصبح منسياً وإن كنتُ شاهداً
وكم قائلٌ ما باله طالَ عمره
ويخطئ سعيَ الرزقِ أيامَ مرّتي
فزرنِي في ليلِ الشبابِ كسارقٍ

لذلّ مشيبي لا لوقعِ شُعبٍ
فأشقى بوهني واتصالِ عيوبِي
فكيف أرجي في المشيبِ حبيبي؟
يقول لأيامِ الشبيبة: أوبي
كما يرصد الغربان هُلكَ غريبٍ
كما روعَ السفاحَ روحُ سليبٍ
ولم يَرَوْ من جماتها بدُنوبٍ
وهل قوله يا ليت غير لغوبٍ؟
أأحسب سؤَرَ العيشِ غير مريبٍ؟
وكم أشيبُ في قومه كغريبٍ
يقترّ رزقي أو يملُّ قريبي
وأخشى وقدماً كنتُ غيرَ هيوبٍ
كأنني خفيُّ الجسمِ غيرُ قريبٍ
سها الموتُ أم ما عمره لشُعبٍ
فكيف إذا أصبحت غيرَ كسوبٍ؟
ولا تنتظرُ يا موتُ ذلّ مشيبي!

خطوة عن عالم الحسن

رِ حَطَّتْ بي في عالم الأرواح
 خلت أني أفضي بحيني المتاح
 اغترابًا عن صرفِ دهري الوقاح
 كيف أُغْفِي والقلبُ يقظان صاحي
 صَحْبُ فردًا ذا وحشةٍ وإطراح
 نُ يضلُّ الطريقَ عند السراح
 فيه عونًا على الصروفِ الشاح
 عاريات من جسمها والوشاح
 دِ وأخرى قد أدميتُ من جراح
 من سرورٍ وخيبةٍ ونجاح
 وأرى فيه ما مضى من طماح
 ءُ لها جرسُ فرحةٍ أو نواح
 تتُ بسلم من أمرها وكفاح
 تُ سراعًا بنا كمرِّ الرياح
 في صلاحٍ أو غيبةٍ وجماح
 توا وواراهمُ أديم البطح
 ت وما لاح في رُباه الفساح
 فأشفي به أوارَ التياحي
 خطو حتى أنكرتُ وجهَ رواحي
 قد هداني خطوي لنهجِ النجاح
 فيا ربَّ نعمةٍ في انتصاح
 ءَ فحاذِرُ إضلالٍ وجهِ المراح

خطوةٌ لا حَطَّوْثُهَا أَبَدَ العُمُ
 أخرجتني من عالم الحسِّ حتى
 غاب عني الوجودُ واستشعر الحسُّ
 خلت أني في النوم أبصرُ حلمًا
 رحتُ أسعى كمصحرٍ بان عنه الـ
 أو كذي الجُرم حين طال به السَّجُ
 عالم غير عالم الحسِّ أبغي
 حيث تبدو النفوسُ فيه جهارًا
 فنفوس ملساء كالغادة الرو
 وأرى فيه كلَّ أمرٍ تقضَى
 وأرى ما دفنت من خطراتٍ
 وتكاد الأشباح يلمسها المر
 وأرى أوجهَ الدهور التي فا
 وأرى أوجهَ اللَّيالي التي مرَّ
 وأرى عيشي الذي قد تقضَى
 وأرى وجهه من عرفت ومن ما
 فعراني القنوطُ من صولةِ المو
 وابتغيت الطريقَ أرجع للحسِّ
 غير أني أضللتُه ومضى بي الـ
 خطوةٌ إثر خطوةٍ فيه حتى
 خذُ بقولي ولا تضلَّ عن الحسِّ
 إنما الفكرُ خطوةٌ تنقلُ المر

الحسن الكاذب

وددتكم جهدي فما نَفَعَ الوُدُّ
فلا ترحموا قلباً يحنُّ إليكم
لئن لم أبتْ خلواً من الشجو والجوى
فإني خليقٌ بالتنقُّص والجفا
ولم يُدِنيني منكم وفاءً ولا عهدُ
فإنَّ فؤاداً ليس يهجركم وغدُ
أقرُّ وألهو ليس يكرثني البُعدُ
وإني خليقٌ أن يتيه بك الصدُّ

* * *

وعنفتُ قلبي أن عتبتُ عليكم
أتعدُّ من أبدى لك الغدرَ والقلَى
وقد عابني أني حننتُ إليكم
ولو ودَّ قلبي غيركم لعذرتُم
فبعضُ عتابِ المرءِ يبعثه الحبُّ
وأنت ملومٌ في حنينك يا قلبُ
لديكم صدقتُم أن حُبَّيكم عيبُ
ولكنَّ حبًّا ليس يعدوكم ذنبُ

* * *

وقد خلت أن العقلَ عندك وافرُ
فلا تحسبنُ أني عنيتك بالهوى
وقد كنتُ أهوى فيك ما قد ظننته
فما أنا إن جافيت بالواله الجوي
لقد كان ذاك الظنُّ من سفه الحبِّ
فقد كان خُلُق غير خُلُقك في قلبي
وقد كنت أهوى ما خلقت من اللبِّ
ولا أنا إن باعدت بالهالك الصبِّ

تمثال سوء

يا خبُّ ما لحظاتُ البغضِ قاتلةٌ
وقطعُ اللحظِ دوني لا ترى رجلاً
لقد تقمتُ عليه الفضلُ أجمعه
سلاحكُ الجهلُ لا تهناً بمضربه
وفي غبائك لو تدريه معذرةٌ
لو ضمَّ شملَ لئامِ الناسِ ملكهمُ
فأنت تمثالُ سوءٍ صاغه لبقُ
فارجع بلحظك مقهوراً ومخدولاً
تحني له الرأي تعظيماً وتبجيلاً
فصارَ بغضك تضليلاً وتغفيلاً
وسيفك الحمقُ لا تتركه مسلولاً
عذرُ البهائم محقوراً ومرذولاً
أعطيت في ملكهم تاجاً وإكليلاً
يمثلُ الشرَّ والأحقاد تمثيلاً!

يقظة في الفجر

قم فإِنَّ الدَّهْرَ غَفْلَانُ
 رَقَّ لَيْلٌ أَنْتَ رَاقِدُهُ
 إِنَّ جُرْمًا أَنْ تَنَامَ بِهِ
 إِنَّ حَسْنَ اللَّيْلِ مَكْرَمَةٌ
 قَدْ أَرَاقَ الْبَدْرُ بِهِجَتَهُ
 خَذَ نَصِيبًا مِنْ أَشْعَتِهِ
 وَهَمُومِي مِنْهُ فِي سَنَةٍ
 وَهُوَ لِلْأَشْجَانِ أَنْغَامٌ
 قَمِ فِإِنَّ الْبَدْرَ زَائِرُنَا
 رَبِّ حَسَنِ كُنْتَ أَنْشُدُهُ
 اسْقِنِي مِنْ ضَوْئِهِ جُرْعًا
 لِي مِنْهُ خَمْرَةٌ لَطْفَتْ
 قَدْ نَسِيتُ الْعَيْشَ أَجْمَعَهُ
 بَاعَ أَهْلُ الْحُسَنِ حَسَنَهُمْ
 لُذًّا بِمَا يَعْطِيكَ مِنْ مُلْحٍ
 كَمْ رَأَى مِنْ قَبْلِنَا أُمَّمًا
 فَتَمَتَّعَ إِنَّهَا فَرَضُ
 قُمْ فِإِنَّ النَّفْسَ يُوْنِسَهَا
 وَنَجُومَ الْأَفْقِ تَنْظِمَهَا
 وَهِيَ جَنَاتٌ لَذِي أَمَلٍ
 وَهِيَ لِلْمَفْلُوكِ عَقِيَانُ
 وَكَأَنَّ النَّفْسَ طَائِرَةٌ
 إِنَّ حَسْنَ اللَّيْلِ آيَتُهُ
 وَقَصِيدُ الْكُونِ يَطْرِبُنَا
 قَمْ فِإِنَّ الْفَجَرَ طَارِقُنَا
 فِي احْمَرَارِ الْخَدِّ رَوْنَقَهُ
 وَقِضَاءُ النَّحْسِ وَسَنَانُ
 فَكَأَنَّ اللَّيْلَ وَلِهَانُ
 مَا لِهَذَا الْجُرْمِ غَفْرَانُ
 بَغْضُهَا لِلَّهِ نَكْرَانُ
 وَجُحُودُ الْحَسَنِ كُفْرَانُ
 إِنَّ رُوحِي مِنْهُ مِلَانُ
 وَفَوَادِي مِنْهُ يَقْظَانُ
 وَأَنْشِيدُ وَتَحْنَانُ
 إِنَّ عَمَرَ الْمَرْءِ عَجْلَانُ
 فِي ضِيَاءِ الْبَدْرِ عَرِيَانُ
 أَنَا مِنْهُ الدَّهْرُ نَشْوَانُ
 وَعِلَالَاتُ وَسَلْوَانُ
 إِنَّ طِيبَ الْعَيْشِ نَسِيَانُ
 مَا لِحَسَنِ اللَّيْلِ أَثْمَانُ
 كُلُّ مَا يَعْطِيكَ مَجَانُ
 وَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
 وَطِبَاعُ الدَّهْرِ حَرْمَانُ
 مِنْ نَجُومِ الْأَفْقِ جِيرَانُ
 فَوْقَ رَأْسِ اللَّيْلِ تِيْجَانُ
 وَهِيَ لِلْأَرْوَاحِ أَوْطَانُ
 وَهِيَ لِلْمَهْجُورِ سَلْوَانُ
 فَلَهَا فِي النَّجْمِ بَسْتَانُ
 فِي ضَمِيرِ الْكُونِ وَجْدَانُ
 مِنْهُ أَشْعَارُ وَأَلْحَانُ
 إِنَّ وَجْهَ الْأَفْقِ عَرِيَانُ
 فَكَأَنَّ الْأَفْقَ خَجْلَانُ

ونسيمُ الفجرِ يلثمكم ففؤادي منه غيران!

قبر في القلب

في الأرض أنكُتُ جاهداً لا أفترُ
للحبِّ قدماً كان غدرك يحفرُ
الحسنُ خداعٌ يغرُّ ويغدرُ
ولذيذُ عيشي في جوارك يزهرُ
وصبرتُ حتى قيل لا يتذكَّرُ
فرايتُ خيرَ الحسنِ ما لا يُخبرُ
والقبحُ في ثوبِ المحاسنِ يُسنُّ
والزهرُ في قبرِ الأحبةِ يُنثرُ
ما لا أطيق من الهمومِ فتعمرُ
أهنا قلوبِ الخلقِ ما لا يُسبرُ
أبداً به لا يُستطاع فيُنظرُ
رمم على رمم به لا تُنشرُ
منها علامات تسوء وتدعُر!

وجعلتُ أبحث في الفؤاد كأنني
حتى رأيتُ هناك قبراً غائراً
وعليه مكتوبٌ بحرفٍ من دمِ
قبرٍ دَفَنْتُ به الصبابةَ والمنى
وجزعتُ حتى قيل ليس بصابرٍ
وحَبْرْتُ حالات التسلي والهوى
فالحسنُ ثوبٌ باللجينِ مطرَّرُ
يا قبرُ هذا الشَّعرُ فوقك حليةُ
يا قبرُ أنت قرارةٌ أرمي بها
والقلبُ مثلُ البحرِ يفرع قاعه
كم فيه من أثرِ العواصفِ راسبُ
فاطوِ الفؤادَ على الهمومِ كأنها
لو كُشِّفَتْ سِيرُ النفوس لراعها

صرصور الشعر

ارفق بنفسك ليس الشتمُ يؤذيني!
تُمنى كما شئت شتمُ الوعدِ يعليني
منِّي فكلُّ خفاءٍ ليس يخفيني
مُغرَى بكلِّ ضئيل الرأي مافونٍ
وصلُّ بكلِّ رهيف الحدِّ مسنونٍ
يبين نقصك من نتنٍ ومن دونٍ
وبعد مسعاي في الغرِّ الميامين

يا أيها الشانئ المغرور يشتمني
لذَّ بالجمالِ ووضَّعها فوق فضليِ وأشـ
واجهدْ عليَّ إذا ما شمت محمداً
وانمم مقالِي وازعم أنني رجلٌ
وانسب إليَّ عيوباً لست محصيها
فإن فضلي مثلُ الشمسِ مشتهراً
أبعُدْ شذوي بالآيات يا عجباً

بالرجس والتتنِ يا صرصورُ ترميني؟
صوتًا يغرّد في بيت المساكينِ
ولا نثير متينٌ غير موزونِ!
عن لمس كل قبيح الشكل ملعونِ!

يتاح لي منك صرصورٌ يناوئني
لو شئت صبّبت عليك النعل مسكته
بيتٌ من النظم لا شعراً فتحكمه
لكنّ نعلي يا صرصور طاهرة

لوازم الحب

سفه بقلبي ظلّ يوهمه
من ليس يفهمني وأفهمه؟
وتشابه في الحب يحكمه
وتفاوت في العقل يهدمه
إن الصغير ذكاؤه فمه!

عبثاً أحاولُ قرّب رُوحكُم
أفمنصفي في الحب من زمني
لا السنّ دانية ولا فطن
وتغاير في السنّ ينقضه
فاظفر بظئرِ درّها عمم

النقد القدر

لوثُ به ما شئت من بيتِ
إذ أنت فيه طعمة الموتِ
وأنت غرٌّ خافتُ الصوتِ
بادره باللوّ والليّت!

نقدك هذا وضرّ الزيتِ
يغسله الدهرُ بأواجه
شعريّ مثل الدهرِ في صوته
إن تعب الناقد في نقده

إيكاروس العبد الروماني (حادثة في حياة الرومان)

يرى الظلمَ حقاً ليس فيه ملامٌ
وفي الظلمِ لذات الظلوم ترامٌ
وما كلُّ نفسٍ في الحضيض تقامٌ
إلى حيث مولاه الظلوم ينامٌ
وذلك في حكم الأنام جسامٌ

مضى العبدُ إيكاروس في بيتِ سيّدٍ
فيا شقوة العبد الذليل ونحسه
فلماً طغى بالعبدِ نحسٌ وشقوةٌ
تأبط سيفاً مرهفاً وسعى به
فأورده من سيفه مورد الردى

وأشعلَ نارًا ليس تخبو ضرامُها
وجندلُهُ بالسيف أنصار ربِّه
فأصبحَ ذاك القصر وهو ضرامُ
فقال وقد أهوى إليه حِمَامُ

قول العبد

حلالٌ أباحوا ورده وحرامٌ
قيودٌ بها يشقى الضعيفُ ذليلةً
وكمْ خردت نفسٌ بخشخاش مَينهم
أخالوا حلالاً أنْ أذلوا بحَوْلهم
فإنْ قدَّروا جورًا فقد قدَّرَ الإِبا
وإنْ جميعَ الناسِ في الضعفِ إخوةٌ
ألا إنَّ دفعَ الشرِّ بالشرِّ سنةٌ
هو العبدُ عبدَ النفسِ من عاش راضيًا
وما ظلمَ المظلومِ إلا رضاؤه
وبعضُ التَّقَى والحزمِ جبنٌ وذلةٌ
وما الناسُ إلا مالگًا غيرِ عادلٍ
وما كلُّ ذي نلٍّ على الشرِّ قادرًا
ولو حُوفَ الإنسانِ من شرِّ عَيره
رضينا «بنيرون» فكنَّا بناره
وهل نافعِي لو عاش في الناسِ ناعمًا

وليسَ على العبدِ الذليلِ حرامٌ
لها في أنوفِ الخانعينِ خطامٌ
فصالوا وجاروا والنفوسُ نيامٌ
نفوسًا ولا مثلَ المذلةِ نامٌ
وذلك في حكمِ القضاءِ نظامٌ
إذا لم يَخَفْ مرعى الحرامِ سوامٌ
ومن جنٍّ من جورٍ فليس يلامٌ
ولا يُخضع القلبَ الأبَيَّ زمامٌ
وفي كلِّ ظلمٍ المظلومِ مدامٌ
وفي الشرِّ نبلٌ والحياةُ عرامٌ
وأخر يرضى بالأذى ويضامٌ
وهل كلُّ مَنْ سيمَ الهوانِ سنامٌ؟
لما قادَ ذاك العَيرَ منه لجامٌ
جديرين إنَّ الأتقياءَ حطامٌ
وعشتُ وحظي في الحياةِ أوامٌ؟

قول الواعظ

قضى اللهُ أنَّ الجرمَ للجرمِ باعثُ
فلا تحسبنَ الشرَّ فردًا فإنَّه
وللشرِّ عدوى كالوباءِ وعدوةٌ
فلا تقصدنَ بالشرِّ نفسًا بريئةً
وربَّ بريقٍ شَبَّ منه ضرامُ
تؤامِ إذا جدَّ الردى وتؤامُ
هو الشرُّ في هذي النفوسِ سقامُ
فقد ينتحيك الشرُّ وهو سهامُ

وإنك لا تدري بما الشر واقعٌ
فأنت قسيمي في اتقاء مصابه
ألا إن درأ الشر عنك رهينةٌ
فلا تعدّ مظلومًا ولا تعدّ ظالمًا

وفي أي دارٍ للمصاب مقامٌ
وإننا لأكفاء عليه كرامٌ
بدرئك عمّن كان منك يضامٌ
فكلُّ عرامٍ يقتفيه عرامٌ

دعابة (أي مواقع التقبيل أحسنها؟)

رأى دلها أن لا تضنَّ بقبليةٍ
أقبل منها الحسن في خير موقعٍ
فيا ليت أن الناس تُغفي عيونهم
فوالله ما أدري أخذك أحسن
أم الشفة الحمراءً أطيّب موقعٍ
أم العنق المعقود بالنحر أطيّب
ألثمها في الخدّ والفم طيبٌ
لقد جرت حتى ما أرى لي حيلةٍ
دعيني أقبل كل ما لاح حسنه
خليلي في التقبيل أطيّب متعةٍ

لأنزل لثمي في أعزّ مكان!
برغم حسودٍ راح بالشنآن!
فألثمها في خفيةٍ وأمان!
أم العين أم ما تحجب الشفتان؟
به الشمُّ والتقبيل يستبقان؟
أم الصدر حلى وجهه جبلان؟
ولي في لذيذات النحر أمان!
وليس لمثلي بالسلو يدان!
فكلُّ مكانٍ فيك خيرٌ مكان!
ولست أرى في الحب ما تريان!

العيش والرجاء

لو أدرك الإنسان أماله
ولم يعد يعرف ما يبتغي
لكان أشقى الناس في عيشه
لا عيش إلا بطلاب المنى

وصابه منها كقطر المطر
ولم يجد في العيش ما ينتظر
حتى تقول النفس أين المفر
لولا المنى في عيشه لانتحر!

بعد زينة

ابتعد عَمَّنْ أَحَبَّكَ
أنت في البعد جميلٌ
قد حمدنا منك بُعْدًا
للفقاييع بهاءً
فاعتصم بالصمتِ كي لا
وإذا لحتَ قريبًا
خشيةً أن يأخذَ اللُّحْظَ
ظ إذا ما لحتَ عيبك!

الروضة المنتهية

غرستُ روضًا زاهيًا زهره
فجاءه الغلمانُ في طيشهم
وهدموا الأسوارَ من قفزهم
كأنما نيلُ العلاءِ لعيبة
أكثر من طيشهمُ جهلهم
حتى يرى في عقله ظلمةً
إن يسألوا عمًّا بأيديهم
أو يسألوا عن روضتي جمجموا
ولوؤثوا الزهرَ بأيديهم
ثم ادعوا كي يُعذِّروا نهبهم
فكلُّهم يسرقُ من روضتي
من يَزِنَجِ الشَّرِّ لدى أحمقٍ

وحطَّته من خشيةٍ بالبنَا
والطيشُ ضربٌ من غرور الصبا
وانتهبوا الزهرَ وطيبَ الجنى
ما لهم لو عقلوا والعلاء!
يعدون من عاشرهم بالغبا
يضلُّ فيها الرأيُ إمَّا سرى
قالوا اشتريناه كما يُشترى
أن ليس في أغصانها مُجتنى
فهانَ حتى صارَ لا يُجتنى
أنِّي لم أغرس بها ما زها
وكلُّهم ينكرُ ما قد جنى
يُبدله عدوانًا بما قد رجا

حلم وردة (وردة في الشتاء تحلم بالصيف)

عَبِقَ فِي نَوْمِهَا طَيْبٌ شَذَاهَا
نَشَرَتْ نَفْسَ مَحَبٍّ فِي سَرَاهَا
هَل تَرَى فِي النَّوْمِ أَحْلَامَ هَوَاهَا!
وَبِضْوَةِ الْبَدْرِ يَسْقِيهَا طِلَاهَا
بِأَغَانٍ يَنْتَشِي مِنْ قَدِّ حَسَاهَا
هُوَ نَفْسٌ تَشْتَكِي مَا قَدِّعْنَاهَا
كَأَنَّ شِدْوُ الطَّيْرِ مَعْنَى فِي لَغَاهَا
شَجْوِ نَفْسٍ قَدْ نَأَتْ عَنْهَا مَنَاهَا
نَفْسُهُ فِي شِدْوِهِ فَاضَ جَوَاهَا
خَجَلًا تَحْمَرُّ مِنْهُ وَجَنَّتَاهَا
كُلَّمَا غَنَى لَهَا فِي الشِّدْوِ آهَا
أَتَرَى الْبَلْبَلَ قَدْ قَبَّلَ فَاهَا؟
حَوْلَهَا يَا وَبِيحَ مَا مَنَى كَرَاهَا
أَنَّهُ غَادَرَهَا حَيْثُ بَدَاهَا

وَرْدَةٌ فِي غَصْنِهَا طَالَ كَرَاهَا
مِثْلُ أَنْفَاسِ حَبِيبٍ رَاقِدٍ
مَا لَهَا وَسِنَانَةٌ ذَابِلَةٌ
حَلَمْتُ بِالصَّيْفِ فِي رِيْعَانِهِ
وَحَبِيبٍ مِنْ هَوَاهَا صَادِحٍ
لَا أَرَى الْبَلْبَلَ جَسْمًا طَائِرًا
لَوْ بَدَأَ لِلنَّفْسِ صَوْتُ وَفَمٌ
بَاتَ يَشْكُوهَا بِشَعْرِ سَاحِرٍ
يَا عَرُوسَ الرُّوْضِ رَفَقًا بِمَحَبٍّ
وَهِيَ مِنْ أَشْجَانِهِ حَائِرَةٌ
تَحْمَلُ الْأَنْفَاسَ عَنْهَا نَشْرَهَا
أَيُّ شَيْءٍ قَدْ نَفَى عَنْهَا كَرَاهَا
فَرَأَتْ أَنَّ شِتَاءً لَمْ يَزَلْ
حُلْمٌ مَا فِيهِ مِنْ شَيْئٍ سِوَى

الهوى حلم العمي

كَالْغَوَانِي رَاقِصَاتٍ مِنْ هِيَامٍ
فِي دُجَى الْعَيْشِ ظِلَامٌ فِي ظِلَامٍ
صَرْتُ أَحْشَى إِنْ دَعَا دَاعِيَ الْأَمَلِ
فَحَلَا لِي بَعْدَكُمْ مَرُّ الْأَجَلِ
أَنْتُمْ كَنْتُمْ ضِيَاءَ الْبَصْرِ
وَارْجِعِي عَنْهُمْ بِطَيْبِ الْخَبْرِ
إِنَّ أَضْوَاءَ الْهَوَى حُلْمَ الْعَمِيِّ
أَرْتَجِي مِنْ حَبْكَمَ مَا أَرْتَجِي

كَانَ عَهْدِي بِالْأَمَانِي فِي الشَّبَابِ
صَارَ عَهْدِي بِالْأَمَانِي كَالسَّحَابِ
كَنْتُ أَرْجُو الْعَيْشَ حُلُو الثَّمَرَاتِ
كَنْتُ أَقْلِي الْمَوْتَ مَرَّ الْجَرَعاتِ
إِنَّ عَيْشِي بَعْدَكُمْ مِثْلَ الظَّلَامِ
أَحْمَلِي يَا رِيحَ عَن قَلْبِي سَلَامِي
عَادَ فَجْرُ الْحَبِّ لَيْلًا دَاجِيًا
بَعْدَ مَا كُنْتُ زَمَانًا رَاضِيًا

الفصل السادس

ديوان الأفيان

فصل في أن الشعراء كماليون

مقدمة لصاحب الديوان

يُحْكِي أن دوناتلي الإيطالي صنع دمية فأجاد صنعها، فلما رآها أستاذه قال له مازحًا: ما ينقصها غير أمرٍ واحد. ثم كتبه عنه حتى مرَّص دوناتلي من الأسف عليه، والفكر فيه، وحتى أشرفَ على الهلاك. فدعا أستاذه وقال له: قد رأيتَ ما بي من الداء. وأني هامة اليوم أو غدًا. فأخبرني أي نقص رأيتَ في دميتي؟ قال: ما ينقصها غير الكلام! فقام المريض محمومًا حتى أطل على دميته وقال: تكلمي، تكلمي، فما ينقصك غير الكلام، ثم وقع ميتًا!

وكل ذي فن في فنه مثل دوناتلي في طموحه إلى مرتبة الكمال. وإنما يجيد حسب فَضْل المَلَكَة المهذبة التي يسترشدها من نفسه، لا لأنه يقصد إلى ما أُولِعَ به الناس، مما يستفز إعجابهم؛ فإن إعجاب الناس — وإن كان حبيبًا — يتطلب بإرضاء مَلَك تَه المهذبة لا بإرضائهم، ويأمل أن يقنعهم ما أقنعه من نفسه. وهذا سبيل أثره فيهم الذي يأمله في حياته أو بعد موته. وسواء أَلَكَبَرِ النَّاسِ شَعْرَه أم أصغروه، فإنه يعيش بحسرة على ما يعجز عنه، وبلهفة على ما لم يَقُلْ، وإن جَلَّ ما يقولُ.

ومن هنا ولج التحاسد إلى أفئدة الشعراء؛ فإن الشاعر يُعَالِجُ حسرة على كل فوزٍ لم يُفِزْهُ، وطائر أمل لم يقنصه. فإن نفس الشاعر طمَّاحة أبدًا. وخليق بمن يعرف أن فوق كل إجابة إجابة أن لا يدع للحسد سبيلًا إلى قلبه، وأن يعد كل قصيدة جليلة فوزًا

يزهى به عالم الحسن على عالم القبح، ونصرًا أصابته الحياة على الموت، غير مفرق بين قائل وقائل في الإعجاب الذي لا يتقاضاه الشاعر، بل يتقاضاه شعره.

ألا وإن أجلَّ شعر شكسبير هو ما كان يحلم به شكسبير، ويود لو قيده بقيود الكلام، وليس أجلُّ شعره ما يعجب به الناس ويعجب منه، فإن كل حسن في الفنون عنوان لحسن، وكل فوز وعد بفوز. فإن الشاعر ليرى في نفسه القصائد التي يحلم بها كما يرى العاقر أبناءه الذين لم يلداهم. أو كما كان ميشيل أنجلو يرى الدمى التي لم ينحتها كأنها محبوبسة في الصخر الأصبم الذي لم يلمسه بعد. وقد ورد عن كثير من كبار ذوي الفنون ما يثبت هذا الظمأ الذي هو خير لشعر الشاعر شرًّا لنفسه.

ولو كانت الحياة شجرةً لكان الجمالُ زهرها والشعرُ طائرَها. ولولا الشعر أفتقد جمال الحياة، وكل حيٍّ شاعرٌ بمقدار ما يحس الجمال في الأشياء والأخلاق والأعمال التي ينشدها. والعالم عالمان؛ عالم الجمال وعالم القبح، وكل منهما ممتزج بأخيه، منعدم فيه. والشاعر رسول الجمال يسعى في تحقيق عالمه. وإنما الخير ضرب من الجمال، والشر ضرب من القبح. والشاعر يعرف أن الشر محتوم ولكنه يعرف أن من الحتم أيضًا الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم. ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً سواء أعرف أم لم يعرف. وهو إذا نبذ عقيدة اقتران الجمال والخير، إنما ينبذها شوقاً إليها، كما يهجر المحب عشيقته من هجرها إياه، وإنما الحياة أو الحق كالميزان، لا يعتدل أعلاه إلا إذا استوى جانباه. ومن أجل ذلك صار الشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره جانبَ الذين لا يعرفون فروض الشعر ومنزلته من الحياة، كما يعدل كل نقيض نقيضه. وهذا أساس الحياة. ألا ترى كيف عدل عيسى — عليه السلام — روح الأثرة في دولة الرومان؟ وكيف أن رفُض شوبنهاور للحياة يُعدل تقديس نيتشه إياها، وتقديس كل ما تغري به؟ ومنزلة السعادة في الحياة كمنزلة الشعر من النثر. والذين يسعون في نصرة الخير واستخلاص السعادة التي فيما دون المحال، يأخذون نثر الحوادث فيجعلونه أوزاناً وأنغاماً.

ومن أجل ذلك يتغنى الشاعر بالبطولة ورجالها الذين يشايعونه في مداواة قُبْح الحياة، ولو لم يكن من المكافحة كي يستخلص من الحياة جمالها إلا التغني بما يلهي المكافحين، ويليح لهم بمثال الجمال المنشود أو تحذيرهم باليأس والسخر إذا استناموا إلى الأمل، أو اتخذوا منه مرقداً لكفى.

ولا ريب أن شعر الشاعر ابن طَبَّعه ومزاجه، وأن الشعر ضروب متغايرة. وذلك لا ينفي ما ذكرنا. هذا شكسبير ما ترك جانباً من جوانب النفس وهو من رحب النفس بحيث يسع الجرم والمجرم، ولكنك لا تجد فيه تزييناً للباطل إلا على لسان أهله وصفاً لهم. كما أنك لا تجد فيه وعظ من لا يرى إلا جانبه من الحق. وإنما نريد بذكر ما ذكرنا، أن الرغبة في الشعر من أجل أنه شعر، لا من أجل مقصد خلقي حق إذا عنى الراغب أن الشاعر ينبغي أن لا يتجاوز أصول فنه التي يهيب بها لذات الفنون، كي يبلغ من النفس مبلغه من التأثير فيها بتلك اللذات، وأما إذا قيل: إن الشعر لهو ساعة؛ فهذا قول من اللغوا!

الحياة والحق

إنَّ النفوسَ كثيرةَ اللفتاتِ
مِنْ ذا الرحيقِ النَّارِ في لهواتي
طيبُ الحياةِ يصابُ في الغفلاتِ
للسعد تحكي غفوةَ النشواتِ
جيشاً من الآراءِ والعزماتِ
خلقُ النفوسِ لأعظم الغاياتِ
لليأس ثم الموت كالسكتاتِ
خيرَ المنالِ وأعظمَ الرغباتِ
حيثُ الحضيضُ ووهدة الوهداتِ
خيرُ الجنى يُجنى لخيرِ جناةِ
أهلُ الجحيمِ أحقُّ بالرحماتِ!
صفحاتها للغيبِ كالمرآةِ
أوماً اغتفرتَ الشوكَ للزهراتِ؟
فالخوفُ أولُ مهبطِ المهواةِ
في ظلِّه أمانٌ من الحسراتِ
ونخالُ أنَّ الدهرَ ذو نقلاتِ
فيرى الشخوصَ سريعةَ العدواتِ

هات اسقني الذُّكْرَ الخوالدَ هاتِ
يا ساقِي الذكري، كئوسك أضرمتُ
أصحوت من خميرِ الحياةِ وإنما
والعقل أليقُ بالفتى من غفلةِ
لولا فروضُ العيشِ لم أعبأ له
وتكأثرُ الحاجاتِ ينبئُ أنما
وهي المنى صوتٌ صداه صرخةُ
واليأسُ ينبئُ أن فوقَ جهودنا
لولاه لاستوت المطالبُ كلُّها
إنَّ الفضيلةَ والرذيلةَ لذةُ
لا تسعد المجدود منك برحمةِ
وهي التجاربُ للعقول صياقلُ
إنَّ التجاربَ كالأزاهرِ جمَّةُ
يا قلبُ لا يغنيك ذعرُ للأسى
والموت ظلُّ الله أبشرُ إن دنا
ثبتَ الزمانُ ونحن نعدو عمرنا
كالراكب العجلان ينظر حوله

والحِسُّ بعضُ حبائلِ الخدعاتِ
سكن الوجود لشدة الحركاتِ
والشَّمْسُ أمُّ الخير والآفاتِ
رفع السرابِ وغرَّ في الفلواتِ
بعض النفوسِ قرارةَ الحشراتِ
أراؤه ضربٌ من الخطواتِ
لو يدرك المعلول عزم أساةٍ
مَنْ للشقيِّ ببائع العزماتِ
والعيشُ فوق الموتِ كالموجاتِ
لكن كظلُّ الحقِّ في الصفحاتِ
في رحبها برءٌ من الغاياتِ
ونقائضُ الأيامِ كالأخواتِ
كالشمسِ تنقش جانبَ المزناتِ
كتطُّع الحمقاء في المرأةِ
متسائلًا عن روضةٍ وأضاةٍ
في دهره متقاربِ الدوراتِ
ومطالبُ موصوفةُ المسعاةِ
كالماءِ حول مواقعِ الحصباتِ
ولقلِّما ندرية بين عداةٍ
ويحُنُّ نحو أحبةٍ ولذاتِ
متباينِ الأسبابِ واللهاجاتِ
عن أنجمِ تزدانُ بالظلماتِ
تجلو الظنونَ وتكشف الغماتِ
يا مرحبًا بالحزنِ والفرحاتِ!
واغنم صفاءَ العيشِ في الفلتاتِ!

والعيشُ كالحرباءِ يخدع لوئُهُ
فالمرءُ يسري وهو قيدُ مكانه
والحقُّ مثلُ الشَّمْسِ يهلك آله
أمُّ الهدى لكنَّ بعضَ ضيائها
والحقُّ مثلُ الشَّمْسِ يجعل ضوءه
والمرءُ في دنياه خابطٌ حنْدِسِ
كم حكمةٍ فيها الدواءُ لعاقلي
والعزمُ شيءٌ لا يباع فيشتري
والموتِ بحرٌ والنفوسُ لآلي
لسنا نُصيبُ الحقَّ فيما نبتغي
نبتغي من الدنيا نظامًا محدِّدِ
فنظامها أَلْفُ النقيضِ نقيضه
والعيشُ غيمٌ والعقولُ جلاؤه
نظرُ الأنامِ إلى الحقائقِ في الدنى
كالطفلِ ينظر في الأضياءِ فينثني
والفكرُ دائرةٌ يظل يدورها
فلكلِّ دهرٍ دورةٌ معلومةٌ
والفكرُ يعظم وهو في دوراته
والحقُّ في الأضدادِ يلقي سره
كالمرءِ يُنكرُ في الوجوه غريبها
والحقُّ مختلفُ المقاطعِ والنهي
والعيشُ مثلُ الشَّمْسِ يُعْمي ضوءه
ولعلَّ في ظلم الحمامِ زواهرًا
احزنُ ولدًا وقلُّ لكلِّ مقدرٍ
وحذِ الأنامَ على عوائدِ كيدهِ

وكنتَ مثلَ الواعظِ المرسلِ
 هل باختيارٍ كنتَ في معزلِ؟
 كأنه منك لدى موئلي
 كأنما جُللتَ بالمُثقلِ
 لو حلَّ بالأطوادِ لم تحملِ
 أم ما شروعُ الدهرِ بالحقلِ؟
 ونحن مثلُ الراكبِ المعجلِ
 غير حلولِ الحيِّ والمنزلِ
 قد رحلتَ عنك ولم ترحلِ
 يداه آيَ المُحكِّمِ المنزلِ
 لعلنا نجنبُ ما يبتلي
 وكم سما الناسُ ولم نعتلِ
 يسمو الذي في الطيرِ لم يكبلِ
 كأننا في العيشِ لم نُجبلِ
 كم صنمٍ في القلبِ لم يبطلِ
 إن تره من نحوه تمثلي
 من حسبِ المرهوبِ لم يعقلِ
 ذكرى لعهدِ الزمنِ الأولِ
 يحرسُ بابَ القدرِ المقفلِ
 ونظراتِ منك لم تقتلِ
 ألم تُرعَ من ذلك المأكلي؟
 وصمته في فيك كالمقولِ
 وكنتَ عرشِ الرمية الضئيلِ
 كأنها مرَّتْ على هيكلِ
 فلو سألتَ الدهرَ لم يُخلِ
 ولو زجرتَ الدهرَ لم يُقبلِ

أنختَ فوقِ الدهرِ بالكُكلِ
 عند فلاةِ قلِّ قطَّانها
 مضى الألى شادوك في مجدهم
 فهل ملئتَ العيشَ من بعدهم
 ثقل من الدهرِ تحمَّلتَهُ
 فهل يدُرُّ العيشُ من بعدهم
 وأنت مثلُ الخانِ في لُبثه
 غدا ترى عيناك من بعدنا
 كم أمَّةٍ من بعدها أمَّةُ
 فأنت سفرُ الدهرِ خَطَّتْ به
 فاتلُ لنا من آيةِ آيةِ
 كم وعظُ الدهرِ فلم نزدجرُ
 قيَّدنا العجزُ ونرجو عُلا
 نعاغ مستطرف ما يُرتجى
 فيا مثالَ الدهرِ يا رمزهِ
 كأنَّ روحَ الدهرِ في جسمهِ
 تحسبهُ من هيبةِ عاقلًا
 كأنما في طيِّ الحاظهِ
 كأنه في صمته حارس
 يا عجبًا أبصرتَ ما قد مضى
 أبصرتَ أكلَ الدهرِ أبناءهِ
 بينكما نجوى على صمته
 عششَ فيك الحادثِ المجتوي
 مرَّتْ بك الأيامُ مخشيَّة
 فابعثْ لنا من عزمها عدَّة
 ولو نهيتَ الدهرَ لم يعتدِ

والدهر كم تسحرُ أحداثه
أَيُّ حَكِيمٍ قَد رَأَى مَا رَأَتْ
يَا نَاطِرًا يَنْظُرُ هَذَا الْوَرَى
انظُرْ إِلَى الْأَقْدَارِ فِي غَيْبِهَا
أَغَابِرُ الْأَيَّامِ فِي صَرْفِهَا
أَمَالِكُ عُوَجَلٍ عَنِ مُلْكِهِ
وَالنَّاسُ حَلَى الْقَاهِرِ الْمُعْتَلِي
يَصَوِّغُهُمْ كُلُّ غُلُوبٍ عَلَى
كَمْ عِبْرَةٌ لِلنَّاسِ أَبْصَرْتَهَا
فَهَلْ دَمَوْعُ النَّحْسِ تَحْيِي الْوَرَى
أَرَاكَ لَا تَرِثِي لِمَا نَابَهُمْ
وَمَقْلَةٌ تُخْبِرُ الْحَاطِظَهَا
وَالدَّهْرُ وَهُوَ السَّاهِرُ الْمُعْتَدِي
وَرَبِّ لِحِظٍ مِنْكَ قَد رَشَّتَهُ
فَابْحَثْ خَبَايَاهُ وَأَحْنَاءَهُ
كَأَنَّ رُوحَ الدَّهْرِ تَبْغِي بِهِ
تَحْسِبُهُ لَوْ جِئْتَهُ نَاشِدًا
يَا مَنْ سَوَّالِ الْعَيْشِ فِي صَمْتِهِ
كَمْ امْتَطَى الْأَيَّامِ تَجْرِي بِهِ
كَمْ عَبَّ لُجَّ الدَّهْرِ ثُمَّ انْتَنَى
كَأَنَّهُ مَنْتَظَرُ مَوْعِدًا
لَوْ فَاهَ يَوْمًا ذَاكِرًا سِرَّهُ
أَوْ أَنَّهُ الْمَسْحُورُ فِي صَمْتِهِ
فَخَافَ صَرْفَ الدَّهْرِ مِنْ فَتْكَه
فَذَادَهُ بِالسَّحْرِ عَنِ نَطْقِهِ

لَبَّ غَضِيضِ اللَّبِّ وَالْمَفْصَلِ
عَيْنَاكَ فِي الدَّهْرِ وَلَمْ يُذْهِلِ؟
نَظْرَةَ طَرْفِ النَّاطِرِ الْمُعْضَلِ
وَاذْكَرُ مَا لَ الْعَيْشِ فِي الْمَقْبَلِ
كَمْضَمِرٍ فِي الْغَيْبِ مُسْتَقْبَلِ
كَذِي عِلَاءٍ بَعْدَ لَمْ يَنْزَلِ
يَأْلَمُ نَارَ الْحَاذِقِ الصِّيْقَلِ
سَنَّةِ مُلْكِ الرَّمْحِ وَالْمَنْصَلِ
وَعِبْرَةَ لِلْهَاطِلِ الْمَسْبَلِ
مِثْلَ عَقِيبِ الْمَطْرِ الْمَرْسَلِ؟
يَا لَيْتَنِي مِثْلَكَ لَمْ أَحْفَلِ!
أَنَّ عَيُونََ الدَّهْرِ لَمْ تُسْمَلِ
يُغْضِي وَعَيْنٌ لَكَ لَمْ تَغْفَلِ
فِي قَلْبِ هَذَا الدَّهْرِ كَالْمَوْغَلِ
وَكَشَفَ لَنَا عَنْ ذَلِكَ الْغَيْطَلِ
وَكُنَّا لَهَا أُحْكَمَ كَالْمَعْقَلِ
مَعْنَى حَيَاةِ النَّاسِ لَمْ يَجْهَلِ
أَسْأَلُ وَمَنْ لَمْ يَدْرِهَ فَاقْتَلِ
كَأَنَّهُ وَالْخَلْدِ فِي مَنْزَلِ
إِلَّا بَقَايَا الْمَاءِ فِي الْجَنْدَلِ
حُيِّنَ كِي يَنْطِقُ بِالْمِقْوَلِ
لَمْ يَعْجَبِ الرَّائِي وَلَمْ يَعْجَلِ
قَدْ كَانَ يَمْشِي مَشِيَّةَ الْمَشْبَلِ
وَعَلِمَهُ بِالْحَادِثِ الْمَقْبَلِ
حَتَّى تَنَاسَى عَيْشَهُ الْمَنْجَلِي

هرم خوفو

تعلو علو الجبل الأعظم
تعلو فلا تحدر للمحطم
إلا كموج إن علا يُهزم
غير الردى في لحده المظلم
يقذفه الدهر إلى ضيغم
رفاته الآثار لم تُردم
إلا بقايا الجند والأعظم
ما يدخر النمل من المطعم
إن ذاق طعم اللحم لم يقرم
بالروح إن يُصغ له يبكم
إن يمضغ المودى به يبغم
فشاد صرحاً منك لم يثلم؟
في هرم كالجبل الأدهم
من فوقك الأقدار لم تهجم؟
تهفو لنا في يومها الأيوم
من قبل أن تُفجأ بالمقدم
ففوقك الأيام كالمرزم
وطفء مثل المسجد المسهم
كديمة سوداء لم تحسم
وهو إذا أمك كالأجزم
على جبين منك لم يهرم
زهر الربى من غيثة المرهم
تغذوه منها بسليل الدم
فيرتدي تاجاً من الأنجم
كشامخ بالأنف لم يخطم
فأنت من تجعيدها الأقدم

يا موجةً للدهر لم تهزم
وما رأينا قبلها موجةً
ما الناس والآثار من بعدهم
موجٌ لبحر ما له ساحل
كم عند شط الموتِ شلُّو ردى
هل أنتِ شلُّو لزمانٍ قضى
لم يبقَ من عمرانٍ من قد مضوا
كأنما يدخرُ من مجدهم
كيف نرجي الدهر ذا عفة
لا يسمع الدهر سوى منصت
همهمةً يطلقها عارمٌ
هل خاف هذا الدهر صرف الردى
لا يجرو الموتُ على بيته
أم شادك العقل لكيفا يرى
بعيدةً لم تَبْدُ أشخاصها
كي يؤذن الناس بإقبالها
إن أزرَم الرعدُ على شاهق
أو كَلَلتْ هامته ديمةً
فوقك أرواح عُصور خلتْ
هدت يد الدهر مَشِيدَ البنا
كم أنزل الدهرُ شأبيبه
كالمرن فوق الزهر يحيا به
كأنما الأيام ظئر به
كأنما ينمو على مرها
قد شمخ الترب به عزةً
أم قلصت وجه الثرى كبرة

يمنع ظهر المكرم المقرم
 عشيقه للقدر الأزم
 خُلف في شفق فم الأهم؟
 حتى بدت كالهرم المفعم
 حتى بدت في عظم المخرم؟
 معشش فوقك كالقشعم
 إلى الحجى في صنعه ينتمي
 سليلها في صنعه المحكم
 كأنها المقلات لم تعقم
 مفدة في الحمل لم تُتئم
 كيف نرجي النسل من أيم
 عجيبه الغائر والمتهم
 برأسه الكبر فلم يهضم
 رأس البناء الشامخ الأقوم
 من هيبة للملك الأعظم
 قد هدم الماضي ولم يهدم
 ودولة الأهرام لم تهرم
 ثم انثنى عنك ولم تكلم
 من أبيض نأمن أو أسحم
 على شبيهه البطل المعلم
 قد أخطأ الرامي فأشوى الرمي
 هُ الدهر لم يُكشَف ولم يُعلم
 فيك رموز المطلب الأكرم
 نهبة كف الصائل المجرم
 يُخال كنز الحق والمغرم
 ولو بدا في أعين الأنجم
 لفاتك الآراء والمخزم

أم كفنيق ما له راكب
 أم تُدِي مصر إنها ناهد
 أم أنت ناب الأرض ذا شحذة
 أخرج صخر الأرض طيآته
 أم كيف شاد القوم أحجاره
 كأنما روح زمان مضى
 يا معبدًا يُعبد فيه الحجى
 أجل ما تُعبد فيه النهى
 قد حلمت الأرض في بطنها
 تمخضت عن علم أروع
 ثم تردى بعلمها بعده
 يا علم الدنيا الذي قد غدا
 علت بك الأرض كمن قد علا
 رفعت رأسًا منك ما طاله
 كأنما كل البناء سُجد
 يا ملكًا ما انحل سلطانه
 كم دولة قد ضاع سلطانها
 كم شابكت كفك أيدي الردى
 يا غير الأيام في كرها
 تباعدي إن شئت أو فاهجمي
 هيهات لم يبد له مقتل
 كم خال فيك الناس سرًا طوا
 خلوا الألى شادوك قد أودعوا
 ما أودعوا إلا كنوزًا غدت
 وكل ما لم يبد كنه له
 والمرء يبغي الحق في خدره
 ورمة خباها كاهن

قد أُخْرِجَتْ من بَعْدِ للمرجمِ
مُجَسَّم في صنعه المحكمِ
غير منالِ البُرْدِ والمطعمِ
مجسَّمًا في صنوعها الأعظمِ
غيرُ شفيحِ السَّيْفِ والدرهمِ
ليس الذي يظلم بالأظلمِ
من ذا الذي صَحَّ فلم يعرِّمِ؟

رِمَّةٌ ربُّ رائعٍ عزمُهُ
جلالُ روحٍ منه ذي همَّةٍ
لا تحسبنِ الناسَ لم يُجِدِهِمُ
فالنَّفْسُ تبغي أن يرى كنهها
لم يُصلحِ الناسَ لذي أمرهم
أظلمهم مَنْ ساغَ طعم الأذى
كلُّ ضعيفٍ خيره علَّةٌ

الليل

لأنتَ عندي بالمكانِ المصونُ
في كوكبِ الأفقِ القصيِّ! الشطونُ
فطيره قد عَشَّشَتْ في الجفونُ
تصقله الأحلامُ صقلَ القيونُ
كالطيرِ تُؤوي فرخها في الوكونُ
كالطفلِ يصغي لدعاء القرينُ
مسدولة فوق اليقينِ المبينُ
وجيبَ قلبٍ منه جمُّ الشجونُ
هذي الدراريُّ مكانَ العيونُ
فالشهبُ فيه شعراتِ السنينُ
متوجًّا بالنجمِ فوقَ الجبينُ
كالوضعِ يبدي من خفيِّ الجنينُ
كالريحِ تشدو في حفيفِ الغصونُ
وفي دُجى الليلِ ضياءُ الحزينِ
سحابة الحزنِ بقلبِ الركينُ
تخطرُ في أثناءِ هذا السكونُ
والصوتُ مأسورِ عليلِ الأنينُ

يا جوهرًا نفسي له صورةٌ
كالنَّجمِ في البحرِ يرى نفسه
قمُ حدِّثِ الليلَ حديثَ الكرى
كأنه المرآةُ مصقولة
الكونُ وكُرُّ والدجى واقع
يصيخُ قلبي تحت أستاره
كأنما أحسبُ أستاره
أكاد أن أسمعَ في جناحه
وناطقٍ بالصمتِ كانت له
أحسبه قد شاب مما رأى
كلا هو الخالد في ملكه
تكاد تبدو النفسُ في جناحه
تشدو لك النفسُ بأنغامه
في فحمة الليلِ وقودُ النهى
كأنني في جناحه مفردًا
كأنَّ روحَ الموتِ في جناحه
الصمتُ سجنٌ والدُّجى حارسُ

تحصنه أمّ رءومٍ حضونُ
 تناجيًا باللحظ بين الجفونُ
 وفي خشوع الحي صمتُ اليقينُ
 قد خُطّ فيه للنهار الدفينُ
 ما أودع الليل غلاة الظنونُ؟
 هل عادها من نعرها كالجنونُ؟
 لدوحة الفردوس ذات الغصونُ
 نجمًا تناءى مثل زخرِ الضنينُ؟
 سغبان يسعى لاقتضاء الديونُ؟
 يهيج من روع الجبانِ الضنينُ؟
 مات به الصوتُ ومات السكونُ
 كما يروع الحيّ روحُ الدّفينُ
 أوتاره تنبض نبضَ الوتينُ
 كأنها هامةٌ ماضي السنينُ
 يحكي بها من أمس هلكى الشجونُ
 تطير عنها خطراتُ المنونُ
 والصبحُ يبدو مثل ماءٍ معينُ

أو كوليديّ كَلَّ من ضحكه
 أو هو صبُّ عاشقٍ للدُّجى
 كأنما هذا الدجى معبد
 أو كضريح النورٍ يخفى به
 هل زهلة الأصواتِ أن قد رأت
 تَلَفَّت الريح به خيفةً
 كأنه ظلُّ ظليلٌ بدا
 أما ترى أثمارها في الدجى
 أم هو ظلُّ الموتِ إما دنا
 أم هامة اليوم الذي قد مضى
 فالكونُ منه خاشعٌ حائر
 وخلّفا روحَيْهما في الدُّجى
 قلبي عودٌ خافق قلبه
 تفهو بيّ الذُّكرةُ في جنحه
 أو دميةٌ ينحتها ناحتُ
 أو كهديا هالكٍ غابِرٍ
 الليلُ مثلُ الماءِ في ركدةٍ

سُور العيش

من بعد ما كان كالأطيار وثأبًا
 تذكي اللواعج أن قد غاب ما غابًا
 والقلبُ إن نيدَ عن أوكاره آبا
 كالطير يبغي بنهي الشمسِ تشرابًا
 يسمو بخارًا فإن حطَّ الدجى آبا
 نسرُ الظلام فكان النسرُ غلابًا
 أغفى فأقلتِ صلِّ العيش وانسابًا

يمر بي زمني كالصلِّ منفلتًا
 أمسي كِنهي أرى في قاعه دُررًا
 حتى لقد صار لي عُشًّا ألوذ به
 كم طارت النفسُ في راد الصبا مَرَحًا
 مثل الندى وجناح الضوء يحفزه
 قد تهبطُ النفسُ مثل الطيرِ عاجلها
 أحارسُ كان هذا الموت من قدم

بلذة العيشِ أوَّابًا ولعَّابًا
تبقى رماذًا إذا نيقت وتورَّابًا
على مضاضته بوركت محرَّابًا
حتى تقلَّص ظلُّ الخلدِ وانجابًا
لذائذُ العيشِ تخشى منه أنيابًا
كالطفل في المهدي لا تألوه إطرَّابًا
فيطلع العيشُ حرمانًا وإنهابًا
فعدتُ ما عاد هيَّابًا ووثَّابًا
أدليت خيطك ألقى فيه آرابًا
كخابط الليلِ أعمى بات جوَّابًا
فما ابتغواك عيشًا لم يدقُّ صابًا
عادي الوباء فلا تطرق له بابًا
سوق الحياة وإن أثرى وإن طابًا
يأسى الصفيُّ ويمضي الخبُّ خلَّابًا
جنبًا يطامن بل حزمًا وإصحابًا
صوتُ السكونِ فتبغى فيه صخابًا
وقد يبيت لوحي النفسِ هيَّابًا
مفكرًا خاب تسالًا وتطلَّابًا
إنَّ الزمان إذا ريبته رابًا
إنَّ تُبصرَ الحقَّ فيها عاد كذَّابًا

وكان حيةً حواء التي خدعتُ
ولذة العيش أثمارٌ مهدلة
إن الصبا معبدٌ للعيش نعبد
ظلُّ الجنانِ رفلنا في غضارتها
والموتُ كالأسد العدَّاء تلقمه
لا بل هو الظنُّ والأرواح في يده
والعيش كالنرد ترمي غير محتكم
أدلى لي الدهرُ خيطًا من حباله
كالحوت أفلت مكلوم اللهاة فإن
كم عشي القلب في ضوء الصبا فمضى
والظلُّ والشمس لا يبغى افتراقهما
فاجعل همومك بيتًا غال قاطنه
كزائف الذخيرة قلب ليس ينفق في
وما انتفاعي بخيرِ كلُّه فشلُّ
والمرء يغفل عن أمر الحياة وما
ضمايرُ الناس كالرعيديد يزعجها
يندس في غمرات العيش جارمهم
كذلك المرء يخشى أن يرى أبدا
قارضُ مُضيفك من بشرٍ ومن كرم
والسخرُ مرآة إبليس التي نُصبتُ

ذكري أمس

مخبوءة في خدعات الجدود
يهدي صلالاً تحت زهر نضيد
كذي حياة راعع بالوصيد
أفنانه مثمرة بالوعود

مدت لك الذكرى وجيع القيود
كأنها ذو إحنةٍ ماكر
وقبر أمس شاحب مائل
والذكرُ دوح فوقه باسق

والذكرُ صلُّ لاذع نابِه
 كالحية الرقطاءِ في خفية
 مطيةُ الذكرِ على نهجها
 كأنما إذ عفتُ باب الردي
 كي تتخطى أزلاً ماضيًا
 كم تبغني أمسك إن ساءك الـ
 يا مخرج الملحود من قبره
 أمس الذي فات على قربه
 وإن يسوِّك اليوم ترجُ غداً
 فانظر إلى أمس مضى واستعن
 الشيخُ يبغني ضلَّةً أمسهُ

يا ليته يخلع رثَّ العهودُ
 ينخر من قلب الأبِّي الجليدُ
 معكوسةُ المسعى لخالِفٍ تحيدُ
 تبغي خلاصًا من سبيلِ الوليدُ
 ترجع منه عن طريق الخلود
 يوم وأمسٍ مُعجِزُ مَنْ يُعيدُ
 لم يَبْقَ منه غيرُ عظيمٍ ودودُ
 كالأبدِ الأبَدِ قاصٍ بعيدُ
 إن غداً ليس بيوم جديدُ
 منه على اليوم برأى سديدُ
 وفي غدِ اليافعِ حلمٌ سعيدُ

نعسة الطرف

عينك عيناك منبت الذكرِ
 فنعسة الطرفِ أنه أبداً
 بالله ما تذكر العيون أألـ
 أم تذكر العهدَ حيث لا عدلُ
 أم طرفك الناعس النئوم يرى
 لواعج العاشقين نخرِك والـ
 تنظر في أنفسٍ وفي مُهجِ
 أم رحمة غضت اللواحظ مـ
 أم لوعة رنقت لحاظك إذ
 أم غضةً في لواحظ حلم
 بعالم أنت من بشائره
 يخفي اقتدارَ العيونِ إن نعستُ
 كم صائلٍ سيفه تشفعه

كالزهري في قاعِ رائقِ الغُدُرِ
 كذاهل قد أصاخ للفكرِ
 حاظ مشوق بالصبرِ مستترِ؟
 يلوي بصاٍ عن موردِ خصرِ؟
 ما منَّ من فتنةٍ ومن سكرِ؟
 ذكُرى وعاءٍ لخيرِ مدَّكرِ
 فعل غنيٍّ يرنو إلى الذُخْرِ
 ما يشتكي العاشقون بالنظرِ
 عشقت عشقًا لحسنك العطرِ
 بعالم الحسن طيب الخبرِ!
 بشرى طيور الربيع بالزهرِ
 كصولةٍ في الخفاءِ للقدْرِ
 وصائلٍ بالحياةِ والخفرِ

وتعجز الريحُ عن أذى الخورِ
مقبوسة الضوءِ من سنا القمرِ؟
من هذب عينيك باسقُ الشجرِ!
حبُّ بخير الزهورِ والثمرِ
ينبت من قبره على مدرِّ؟
بًا بين جنبي غائضُ العُدْرِ
كما يغوص الغواصُّ للدرِّ
تبدو كغرقى السنين من عمري
قطوفها، وامضها على غرِّ!

قد تقصفُ الريحُ كلَّ عاتيةٍ
عينك من لمحّة الزواهر أم
أم من غدير الحياةِ حفًّا به
كم جاءك العاشقون من نذر الـ
فكيف تُرعى لحبِّ محتضر
ولست أرضى لمثل وجهك قلِّ
نفسِي بحرٌ ظلَّلتُ أسبرُهُ
والذكرُ كالبحرِ كم رمى جيفًا
فانعم فإنَّ الحياةَ دانية

قبس الحسن

قد صدّه عنك قلبك الحجرُ
من حسنك الغضُّ ناله الشرُّ
أوضحها من جداك والغرُّ
وشي من السحرِ حاكه القمرُ
كي لا يبين الشقاءُ والعسرُ
ينضجُ في ضوءِ حسنك الثمرُ
الحسنُ إما جلوته مطرُ
الصخرِ إما رمقته دررُ
إن لم يرقُ في قريضي الأثرُ
تنبع فيه من حسنك الغدُرُ
فكلُّ شيءٍ لمسته زهرُ
كأنها منك أنجم زهر
للقيب ستر كالقشر يندثرُ
لناظر، والظلامُ معتكرُ
تبصرُ من شاق قلبه النظرُ؟
تصاغ منه الحلِيُّ والبدرُ!

شعري بحرٌ وأنت ساحلهُ
يا ليت أن الخلودَ لي قبس
كيما أنير الحياةَ قاطبةً
كالبدرِ يكسو الأشياءَ حلتهُ
فاكسُ بأنوارك الورى أبدًا
يا شمسَ حسنِ حياتنا ثمر
ويخصب القلبُ إن رآك كأنَّ
أشعلُ بالحاظك الحياةَ فإنَّ
يا عار حسنِ جلوتِ غرته
وأنضبُ الناسَ فطنة وحجى
عطرت برد الحياةِ قاطبةً
أنت أعرت الحسانَ روقتها
والحسنُ روحُ الحياةِ يستره
أو مثل لمع البريقِ آونة
يا بارق الحسن في الحياةَ أما
ود شحيح رأى جمالك لو

درع الحياة

والبس على العين درعاً
 فالناسُ شاكٍ وعادٍ
 والمرءُ جدُّ شقيٍّ
 واقهر فلست بناجٍ
 تقلى من الصحب مما
 إن نعمة بك حلت
 حتى كأن لها في
 تكاد تخطم أنفاً
 فليس يبرأ صدراً
 تخال في العين منه
 يروم خفضك كيما
 وليس يرحم إلا
 أو من يسرُّ بأن قد
 فإن رجوتَ رحيمًا
 عدواً الشقاء اجترامًا
 فالبس على الصدر درعاً
 والبس على العين درعاً
 يبغون في الدرع صدعاً
 إن ضاق باللؤم درعاً
 إن رمت باللين طوعاً
 نرضى من النفس خدعاً
 ساءت لدى الإلف وقعاً
 حشاه نهشاً وقطعاً
 منه وتثقب سمعاً
 إلا إذا شام نفعاً
 أفعى وفي الثغر أفعى
 ينال بالخفض رفُعاً
 من هابٍ للشرِّ وقعاً
 عداه ما بت ترعى
 في الخطب ألفت قذعاً
 والخفض فضلاً وصنعاً
 والبس على القلب درعاً

طائر السعادة

لعمرك ما اللذات إلا حمائم
 نشدتك يا طير اللذات والهوى
 وإن الذي يرجو السعادة واثب
 وبعض مساعي المرء حمى وخيبة الـ
 ومن لم يجد في نفسه زخر عيشه
 وهل يستقيم السعد للمرء في الدنى
 وليس شقاء المرء فيما يصيبه
 تنوح على أفنانها وتطير
 أما لك في هذي الحياة وكور؟
 على ظله لو أن ذاك يجير
 مطامع برء للحجى ونشور
 فليس له بين الأنام نصير
 ومطلبه بين الضلوع سعي
 ولكنّه طبع له وضمير

جباناً، ويحظى بالوصال جسورُ
 وكلُّ جريءٍ في الحياةٍ أميرُ
 رأى أن خطبَ الدهرِ ليس يضيرُ
 كما يبغض المهجور وهو أسيرُ
 وفي الصدر منه لوعةٌ وزفيرُ
 سراً يغرُّ العينَ منه غديرُ
 فإن الحجي طرف لديه ضيرُ
 وإنك ربُّ في الأنام غفورُ
 لوردك، إن الشائبين كثيرُ
 رأى أن سعداً في الحياة عسيرُ
 يتاح له بعد الممات حبورُ
 يقيل بها والحادثات هجيرُ
 تقرُّ به في النائباتِ صدورُ
 ورأي بالآءِ الحياة خبيرُ
 نُهيئُهُ بعد الدهورِ دهورُ
 نفوسٍ وقينٌ للعقولِ وظيرُ
 مثار تنال النفس منه حورُ
 وذاك محالٌ في الدنى وغورُ
 يضمنُ بعيشٍ ليس فيه سرورُ
 أهاب الفتى بالموت وهو قريرُ

هو العيش كالحسناء تبغض محجماً
 ومهما يتَّح في العيش فالخوفُ خادمُ
 ومن صان عن رُق المطالب عنقه
 قلى العيش حبُّ العيش قد شطَّ رغه
 كمن يبغض الحسناء يقلى دلالها
 إذا أخطأ المرء السعادة خالها
 وليس عجباً أن يرى العيش مجهلاً
 وما السعدُ إلا حكمة وتجاوزُ
 تكيد بصفو الصفيح من بيتغي القذى
 ومن لم يجد في عيشه فرض أمل
 ومن ضمَّ قلباً أخطأ السعد خاله
 أمانئ خلف الموت ظل حياته
 بدا لي أن لا سعد إلا تصبُّر
 وعزم وإيمان وطبع وحكمة
 وإن أجل الخلق ما هو مقبل
 وإن الأذى سبر القلوب وصيرف الـ
 وراجي حياة ليس للشر بينها
 كمن يرتجي أسباب أمر يعافه
 وليس أعزُّ الرغب سعداً فإنه
 ولو أن خلدًا كان أمراً مقدراً

لا مرحباً بالأقدار

أيرحمنا من لا يساء ويجذلُ؟
 كما ينقم الظلم الأسير المكبلُ؟
 وإن كان حمل الحتم بالصبر يجلُ؟
 فإمرته حملٌ على النفس يثقلُ

ألا ليت للأقدار قلباً وفطنةً
 وهل نافعى ذمُّ القضاء وجوره
 وهل يملك المظلوم إلا شكاته
 ولو كان هذا الحتم قرناً قتلته

ولكنه نوءٌ من الشرِّ مسبَلٌ
توهمه طوعاً إلى الدار يرقلُ
بُليتُ به ما كان للصبرِ موئلاً
لأصبح لا يصمي ولا يتغلغلُ
كأنِّي في نار الشقاءِ سمندلاً!

ولو كان سعداً خلت أنِّي ملكته
إذا فر نحو الدار طُرفُ لراكبٍ
ولو أن صبراً كان رُوعٌ بالذي
ولو أن خطباً نابيه بعض شره
فمن لي بنفسٍ في الشقاءِ نعيمها

مرحباً بالأقدار

حملَ الهمومَ فكلُّ الأمرِ أقسامُ
أو كان بي سَقَمٌ فالعيشُ أسقامُ
إذا ابتلاني إثخانٌ وإيلامُ
وإن غرمتُ فبعضُ الغرمِ إنعامُ
يجري القضاءُ فيسري اللومُ والذامُ
حظُّ المحكمِ ترحيبٌ وإعظامُ
أن لا يلوح به حقدٌ وأوغامُ
سعدٌ ونحسٌ وإهوانٌ وإكرامُ
أو كان موتٌ فما لي عنه إجمامُ
والذلُّ والفقيرُ تقديرٌ وإرغامُ
فالموتُ عن قدرٍ والعيشُ أعوامُ
قد استوى فيه إجمامٌ وإقدامُ
وإن أتيح له نوحٌ وإرزامُ
خمارها فهو عبّاسٌ وبسّامُ
فالبؤسُ ركضٌ ورغدُ العيشُ إجمامُ
ضاري الفواتك فالأقدارُ آلامُ!

إن الذي بتَّ فيَّ الخوفَ علّمني
إن كان بي جزعٌ فالصبرُ غايته
وإن دمعِي حتمٌ لست أدفعه
فإن تربتُ فعيشُ المرءِ متربةٌ
وإن مدحتُ فأمرُ كان عن قدرِ
يا مرحباً بالذي يأتي القضاءُ به
حزمُ المزورِ إذا ما زاره ملكُ
أدرُ عليّ كئوسُ العيشِ قاطبةً
إن كان عيشٌ فإن العيشُ محتملُ
الظمءُ والجوعُ والأسقامُ قاطبةً
وإن لجأتُ إلى موتِ ألودُ به
فإن فررتُ فمن حتمٍ إلى قدرِ
والجسمُ في العيشِ لا يعيا بمؤلمه
هذي مرارةٌ كأسٍ لذِّ شاربها
والنفسُ كالخيلِ والأقدارُ رائضها
ما دمتُ تعدو من الأقدارِ عدوك من

خلود التجارب

هو الروح حرّاً لا يذلُّ لتحكيم
 كأنّ قضاءَ الدهرِ ليس بمحتومٍ
 فتحسب أنّ العيشَ أضغاثُ محمومٍ
 لعيشِ كأرّي النحلِ ليس بموهومٍ
 وأي بقاءٍ خالدٍ غيرِ مسئومٍ
 وتُسعدُ نفسًا لا تدين لتهويمٍ
 وذلك حرصٌ منهمُ غيرِ مكتومٍ
 وأي امرئٍ في العيشِ ليس بمكلومٍ
 وإن كان يسعى في الورى جدّ مهمومٍ
 وإن كان محرومًا كأنّ غيرِ محرومٍ
 فيخلطُ مجهولًا لديه بمعلومٍ
 ويأخذُ من عيشِ حميدٍ ومذمومٍ
 وإن كان جدًّا لا يجيء بمغنونمٍ
 حسوت بنفس تستقاد بتكريمٍ
 وليس نعيم نالٍ روحٍ بمحلولمٍ
 ظفرتُ بسفرٍ في التجاربِ مرقومٍ
 وليس أخو التجريبِ فينا بمعصومٍ
 بوقعٍ مرجّى أو مواقعٍ منقومٍ
 ومنها كعام المحلِ ليس بمرهومٍ

وكم ساعةٍ كالخلدِ فزتَ بخيرها
 بلغت بها أقصى مُنى النفسِ كلّها
 نفوسٌ توذُ العيشَ نهزةً لآعب
 ترجّي سنّي العمرِ كالنحلِ ضمناً
 ترجّي خلودًا والخلودُ عناؤها
 وما الخلدُ إلا ساعة تقنع الحجي
 وقالوا بأن العيشِ فرضٌ مبعض
 وعدرٌ على حبِّ الحياة ولهفة
 يعيش شقيّ الناس من خيرِ عيشه
 يظل فتىً في نفسه نخرِ ذاخر
 فما العيشُ إلا حكمةً وتهادنُ
 ويخلطُ حلواً في الحياة بحنظل
 وقد صحَّ أنّ الجدَّ يلهي عن الأسى
 وكم نهزةً بالحسِّ لم أحسُّ خمرها
 هو الروح مثل الحسِّ في كلِّ لذة
 وطالعتُ في سفرِ الحياة كأنني
 فما نفع هاتيك التجاربِ هديها
 ولكنّها لذاتِ نفسٍ تمرّستُ
 فمناها مصيفٌ للنفوسِ ومربع

المثل الأعلى

خلق في النفس لازب لن يزولاً
 س إذا ما اعتقدت أن لن يحولاً
 س من العجز والقنوع كبولاً
 ن زلال من أجله مرذولاً

يزعم الزاعمون أن أحسن الـ
 كيف لا يخلد الخسيس من النفـ
 مرحباً بالمحال فك عن النفـ
 يشرق المرء بالزلال فهل كا

ن ستير من أمرها مجهولاً
 لا ومعنى جهلته مأمولاً
 ألام في طربي وفي استغرامي؟
 صد الحبيب يشط بعد لمام
 عزماً سوى ناب لديه كهام
 حتى كأن الخير في الإحجام
 الخير كل الخير في الأحلام!
 فاطمح بنفسك للذرى والهام
 وتعاف خير حقائق الأوهام؟
 فالعيش حلم طوارق الأعوام
 لو فر بعض الناس في الأحلام
 باب لولاج العوالم سامي
 وينال ما يغلو على المستام
 في النفس كيف تعاف ضرر الذام؟
 يسع الدنى في طوله المترامي
 فرأته من خلف له وأمام
 يا طيبه من منزل ومقام!
 نللتها بخزامة وزمام
 للنمل يصغر عن مدى الإعظام
 أو جهلها لكشفت كل قتام
 أقصر فليس مرأه بمرام
 فإذا دنا ألفاه حظ طغام
 بالنصر أونة وبالإكرام
 زحف الصلال تدب في الأجام
 بين الأبابة الصيد والأعلام
 كالنحل يصفد في الجنى بحمام
 كالطير ناهضة على الآطام

إنما التذت الحياة لأن كا
 كل معنى عرفتته كان مملو
 إنني ولعت بروقة الأحلام
 دنيا يشط بها المنام إذا نأى
 ومن استنام إلى الحقائق لم يجد
 عجباً نعاف الخير وهو محبب
 جهل الورى فمضى الورى في الشر إن
 ما في الوجود حقيقة غير النهى
 أتنال أوهام الحقائق قانعا
 والعيش إن لم تبغه لعظيمة
 لفررت عن دار المذلة والأذى
 وبدا له بين الحقيقة والكرى
 فيفر منه إلى الفضائل والنهى
 إن خلت أن الذام ضربة لازب
 والنفس إما شئت كانت عالماً
 فكأنما جزع الزمان جناحها
 وكأنما حد الفضاء يحدها
 فإذا سكنت إلى مجالي عيشها
 ورأيت عالمها الوسيح كعالم
 لو كنت تعرف قدر مقبل علمها
 وعرفت ما العرفان لا يلوي به
 والمرء يضممر للبعيد مهابة
 ويرى المحبب بين زين يرومه
 ولرب نفس كالخشاش مطارها
 أنى يكون معبد لحياته
 ولرب مصفود بلذة عيشه
 ومن النفوس نوات أجنحة ترى

ها قد أتيح لجدّة الآثام
حتى يلذ العيش في الآلام
من أمرها وقنعت بالإجمام
كالنجم يهدي من وراء ظلام
يشفى به من غلّة وأوام
في أفق مخشيّ الزماجر طامي
في زاخر باللجّ كالأكام
لمحاته من سُدفة الإظلام
كمعالج لِلِظْمِ خوف جمام
من يبتغي في النجم فضل ضرام
ضلّت عليه طليقة الأيام
شقّ العصا وأحلّ كلّ حرام
لموفقٍ في شرّه عزّام
فينال من عزمٍ ومن إقدام
يعشى وفيها من هدَى وقوام
فكأنه سقمٌ من الأسقام
كيما يكون زواخر الآثام
فسها عن العبرات والآلام!

ولذاذة الآثام في ندم عليّ
إنّ السكينة قد يملُّ نزيلها
بنسّت حياةً قد رضيت براكيدٍ
فالنفس للمثل الأجلّ طموحها
طورًا كما رقص السرابُ وتارةً
كالبدر في ليل العواصفِ ساطع
يبغي به الملاحُ هُدَى سفينه
كم صان من جأش الحزين وكشفتُ
من زاد عنه النفس يخشى هلكها
صنو الذي لم ترضه لمحاته
لولا وقوع شعاعه في نهجها
والمرءُ إن نبدّ الكمال وهديه
ورأى الأثام فريسةً مذخورة
ولقد يعود قذَى يصيب به العمى
كالنار يهلك حرّها وضياؤها
يحكى أضاميم السقام ولوعه
ولطالما خاض الفتى من أجله
أقسى الأثام من استبدّد به الحجى

الفصول

فلقد دعاك الروض خير دعائه
في الزهر من أكامه وخبائه
يا ليتها أبدًا تُرى بردائه
هذي النفوس لكي تُرى بروائه
ما شاق عند قدومه بلقائه

طيري أمانيّ النفوسِ وعَرّدي
هذي عيون للطبيعة قد رنت
بسط الربيع على الحياة رداءه
بل ليته بُردٌ نخيظُ على هوى
والشيء لولا أن يروغَ بفقده

* * *

كتزايِل المهجور عن قرنائه
كتناثر اللذات من أهوائه
ساق السنّا بدبوره ورُخائه
هَرَب الكعاب من الهوى وقضائه
عادٍ يريد لحاقه بجرائه
هيّيات ذاء، والدّهْر من أعدائه
أنفاس ثغر الموت قُر هوائه
شكوى العجوز يخاف من أبنائه
للناس ينشد آسِيًا لبكائه
نظر الفقير إلى ثقب ردايه
سرفًا وشحّ العيش بعد سخائه
ذكرى العجوز لزهوه وفتائه
نشوى شياطين انتشت بسقائه
تبغي النهوض كُمكُثب من دائه
كنواظر للغيب خلف كِفائه
لبست حدادَ الثكل فعل نسائه
تبغي سرار السمع من إصغائه
يلوي على الأفنان فضل كسائه
كتنفس الرعيد في لأوائه
فكرُ المصيخ لروحه وندائه
وثبًا ويُمهل في سني رخائه
جذلاً وتطوي بعضه لهرائه
عن بعض دورتها بوقع حدائه
يلوي به عن نحسه وشقائه
عود الربيع مجدّد لرجائه
بربيعه زمن أتى بشتائه
نظر الغريق إلى السهى وسمايه

لا كالشتاء تزايلت أوراقه
تتناثر الأزهار عن أفنائه
وتخال إذ ذلّف الشتاء كأنما
هَرَب الضياء من السحاب وريحه
فرّ الخريف من الشتاء وخلفه
مثل المريض يفرّ من عادي الردى
راع الشتاء بقُرّه فكأنما
والريح مثل فم الشتاء وصوتها
نقم العقوق فقام يشكو أمره
والأرض تنظر في فروج أديمها
من بعد ما نفدت نفائس كنزه
وكأنما دجن الشتاء مقطّبًا
وكأنما دوح الخمائل في الدجى
شربت من الإظلام حتى أكثبت
في كل غصّ في الظلام نواظر
وكأنما دوح الظلام ثواكل
تحنو عليك غصونها فكأنما
والدوح يهفو كالمورق في الكرى
تتردد الأرواح في أفنائه
وكأن في إطراقها وسكونها
يا ليت بعض العمر تقطع بيده
كالسفر تقرأ بعضه مُتريئًا
أو ليت حادي الأرض يعكس سيرها
أو ليت هذا الدهر عقرب ساعة
أمال أمس كزهرة قد صوّحت
يا نفس لا تأسى لعمر قد مضى
تتسوّفين إلى قديم عهوده

بُشْرِكِ خَلْفَ الْمَوْتِ لَوْ تَرَدِينَهُ نَبْتَ الرَّبِيعِ يَرُوقُ فِي غُلُوثِهِ
كَالطَيْرِ بَعْدَ الصَّيْفِ تَتْرِكُ عَشَاهَا نَحْوَ الْجَنُوبِ تَرُودُ أَرْضَ ثَوَائِهِ

* * *

عَطَفَ النَّسِيمَ عَلَى الْأَزَاهِرِ هَامِسًا أَنْ الرَّبِيعَ سَعَى إِلَى نَدْمَائِهِ
إِنَّ الرَّبِيعَ أَخَا الصَّبِيحَةِ مَقْبَلٌ إِقْبَالَ وَجْهِ الْحَبِّ فِي لَأْلَائِهِ
كَالظُّنْرِ بَشَّرَتْ النَّئُومَ بِأَنْ بَدَا فَجْرٌ لِعِيدِهِ كَانَ قَيْدَ رَجَائِهِ
وَالْقَلْبَ مِثْلَ الطَّيْرِ فِي وَضْحِ الضَّحَى يَتَلَوُ عَلَى الْإِصْبَاحِ آيَ غِنَائِهِ
وَكَأَنَّمَا أُمُّ الْخَلَائِقِ دُوْحَةٌ مِنْ قَبْلِ آدَمَ فَهِيَ مِنْ قَرْبَائِهِ
تَشْدُو كَشْدُو الْأُمِّ نَاحَ وَلِيدِهَا تَحْنُو عَلَيْهِ لَصُونِهِ وَوَقَائِهِ
وَالرَّيْحَ طَيْرٌ شَادَ فِي أَفْنَانِهَا وَكَرًّا كَأَنَّ الزَّهْرَ مِنْ أَبْنَائِهِ
وَكَأَنَّ أَجْنَحَةَ الْمَلَائِكِ نَسَمَهَا نَسَمٌ يَطْبُ بِرَفْقِهِ وَصَفَائِهِ
وَكَأَنَّ يَنْبُوهُ الْحَيَاةَ غَدِيرِهَا خُلِدَ الصَّبَا فِي جَرَعَةٍ مِنْ مَائِهِ
وَالْقَلْبُ مِثْلَ النَّهْرِ بِأَشْرَ مَاءُهُ جَسْمَ الْحَبِيبِ تَرَاهُ فِي سَوْدَائِهِ
أَهْوَاكَ يَا رُوحَ الرَّبِيعِ فَهَيْئَتِي جَسْمًا كَجَسْمِ الْغَيْدِ فِي لَأْلَائِهِ
ثُمَّ ارْقُصِي بَيْنَ الْخَمَائِلِ فِي الضَّحَى رَقِصَ الْمَدْلُ بِحَسْنِهِ وَبِهَائِهِ
فَلَعَلَّ فِي قَبْلَاتِ ثَغْرِكَ بَرِّءٌ مَا أَعْيَا الْأَنَامُ بِحُكْمِهِ وَقَضَائِهِ
أَرْدُ الْخُلُودِ بِقَبْلَةٍ وَبِضْمَةٍ تَرُوي ظَمَاءَ الْخَلْدِ مِنْ لَمِيَائِهِ
وَالزَّهْرُ يَبِيعُ بِالطَّيْرِ إِلَى الضَّحَى تُفْضِي إِلَى الْآفَاقِ مِنْ أَنْبَائِهِ
الْأَرْضُ أُمَّ لِلْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ وَالشَّمْسُ بَعْلُ شَاقِهَا بِفَتَائِهِ
فَالنَّاسُ وَالْأَطْيَارُ فِي وَضْحِ الضَّحَى وَالزَّهْرُ فِي الْأَكْمَامِ مِنْ أَبْنَائِهِ
النَّارُ وَالْأَمْوَاهُ مِنْ أَبَائِنَا وَالنَّارُ وَالْأَمْوَاهُ مِنْ أَبَائِهِ
يَهْنِكُ يَا دُوحَ الْخَمِيلَةِ بَعْدَهُ نَسِيَانُ نَيْسَانَ وَطَيْبَ هَوَائِهِ
تَنْسَى الرَّبِيعَ كَأَنَّهُ آزَفَهُ نَعْمَ الْبَلَابِلُ فِي مَثِيرِ حُدَائِهِ
لَا تَمْنَعُ الْمَشْتَاةَ عَوْدَ زَهْرِهِ وَأَرِيحُ نَسْمَتَهُ وَحَلِي كَسَائِهِ
يَا لَيْتَ طَيْبَ الْعَمْرِ يُنْسِي وَرُدَّهُ فَأَبَيْتُ مِثْلَكَ لَا أَحْنَ لِمَائِهِ
لَكِنَّ طَيْبَ الْعَمْرِ لَيْسَ بِعَائِدٍ لِأَخِي صَدَى يُظْمِيهِ صَوْبَ بُكَائِهِ
وَتَرَى كَحَالَاتِ النُّفُوسِ تَغْيِيرًا فِي رُوضِهِ وَسَمَائِهِ وَنِهَائِهِ

يبدو لنا في غيِّمه وضيائه
لتغير الأشجان في حوْبائه
كي لا يطير بصفوه ورخائه
كيما أراح لشدوه وغنائيه
كانت تطلُّ على وذيلة مائه
عشاقه وعفاته وظمائه
ما ذاق حُلْم السَّعد في لأوائه
منها ترى الفردوس خلف فنائه
فتكاد تأخذ منه إثرَ طلائيه
وأراق منها الأفق فضل إنائه
في العَيْن وقع اللحن في سودائه
أدنى إلينا من قصي فضائه
في زهره ونسيمه وصفائه
ودم الحياة يشام في أنثائه
فبدت محاسنُ جسمها ووضائه
فانجاب ستر الحسن عن حسنايه
فأماط عنها العُري ستر غطايه
في نرّوه وحنينه وغنائيه
أبدًا يزجّي الدهر وقع حدائه
في القلب دوت منه في أنحائه
طيرُ الفراش نراه من شجرائه
شرر الغرام يطير من حوْبائه
فانخر ليوم الدجّن كنز ثرائه
والنفس تعرف كنه سحر غنائيه
وأريج روضته ورقة مائه
إنَّ السعادة لا تُرى بفنائيه
فاستقبل اللذات من آلائيه

فكأنما للكون روح خُلِّقه
تتغير الأشياء فوق وجوهه
من لي بأجنحة الزمان أبيضها
أو ليته الغرد الحبيس أقيمُه
كي يذكر العهد الأنيق وأوجها
خلع الجمال قناعه وسعى إلى
والمرء لولا صيفه وربيعه
والروض باب للجان وثغرة
وكأنما صبغ الأزاهر صابغ
والضوء عُدران ترقرق تبرها
واللون شعُر للطبيعة وقعه
شهد الشتاء بأن أفق سمايه
والنفس تعظم في الربيع كأنها
والضوء خمرة للنفوس ونشوة
والأرض كالحسناء قد قميصها
فكأنما رفع الربيع حجابها
والضوء كالحسناء بزّ رداؤها
والقلب مثل الطير هيض جناحه
والطير أفواه الرياض فشدوها
وكأنما نغم الحفيف هواتف
والضوء من خلل الغصون كأنه
وكأنه والقلب يذكو شجوه
نثرت نكاء على البسيطة عسجدًا
ولكل شيء منطق يشدو به
تتلو عليك الطير طيب ثماره
والحسن ظلُّ للسعادة في الوري
ظلُّ الجنان على البسيطة واقع

يُنسي الحياة وبؤسها وشقاءها حتى يخال الحُلم أصل شقائِهِ
فكأنه كَوْنٌ حلمت بحسنه حتى نقلت إلى ذرى خضرائِهِ
هذي الطيور صوامت كنواطق نخر النسيم نشيدها لهوائِهِ

* * *

وكانما زهر الخميطة إن بدأ والطيرُ أرواحَ الزهورِ وصَيَّفُها
ضحكُ الزمانُ فذاع من ضحكاته والقيظُ يزفر بالهجير كأنما
فكأنما مرَّحُ الحياة وحسنُها فكأنما نغمُ الطيورِ أريجُها
فيحيله نشرًا يَضُوعُ ورونقًا وودت ذوات الحسن أن حُلِيَّها
مرح الكعاب الرُود في خطراتها والريح تعبث بالغصون كأنها
وترى جذورَ الدَّوح مثل أصابع وكأنما نغمُ البلابل مَطْرَةٌ
تندى على القلب الجديب فينثني والزهرُ في وَضَحِ الصبيحة قد صحا
وجلت نكاءُ ندى الزهور كأنها حتى إذا اشتدَّ الهجير حسبته
وإذا الأصيل علا السماء حسبته وحمى على قُبَلِ الظلامِ ثغوره
وتراه يرنو للنجوم كأنها كالطفلٍ يُبصرُ في الوذيلة وجهه
تحكي النجوم الزُّهرُ في دُوراتها والنجم من حَلَلِ الغصون كأنه
درس السماء صفاءها وضياءها حُلْمُ الهوى في طيبه ووضائِهِ
عهد الشباب يروق في لألائِهِ صيف يعيد الحبَّ في غلوائِهِ
يتنفس الولهان من بُرَحائِهِ لهب ترقرق في خفيِّ دمائِهِ
يُسقاه زهر الروض في أندائِهِ يشتار منه النحل أُرِيَّ عطائِهِ
كحُلِيَّهِ ورداءها كردائِهِ كالنهر يرقصُ في ترقرق مائِهِ
طفلٌ يعيث على رءوس إمائِهِ بسط الشحيح يصون كنز ثرائِهِ
فوق اللُجين شجا مُرِنٌ إنائِهِ روضًا يرف بزهره وأضائِهِ
صحو المفيق من الكرى وقضائِهِ أمُّ الوليدِ تزيل فضل بكائِهِ
نشوانٌ أثمله اللظى بسقائِهِ ذا لوعة حانت نوى قربائِهِ
كمعشَّقٍ متسَتِّرٍ بردائِهِ حُلْمٌ يطلُّ عليه في حُوبائِهِ
فيخال ذاك الوجه من قرنائِهِ رَقَصَ المدلُّ بعيشه وروائِهِ
ثمرٌ تدلَّى من عَلِيٍّ سمائِهِ حتى جرى بعروقه ودمائِهِ

كالأفق يُرسمُ في متونِ نهائِهِ
حلم الغريب بأهله وفنائِهِ
ويدت تبوح بشجوه ورجائِهِ
في صيفه وشتاؤه كشتائِهِ
وجماله في نحسه ورخائِهِ
جُرْعاً تنيلُ الخلد من ضدائِهِ
مستأنف من شدوه وغنائِهِ
سحرته باللحظات عين دُكائِهِ
حُلْمٌ يزيح القلب من ضرائِهِ
فالصيف من لآئته وروائِهِ
فتصيب من آئته وعطائِهِ
متفرقٌ في أرضه وسمائِهِ
في مائه ونسيمه وضيائِهِ
كالطيرِ حَلَقٌ في أديم فضائِهِ

والحي يحيا كالذي هو ناظر
والزهْرُ يحلم بالفرداس طرفه
حَسِبَ الطيور تحاملت عن قلبه
والقلب مرآة الزمان فصيفُهُ
والكونُ مرآة الفؤادِ فقبحُهُ
والضوء مثل دم الربيعِ فلا تَعَفُ
هذي الطيور لسانه وغناؤها
والزهْر في حرِّ الهواجر نائم
والأرض تحلم بالجنان فصيفها
بسَطَ الجمالُ على الفضاءِ جناحَه
فكأنه مَلَكٌ يُحَلِّقُ فوقها
يا ليت أن المرءَ في أرجائها
حتى يصيرَ من الجمال بمنزل
وتظل تسمو النفسُ في آفاقه

خواطر الأرق

مسهد القلبِ عون لي على السهرِ؟
كساهر الليلِ يقضي الليلَ بالسميرِ
قَوْلِي لمن هو روح الضوءِ والبصرِ
كخائض النهر أبدي كدرة العكرِ
كالريح تمحو ظلال الزهر في النهرِ
خيطاً على القلب يخفي أنفَس الذخرِ
كمن يزيح القذى عن شرعه الغدرِ
كالجذر مستوثقاً في منبت الشجرِ
تسقي دمي مثل ريِّ الماءِ للزهرِ
يا عازبَ النوم أسدل حاجب الذكْرِ!

يا ليلُ أين أليفُ الهمِّ والذكْرِ
وصاحب الهمِّ يبغي صنوه أبداً
فقل لأحلامك اللاتي نراح لها
خاض الزمانُ مياة الحبِّ فاعتكرتُ
مراسم لك دون القلب يدرسها
وعنكبوت من النسيان ناسجة
جلت عن القلب ذكرى منك طارقة
فابعث بذكراك في قلبِ نبتٍ به
فإنَّ زهرة حسنٍ أنت لابسها
والذكْرُ كالطرفٍ إما نابِه أرق

تستدرج القلبَ أخذ الطير بالنظرِ
 عود الطيور إلى الأوكار في الشجرِ
 لنبوةٍ منه في أيامك الأخرِ
 بطلعةٍ منه تحكي طلعة القمرِ
 وأسعد الناس من يأتُمُّ بالقدرِ
 ودون ذلك يُبَسُّ من نوى الثمرِ
 فإن ثغرك كأس العابس الأشرِ
 فإن قلبك مثل الماس في الحجرِ
 للناس رجم كرجم القرد بالمدرِ
 حتى أقول تحرَّجُ من دم هديرِ
 أقسى من الصخر فعل الراجم المكرِ
 بها شياطينُ تبدي صورة البشرِ
 من غاص فيه على الأصداف والدرِ
 كخالط الكأس أخطأ لذة السُّكرِ!

خواطرُ كطيورِ الروضِ سانحة
 إن غرَبْتُ فإلى ذكراك عائدة
 قد قُلت للحبِّ لا تعتب على سكتي
 كم لي وكم لك من يوم لنا بهجِ
 إن يَقسُ قلبك فالأقدار قاسية
 أو يَجفُّ قلبك فالأثمار يانعة
 أو كان قولك مرَّ الطعم لا عجبًا
 فارجم بقلبك قلبًا أنت مالكة
 ولست أول من أصمى فلا حرج
 لم يترك الناس من قلبي له رمقًا
 يرمونني بقلوبٍ في مودتهم
 كأنها بعض أحجار الجحيم رَمَتْ
 والحبُّ كالبحر لا يَحْشَى به غرقًا
 وخالطُ في الهوى لم يَدِرْ لذته

غل السرائر

ومن لم يسغه فهو أجنب بائنُ
 وليس رضاء النفس ما هو كائنُ
 وما عاب نفسًا جائر القول مائنُ
 وتحسب أن البصق لله شائنُ؟
 ألا إنه قفلٌ على القلبِ صائنُ
 يكاد المبادي والصديق المدهنُ
 وإن قلت لليث اصطبر هو ساكنُ!
 ومن حوله في الناس باكٍ وحائنُ
 كما تطرق العدوى وإن قيل آمنُ
 كما اقتربت في الصدر منه الضغائنُ

لقد عابني للناس أن عفتُ لؤمهم
 وإن رضاء النفس ما ينبغي لها
 فيا عائبًا نفسي بقولة كاذب
 أتبصق في المحراب وهو مطهرُ
 يقولون: رزق المرء مفتاح قلبه
 فدع عنك هذا الناس إن كنت فاعلاً
 أقولك للأنعام عزي يعزها
 وكيف يطيبُ العيش للمرء وحده
 يضير شقاء الخلق من حيث لا يرى
 يقارب في بغضي عدو عدوه

فقد شاكلتها في الأنام القرائنُ
رأى أن لحظَ الشمسِ في الأفقِ عائنُ
إذا بِشَمَّتْ منها النفوسِ البوائنُ
تعجَّبَ من غلِّ طوته البوائنُ
وقد عمرتُ في الصدرِ منه المواطنُ
ولكنْ على قدرِ النفوسِ التباينُ
فلا غرَوُ إنَّ الناسَ عادٍ ولاعنُ
يهشُّ لها من سادرِ الموتِ ماجنُ
أدفاً منها في الضريحِ الدفائنُ؟

ولحَّتْ صدور العجم تضرر بغضتي
ومن نغص الحساد نعمى يسيغها
سخائم لا يدري سوى الموت سلها
لئن بلغ الإنسان أفق وهاده
وقد يعجب الإنسان من غلِّ غيره
وكل امرئٍ فينا حسودٌ محسِّدُ
لئن كان في نفسي عدوٌّ أخافهُ
حياتي حياةٌ إن يلح لي حسنها
تضيء شمس المجد آثار من مضوا

آلة الضمير

وخبُّ يكيد بإبهامه
لكيما يُسرَّ بإيلامه
ولكن ليحظى بأحكامه
يرى مهلكاً دون إنعامه
تناءى الضمير بالآمه
يرى الطهر في روث آثامه
دماء تصيح بإجرامه؟
بريء شقيُّ بأحلامه
يخفُّض من حقِّ إكرامه
لتفلت من ظنِّ لوأمه!
ر ينقع من غلِّ تهيامه
ك ضير النقيض بالمامه
يذلُّ البريء بأسقامه
ونور المغدِّ بالهامه
ر لؤم الضمير وأوهامه

ألا مَنْ لِدَهْرٍ وأيامه
يودُّ عشير الورى صنوه
وليس الضميرُ لخير سواه
ليمنع إتيانه مأثماً
فإن لم يجد فيه هلكتا يعاف
فلا تبتغِ النصف من خيرٍ
هل التبر يحمر من سفكه
وما الناسُ إلا أخو خجلةٍ
وذو لوثةٍ ما له من حياءٍ
فداو الحياء ببعض الشرور
وما كلُّ باغٍ لخير الشرو
بقدر تُقَاكَ يضيرك شرُّ
وبعض الضمائر داءٌ عياء
وأخز كالسيفِ حرب الخطوبِ
ومن لذة العيش جهل المغامِ

وذلك من خير هذي النفوس، والشرُّ يثني بإبرامه

دعوة المصلح

قَهَا المَحْتَتُّ فِي الوَادِي	أَلَا يَا صِيحَّةَ أَطْلَ
ر فِينَا طَيِّ أَبْرَادِ	لَتُنْ كُنْتَ طَوَاكِ الدُّهْ
ر زَهْرِ الفَنَنِ البَادِي؟	أَمَا يَزْجِي خَفَاءَ البَذِ
بِصَوْبِ الرَّائِحِ الغَادِي	سَقَاكَ السَّامِعُ الوَاعِي
بِغَصْنِ مَنْكَ مِيَّادِ	وَعَنَى هَاتِفُ النَفْسِ
كَ مَخْبِوَةٍ لَمِيْعَادِ	فَفِي النَفْسِ بِلَاغُ مَنْ
كَ مِثْلِ الضِّيغِ العَادِي	وَفِي النَفْسِ اقْتِدَارُ مَنْ
بِرِيِّ الهَالِكِ الصَادِي	غَدًا يَنْفَجِرُ الصَخْرُ
بِإِبْرَاقِ وَإِرْعَادِ	وَصَمْتُ مَنْكَ قَدْ يَحْدُو
بِأَطْنَابِ وَأَعْمَادِ	وَإِنَّ الدَّهْرَ بَانِيكَ
مِقَادِيرَ بِمِرْصَادِ	وَخَصَّتْ لَكَ فِي الغَيْبِ
مِقَامَ المَاءِ وَالزَادِ	وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ قَامَتْ
تِ نِي وَعَدِ وَإِيعَادِ	وَكَمْ مِنْ خَافَتِ الأَصْوَا
بِإِتْهَامِ وَإِنْجَادِ	سَيَسْعَى لَكَ أَفْوَاجِ
مِ مِنْ غِيٍّ وَإِرْشَادِ	وَيَهْفُو مِنْكَ فِي الأَقْوَا
إِذَا مَرَّ بِوَرَادِ	وَيَحْكِي صَادِرَ عَنكَ
ر فِي صِرْحِ وَأَطْوَادِ	وَكَمْ مِنْ مَخْتَفٍ يَنْخِ
أَضَلَّ طَرِيقَهَا الحَادِي	أَلَا يَا صِيحَّةَ خِيَلَتْ
كَمُونِ الصِّلِّ فِي النَادِي	وِظَلَّتْ وَهِيَ كَامِنَةٌ
ةُ فِي الدَّنِّ لَمِيْعَادِ	كَمَا تَخْتَمِرُ الخَمْرُ

الشهرة بعد الموت

يزاد عمر الصيت في عمره!
وا غبنة الميت في ذكره
كيما يُشاد الذكر في قبره!
بما مضى بالذكر من دهره
ليومه المُعنيق في فرّه
والمقبل المرجو من أمره
يخفيه جرم الدهر في مرّه
يخفيه جرم الدهر في مرّه
والسيف راق العين من شهره
والوهم مثل الحق في خدره
إن لم يُربها الوهم في غدره
قرطاس يحوي اللب في سفره
إذا استفاض الدهر في بحرّه

ما أحسن الصيت لو أن الفتى
أمّا ولا نفع يرجى به
يهدم من لذات أيامه
وما رأينا بائعاً من غدٍ
بشهرة من أزل غابِرٍ
سيان صيت قد مضى عهده
والذكر ظلّ لحياة مضت
ورب ظلّ خلف ساع سعى
صيت يعيد الذهن كالمُنْتَضِي
والنفس تبغي الخلد في وهمها
فالبطل في إيمانها نافع
تحتال بالأهرام طوراً وبالـ
سفائن لا بد من هلكها

دلال الربيع

يا ربيعاً زاد الربيع جمالاً
ليس يسلي عن الحياة رجالاً
أو مضى كان نكرةً ومقالاً
وبثغر يحكي لنا الجربالاً
تَه دلالاً فلسنت أخشى دلالاً
ويزيد الحكيم فيه جلالاً
تبصر العين حكمةً ومقالاً
بُ وأنحى على اليتيم وطالاً
نون أرعى من أن يطيل زيالاً
ت شتاء حدًا الربيع زوالاً

أنت روح الربيع حين تَلالاً
غير أن الربيع وهو عزيزُ
إن أتى كان قرّةً ووصالاً
أيها المعرض المدلُّ بطرف
زد مطالاً فلسنت أبكي وصالاً
أنا كالليل يفزع الغرُّ منه
ويرى الرأي في الدجنة ما لا
هو نغم الطبيب إن كرت الخطُ
وابتدار الربيع عانقه كا
وسريع كُر الزمان فإن فا

لشتاءٍ أرجى وأجدى نوالاً
تارةً مطرةً وطورًا هلالاً
وفؤادي قد شامَّ حالًا وحالاً
نُ حوى منك نضرةً وجمالاً
رُ عن البحر والسماءِ مجالاً
فَ إذا شئتَ قيظه والظلالاً
فى رواءِ الزهور سحرًا حلالاً
ر ارتياغًا وحيرةً وضلالاً
ءَ وقد آذن الربيعُ ارتحالاً
بِ غرامًا كالصيفِ أوفى وغالى

وطلوعُ الربيعِ وهو قرين
ضمَّ قلبي من الحوادثِ نخرًا
يا شبيهةً الربيعِ إنَّك حال
وفؤادي كالكون لا بل هو الكو
فابتعدُ إن قدرت هل يجد البدُ
وائتني في الشتاءِ أرتجع الصيِّ
بزفيرٍ يحيي الغصونَ ويلقي
فيفرُّ الشتاء في غابر الدهـ
غير أني أقلى من الصيفِ إن جا
يا ربيعًا مضى وخلف في القلـ

ربيع القلوب

مطارك مثل مطار الطيورِ
معللنا بالرجاءِ القصيرِ
وخير الخمار خمار السرورِ
وعهد الهدوى ونجى الصدرِ
كثير المانيِّ جمُّ الحبورِ
وهل يشبه الزهر غير الثغورِ؟
وطيب الزهور ونفح العبيرِ
ربيع القلوب وعهد الزهورِ
تقول اغتتم صفو عيشِ نضيرِ
فعهدُ الشبابِ كعهد الزهورِ
طلعت علينا طلوعَ البدورِ
تمتع بضوئك قبل المسيرِ
وملكك في ضوءِ هذا السفورِ
وفي كل جيدٍ ممرُّ الجريرِ

ربيع القلوبِ وعهد الزهورِ
تضمُّ لنا الإلف بين الوكورِ
وخادعنا عن صروف الدهورِ
وخيرُ زمان زمان الزهورِ
ويا رُبَّ عهدٍ كوجهِ البشيرِ
وهل يصقلُ العيش غير الغرورِ
تمرُّ علينا بلفح الحرورِ
وتخلف ذكرى كشدو الخريزِ
فقم واستمع نُصحِ هذي الطيورِ
ولا تغبنن في الشبابِ القصيرِ
فيا قمرًا في ليالي الحبورِ
لتغرب في ظلمات القبورِ
فمكثك فينا كمكث الزهورِ
وعادى الردى يده في النحورِ

وكم ثمر عَطن في الثغورِ
ولا يندمُ المرءُ قبل القتيرِ
فإنَّ الشبابَ كثيرُ الغرورِ
وهل ينفَعُ المرءَ وعظُّ النذيرِ
ويعبتُ بالزهرِ عصفَ الدُّبورِ
وقبل انجلاء غشاءِ الأمورِ
وفعل الرجاءِ كفعلِ الخمورِ
إذا فات عهدُ الشبابِ النضيرِ؟

حقيقة أم وهم

إن يكن ريع من خرائبِ نفسِ
فبما قد أفاض من وَضَحِ الحُسِّ
أو أكن قد بكيت للنأي فالأر
ولو إنَّ الأيامَ تُدركُ ودًّا
أنت نفسي وليس من حقِّ نفسي
أشقاءً في الحبِّ قد صارَ سَعْدًا
فكأنِّي أحببتُ منك خيالًا
وكأنِّي لم أُلِفِ بعدُ لقاءً
فلعلِّي إذا لمستك لم أُلِ
إن تكن قد نفيت عني أما
فالأسى لا كانت إلفٌ ودود
فهو عندي وديعةٌ فاطرحها
لو عداني نحس شقيت به منذ
وشقيُّ الهوى ليشقى ولو أخذ
إنما السعدُ والشقاءُ من النفسِ
سننُ سنّها القضاءُ فقد أصد

في ضلوع من الحوادث درس
ن عليها كالبدر فوق الرمس
ض تريق الندى لنأي الشمس
لبكى لي من حرقة النأي أمس
أن يقول العذول أبغضت نفسي
أم هو السعد حائل للنحس
خلت إياك غير جسمٍ وجرس
أتقرى اليقين منك بلمس
فك فينا إلا مجاجة شمس
لي وجرعتي مرارة ياسي
أنت خلفته فأكثر أنسي
في ضلوع على الصبابة حبس
ك لما خف من أساي ونحسي
طأ منه صبابة المتحسي
س فما لي أنحي على غير نفسي
بح حربي من كنت أعتد ترسي

عالم الحسن

فهذي عيونٌ للمنون تراني
 إذا متُّ لم أبصر وجوه حسان!
 وفي كل وجهٍ للجمالِ معاني
 سواء أقاص في الدنى وأداني
 وأبصر ما لم يبصر المَلَوَانِ
 عنانِ قلوبٍ نحوهن رواني
 وأسمع ما لم تسمع الأذنانِ
 عليه فتدوي الأرض بالخفقانِ
 وأي قلوبٍ في التراب حواني
 فحسب الهوى من نعمةٍ ومثاني
 تقاطرُ حسن الكون دون جناني
 كأن بسمعي أنه لحناني
 يرتل أمالي بغير لسانِ
 دماء تضيء الوجه بالجريانِ
 يداوي به من غائل الحداثِ
 إذن لأصاب الخلد كل جبانِ
 فلم يبق منها في الحسان معاني!
 وأخرى حداها الموت بالوخدانِ
 سوى لمعات منك غير دواني!
 وها إن سهمًا من هواك رماني
 فلبيتُ فيك الشوق حين دعاني
 ورب صموتٍ ناطقٍ ببيانِ
 ويحكي عباب الدهر بالنهضانِ
 ويا ربَّ ذكر هاتف بأماني
 رعى البحر فيها بدرها ورعاني
 تشوق فؤاد الصبِّ للطيرانِ

ذراني أبيض الحسنَ قودَ عناني
 وأكبر ما أقلى من الموت أنني
 ففي كل معنى فتنةٌ ولذاعةٌ
 فمن لي بخلد أبصر الغيد كلها
 وأبصر حسنًا أطفأ القبر نورَه
 وترنو عيونٌ سوف يملك سحرها
 وتبدو وجوه في الغيوب مهودها
 كأني بتربي يعرف الغيد إن سعت
 فيا عاشقها إن في القبر عاشقًا
 وقلبي عودٌ أحكم الحسن لحنه
 تقاطر ماء في المناقع من علي
 أحس إذا ما أبصر الطرف حسنه
 كأن وجوه الكون نعمة منشيد
 فيا من ضياء الشمس بين عروقه
 ويا من رحيق الخلد من خمر ثغره
 فلو نال منه خائف الموت جرعة
 جمعت صفات الحسن والخلد كلها
 سواء حسان بعد لم يبد حسنهما
 فما عشق العشاق من عهد آدم
 رميت جميلًا والوليد بفتنة
 دعاني دعاء العيش والموت دونه
 دعاني دعاء الليل رق نسيمة
 دعاني دعاء البحر يشجو خريره
 دعاني دعاء الذكر والذكر هاتف
 دعاني دعاء العود في البحر ليلة
 دعاني دعاء الزهر والطير روحها

دعاني دعاء الفجرِ والفجرُ شائقُ
 فلا تدعونُ قلبي إلى الحبِّ دعوةً
 دعوتك بالحسنِ الذي أنت ربُّه
 ولا تنقمنُ أني نقمت خديعة
 ولا يكُ فوضى قلبك الغضُّ أنَّه
 فإن كان لي في بعض خلقي ومنطقي
 فحسبك فاصدع حاجب الود بيننا
 وإلا فناكرني على الحبِّ يسترخُ
 سواك يهزُّ القلبُ كالظنيرِ طفلها
 كأنَّ انفجارَ الفجرِ خلُق كيانِ
 لكيما تثيب الحبَّ بالشنآنِ
 لكي لا تخال القلب نهزة جاني
 من الناسِ غالت مهجتي وجناني
 فؤاد على رغي الأمانة حاني
 شفيع إلى لقياك ليس بواني
 بإمرة معبودِ الجمالِ مداني
 فؤادُ حبيسٌ في جبالِكَ عاني
 وأنت تجنُّ القلبَ بالخفقانِ

اختفاء الحق

لو عدنا متاجرَ الـ
 تاجر الحقِّ بالمعا
 كان يشري نسيئة
 فاختفى خشيَةَ القضا
 كتم العيش منزل الـ
 هو طبُّ بأمره
 علموه حَطَّ ابنِ مقفـ
 وسلوه يخطُّ في الـ
 أو فصبوا له الشرا
 لمت قومي لجعلهم
 ذلك الحق بينكم
 صاح في القوم قائلٌ:
 وهو إن عاش مفلساً
 حقُّ ألفيت مفلساً
 ني فقد نال واكتسى
 فرأى التجرَّ أبخساً
 ء فهل ناله الأسي؟
 حقُّ إذ كان أخرساً
 فحماه ليُبلساً
 لة إن كان ألبساً
 طرس أسرارَه عسى
 ب ليفشي إذا احتسى
 صفقة البطل منفساً
 بعد ما كان أشوساً
 إنه عاش مُفلساً
 كان بطلاً مقدساً!

زورة الملائكة

شَرَفْتُ دَارِي مِنْهُ وَالْفَنَاءُ
 يَا وِلَاةَ الْحَقِّ يَا أَهْلَ السَّمَاءِ
 تَبْعَثُونَ الْبِرَّ فِي جِرْحِ الْقَضَاءِ
 بُلْغَةَ النَّفْسِ وَرِيًّا لِلظَّمَاءِ
 وَعَمِيمُ الْفَضْلِ قَرْنٌ لِلْحَيَاءِ
 إِنَّ وَجَهَ الطَّهْرِ مَعْبُودُ الرِّوَاءِ
 مَا أَضَلَّ الطَّرْفَ فِي ذَاكَ الضِّيَاءِ
 إِنَّ بَعْضَ اللَّحْظِ يَشْفِي كَالدَّوَاءِ
 مِثْلَ ضِحْكَ التَّبْرِ فِي وَجْهِ الشَّقَاءِ
 إِنَّمَا النِّقْمَةُ ضَرْبٌ مِنْ غِبَاءِ
 وَيَرَى الْأَفْعَالَ فِي غَيْبِ الْقَضَاءِ
 مِثْلَمَا تَطَهَّرَ أَجْسَامٌ بِمَاءِ
 نَفْسٍ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ الْعِيَاءِ
 يَطْرَفُ النَّفْسُ بِالْحَانَ الْعِلَاءِ
 لَوْ وَعْتَهُ الرِّيحُ فِي سَمْعِ الْهَوَاءِ
 بِحِبَالِ الْيَأْسِ مَصْفُودِ الرَّجَاءِ
 مِثْلَ رَسْمِ النُّجْمِ فِي مَتْنِ النُّهَاءِ
 خَلَقْتُ فِي الْأَنْفِ ذَكَرِي كَالذَّمَاءِ
 أَحْمَدُ الْعَيْشِ وَأَسْتَقْصِي الْبِقَاءِ

مَرْحَبًا بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى الَّذِي
 حُلْمًا فِي النَّوْمِ أَمْ حَقًّا أَرَى
 يَا وِلَاةَ الْحَقِّ يَا أَهْلَ النَّهْيِ
 أَسْعِدُونِي أَقْتَبَسْ مِنْ نَوْرِكُمْ
 مَلَكُ الْفَضْلِ حَيِّي لِحْظِهِ
 مَلَكُ الطُّهْرِ صَبِيحُ وَجْهِهِ
 مَلَكُ الْحَقِّ اخْتَفَى فِي نَوْرِهِ
 مَلَكُ الرِّفْقِ دَوَاءُ لِحْظِهِ
 مَلَكُ الْجُودِ ضُحُوكِ بِشْرِهِ
 مَلَكُ الْعَفْوِ رَجِيحُ رَأْيِهِ
 يَرْحَمُ الْجَانِي عَلَيْهِ كَذِبًا
 طَهَّرَتْ نَفْسِي فِي أَضْوَائِكُمْ
 وَشَمِمْتُ الْخَلْدَ مِنْ أَنْفَاسِكُمْ
 أَسْمَعُونِي مِنْطَقًا أَحْيَا بِهِ
 مِنْطَقًا كَاللَّحْنِ حَلْوُ رَجْعِهِ
 زُورَةٌ فَكَّتْ أَخِيذًا عَانِيًا
 وَأَرَى فِي النَّفْسِ رَسْمًا مِنْهُمْ
 وَعَبِيرًا كَشَذَا الْأَزْهَارِ إِنَّ
 خَلْفُونِي وَادْعَا مِنْ بَعْدِهِمْ

الأم المسكينة

قَى وَتَسْعَى لِرِزْقِ نَسْلِ كَثِيرِ
 ضِحَّ طِفْلٍ مِنْ خَلْفِهَا بِالنَّعِيرِ
 ضُ فَرَاشًا مِنَ النَّعِيمِ الْوَثِيرِ
 كَهْزِ الرِّعُومِ مَهْدَ الصَّغِيرِ

أُمَّنَا الْأَرْضُ كَالعُجُوزِ الَّتِي تَشُّ
 فَإِذَا مَا غَدَتِ تَدَلُّلَ طِفْلًا
 كَلْنَا وَدَّ لَوْ تَمَدُّ لَهُ الْأَرُّ
 وَتَغْنِي لَهُ بِمَا يَطْرُدُ الْهَمَّ

وهي عمياء لا ملام عليها
لا ترى أدمع الشقي ولا تُب
وهي صماء ما وَعَتْ صرخات الـ
فهي أولى برحمة وبإشفا
لا يصيب الصواب غير البصير
صر وجه المحزون والمصدور
نَحَس في الخلق من شقاء الأمور
ق عليها من مشفقٍ وعذير

جد أم لعب

يبكي بريء الوري لمذنبه
ذا صولجان القضاء منفلت
هذي كرات الدنى تدار به
فلا تقل حقه وحكمته
يا حية الخلد كم لبستِ وكم
كأن هذي الحياة غانية
كأنما الناس بُردها أبدا
ثوبًا فتوبًا تظلُّ تخلعه
كأن مرآتها الكمال فما
يا ضيعة الخلد لهو غانية
وهكذا المرء عيشه طلب
هل لنفوس الورى الظماء وهل
أم ظمؤها قاطع بأن لها
أم ظمؤها غلة الجريح أخي الـ
فقل لراجي القضاء ريع به
أما ترى الليل ظلّ مضر به
لعبة من جد في تطربه
أتبتغي الحق بين ملعبه؟
نضوت جلدًا يشقى الأنام به
تعاف بُردًا من بعد مطلبه
تعاف ملبوسه لمعجبه
إذا خصي الحمام أب به
ترضى بما لم يرق بمذهبه
يقضي به الخلد في تسربه
حتى ليؤذى بنيل مأربه
للعيش من ناقح يبيل به؟
خير منال تظمى لمشربه
دء هلاك لا براء منه به

اصبر

اصبر لعل النحس في لونه
لعل دمعا منك لم تحتسب
لعل دمع النحس در له
إذا دجا ظل لجرم النعيم
ينبت زهرا في اليباب العقيم
يسلك في عقد الرخاء النظيم

لكنّه يبلغ شأو الظليم
 كمبتغٍ بالزفر طرد الغيوم
 بنفخةٍ يرسلها في النسيم
 يرجع عنها وهو عين الكظيم
 كِ الرُعب في بحر الأسي والغوم
 أهوجُ تدمي قلبه بالكُوم
 أنا ويعنو للبيبِ الحليم
 ءِ اهتاجت الأطماع نار الهموم
 للنهر لولا الصخر خطو السقيم

والصبرُ طرفٌ مجهدٍ أخرج
 ومبتغٍ محو الأسي بالأسى
 أو مبتغٍ إطفاء شمس الضحى
 أو ناصبٍ للريح أشراكه
 وهل زفير الحزنِ هادٍ لفلُـ
 أطماعنا كالجنِّ إن رامها الـ
 كالكلبِ يدمي قلبَ كلابه
 إذا هدى الناسَ ضياءَ الرجا
 كم خيبة تعقد عزم الفتى

صلع الدهر (من شعر السخر)

قذاله لو جزّه أصلعُ!
 لعلّها من خلفه ترقعُ!
 لكنّه من خلفها أقرعُ!
 وحسرة ما خلف المطلاعُ!
 فإنما يصلع إذ يصفعُ!
 وإنما يقرع إذ يُقرعُ!
 اللون من روقته يخدعُ!
 فإنما يعديك ما يطبعُ!
 فخير ما يجدي لك المبضعُ!
 وقد يضير المرء ما ينفعُ!
 بالرغم من صلعته أروعُ!
 فإنها من خلفه تلمعُ!

ناصِ صروف الدهر مستقبلاً
 فجزّ من لمته خصلةً
 فالدهرُ إن أقبلت ذو لمةٍ
 مطلقه مثلُ طلوع المُنَى
 ولا ترم بالذمّ صفعاً له
 قراعهُ مثلُ قراعِ الظبى
 فاطل قفاه بمدايٍ لعلّ
 وغضّ عنه نظراً واعياً
 وإن جرى في الدمّ كره له
 حجامَةٌ لا شك في نفعها
 ولا تَعَفْ صحبتته، إنه
 واحنٍ له الرأسُ لكي لا ترى

قرد النهى أو الفلسفة الحديثة

وَصُدِّقْ ما خالوه من ذلك القولِ
أيا دهر ما للقردِ ويبكِّ والعقلِ!
إلى خير ما جاءت به حكمة الرسلِ
مقالَ رشيد القولِ والخلقِ والفعلِ
وإنك لا تدري بما فيك من جهلِ
فإنك يا قرد النهى معوز المثلِ
ليهنك يا قرد النهى مطعم النقلِ
وإن نلتَ من جدواه نيلًا على نيلِ

لئن كان خلقُ القرد والناسِ واحدًا
فسائلُ بهذا الدهر إن جدَّ جدُّه
مقيمٌ على الدقعاء يسمو برأيه
وقلُّ لبغيضٍ يحسبُ الحقَّ جرعةً
جهلتُ، ولكني بجهلي عالمِ
ودعهم ولجَّ بالرأي في كل مغلق
ولو كان ذاك العقل نقلًا حمدته
ولكنه كالآلِ يظمى غديره

قبلة الوداع

أُعيِدُ الزمانُ عهد اللقاءِ؟
وضم الغريق وجه الماءِ
هاراً عن بعضه مشيدُ البناءِ
فتصغي قلوبنا للغناءِ
تذيعُ العبيرَ في الأرجاءِ
ق تزين النفوس بالآلاءِ
هُنَّ هَدْيُ الهوى وهدي الرجاءِ
رانٍ في يابس الغضا والإضاءِ
تى نفوسٌ من ميتة وعفاءِ؟
فوق هذا الثرى وتحت السماءِ
لقه من نسيمه في رداءِ
طررُ إلا في طيِّ هذا الهواءِ
ضي ونفس كثيرة الأصداءِ

قبلةٌ ثم فرقة وتناهي
وعناقُ كملتقى اللجِّ في اليمِّ
وانثناء عن العناق كما ينو
قُبْلُ كالطيور تصدح بالحبِّ
عابقات كأنها الزهرُ الغضُّ
خالدات كأنها النجم في الأفِّ
وهي في ظلمة الحياة نجومٌ
قُبْلُ صوتها ككلحبة النيبِ
فهي روحُ العهد القديم وهل تو
يسمع العابرُ المجدُّ صداها
فيخال الهواء قبل إلفا
وحماه عن العيون فما يخُ
كذب الظنِّ إنها ذكر الما

تبر النفوس

رُقي سَعِدَتْ بِهَا لَوْ يَنْفَعُ الرَّاقِي
 أَجْلٌ شَطْرِيهِ مِنْ أَفْكَارِهِ الْبَاقِي
 وَ الْجِسْمَ بِالنَّفْسِ فَعَلَّ الْحَافِظُ الْوَاقِي
 يَهْدِي الْمَغْلَسَ مِنْ لَمَحٍ وَإِبْرَاقِ
 كَالصِّلِ يَجْمَعُ مِنْ سَمٍّ وَتْرِيقِ
 تَرَى الْفِرَادِسَ مِنْ دَمْعٍ وَأَمَاقِ
 شَكْلًا بِشَكْلِ وَأَخْلَاقًا بِأَخْلَاقِ
 لَمَعَ السَّرَابِ لِعَيْنِ الرِّكْبِ وَالنَّاقِ
 ذَاكَ الْمِثَالِ عَلَى لِأَلَاءِ رَقْرَاقِ
 كَمَنْ يَطُلُّ عَلَى الْأَحْيَاءِ مِنْ طَاقِ
 عَلَى خَصَاصَةِ إِقْتَارِ وَإِمْلَاقِ
 يَذُلُّ بِالْحَرَصِ مِنْ هَامٍ وَأَعْنَاقِ
 وَأَنْتِ شَمْسٌ تَعَلَّتْ بَعْدَ إِشْرَاقِ
 مِثْلَ الدَّمِيمِ بِقَصْرِ جَدِّ بَرَّاقِ
 وَعَاطَلُ الْحَسَنِ كَالْحَالِي بَعْشَاقِ
 عَدْلًا تَقْضَى بِأَحْزَانٍ وَأَعْلَاقِ
 كَالْبَدْرِ يَهْتِكُ مِنْ إِظْلَامِ أَفَاقِ!

لَوْ أَنَّ لِي حِكْمَةً مِثْلَ التَّمَائِمِ أَوْ
 فَعَلَ الْفَتَى هُوَ شَطْرٌ مِنْ تَفَكُّرِهِ
 دَاوِ الْنَفُوسَ بِلَذَاتِ الْجِسْمِ وَدَا
 نَارَ الْأَسَى شَعْلَةً تَهْدِي الْنَفُوسَ كَمَا
 وَالْبَغْضُ فِي زَهْرَاتِ الْحَبِّ رَيْقَتِهِ
 أَنْتِ النَّعِيمُ وَرُوحِي فِي جَحِيمِ هَوَى
 شَوْقٍ إِلَيْكُمْ يَحِيلُ النَّفْسَ مِثْلَكُمْ
 فَاطْرِدُ مِثَالَ كِمَالٍ فِي الضَّمِيرِ لَهُ
 بَطْلَعَةٌ مِنْكَ مِثْلَ الشَّمْسِ رَافِعَةٌ
 يَطُلُّ فِي النَّفْسِ مِزْهَوًّا بِصُورَتِهِ
 الضُّوءُ تَبَرُّ وَلَكِنْ مَا لَهُ لَمَعٌ
 وَالتَّبَرُّ ضَوْءٌ يَطِيْعُ اللَّمَسِ رَائِقُهُ
 فَأَنْتِ تَبَرُّ وَضَوْءُ الْحَسَنِ وَهَجَّتُهُ
 فَلَا تَكُنْ لَكَ رُوحٌ فِي وِضَاءَتِهِ
 الزَّهْرُ زَهْرٌ وَإِنْ لَمْ يَلْقَ نَاشِقَهُ
 لَنْ مَضَى الزَّمَنُ الْمَاضِي بِرُوقَتِهِ
 وَخَلْفَ الذِّكْرِ رُوحًا مِنْهُ شَائِقَةٌ

ليت شعري

وَيَا لَيْتَ شَعْرِي خَطْرَةٌ مِنْ دَلَالِكَا
 أَدَاوِي بِهَا قَلْبًا بِحَبِّكَ هَالِكَا
 وَيَا لَيْتَهُ مَسْتَأْنَفٌ مِنْ وَصَالِكَا
 عَلَى مَنَهْلِ الْأَلْحَاطِ رَشْفِ نِهَالِكَا
 تَبْقَى مِثَالًا نَاحِلًا مِنْ خِيَالِكَا؟
 تَبْتُ الْهَوَى بِتِّ الْهَوَى مِنْ صِقَالِكَا

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي فَتْنَةٌ مِنْ جَمَالِكَا
 وَيَا لَيْتَهُ مِنْ سِحْرِ لِحْظِكَ نَشْوَةٌ
 وَيَا لَيْتَهُ عَطْفٌ كَعَطْفِكَ نَافِعٌ
 دَعِ اللَّحْظَ يَسِقُ الْقَلْبَ مِنْكَ، وَلَا تَخَفْ
 أَنْتَقِصَ مِنْ رَشْفِ الْعَيُونِ كَأَنَّمَا
 وَقَدْ تَصْقَلُ الْوَجْهَ الصَّبِيحَ لَوَاحِظٌ

وما لضيء الحسن ظلُّ على الثرى
إذا اسطعت فاجحدُ ما عشقناه نتخذُ
إذا كان ربُّ الحسن بالحسن كافرًا
تبالةً بالنكران كيما يغرنا
أتنكر أن الحبُّ أنت سننته
جمالك ولأج إلى القلب بالغُ
فلا تجعل النكران كلِّمًا ولوعةً
ولا تجعلني خاطر السوء في الورى
ولا تتركن قلبي كأطلال معبد
وإن خلت بي الكفران فاسأل محاسنًا
جمالك أشراك القضاء فما لنا
ولكنها روعي ترى في ظلالكا
على الحسن عونًا ناصرًا من مقالكا
فذلك سهم قاتل من نبالكا
دلالك يا ويح الهوى من دلالكا!
وأوردتنا ورد الهوى في عقالكا؟
سريرة قلب برؤه في جمالكا
فحسبي كلوم جمّة في نزالكا
تضنُّ عليه أن يلمَّ ببالكا
يُري الناظر العجلان عقبى زيالكا
لديك أقليمي مفلت من حبالكا؟
فكاك فقد أحمى علينا المسالكا

أنت والربيع (أغنية)

أما كفى الربيع يهيج إذ يذوع؟
وقلبي الصديق في نشره يذيع
أأنت والربيع؟
جلاك لي السطوع يا قمرًا يروع
من حسنه شفيغ جدّ بي الولوع
أأنت والربيع؟
روح له سنيغ منك له طلوع
اليأس والطموع والحبُّ والربيع
أما كفى الربيع؟
وعيشنا شروغ يا لهف من يضيغ
أطياره وقوع زيالها سريغ
أأنت والربيع؟
ها شملنا جميع وعيشنا وديغ

وما له رجوعُ وأنت لي قَطُوعُ
أأنت والربيع؟
تعيًا به الضلوعُ من شجورٍ ما يذيعُ
قلبي له سميعُ إذا دعا يطيعُ
أأنت والربيع؟
نافسك الربيعُ من غيرِ يَضُوعُ
فَعَزُّ وِصْلُ تُلَيْعُ حسناً له يضيعُ
أأنت والربيع؟

حلم بالأرواح الطليقة

تعموم فوق النورُ كالغيد في الغديرُ
مرسلة الشعورُ كفاتنات الحورُ
في فلكٍ مسحورُ تمرح كالطيورُ
على ذُرَى الأثيرُ والخلد كالوكورُ
وكَلَّةُ الخدورُ ترقص مثل النورُ
في روضه النضيرُ ومائه الطهورُ
كرقصة البدورُ في صفحة الغديرُ
تنفح بالعبيزُ كنفحة الزهورُ
صافية الضميرُ كلمعة البلورُ
مثل ندى الزهورُ في عيشها المنيرُ
لم تَعَيَّ بالأمورُ وطارق المقدورُ
وصوله الدهورُ كصوله النسورُ
لم تَدْرِ في الحبورُ ما عيشة المأسورُ
في نطفة الفجور!

الوحدة

وأسمع بالقول المضيض وأوقعا
 إذا صار بين الناس شلوا مبضعا
 وهونت عندي الحادث المتوقعا
 بصبري على ما قد أمض وأوجعا
 وقد كنت لا ألقاك إلا مروعا
 ويا رب شر عاد بالخير ممرعا
 ولكن ياسا حين لم يبق مطمعا
 لروض فإن يسطع على القبر روعا
 فإن عفت هذا الخلق كان مجمعا
 تجمع من ضوء النهى ما تدععا
 وقد كان بين الناس نهبا مضيعا
 أحبك حتى أحسب الحب مصرعا
 وحتى تصير العين للقلب مسمعا
 ويأمل منه أن يشاق ويهرعا!

عذيري من باغ أغد وأوضعا
 وما سرني أن نلت منه بسبعا
 لسهلت لي غدر الحياة بغدرا
 وعلمتني الصبر الجميل على الأسى
 وقد صرت لا ألقاك إلا براحة
 وكم نعمة للناس في جنب غدرهم
 سأهجر هذا الخلق لا هجر عائدا
 وإني رأيت العقل كالضوء حلية
 وإن كنت بين الناس ظل مفرقا
 وما جامعات الضوء إلا كوحدة
 فيشعل نيران الذكاء اقتترانه
 وكنت إذا ما خلقت فيك مودة
 وحتى تصير الأذن عينا بصيرة
 فكنت كمن يرمي إلى الطفل درة

من الحي إلى الميت

عنده الحق أبلجا لا يفوت
 بة تلك السماء والتابوت
 د وفوق الأجداث حي يموت
 رميم في لحده صميت
 ضح أمر الحياة وهو مقيت
 تلك حلم وما لحلم ثبوت؟
 وهو في اللحد حائر مكبوت
 أين تمضي عرامة وقنوت؟
 أو وأين المعشوق والمنعوت؟

من لحي بميت يترجي
 خبريني نفائس اللحد هل قد
 توأمان استسر في الجدد الدو
 خبريني نفائس اللحد أم كل
 هل لحي من ميت هاتف يو
 هل عدته الحياة أم ليس يدري
 رب ميت يسائل الحي عنها
 خبريني عن الحجي أين يمضي
 أين يمضي الذكاء والأمل الحل

أين نارُ الحياةِ كالنَّارِ في رَهْـ
 أين ذكرى في النفس تمضي وتثني
 أمحَاها الجِمامُ كالريحِ تمحو
 أم وعَاها الجِمامُ كالدرِّ في الظلـ
 أم تُرى هذه المشاعر أَوْهَا
 ليس إلا كما يقولُ ركينٌ
 فوقنا الأنجم الصوامتُ لا تدُ
 طِ مجوسٍ ما خيف فيها الخبوتُ؟
 رَبِّ عهدٍ يمضي وذكرى تفتوتُ؟
 نؤي دار والشمل شملٌ شتيت؟
 مة يرنو لضوئه السبروتُ؟
 م فلسنا نحيا ولسنا تموتُ؟
 لا يفيت الصواب منه مفيتُ
 ري وتحت الرجام صمُّ سكوتُ

سجن الفضيلة

إنَّ الفضيلةَ ماسَّةٌ
 صونَ الشحيحِ لفلسه
 صونَ الجبانِ لنفسه
 صون المثمَّرِ مالَه
 صون الشفيقِ فتاته
 واجعل لها بين الضلو
 فضياؤها كالحقِّ أفـ
 وصفأؤها كالخمر تصـ
 إن الفضيلةَ زهرةٌ
 ونسيمُها كالعطر فاحـ
 صُنْها عن الرائي الحسودُ
 حذر المدهانِ والحقودُ
 حذر البوارق والرعودُ
 حذر المؤمر والجنودُ
 حذر الوعيد أو الوعودُ
 ع خبيثةُ الذخر التليدُ
 تنُّ وهو في ظلم الجحودُ
 قلُّ في الدنانِ على الخلودُ
 تذوي بأنفاس الحسودُ
 ذر أن يذيع فلا يعودُ!

بيت اليأس

بنيتُ بيتَ الحياةِ أبغي
 جرى غرابُ القضاءِ نحوي
 فأرعشتُ كفُّ مَنْ بناه
 يغبقني طارقُ الرزايا
 في ظلِّه مسكنًا فسيحًا
 ولم يكن طائرًا سنيحًا
 فلم يكن أسه صحيحًا
 من بعد ما علني صَبوحًا

اعتادني الهمُّ غير غبِّ
كشارب السِّمِّ كي يصادي
يا بيتَ سوءٍ على ذُراه
يا دهرُ لِمَ لمْ تبَحْ جناني
خَصَّصْتَنَا بالنُّهى فهلاً
أودَعْتَ في الناسِ كلَّ طبعٍ
من يشتري نُهيَةً بطبعٍ
ألحَّتْ لي بالسرابِ حتَّى
كمن بنى بالترابِ بيتاً
كذاك صرَّحُ الحياةِ أمسى
ودكَّ بيتَ الحياةِ فوقِي
فلم يمت قلبِي القريحاً
من علَّه سَمُّه صريحاً
ذو نعيّةٍ همُّ كي يصيحاً
إلى سبيلِ النُّهى جنوحاً؟
جعلتها عزمَةً نصوحاً؟
يعنو له عيشهم ربيعاً
يمضي إلى نفعه نجيحاً
عشقتُ ضوءاً له لموحاً
فانهار حتّى غداً ضريحاً
رسمُ فلاةٍ بها طريحاً
وقمتُ من تحته جريحاً!

لغز الحياة

الشكُّ أولُ منزلِ العرفانِ
مدٌّ وجزرٌ في النفوسِ كأنما
والعقلُ فوقَ الخلدِ مدُّ جناحه
والعقلُ ريحٌ صرَّصرٌ تهفو به
تبدو إذا ما هاجَّ من أعماقه
والشكُّ مشعالُ الحكيمِ وربما
كونُ تَرَقَّرَقٍ في منادِحِ رحبه
سرُّ الحياةِ لحسُّها ولعقلها
روحُ الحياةِ كذي البراثنِ رابضٍ
يلقي على الأحياءِ قولةً سائلٍ
إنَّ الحياةَ لغادةٌ معشوقةٌ
وتصدُّ عن متسائلٍ متشوفٍ
يا عاشقُ الحسناءِ كيف أغرتها

إنَّ اليقينَ هو المكانُ الثاني
يتنازعان سريرةَ الوجدانِ
كالطيرِ هابطةً على الأوكانِ
والدهرُ بحرٌ فائضُ الأزمانِ
قنص الردى وجواهر الدُّهقانِ
أضحى حريقاً للجهولِ الواني
سرُّ جرى كالماءِ في الأغصانِ
يحكي دماءَ القلبِ في الأبدانِ
دامي المخالبِ شاحذِ الأسنانِ
يا هَوْلَ عيشِ فريسةِ الحدَثانِ
تصبو إلى المُتمَّاجنِ الفتانِ
للحقِّ ينشده بكلِّ مكانِ
أو كنت تبغيها بقلبِ ثاني

روح الحياة على العقول مؤمر
مثل الوصي على الوليد إذا نشا
كي يستبد بماله وعقاره
ثار الحبيس على الوصي وظلمه
ورأى به كمًا وليس كما رأى
ماذا أرجي في العقول وصوبها
ولرب غر بالغ بطباعه
يعتز بالأضغان والأشجان
يلوي عليه جوامع السجان
ويليح زخرف خدعة المنان
فرماه بالعصيان والنكران
لو كان يغنى العقل بالعصيان
رشح الطباع وغلة الظمان؟
ما ليس يبلغه ذوو الأذهان

خواطر في الحياة

(أُرسلت إلى الأستاذ الأديب الشيخ محمود محمود.)

أنت على خلتيك محمود
وإنما العيش هكذا نُقل
وخير ما يُطلب الرخاء به الـ
والدهر مثل الشحيح في عدة
كل رجاء نرمي الطليب به
ورب رام أصاب مهجته
والسخط غربال جاهد قصد الـ
آمالنا هامة نراع بها
وحيرة النفس كالظلام وقد
والرغب عجب النفوس تخدعها
وقد تزين الحسناء دمعتها
كم عدة في الحياة خائنة
كخازن الحب للمشيب وما
يبخر في خيبة لنا أمل
ما لي أهدي إليك من حكيم
فعد بيمن الحياة محمود
والدهر خرق سنيته القود
صبر، ومن قد عداه مكود
أصدق آلائه المواعيد
فهو قنًا في الضلوع مقصود
سهم رجاء إليه مردود
سسيل كأن الأتي مسدود
للسعد وهو الطليب ملحود
يهدى ويقلبي الضياء مزود
مراتها والطماح معبود
والنفس تجدي سنيها السود
كما يخون الخميس رعيد
يعطف من أجل نخره جيد
بحر الندى والظمي مجهود
يا ليتها الدر وهو منضود

أحبُّوكَ من حكمة القريض كما
وأنت أحجى بأن تزفَّ لنا الـ
ويخير ما يبعث الفتى طرف
يهدى لروض الربيع أملود
حكمة فيها اليقين مشهود
من عقله والمزيد تأويد

الشجرة والغراب

رأيتُ الحوادثَ في وكرها
كأنَّ غرابًا على فرعها
إذا نذته أب يهوي بها
فقلت له: أبق من خيرها
وإلا فأرسل عليها الطيور
وهل أزجر الطير عن دوحه
فقال: أتأكل من حلوها
إذا أنت ما نقت من ضرها
خذ الحلو والمر من رطبها
ومن صبر النفس في ضيقها
وفي الصبر صبر يريك الدنى
تظلُّ مطلقاً على دهرها
يريك مساوئ خود الحياة
كأنك ما التحت من ثغرها
كأنك ما كنت من ناسها
ولا بت يومك في درعها
ونبت المقادير في برها
يحطُّ فيأكل من خيرها
على دوحها وعلى نهرها
تذوق إذا جعت من شرها
أبابل تقضي على أمرها
تذوقت ما مر من تمرها
وتترك للدهر من مرها؟
أتعرف ما الخير من شرها؟
أقاسمك السوء من ضرها
رأى الرغب أوجع من صبرها
كأنك رفعت عن أمرها
كأنك أغيبت من مرها
كأنك ما بت في خدرها
ونافست رهطك في برها
ولا كنت تسعى إلى نكرها
ولا تفت دهرًا إلى سرها

يا شاعر الكون

(حياة إلى صديقنا العقاد لظهور ديوانه الثاني.)

نور الحياة فشعرُ منك يذكِيهِ
فَمَا نَأَتْ بِمِقَالٍ أَنْتَ بَاغِيهِ
تُجَنِّي وَخَيْرُ الْجَنِيِّ مَا أَنْتَ جَانِيهِ
وَالْعَقْلُ أَعْدَى عَلَى غَمْرِ يَدَانِيهِ
الفكر عدوى وجار المرء يعديه
ويمدح الفضل بين الناس باغيهِ
وغاب عنهم جلالُ أَنْتَ تدرِيهِ
أو ينظروا فبطرفِ أَنْتَ ثانيهِ
يخال خَيْرَ مَكَانٍ بَيْتِهِ فِيهِ
والكون أكبر من زعم أناجِيهِ
كأنما فاه ذاك الخلد من فِيهِ
حتى لشدة ما تذكِيهِ تَفْنِيهِ
يفنى الذكاء ولا تفنى معانيهِ
لولا بريقُ خيالِ أَنْتَ مورِيهِ
ففى عنه حتى كأنَّ قد زال بادِيهِ
كواحة الخرق زينٌ في صحاريهِ
كالآل يحكي ضياءَ أَنْتَ مبديهِ
رسم الدراري يحكيها وتحكيهِ

يا شاعر الكون أطلِّق من سرائره
لك الخليقة والأيام ماثلة
كأنها لك بستانٌ وفاكهة
الفضل أغلب من غرِّ يصاقبه
فلم يضرِّك جوار من أخي جهلٍ
قد يُنكر الفضل بين الناس صاحبه
كم أكبر الناس أمراً أَنْتَ تُصغِرُهُ
إِنْ يُعْظِمُوكَ فَبِالنَّفْسِ الَّتِي صَغَرْتِ
كالمرء وهو قعيد رهن عرصتِهِ
لو أنصفَ الأرض قال: الأرض واسعة
يا ناطقاً يذر الأبواب صامتةً
تذكي الذكاء بسحرِ أَنْتَ نافثه
تقصِّياً لمعان لا انتهاء لها
حتى يظلَّ ولا زهنٌ يراك به
كمن يرى الشيء لا ينحو سواه فيخُ
إطار شِعْرِكَ خلدُ أَنْتَ زائنه
أصورة الكونِ أم ذاك الكون صورته
أو كالغدير يرى في الماءِ مرتسماً

كعبة النفس

مكانك من قلبي كمحرابِ صائمٍ
رجائي إيمان النفوس الحوائمِ
وتعبد إلا ساميات العظامِ

أيا كعبة الآمال ذات المحارمِ
فلا تأخذوني بالرجاء فإنما
وهل تسجد الأرواح إلا لذي النهى

على الفضل من أهل النهى والمكارم
صروح المعالي باديات المعالم
كروحك لم يَعْرِفْ وجوه المظالم
ولو كان نازًا في لهة الحلاقم
وإن كان محذور الردى في الشكائم
وأجعل أنفي نهبة للخواطم
إذا لم يعوِّذ من حقوق الرجائم
ورُبَّ مقالٍ مثل لذع الأراقم
إذا كان فيه مدرج للنمائم؟
من العيش إلا بالنفوس السواجم

وأكرم سؤل النفس ما كان وَقَعُهُ
ولولا احتذاء الفضل في الشعر ما غَدَتْ
ومَنْ كان ذا روح بريء من الأذى
ولم يَدْرِ ما يلتذه الناس من أذى
يرى المرء أن النفس خيلٌ لراكض
أظَلُّ رقيبَ السوء حتى يمسنى
وأى امرئ في العيش يُحَمِّدُ خلقه
فكم راجم بالغيب نفسًا بريئة
وهل يعدل الإنسان في بعض فِعْلِهِ
وما النفس إلا تربة ليس رِيُّهَا

الصنم المكسور

عافَ ورَدَ العيش من سقمه
خالَ كلَّ الفضل في صنمه
كيم الجص منهنشمه
خابَ من يبكي على حلمه
فحياة المرء في ألمه
بعض شعر المرء من لَمَمه
وجلاء العيش من ظلمه
كيف لم تُبِقوا على ذممه
ويح قلب ريع في صنمه!

عابدٌ يبكي على صنمه
عابد من حسنه صنمًا
حطمته قولة فهوى
كنت لي حلمًا ألود به
إن رضيت العيش بعدكم
أو بكى شعري فلا عجب
كنتم للعين باصرها
كم لأهل الفكر من ذمم
كان قلبي معبدًا لكم

غلة النفس

رأيت محمّمًا يجري
 يكلمه ويسأله
 يقول له: أعن سبب
 ويحسب في الخير له
 تريد النفس رؤيتها
 سؤال ليس يسأله
 رأيت محمّمًا يَفدُ
 وزمرُ الريح يطربه
 كذاك المرء في الزمن
 ولكن ليس ينفعه
 وما من غلّة عرّضتُ
 فأين الريّ تطلبه
 أجزّ للعيش معركه
 ضميرٌ ما استبان له
 ولولا ظلمة الحين
 لبغضت الحياة له
 يحاذي الماء في النهر
 ويحسب أنه يدري!
 ومن أرب إلى أرب
 لسان الناطق اللجج
 مخارجها وغايتها
 مبيح النفس نشوتها
 وراء الريح تطردُ
 يحدثه فلا يجدُ
 يداوي غلّة الفطن
 شرابُ الآل في الدمن
 بغير دوائها خلقتُ
 نفوس طالما ظمئتُ
 لعلّ الكون يدركه
 يروضه ويملكه
 وجبن المرء للبين
 وخصّ الموت بالزين!

الفصل السابع

ديوان أزهار الخريف

الإهداء

أهدي هذا الديوان إلى إخواني القليلين في أنحاء القطر المصري، الذين أَيْدُونِي
بثقتهم ورسائلهم، وأعانوني بها في الحياة على بعد الشقة، ومن غير سابق
لقاء، وبالرغم من عداوة السفهاء، وسباب الأخساء، الذين يقول فيهم المتنبي:

وأنه المشير عليك في بَضَلَةٍ فالحرُّ ممتحنٌ بأولاد الزنى!

والذين يقول فيهم أيضًا:

أَتُنَكِّرُ موتهم وأنا سهيلٌ طَلَعْتُ بموت أولاد الزناء؟

مقدمة

لقد ذَكَرْنَا في مقدمة الديوان الرابع أن الشاعر لا يهمله الناس إلا لأنهم باعث من بواعث
الشعر، ولم أَعْنِ بذلك — كما زعم بعضهم — أن القصيدة الواحدة يبعث إليها إنسان
خاص، يكون موضوعًا لها ويستثير في الشاعر جميع الخواطر التي دفعت إليها. فإن
الشاعر ليس بالراسم. ولو كان راسمًا لاستفاد أيضًا من أفراد كثيرين في عمل رَسْمِ
فنيِّ خيالي كبير.

ولقد رأى القارئ في بعض هذه الدواوين قصائد في شرح أخلاق السوء كالحسد
أو البغض، فحسب بعض الناس أنه المعنيُّ بها. ولعمري لو كان غير ذكي لقلت إنه

يريد أن يَشْرَفَ بهذا الادعاء؛ ولكنه أجلُّ من هذه المرتبة. فلم يَبْقَ إلا أن يكون ذلك منه وسيلة لإظهار كيده وشافعاً له، وكما أنني لا أعني أحداً بقصائد الهجاء، كذلك لا أعني أحداً بقصائد النسيب. ولا أنكر أن الأفراد من الناس هم الذين يستثيرون خواطر الشعر، ولكن هذا القول لا يستدعي أن تكون كل قصيدة في فردٍ مُعَيَّن. نعم، الأمر يستدعي ذلك عند المداحين والهجائين ومن جرى مجراهم، ممن لم يضع لنفسه سنناً عامة في فنه، يجري في نهجها. أما القول في أفراد، فهذا أول مذهب وأول عصر من مذاهب الشعر وعصوره. وأما المذهب الحديث فهو أن تكون الطبيعة البشرية ماثلة أمام الشاعر، يأخذ منها لقصيدته ما يقتضيه الفن. ومثل ذلك أن قصيدة «صرصور الشعر» في الجزء الخامس بعث إلى كتابتها صرصور من صراصير الحقيقة لا صراصير الخيال ولا صراصير البشر. وقصيدة «سم الخسة» مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها في كتاب اسمه «مجالِّي الأخلاق»، لم يُنشر؛ وكثيراً من قصائد الغزل في هذا الديوان خواطر كانت تخطر لي فأقيدتها في رسائل سميتها: «رسائل الحب» لم تُنشر. ولذلك أرى من العبث والجهل بفروض الشعر، قول قائل إني أعني أحداً بما أقول في أي باب من أبواب الشعر.

ولي كلمة أريد نذكرها في العقيدة، ومن يُذيع بين الناس أنني على غير هدى! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء وإما أهل الحقد والحسد. فليس التساؤل والامتعاظ من مظاهر الشر قلة في الإيمان، بل إن ذلك غاية الإيمان، وإن الذي يتهرب من الله إلى نفسه، وينكر آياته في الوجود، يجد الله في نفسه في خير نزعاتها. وإن في الله حاجة من حوائج النفس البشرية، وكلما خفيت عنا أدلة وجود الله لعظم الشر والإثم، كان ذلك الخفاء أدعى إلى تطلُّبه ونشدانه والإيمان به على الوجه الصحيح.

فالإيمان بالله والخير ضرورة وحاجة، لعظم الشر والشقاء. إذ إن الزيغ وقلة الإيمان لا تعين على الشر والشقاء. بل تزيد الحياة اختلالاً؛ كما ذكرتُ في قصيدة «صوت الله أو نجوى المؤمن» في الديوان الرابع. وقد أساء بعض الناس فهمَ قصيدة «ليتني كنت إلهاً» في الديوان الثاني، ولا أعرف كيف فات مَنْ صَفَتْ نفسه من سوء النية من القراء أن نُسبتي سوء الفعل إلى ذلك المتطلب مرتبة إله، خرافة من خرافات الوثنيين، والذي يريد أن يصلح نظام الحياة والكون، هي غاية الإيمان لبيان أن المرء ينتقد ويتسخط الشر والإثم، حتى إذا حكم أتى الشر الذي نقمه. ولو أنني جعلت أفعاله في القصيدة حميدة، لكان ذلك اعترافاً مني بأنه مصيب في نقده وأنه رشيد عادل!

هذه قصيدة «الملك الثائر»، لقد حاولَ غيبيُّ أن يقرأها مرة، فقرأ منها أبياتاً، ورأى عصيان الملك، فأخذ منه الغضبُ كُلَّ مأخذٍ، ولم يتم قراءة القصيدة، فلما قرأت له ما لاقاه الملك الثائر من العقاب لعصاينه انشرح صدره وقال: «إنَّه جدير بهذا العقاب!» وهذه الحادثة تَنَبَّهَ السبب في سوء الفهم الذي يعتور بعض الناس في قراءة القصائد التي تشرح أمثال هذه الخواطر والعواطف النفسية التي لها علاقة بالحياة والخلق. فإنه لا يحاول تفهيم مغزى القصيدة الذي لا يُستخلص من أبيات مفردة من القصيدة، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية وما تقتضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأي فيها واختلاف حالات النفس التي ضمنتها القصيدة.

آية الحسن

لقد كلفت بساجي الطرفِ وسنانِ
من بعد ما كان لي كالناس عينا
فكلُّ مُعْجِزٍ أَمْرٌ رَهْنٌ إِمْكَانِ
كمعجز الحبِّ في شعري وتحناني
يا ليتني زدت في روحٍ وأشجانِ
ورقَّةُ اللَّفْظِ في سحرٍ وتبيانِ
سواي في الخلق من وحشٍ وإنسانِ
فليس في الخلقِ تحنانٌ كتحناني
وكيف يرحمُ نضواً قلبُ غفلانِ
إلا بخبرة أزمانٍ وأزمانِ
عطرُ الزكيِّ فيا عطراً لأكوانِ
لصنع حسنك في بدعٍ وإتقانِ
لها القلوب ولم تدخض بكفرانِ
لألنا لك تحكي عقد أشجاني
مرأة حسنك لا يمني بنكرانِ
فأنت للكون طراً خيرٌ عنوانِ
مذا تركت لأحقابٍ وأزمانِ

يا قلبُ قصرك لا تولع بإنسانِ
قد صار لي ألفُ عين بعد رؤيتكم
مذ صار حسنك في الإمكان منشأة
ومعجز الحسن في خلقٍ خُصِّصَتْ به
وصار لي ألف قلبٍ أرتجيك بها
كي لا يضيع جمالُ منك أبصره
بل ليتني الكون طراً ليس يبصركم
هل ناعني أنني في الحبِّ منفرد
بل ذاك ضائرُ قلبٍ لست راحمه
ما كان مثلك في الأكوان منشأة
استخلصتكَ دهاريُّ كما خلصَ الـ
مجاهلُ الزمن الماضي وحاضرُه
فجئت آيته الكبرى التي خشعت
ليت الكواكب تعنو لي فأنظمها
إخالها ما بدت إلا لتبصرها
والطيرُ ما نطقَتْ إلا لحسنكم
يا سالبَ الكونِ أشهى ما يراد له

كأنني غير صاحي الطرف يقظان
 من بعد ما كان عيشي رهَنَ إدجانِ
 إِنَّ البلاءَ لطرفِ العاشقِ الراني
 العيش والموت في صرْفٍ وحدثانِ؟
 من قسمة الدهرِ في ربحٍ وخسرانِ
 عن الحياة وعن عيشِ لها فاني
 حتى لأفلاك في أثناء أحيانِ
 فالحبُّ للحسن نشرٌ حول أفنانِ
 يرى الحياةَ بعينِ الناعمِ الهاني
 أوتارها قلبُ صبِّ منك ولهانِ
 إلا جمعت بحسنِ منك مرنانِ
 وكل نبضة قلبٍ جدُّ حرَّانِ
 كأنما هو من أربابِ أديانِ
 سرُّ الإله وسرُّ الحبِّ سيَّانِ
 ما ظلَّ حبي مكلوءاً بإيماني
 تقول لي اعشق فإنِّي جدُّ فتانِ
 كم حجة لك في تبيانِ وسنانِ
 عاد الحياة لقلبِ العاشقِ العاني
 بنظرة بدَّلت سري وإعلاني
 كما تحمَّل مقدورًا له الجاني
 إلا ترفَّق عطفٍ منك يرعاني
 لعادَ منه بمثل الخلدِ ملانِ
 إذن لباءَ بسرٍّ منه ضحيانِ
 إلا أضاءَ كمامسٍ عند دهقانِ
 من الهوى وطماح ليسي بالواني
 من فتنة الخلقِ في حسنٍ وإحسانِ
 ورحت تنعم في ظلمٍ وعدوانِ

عميتُ عن كلِّ حُسنٍ غيرِ حسنكمُ
 أعشيتُ طرفي بشمسٍ منك طالعة
 لا أكثرنُ من الألحاظ أرسلها
 وهل أخافُ وقد سقى الفؤادَ هوَى
 أو القضاء وما يخشى الورى أبدًا
 كلاً لعمرك إنَّ الحبَّ يرفعني
 إنِّي أهابك من حسنِ تجور به
 ماذا يضيرك من حبِّ تزان به؟
 هبه المقادير من يأبى المقادير لا
 فاضحك فضحكك أنعامُ مرتلة
 لم يبق في الكون من شدوٍ نسرُّ به
 في كل نظرة عينِ ذكرة لكمُ
 حبيك لا شك يعروه ولا جدل
 في منزل الله مكلوءٌ بهيبته
 ولن يضيع رجاءُ في الحياة إذا
 أخلفت وعدَ لحاظٍ أنت مرسلها
 لا تنكرن مقالَ اللحظ من خجلِ
 الحبِّ أقوى من الأغلال تحكُمها
 قد بعث راحة أيامي وصحتها
 احمل جناية حسنٍ لست خالقه
 ولا يكفر عن لحظٍ تصول به
 لو فرَّق الدهرُ حبي في مجاهله
 ولو حَبَّرت بحبي العيش أجمعه
 ما مسَّ حبيك أمرًا خس معدنه
 ما أضاءَ العيش لولا ما يتاح بكم
 خيرٌ لنفسك إن لم تدر ما ضمنت
 إذن لأفرطت من سكرٍ ومن خبلِ

في أن تكونَ حبيبًا جدًّا فنَّانٍ؟
 طيفٌ لحسنك ألقاه ويلقاني
 جسمًا فيا من رأى طيفًا بجثمانٍ
 وأحتسي منه من كاسات نُدْمَانٍ
 على النوى ورجاءٍ ليس بالداني
 طوبى فإنك جيرانى وأقرانى
 مثل السراب إذا أودى بظمآنٍ
 حتى كأن لم يكن حالٌ له ثانى
 كروعة الحسن في نيران بركانٍ
 لذائدًا لى في قرْبٍ ولقيانٍ
 تجلو همومي وتأسو كلم أحزاني
 وعطل الدهر من منع وحرمانٍ
 شكلاً بشكلٍ وعنوانًا كعنوانٍ
 برح الهوى وطلاب المعوز الداني
 كم في الزواجر من درٍّ ومرجانٍ
 ولم يُحدِّ بميزانٍ وأثمانٍ
 ما أمك الرائحُ الغادي بنُشدانٍ
 ولا بأول قلبٍ غير جذلانٍ
 وأين أخبأ قلبًا جدًّا ظمآنٍ؟
 رغم الأواخي من عزمٍ وإيقانٍ
 نفسي قيودك في أهلي وأوطاني
 يأتي إليك بأزهارٍ وريحانٍ
 انظر أفي الكون ما يُغري بسلوانٍ؟
 ولا جمالٌ تراءى حول أفنانٍ
 ولا تصافى بصفو الحبِّ روحانٍ
 ولا تدانى بنجوى الحبِّ صنوانٍ
 أو أنه حُلْمٌ بادي الهمِّ أسوانٍ!

وكيف ترحمني إن لم تجد أربًا
 يا هل ترانى إذا ما جاء يسعدني
 حتى ليوشك أن تكسي مراسمه
 أكاد أنشق أنفاسًا يردُّدها
 يا ليت أنى أناجيه ويسمعني
 حولي خيالات حسن أنت صُورَتُها
 لا بل شقائى أوهام أُغرُّ بها
 أنسى فناء جمال أنت لابسه
 يروع حسنك في حبِّ أعالجه
 لو قسّم الدهر بين الناس قاطبة
 وفرحة لى إما لحت عن عرض
 غاض الشقاء وغاض النحس أجمعه
 لو صور الخلد كانت منك صورته
 قد قلت للحبِّ في قلبٍ أضرَّ به
 لئن أضاعك وسنانٍ بغرته
 لم يُحلِّ بالغيد في بادي ترائبها
 وأنت في لجة للقلب منغمر
 ما أنت أول حبٍّ عزَّ مطلبه
 فأين أخبأ طرفي عن محاسنكم
 وإنما الحبُّ كالمقدارٍ مدخله
 لو كانت البيدُ تُنجي منك ما رَضِيتُ
 بل ليت أنى حُلْمٌ في الكرى بهجُ
 أقول للناصح المغرى بتعزية
 والكون كالميت لا ماء ولا شجر
 وإن لم يُبِلْ ظمى الحبِّ غلته
 ولا أُنيح لقلبٍ قلبٍ ذي مقية
 كأنما الكون لم يُخلَقْ له سبب

في القلب منزل صدق غير بهتان
 نفسي على أمل كالأل حليان
 أرضى لحبي منها أي تبيان
 ترضي الملائك لم تُخلق لإنسان
 ولا رموز ولا شَبِه ولا داني
 من الخليفة شيطان بشيطان؟
 إن الوداد لقلب الناقص الفاني
 منك الخوالج من صدق وإحسان
 لا يُجتلى الحسن والأرزاء في أن
 يحوي من الشر ما يودي بثهان
 كأنما الشر لم ينزل بإنسان
 وأوجه الدهر من طلق وطحيان
 إن الحياة حياة الناعم الهاني!
 لمّا عرفت الليالي أي عرفان
 من الحياة وعن إلف وخلصان
 على الحياة ولا إعياء وجدان
 حتى كأنك لم تسكن لسُلوان
 من اللقاء ولا واف ولا حاني
 جذب الزمان وإلف غير معوان؟
 يومًا نقضيه بين السرو والبان
 حيث الهوى ورواء الزهر سيان
 نار الحياة ونار الحب في أن
 لعلّ ذكرك دون القبر سلواني
 في الليل خطرة حيّ هم أسوان
 وأنعم بحسبك في غدر ونسيان
 حسبي حبورى بقلب منك جذلان
 الحبّ ذخر منى يُشرى بأثمان

فاهبط مع اليأس في قلبي فإن له
 وما أَلِمْتُ ليأس مثلما حزنْتُ
 استنفذ الكذب آيات الكمال فما
 فليت لي لغة ما شابها كذب
 وما لحبي في الأكوان من مثل
 فكيف يشفع لي لفظ يُعزُّ به
 ولست أَلحاك إن لم تُلف ذا عوز
 كأن حسنك من إبداع ما ضمنت
 يا من به قد نسيت الشر أجمعه
 ما خلّت أن مكانًا ضمّ حسنكم
 دنياك دنيا رخاء لا شقاء بها
 أبعد معرفتي الأيام يا عجبًا
 أبغي الحياة وأبغي منكم مقّة
 نزلت يا قلب عن غالي نفائسها
 حتى فرحت بصبر منك عن خدع
 وقلت لي الآن لا شجوّ ولا جزع
 فعدت لا صبر تبديه ولا جلدًا
 يا دوحه الحب لا شمس ولا مطر
 فكيف أينعت في قلب أضرب به
 أتى الربيع فهب لي منك مكرمة
 ونسمع الطير تبدي سرّ أنفسنا
 نخر لمقبل أيامي إذا بردت
 لا تنس حبي إذا ما الموت عاجلني
 وسائل الليل عن روحي فإن لها
 لا بل دع الذكر لي إني به قمن
 ولا تُعني بذكرى منك خاطرة
 عذب فؤادي بالآلام قاطبة

وارحماً أو أقس ولا تحرجك معتبة
وليس في الحب خسراً ولا فشل
ألم أعش غير عيش الناس قاطبة
ماذا تضيرك آلامي وأشجاني؟
وإن منيت ببعيد أو بهجران
وأقطع الدهر في فرحات نشوان؟

الشلال

فلعل الحياة كالماء تجري بين هذا الثرى وبين السماء

من القصيدة

يا أبا الصمت في الجلالة والرو
إن في القلب لوعه ما تقضى
أحسب الخلد مثل مائك ينها
أنت فجرت في ضلوعي ينبو
ليت أن الحياة مثلك تعدو
إن للعيش كدرة تذر النفس
فأعني على الأواسن من نف
يا ابن ماء السماء هل تذكر الرغ
وهل البرق لا يزال خفياً
أنت ريح الأمواه أم أنت روح ال
قد هدت الصخور تنشد خصباً
إنما أنت ناظم ينصف السه
تجعل السهل والحزون سواء
مرح أنت أم كما يسرع الفا
لك بالشم مولد وعلى صد
غير أن الميلاد في قمم الشم
فلعل الحياة كالماء تجري

ع وصنو النكباء والهوجاء
أنت حاكيت هممتي ورجائي
ر ونفسي في مائه كالهباء
عاً من الشجو مسرعاً في دمائي
لا تراخي مثل الجياد البطاء
س ركوداً كآسن في نهاء
سي بفيض ينهار مثل البناء
د تحاكي إرزامه في الغناء؟
في ثنايا صدر كصدر الغماء
ماء يمضي في مائه كالهواء؟
أم لذر تبغيه في الدقعاء
ل بفضل الشواهدق الشماء
ليس نجد ووهدة بسواء
رس في نجدة إلى الهيجاء
ر أبيك المحيط وقع الفناء
جمام لهاطل الأنواء
بين هذا الثرى وبين السماء

حرف راءٍ من شاهقات العلاءِ
لك حتى تطير كالأنداءِ
وكأنني في كل دان ونائي
نَ فخلتُ الأكوان طرّاً ردائي
كزني عزمتي وماضي مضائي
من حبور النعيم والسَّراءِ
منك كالظئر هاتف بالغناءِ
ووضاءً أحيبُ به من وضاءِ
تُك رمزاً رمزته للقضاءِ
جدّ حتى تعيده بالحباءِ
زرعُ لذكر الشقاءِ والأرزاءِ
بحديث العلى وصدق السناءِ
فوق صدر العشيقة الحسناءِ
نهر تسعى بهمة شمطاءِ
كل شيءٍ لطيفةً وفناءِ

لكَ في النفس نشوةً مثلما استشَّ
ويفيض النفوسَ مرأى جلالِ
فكأنني في مائك الغمر أمضي
أنت أيقظتني وقد كنتُ وسناً
هاتفٌ في خريز مائك قد أدُّ
أنت أصفى من الوداد وأنقى
أنت أرجوحة لنفسي وصوتُ
أنت مثل الشباب عزمًا وبطشًا
لك وَقَعُ الأقدار حتى لقد خُلُ
أنت كالدهر تأخذ التُّربَ والعسُ
لم تهبْ كَرَّةَ الدهور ولم تجُ
يا سليلَ السماء حدِّث طويلاً
تبعث الصخر من صخورك يزهو
سوف تغدو كالشيخ في أخريات الـ
فاغتبط بالمضاءِ وامرح طويلاً

يا وضيء البسمات

وحيي الوجناتِ
كائتلاف النغماتِ
كابتسام الزهراتِ
ك وبشرى للعفافةِ
قلتُ حُبِّي سيئاتي
س بحسن القسماتِ
وك بدرًا في السُّماتِ
شدهُ في الخطواتِ
يك من ماضٍ وآتِ

يا وضيء البسماتِ
ليت لي منك ائتلافًا
أنت في الدهر ابتسامُ
كل حُسنٍ أملٌ فيهِ
فإذا الشمس تعلَّتْ
صفٌ لنا حُسنَ الفَراديدِ
عَدَرُوا صدكَ مَنْ سَمَّ
أنت عنوانُ لما أُندُ
كلُّ كَوْنٍ كان أو لم

فيك لي منه أمانِيُّ
 أنتشي منك بلفظِ
 هو موصولٌ بقلبي
 خلتُ أن قد كنتُ أحبُّبُ
 هاتِ لي خُلْدًا على خُلْدِ
 إنَّما الخلد كقيدِ
 أنت كالضوءِ وهل يُرُ
 إن تخذل دمعي نجومًا
 فاسِر في ضوءِ نجومِي
 أو تخذلْ دمعي درًّا
 أو جيب القلب ما قُدَّ
 لسوى عدِّ الرزايا
 سألوأ: في أيِّ حالِ
 قلتُ: أحلى ما تراه
 فإذا أرخى لحاظًا
 وهو أحلى منه إن فا
 وهو أحلى ما تراه
 وإذا صدَّ فما أحم
 فإذا لان فما أحم
 كلُّ حالٍ منه أشهى
 إنَّ حبي درةٌ تجبُ
 إن حبي مثل حبِّ الله
 كيف تلحاني على حبِّ
 إنما الحبُّ ضياءُ
 تبعث الحبَّ إلينا
 يعذر الحسن وإن قطَّ
 راحمًا يقسو اتقاءً

النفوس السامياتِ
 مثل طيبِ النفحاتِ
 في وجيب الخفقاتِ
 تُك من قبل الحياةِ
 يد لأرضي صبواتي
 للأماني الرائعاتِ
 ضي الأكفِّ الناشداتِ؟
 في ليالي الجفواتِ
 واثني في الفلواتِ
 فادخر من عبراتي
 ر لي في النبضاتِ
 والهموم الطارقاتِ
 هو أحلى في الصفاتِ
 في حديث اللحظاتِ
 كان أحلى في السُّباتِ
 ة وأحلى في الصماتِ
 عاطيًّا باللففاتِ
 لاه جهم النظراتِ
 لاه طلق اللمحاتِ
 حالة في الحسناتِ
 لو دياجي الجفواتِ
 غفرانًا لعاتي
 به تبلو أناتي؟
 من صبيح الصفحاتِ
 كابتعات اللحظاتِ
 ب نضو اللهفاتِ
 لهناة الرحماتِ

إن يكن حبي خُلداً
 وأرحني من خلود الـ
 إنما الخلد نجاؤه الـ
 لا تُردُّ لي سلوةً تشـ
 إنما السلوان هاما
 أه لو يرشق قلباً
 لحظات لك تمضي
 أه لو تألم أخذ الـ
 وترى حسنك نهباً
 وترى آثار أقدا
 وترى الأرض كأننا
 وترى الأرض كأننا
 لا ترى للحسن إلا الـ
 فتؤاتيني بعطف
 لا يرى القسوة ديناً
 والذي يبصر كراً الـ
 لخليق أن رآه
 ولئن خاتلنا العيـ
 ولئن خاتلنا الحبـ
 فلعل الموت مكدو
 ولعل الحب يُجزى

أعطني خُلد الممات
 شجُو موفور الأداة!
 نفْس من وخز الشكاة
 عل نار الحرقات
 تُ الشجون الهالكات
 لك سهم اللحظات
 بالسهام المصميات
 دهر من زاهي الشيات
 للخطوب المقبلات
 م الصروف الدالفات
 في العصور الخاليات
 في العصور القادما
 حب فرض الفرصات
 منك يجلو حسراتي
 غير قن الغفلات
 دهر جم العدوات
 باختلاج الرحما
 ش بآل الطيبات
 بغض القسمات
 ب كتلك الخدعات
 صالحاً بعد الحياة!

وسائل الحب

إن الذين ودتتهم ورضيتهم
 نالوا رضاك بمنحة أم خدعة
 اتقربوا بالبغض إن محبة
 نالوا رضاك بآية لك تذخر
 أم بالرقي ترقى النفوس وتسحر
 أقصت فؤاداً وافيًا لا يغدر

لك من هوى نفسي المكان الأكبر
 ليلاً ليقنص دُبُّها والأنسرُ
 كالآل لا حقَّ يصب ويغمرُ
 وذكرْتُ من عبث النهى ما يذكرُ
 من صامتٍ، ورأيتُ ما لا يُبصرُ
 وحسبتُ أنَّ الفضلَ غرُّ يزمزُ
 لكما تشاء إلى رضاك مسيرُ
 ولقلتُ كلبُ ترتضيه غضنفرُ!
 لوددتُ ما بعد المحال وتعدرُ
 يمضي أخوه على السواء فيخسرُ
 كم ماقَ سلطانٌ وجنَّ مؤمَّرُ
 ونباله، والحبُّ ذاك الميسرُ!

مُرَني لِأفعلَ ما تشاء فإنَّما
 إنَّ شئتَ أن أردَ السماءَ وردتها
 أو شئتَ أن أهذي بكلِّ فكاهاةٍ
 لقرأتُ واستظهرتُ كلَّ فكاهاةٍ
 وسمعتُ ما أعيَا السميعَ سماعه
 أو شئتَ مدحي للثام مدحتهم
 أو شئتَ أن أردَ الرياءَ فإنني
 أو شئتَ أن أهوى الكلابَ عشقتها
 هيهات لو أنَّ المحالَ فعلته
 فعلان يربح واحد ولربما
 ذاك القضاء فإنَّ أصيب بجنةٍ
 والعطفُ مقمورٌ بغير كفايةٍ

حجة النائي

س حبيبًا يُرعى وحبًّا جديدًا
 لك يعيد المشوق نضوا عميدًا
 لأسغنا في الحب نأيا مديدًا
 إنما العمر طائرٌ لن يعودًا
 ب رجونا من اقتراب مزيدًا
 خفتَ لي في الجمال منك وعيدًا
 ففاق ناءٍ قد جرَّ خطبًا شديدًا
 ي وخلفتَ بعدك التصريدًا
 دُ فسيانَ دانيًا وبعيدًا
 وظماءُ المودي أحزُّ وقودًا
 منك يسجو لحظًا وثغرا برودًا
 منك يوحى في القلب نبضًا وثيدًا

إيه يا قلب هل أمنت من النا
 قل لمن قد هويته أي حالي
 ولو أنَّ الحياةَ خلدُ مديدُ
 غير أنَّ الحياةَ كالحلم تمضي
 أنت لو كنت في الشغاف من القلب
 رحمة بي بعدت أم لحياء
 يا شفيقًا عليَّ بالبعد كم إشب
 أم لإغراءِ ظامئ رعت بالنا
 خطوات النفوس فيك عبادي
 ولأنت الحياة في القرب تظمي
 إن تكن مشفقًا فلا تبد طرفًا
 وابتعد إن لقيتني، إن مرًا

ليت لي في هواك قلبًا جليدًا
منك حتى تخشى عليه الزنودًا
ه كضوء المصباحِ حليًا وعيدًا
ر تملُّ العيشِ الرخيِّ الرغيدًا
هُ خليقٌ بأن يكون سعيدًا
ففي لنفسٍ فوق الخلودِ مزيدًا؟
بات يُدْنِيكَ ذكرةً وسهودًا
فقد كان للشقاءِ عقيدًا
ن دعائي إلا القريبَ البعيدًا؟

أو تكن مغريًا بنايِكَ فارحم
ليت قلبي تحنو عليه ضلوعُ
خلت نارا أجمتها زينة فيـ
يا شبيهة الثمارِ والزهرِ والفجـ
إنَّ مَنْ جمَّلَ الحياةَ محيًّا
أنت أشهى من الخلودِ وهل تُلـ
فأذكُرُ في الرخاءِ نضوأ طليحًا
إنَّ يَمُتْ تُبَكِّه اللواعجُ والهَمُّ
وسلِّ الليلَ والكواكب هل كا

فطنة الحسن

انتجّع فيه من هوَى مكتوم
ر فأضحى كالمرجلِ المختوم
منك طرف يوحى لقلبي الكليم
حيرتي في سوادِ حظي البهيم
ر كسهمِ برأه وقع الهموم
هائماتٌ يحكين لحظَّ السقيم
بحت لا أرتجي إخاء كريم
بببت، أه لقلبي المكلوم
خدعاتٌ يقتلن لبَّ الحكيم
حُسْنُه كي يكون جدَّ رحيم
ياءٍ طرًّا من أجنبٍ وحميم
رافلاتٍ في نضرةٍ ونعيم
بسوى لوعتي وحبِّي القديم
عيشٍ واستعجمتُ حصةً الفهيم
ببكائي ولوعتي يا ظلومي

يا ذكيَّ الفؤادِ هذا فؤادي
وأشدُّ الهوى هوَى كتم الصد
ما ترى فرحتي إذا ما تراءى
ما ترى الدمعَ حائرًا في جفوني
ما ترى لحظةً يرقُّ لها الصخ
لحظاتٌ في إثرها لحظاتٌ
خان عهدي الخلان حتى لقد أض
كم رجوت الإخاء دهرًا وكم أح
فيذا الحبُّ والإخاء سواء
ومن العدل أن يُحبَّ صبيح
ولو أن القلوبَ تألم للأح
لرأين الحياةَ جنات عدن
يا ذكيَّ الفؤاد لبك طب
فلعلِّي أبهمت منه كلغز ال
أم شقائي لذاةً لك فأنعم

مصيحٍ لحسَنك المنغومِ
 بٍ ومن قلبه بدامي الكلومِ
 فَي لآسٍ يزيد سقم السقيمِ!
 ن ومن مغرمٍ وجبٍ نديمِ
 كان رِيًّا وغلَّةً للحلومِ
 أشتكِي منه قاتلي وغريمي
 من حياة كحرقَةِ المظلومِ
 كَ وما أنت كالجِمامِ حميمي
 لستُ فيها بزائدٍ من همومي
 لا ولا حُسنٍ وجهك الموسومِ
 لم يَبُخْ حرُّ غلَّةِ المحرومِ
 من طروقِ الردى ووقعِ الغمومِ!

وسَلِ الشعرِ والأصالةِ عن صَبِّ
 مَتَّ من شَعْرِهِ إِلَيْكَ بِأسْبَا
 لك لحظٌ يأسو ويكَلِّمُ يا لهـ
 كم طوى الدهرُ من غرامٍ وَمِنْ حُسِّ
 ومن الخطبِ أن يزولَ جمالُ
 ما عذابِي بخالدِ فيك حتى
 فلئن متَّ كان منك فكاكي
 نعمةً موتِي الذي ليس يؤسيـ
 ولئن عشتُ فالحياةُ همومٌ
 ما شقائي بخالدٍ يا حبيبي
 ولئن غَضُّ من جمالِكَ دهرٌ
 يا نكي الفؤادِ تفديكَ نفسي

الأماني والذكر

قلب تلوَّى إلى مغناك أخدعه؟
 لعلَّ مقبل هذا الدهر يُرَجِّعُهُ
 في مقبل العيش حكماً لست أدفعهُ
 على فؤادِي إذ لا عطف ينفعهُ
 إِنِّي لأبْغِضُ وردًا لست تُنْبِعُهُ
 كالعود في الصمت لا شِدْوٌ فنسمعه
 مِنْ ذِكْرِ عطفك أعشى الطرفِ مدمعهُ
 له صدَى تتهاوى منه أضلُّعُهُ
 عليه منِّي المُنَى كالزهر تمرعهُ
 بذلَّةِ الحالِ إذ لا رِيٌّ ينقَعُهُ
 كي يجد الدمع مجرَى منه يتبعهُ
 في نهر عيشي غيم أنت تطبعهُ

الذكرُ يشجوه والآمال تَخْدَعُهُ
 يسائلُ الذكر عن عهدٍ لنا خضلٍ
 فقال سائلٌ به الآمالِ إنَّ لها
 وما انتفاعي بأمالي التي حَرَمْتُ
 جعلتُ بعدك أمالي محرَّمةً
 نأيتُ من بعد عهدٍ جفَّ يانعهُ
 غير ادكارِ ترانيمٍ إذا تُليتُ
 والحسن شِدْوٌ لمن أصغت جوانحه
 قد أصبح الذكرُ قبرَ الحبِّ وانتثرتُ
 وعزَّةُ الغابِرِ المذكور مؤذنةٌ
 فهل تغضُّنَّ وجهُ المرءِ مبتسمًا
 فيا سمائي إنَّ غامت فإن لها

أغرَّتْ حتَّى بصدِّ منك تصدُّعُه
فاصقله بالقرب علَّ القلب يبدعه
لكنَّ للوصل روحًا منه يرجعُه
وأمره الأمر مغداه ومَرَجِعُه
في خفية ونفوس الخلق مرتعُه
من غير إذن ولا ساع يشفُّعُه
أيفهم الكون منشأه ومنزعُه
ارصدْ هلالًا بأفق السعد مطلعُه
بقسمة السعد تعطيه وتمنعُه
ليوقظ النَّفسَ شدوًا لا يوقِّعُه
إلا فواقًا لعيش حان مصرعُه
سيحبسُ الدنَّ عنًا من يشعشعُه
هذا الأنام لغاض النحس أجمعه
فى من حنين فؤاد أنت مربعه
بل الحياة وما أبغي وأمنعه!

قد نَمَقَ القلبُ حسنًا أنتَ طلعتُه
القلبُ مرآةً ما أبديتَ من مَلَح
تذوي الزهورُ فلا عهدٌ يعود بها
أصبحتَ في البعد مثل الروح محتجبًا
أو كالقضاء إذا ما صالَ صائلُه
والحبُّ كالموت يأتي في فجاءته
إني أحبُّك حبًّا لست أفهمُه
يا راصدَ النجمِ مزهواً بخبرته
وارصدْ لحاظًا لمن أهواه ماضيةً
الحبُّ روحٌ من الفردوس هبُّته
والحبُّ كالخلدِ لا يلقاه ذو عدمٍ
خمرُ الخلودِ فنادمني على مهلٍ
لو قُسمتْ فرحتي إِمَّا أراك على
فما حنين هزارٍ للربيع بأو
وأنت شمسي وقطري والنسيم معًا

الحب والشفاعة

كأنما أنت لم تُخلق من البشرِ
يبغي المهابة في سنر وفي صعرِ
تنفي العيان وليس الخبر كالخبرِ
نسمعُ بدمك في الأمثال والسورِ
منك الوفاء وفاءً غير مقتسرِ
بشافع غير مردودٍ ومنزجرِ
من كلِّ مكتتم منه ومشتهرِ
من النفاق ومن كذبٍ ومن نكرِ
ما إن رأى لك ذنبًا غير مغتفرِ

لما رفعتك عن ذا الخلق قاطبةً
نأيت عني كما ينأى المؤتمر إذ
أخفت في القرب ما يردى بتكرمةٍ
لو كنت إبليس لم تعد الكمال ولم
إن أستغثُ بخصال الحمدِ أعوزني
لعلَّ بعض خصال السوء يسعدني
بما بخلقك من عيبٍ ومنقصةٍ
وما يعيش به الأحياء قاطبةً
أدعوك دعوة ذي خبِرٍ وذِي مقيةٍ

أدعوك بالفضلِ والإحسانِ والغريرِ
 فهل شفيعي خلق الغادر المكرِ
 عن حرقه الحبُّ كي تقفو على أثري
 إلى اللقاء ولا روعي بمدكرِ
 واقربُ وأشعلُ فؤادًا غير منصهرِ
 من العبادِ وخدُّ غير منعفرِ
 إلى اللواعجِ والأسقامِ والذكري
 لم تخش منك صيال اللفظِ والبصرِ
 وزرِ الجحودِ جحودِ الحسِنِ والغريرِ
 تنفي الجمالِ وبئس العجز في العريرِ
 فاثار لحسنك واعرف لذة الظفرِ!
 الحبُّ أبصر بالأخلاقِ والسَّيرِ!

فإن غضبتَ فلا عتبٌ ولا عدلٌ
 لا بالحميدِ ولا المرذولِ أنشدكم
 أم هل شفيعي أن أسلوك منصرفًا
 إن كان ذاك فما قلبي بمنأطرِ
 فاغضب لحسنك وارمِ القلبَ عن كتبِ
 فما يزينك قلبٌ غير مدكّرِ
 فاحلف بحسنك أن تدنو لترجعني
 ولا تقل رحمة تنأى فلي كبدُ
 أغرِ الجمالَ بنا كيما نكفر عن
 فإن فشلتَ فبئست تلك منقصة
 وإن ظفرتَ فقد دانيتَ منعطفًا
 لا تحسب الحبُّ أعمى ضلُّ رائده

نجوى المحتجب

يا ليتهم في مهجتي حجبوكا
 في الدنُّ أو ما يحتويه فوكا
 عيفت لها الأصداف واختصوكا
 يُغرى بها من خشية أهلكا
 أبغي إليك من الطواف سلوكا
 تحوي إذا سجدت لديك ذووكا
 ولأنت دنيا الحسن لو عرفوكا
 حرسوك في عيني إذ حرسوكا
 هَجَع الخليفة سوقة وملوكا
 ربَّ المحاسنِ خاب من يدعوكا
 نجوى المحبة منهجًا مسلوكا
 ناءٍ إذا سلك الدعاء سلوكا

حجبوك من حذر عليك صيانة
 ولئن حُجبتَ ففي الرحيق مُشابه
 أو في اللالكى وهي أنفُس ما يرى
 لولا ظنون السوء وهي كثيرة
 لحجبت معتمرًا ببيتك طائفًا
 يا ويح أهل الدار لو علموا الذي
 هم يحسبونك واحدًا في أمة
 لو يعلمون مخاوفي ومحاذري
 ولقد وقفت على ديارك بعد ما
 نجوى وثقت بدينها وبربها
 إذ أم قلبي شطر قلبك حاسبًا
 كيما تجيء على الوفاق وما نأى

يا قلبُ ما لك لا تبوء بسلوّة
يا ساحرًا خابت وسائلُ سحره
لا تبلغ النجوى أغص مرقّها
يا ليت أن الوحي كنت ملكته
إني اتهمتُ محبتي لما نأتُ
يا من به افتتن القضاء كأنما
ويُلي من الآمال فيك فإنها
يا أين منك ودادة للقلب لا
علّ الحبيب بهجره يبلوگا
أو ما عرفت على اليقين شكوگا
غفلان يجهل دمّعك المسفوگا
حتى تناجي غافلًا يجفوگا
بك عنّي النجوى فلا تدعوگا
صرف القضاء بحسنه يرشوگا
رقتُ إليّ حديثها المأفوگا
تألوه مصطفىًا ولا يألوگا

الحب والحدز

كيف لا أغري بك الحدزا
تبت من ودّ ومن مقّة
صرتُ أخشى منك طارقةً
ربّ مأمون بغرته
كم وسعتُ النفس معرفةً
فأتت ما لست أعرفه
ما عجيب أن صبرت فكم
إنّ قلبًا لم يدن بهوى
إنّ مخدوعًا على ثقة
إنّ من صحّت طويته
عجب أن لست تأمنني
أمنا من ليس يأمنه
أنت ممن عاش في كلم الـ
إنّ حبّ السوء مكتّمًا
خلت أن الناس لو كشروا
كنت لي خدنا ألوذ به
إن تكن تُغري بي الحدزا
فأقل من تاب واعتذرا
مشتمًا بي كل من أمرا
حير الألباب إذ غدرا
أتقصي الفعل والسيرا
وكأنني لم أصب خبرا
جازع من كارث صبرا
قط شرّ من جو خسرا
زين خب لم يثق حدزا
لم يكتّم حبه نعرا
قد أمنت البدو والحضرا
سابرٌ يدري الذي سبرا
نأس يقفو فيهم أثرًا
بزّ حبّ الطهر مشتهرًا
شاحذين الناب والظفرا
تدري الآلام والكدرا

حببوا لي العيش إذ قذعوا
 كنت أَرْضَى حَسَنَ رَأْيِكَ لو
 كم صديقٍ بَتُّ أَكْلُوهُ
 أَوَّلَ الراميين معْتذِرًا
 لم أَلَمَّ خُلُقًا نَأَيْتُ به
 قد أَمَنْتُ الدهرَ أَرْقَبُهُ
 وأَمَنْتُ الصيْتَ أَنْشُدُهُ
 خلته شهيدًا لمقتطفٍ
 وأَمَنْتُ الحَقَّ أَعْبِده
 ثم أَلْقَانِي إِلى نَفْرِ
 فامضِ مثل الدهر لا وطرًا
 وامضِ مثل الصيْتِ إِنَّ به
 وامضِ مثل الحَقِّ لا شَجَنًا
 وامضِ مثل العيشِ إِنَّ لَنَا

كي أنال الفضلَ مقتسِرًا
 لم أعالجَ قبلكَ الغِيْرًا
 من عَدَى أغرى بِي الحَجْرًا
 من صفاءِ كان لي نَحْرًا
 بل أَلومُ الدهرِ والقَدْرًا
 فدجا بالسوءِ واعتكرا
 فشأنِي الغرُّ وابتدرا
 فسقاني الصابِ والصبرًا
 فحمانِي الوردِ والصدْرًا
 يعبدون الكِذْبَ والنُّكْرًا
 مالى قلبِي ولا خطرًا
 في الوري عن هامنا قصرًا
 بعده أَلْفِي ولا نُعْرًا
 بعده في راحَةٍ وطرًا

موارد الحب

يا رائدَ القلبِ يحدو بي إِلى حَسَنِ
 الأَرْضِ تهدي بأعلامِ وأودية
 وفي السماءِ رياحٌ جدُّ معملة
 فما الضلالِ بحسنِ لا دليل به
 لا بالحنينِ ولا بالصدقِ أُدْرِكُهُ
 وأنتِ كالحقِّ مخبوءٌ ومطلَّبُ
 لا موتَ يظمي إِلى حسنِ وَإِنْ صَبْرَتِ
 لئن نَأَيْتِ كَنَأَى الشمسِ عن دَنَفِ
 لم يُخْرِسِ الطيرَ أَنْ الشمسِ نَائِيَةٌ
 لا تحسبِ الحَسَنَ مثل الشمسِ يسعدنا

انزل بقلبي في خصب من الدَمَنِ
 والأفُقُ يبعثُ بالأضواءِ للسُفَنِ
 تحدو الطيورِ إِلى الأوكارِ في الفَنَنِ
 إِلا مصارعِ قومِ لسنَ بالسَنَنِ
 وكيف أدركَ أَلَا غيرِ نِي مَنَنِ
 والحقُّ نو صلبٍ يجتنِ بالجنَنِ
 عن شرعةِ الحقِ نفسُ الهالكِ الضَمَنِ
 يرنو إِليكِ رنُوَ المرءِ للوطنِ
 إِذا بدا الصبحُ تتلو آيةِ اللسنِ
 في البعدِ بالضوءِ إِذ يُوذِي على قرنِ

ويبهج القلبَ في قربٍ من السكنِ
 كيما ترقَّ لما يحكيه من حَزَنِي
 يخفى عن الناس في جِلٍّ وفي ظُنِّينِ
 آتِي إِلَيْكَ بنعماءٍ من الزمنِ
 في صدرك الغضُّ قلبًا ضاق عن شَجَنِي
 كلا لعمرِكَ إنَّ اليأسَ صَبَّرَنِي
 إفكٌ مقالي إنَّ الطيفَ يؤنسنِي
 ما كنت أحسبُ أنَّ الحبَّ يبعدنِي
 لو أنني عاكفٌ أحنو على وثنِ
 لكنَّ قلبي مشدودٌ على الرسنِ
 وكيف أسلو وأنت الروح في البدنِ؟
 للناس طرًّا بلا مَنٍّ ولا ثمنِ؟
 بالسعد والنحس من نُعمى ومن مَحَنِ
 وأنت تؤنسهـم بالمنظر الحسنِ
 نامَ الشجِيُّ وقد باعدتَ يا سكنِي!

فالحسنُ يحرق في هجرٍ وفي بُعْدِ
 يا ليت للشعر الأما فتبصرها
 أو ليت لي مسلًا كالفكر أسلكه
 أو ليت أني قضاء لا مردَّ له
 أو ليت أني شجون منك قد نزلتُ
 وما صبرتُ على صدِّ قسوتَ به
 إنَّ عذَبَ السُّهُدُ عينًا غير مغفية
 يا باخلًا بلقاءٍ ليس يحربه
 ما كنتُ أشقى بآمالٍ أعالجهـا
 وإن نأيتُ فقد أرخيتَ لي طولًا
 لو كنتُ أسطيع سلوانًا عذرتُكمُ
 وكيف تمنعني وجهًا تلوح به
 أنت المقادير كالعشواءِ خابطة
 فأنت توحشني من غير ما سببِ
 نام الخليون ممن قد رأوكَ وما

الصبر والجزع

في خلعة الفردوس من لألأئِه
 صبرًا يداوي القلبَ من بُرحائِه
 وعن اقتسار الثأر من أعدائِه
 صبرًا على المقذور من عدوائِه!
 صبر النجوم على السُرى وعنائِه!
 وعن الرجاء ونجحه ورخائِه
 صبر العيون عن الغماءِ ومائِه
 تفنيه نار الحسن في إعيائِه
 قمنَّ وصبر المرء عقب شقائِه

يا لابسًا حللَ الربيعِ مخايلاً
 من لي بصبر عنك ليس بكائِنِ
 صبر القتيل عن الحياة وطيبها
 من لي بصبر الدهر من أزل الدُنَى
 من لي بصبر الغصن أجج عوده
 صبر النيام عن الضياءِ وحسنِه
 صبر السماء عن الطيور تصويَّبَتِ
 أوَاهُ أعوزني اصطبارٌ لآتني
 مثل الذبالة نورها بفنائها

فزع الجريح إلى نقيع سقائه
 ورحمت هيماناً لفرط بكائه
 أنصاره فبكى على آبائه
 جَزَعَ الجبان يفرُّ من هيجائه
 جزع المريض من الردى وقضائه
 فودن طعن الموت في أحشائه
 طاع يخال العدل من إجرائه
 جَزَعِي لبعد شيبهة وعنايه
 ولصوله المقذور في غلوائه
 مجهولة لم يدّر وجه دعائه
 روحاً يحس وإن نأى بخفائه
 تبغيه بل تبغي ضمير هوايه
 سترت بغيب غطائه وكفائه
 من نبل أخرق حاد في إجرائه
 أو لم تكنه فأنت من قربائه
 وأقيل جرم الدهر في عدوائه
 من لا أسرُّ بوده ولقائه
 خسفت خسوف البدر في ليلائه
 راق العيون بطبعه وروائه
 قهراً أدلُّ لأمره وقضائه
 بان اختبال اللب من بُرحائه
 أهلاً بجرم نلتقي بعدائه!
 إلف القصيد لعوده وغنائه
 وجرى الربيع عليهما بجلائه
 خلد الجحيم بنحسه وشقائه

ولئن أصابك في حياتك مثلما
 لرثيت للصديان من حرق الجوى
 إني لبُعْدِكَ كاليتم تباعدت
 ولكم جزعت لجفوة لك أفرطت
 لعرفت ما جزعي لو انك خابرت
 جزع الثكالى غال أوحدها الردى
 جزع لباعي العدل روع جأشه
 لا بل جزعت وليس يعرف جازع
 غلان في جيدي لحبك واحد
 إن غبت عني ظلت ناشد حاجة
 متلفتاً حولي كأني مشعر
 وأرى الفضاء بلحظة هوجاء لا
 فكأنما أبغي عوالم خلفه
 لحظات عين لا تراك كطائش
 إن لاح إنسان حسبتك طالعا
 حتى أحب الخلق إنك منهم
 فإذا استبان علمت أني مبصر
 إن غبت عني خلت أن عوالم
 كالسيف إن صدئ الغرار وطالما
 وأكاد أهتف في الندى بذكركم
 لولا مغالبة اللسان وصونه
 وأود لو تدنو إلي بزلة
 بل ليت لي منك ائتلاف مسعد
 إلف الأزاهر والمياه تصافيا
 فلطرفه تمضي ولست بشاهد

زورة المباعد

كالزهرٍ يترك نَفحةَ المرْتادِ
شامت سنك فكان خيرَ عهادِ
طيبًا على المهجات والأكبادِ
جَلَّتْ عن الفرحات والأعيادِ
حتى تحين قيامةً وتنادي
أم كلُّ عهدٍ فات غيرُ مُعادِ
صوبًا يبيل به أوامُ الصادي
من نَقمةٍ والحادث المرعادِ
قَبَسَ المجوسِ يُضيءُ للعبادِ
يبغي الخلودَ له على الأبادِ
أهديك من نفسي أعزَّ عتادِ
يخلص ضمير النفس من أصدادِ
ما إن ترى غير الشكول بوادي
وتظلُّ رهن قطيعةٍ وبعادِ؟
القلبُ أحجى منك بالإسعادِ
هجر أطلت لسلوةٍ ورشادِ
لَمَّا نأيت بريّه والزادِ
بِزِّ المهالك في رَدَى وعوادي؟
منه عليّ لواعجي وصفادي؟
فلهوت بالتقريب والإبعادِ
فلئن قدرتُ فلوعتي وودادي
لَمَّا برمت بصدك المتماذي
كادت تهدُّ شواهِقَ الأطوادِ
أحجى ولكن لا يطيع فؤادي
كارًا وإن أهلكُت بالإبعادِ
منه بخلق غير ما إسعادِ

يا زائري أعبقتَ منك محاسنًا
أخصبت تربة أنفيسِ ظمآنَةٍ
وأفضت شؤبوب المحاسن والنهي
يا زورةً كالعيدِ إلا أنها
يا ليت أن الدهرَ أوقف سيره
لهفي عليك أعائد بك ما مضى
عجبًا أما صابت لحاظك مهجتي
كتقاطرِ الرحماتِ عقب سوابقِ
طرفٍ تألق منك حتى خلَّتُهُ
لوددت أن أرعاه رعيّةً عابدِ
يا ليت أن النفسَ ذرّةً غائصِ
النفسُ مرآةً فقاربُ وجهها
كوزيلتَيْنِ تحاذتَا وتصافتَا
أترى ظلالَ الموتِ تسحب ذيلها
سأسوم قلبي عنك سلوةً صابرِ
قد يلهم القلب الشجي عزاءه
ها رحمت القلبِ رحمةً مبصرِ
أم لست تعرف أن حسنك مهلكُ
أم أنت متهم هواي فلم تخفُ
وحسبت أني عابث بدعابةٍ
أجدد حياتك ما استطعتُ جحودها
لو كنت شاهد عبرتي وصبابتي
وصدعت أبواب السماء بدعوةٍ
لعلمت أنك بالسلو وبالقلَى
لو قلت أنت قتلتني لضحكت إذ
ولربِّ باغٍ سعدٌ خلُّ هالكِ

حذراً عليّ من الشقاءِ العادي
وتركتني خلواً من الأودادِ
رقةً وغصني عاد شوك قتادِ
لَقَصَدْتُهُمُ بِالْغُلِّ وَالْأَحْقَادِ
أَلْفِي لَدَيْهِ رَاحَتِي وَوَسَادِي
إِلْفُ الْهُوَى بِقَوَامِهِ الْمَنَادِ
إِنْ غَبَتَ عَنِّي أَخْذًا بِفُؤَادِي
وصبرت للبلوى كصبرِ إبادِ
لولا سراب رجائي الميادِ
لَأَسَامَ خَفْضًا بَعْدَ عَزِّ قِيَادِي
عندي بأهلِ خديعةٍ وعنادِ
تبغي عذابَ فؤادي المنقادِ
يأتي المصادق من أذى الأودادِ
تودي بقسوةٍ وحشة الأضدادِ
أسفاً لقلبٍ منك غير جوادِ
ليست تغرُّ بفطنةٍ وفؤادِ
مما خبرتَ لفرقة الأندادِ
من مقلّةٍ حرّى بغير رقادِ
وبروعة الأحلام والتسهادِ
من غدرِ أحبابٍ وغلِّ أعادي
حذر الردى ومراكب الأعوادِ
والخوف يقدح في الحشا بزنادِ
من لوعة الإصدارِ والإيرادِ
بحنين قلبٍ منك غير جمادِ
والمرءُ رهنٌ روائحِ وغوادي
وتزِيلُ دَوْلَةَ صَدِّكَ الْمَتْمَادِي
فاجنب هواك لفطنةٍ وسدادِ

فأعطِ الصبا فرضَ المراحِ ولا تصلُ
واهناً بأترابِ حنوتِ عليهمُ
فغصونهم كغصونك الفيحاءِ مُو
لو كنت لم أبلُ الحياةِ وصرفها
أما وقبري بالوصيدِ موطاً
سفةً بمثلي أن يلومَ على الجفا
لو كنت تجهل ما أعاني من جوى
لرجوت منك مودةً لم ألقها
لكن علمت فلم تعد لي حيلةً
أدنوت كي تنأى ولنت مخادعاً
رُحماك يا غصّ المحاسنِ لم تكن
ماذا اجترمتُ فكدنتني بخديعة
إنَّ المروءةَ والشهامةَ غير ما
قد كنتُ أحسبُ كلَّ حُسنِ فطنة
فمُنيتُ منك بغير ما أملتُهُ
يا ليت أنك صخرة مهجورة
أدعوك بالآلام وهي مضيفة
أدعوك بالعبرات إن رقرقتها
وبكل ما عانيت من حرق الجوى
أدعوك بالزفرات إن صعّدتها
وبوقع خفقة قلبك القاسي إذا
وبما أَلَمْتَ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالْأَذَى
وبما يتاح من المهود إلى الردى
أدعوك كي تدري حنينَ جوانحي
وبكل ما عالجت من صرف النوى
كيما ترقّ للوعتي ولواعجي
يا قلبُ بعض الحبِّ ليس بفطنة

في صنوه لبلغت كلَّ مرادٍ
هانت عليه حرارة الأكبادِ
بالشكِّ موقفَ حيرةٍ وتمادي
زمنًا، فكان أبرَّ بالأندادِ!

لو أنَّ شجَوَ القلبِ يبعث مثله
أيقنت أنك مولعٌ بمباعدِ
فاقرن يقينك بالعزاءِ ولا تقفْ
وارجع إلى يأسٍ سكنت لجنجهِ

يا ضوء

قُبْح وتكسوه حُلَّة البدرِ
للخير والشرِّ صولة الغيرِ
وكنت للعين علة النظرِ
حُسن أخاه ذا الآفة الكدرِ
تدُّك خير اللذات والذخِرِ
يلوح ماضي النعيم في الصُورِ
سحرُ حنانٍ يضيء في البصرِ
بخطفة الضوء حلية الحجرِ
لاح سراب الرجاءِ والوطرِ!
الله في صالح من الخبرِ
في النفس أو كالصفاءِ في السيرِ
تتلوه من آيةٍ ومن سورِ
مثل هبوط الطيور في الشجرِ
تنير وجه الحياة في حَفْرِ
تسبي عشيقةً بحلة الزهرِ
من عسجدٍ حلَّة من الحَبْرِ
رقصًا كرقص الضياء في النَّهرِ
كون فيقصي القلوب عن خورِ
كفجر حُبِّ في القلب منفجرِ
فجرًا وليلاً يضاء بالذَّكرِ

تضيء ما يستر الظلام من الـ
وأُمك النارُ وهي صائلةُ
كسوت وجهي وخاطري حُللاً
لولاك لم يَزحم الذي حَمَد الـ
تلوح للهاك السقيم فيعـ
تلوح للجارم الحبيس كما
تغذوه أمُّ في عينها أبداً
وهو وليد قد أولعت يدهُ
وكلُّنا ذلك الوليد إذا
وأنت في المعبد المَشيد كضوُ
أو مثل ضوء الضمير محتبسُ
تبعذك الطيرُ في الصباح بما
تهبط فوق الغدير في مرج
أم أنت روح الحبور قد برزتُ
كأنَّ في الأرض قلبَ وَالِهةِ
سنابلُ النبتِ أنت صغنت لها
ترقص رقص الحسناءِ إنَّ لها
يا علماً للحياة ينشره الـ
ورُبَّ فجرٍ بثقتَه بهج
أو مثل فجر الآمال إنَّ لها

فَظَرَّرَ السُّحْبَ مِثْلَمَا حُسْنَ الـ
 كَأَنَّمَا أَنْتَ سَلَمٌ لِعَلَّا
 أَوْ أَنْتَ حُسْنُ الْجَنَانِ نُصِيرُهُ
 تُرْمَدُ طَرْفَ الْحَزِينِ إِنْ أَخَاكَ
 تُلِيحُ بِالسَّعْدِ وَالْمُنَى أَبَدًا
 وَأَنْتَ كَالْيَمِّ، دُرُّهُ الْفَلَكَ الـ
 وَيَا بَشِيرًا بِمَا نَخَالُ مِنَ الـ
 حَكَيْتَ نَخَرَ الْأَمَالِ تَبِعَتْهَا
 تَخَالُ مِنْ رَقَّةِ الْمِرَاسِمِ مَعًا
 أَشْهَى ضِيَاءٍ يَكْسُو الْحَبِيبَ حِمَا
 تَسْتَبِقُ الطَّيْرَ فِي أَشْعَتِكَ الـ
 وَضَاءَةُ الْمَاسِ مِنْكَ قَدْ قُبِسَتْ
 وَالضَّوْءُ فِي الْمَنْزِلِ الْخَرَابِ كَقَلْبِ
 خَوَاطِرِ الْخَيْرِ كَالْمَلَائِكِ أَوْ
 كُلُّ جَلِيلٍ مَشَبَّهُ بِكَ فِي الـ
 فَالْحَقُّ وَالْحَسَنُ وَالْمَطَامِعُ أَشْ
 أَضَى إِنْ اسْطَعْتَ مَا يَخَالُ مِنَ الـ
 كَمْ ذَا رَأَيْتَ الْأَنَامَ فِي عِنْتِ الـ
 فَلَمْ تُقْطَبْ عَلَى الشَّقَاءِ وَلَمْ
 كَالشَّيْخِ شَامِ الْخَطُوبِ قَاطِبَةً
 خَبَّرَ وَمَا يَنْفَعُ الْوَرَى أَبَدًا
 أَثَغْرَةَ ذَا الْحَمَامِ نَبْصَرَ مَنْ

نَحْسُ بِضَوْءِ الرَّجَاءِ فِي الْكَدْرِ
 ءِ النَّفْسِ تَسْمُو لَآيَةَ الْعُمْرِ
 مِنْبَعَثًا خَارِجًا مِنَ الثُّغْرِ
 اللَّيْلِ بَرًّا بِالْخَاطِرِ الْكَدْرِ
 لِذِي طَمْوِجٍ بِالْتَرَبِ مَنْعَفِرِ
 سَدَّوَارٌ أَوْ فَاقِعٌ مِنَ الزَّهْرِ
 أَلَاءٍ فِي مَقْبَلِ مِنَ الْغَيْرِ
 لِلْوَهْمِ يَزْهَوُ كَالْتَّبْرِ فِي الذَّخْرِ
 حَتَّى لَا يَرَاهُ الْبَصِيرُ بِالْبَصْرِ
 رَا نَعَمَ ذَاكَ الْكِسَاءِ فِي الْخُمْرِ
 غَرَّاءُ فَعَلَ الْحَسَانَ فِي الْغُدْرِ
 وَأَنْتَ فِي الرُّوْضِ خَمْرَةَ الزَّهْرِ
 بِنِ النَّدْبِ يَشْقَى بِالْجِسْمِ فِي الْكَبْرِ
 كَالضَّوْءِ يَزْهَوُ فِي قِمَّةِ الشَّجْرِ
 مَدْحٍ، وَلَيْسَ التُّرَابُ كَالدَّرِ
 بَاهَاكَ فِي قَوْلِ نَاعَتِ الْغُرِّ
 غَيُوبِ وَالطَّارِقَاتِ وَالْقَدْرِ
 عَيْشِ نَشَاوَى مِنْ غَيْرِ مَا سُكْرِ
 تَبْدُ كَوَجْهِ لَيْلٍ مَعْتَكِرِ
 يَذْخُرُ غَفْرًا لَزَلَةَ الْبَشْرِ
 طُلَّابَ ذَاكَ الطَّلِيبِ فِي الْخَبْرِ
 هَا الضَّوْءُ، أَمْ حَفْرَةٌ مِنَ الْحَفْرِ؟

الصديق المنشود

في الناس، لو أنّ فيهم من يصابيني
وأنت أنت سرابُ الحسنِ تظميني
لم ألفِ آلا من الأهواءِ يرديني
وطالما خلت كأساً منه ترويني
في ذي جفاءٍ إذا دانيتَ يقصيني
فلم أصبْ بُرءَ أحلامِ تناجيني
ولا عزاءً يؤاسيني ويأسوني
أفُضي إليه بأمر منه يشجونني
لقد حبانني بجدٍ منه مدجون
الآؤه، وحباني بالميامينِ
أبغيك في كل نابي الطبعِ مافون
كذَّبْتَنِي بحديثٍ منك يغريني؟
يوماً يجيءُ بخلق لا ينافيني
هل تعلمون بديلاً منه يغنيني؟
في أن أصيبك في عيشِ يصابيني
ثم العفاء على آمالٍ محزون!

إليك يا من قضيتُ العمرُ أنشده
هُمُ مثالُ سرابٍ لآخٍ عن عرضِ
وأبي شيءٍ إذا جدَّ الطلابُ به
أو كالأجاجِ إذا أظمى بجرعته
يأسي من الخلقِ يحدو بي إلى أملٍ
عرفت أني لن أهنا بلقَيْتِهِ
يا بؤسَ نفسي لا صبرٌ ولا صلّةٌ
يا لائمي أنني لم ألفِ ذا مقّةٌ
أحمدُ زمانك في جدِّ حَبَاك به
ما إن أبيت حياءَ الدهر لو صدقتُ
يا مغرباً لي بخلق لا أشاكله
وكيف أنقم إفكاً منهم، ولكم
أقول علّ بعيداً لست أعرّفه
لم يُغنِ قلبي فيكم ما يعالجه
لو كان للعيشِ عودٌ كان لي أملٌ
لكنه مرّةٌ في الدهر واحدةٌ

الملك الثائر

مقدمة

هذه الأقصوصة تحتوي نزعتين: النزعة الأولى سخط النفس من شرور الحياة وآلامها، والنزعة الثانية تهوين أمرها على النفس؛ لأن رَفُضَ الألم رَفُضٌ للسعادة؛ إذ الإحساس الذي يُجسّ السعادة لا بد أن يُجسّ الألم. ورفض الشر في الحياة رَفُضٌ للخير؛ إذ الخير في محاربة الشر؛ ولأن الرحمة نفسها التي تدعو إلى هذا السخط ما كانت تكون لولا الشر. والقصة هي قصة مَلِكٍ عصى ربه وهبط إلى الأرض، كي يدعو الناس إلى محو الشر فأذوه وألحقوا به كل شر؛ وخسر رضوان الله كما خسر رحمة الناس وعدلهم ومحبتهم. والمراد العظة وتحبيب الحياة والثقة بالله.

نُبِّئْتُ أَنْ مَلَكَ تَارَ مِنْ حَزَنِ يَسْأَلُ اللَّهَ فِي خَلْقِ الرِّزْيَاتِ

قول الملك التائر يناجي الله

تَكَلَّمَ الشَّرُّ فَابْعَثْ مِنْكَ هَاتِفَةَ
الأَرْضِ مَبْنِيهِ وَهُوَ الْخَطِيبُ بِهَا
فَارْحَمْ مَسَامِعَ لَمْ تَسْمَعْ نَجِيكَ أَوْ
وَارْحَمْ عِيونَنَا إِلَى مَرَاكِ ظَامِئَةٍ
إِذْ نَ أَعْرَها لِحَاظًا مِنْكَ صَادِقَةٍ
وَابْعَثْ لَنَا حِكْمَةً مِمَّا خُصِّصْتَ بِهِ
نَدْرِي الْوُجُودَ كَمَا تَدْرِي الْوُجُودَ بِهَا
فَمَا الْخُلُودَ وَلَا الْفِرْدُوسَ مِنْ أَرْبِي
حَتَّى أَرَى النَّاسَ لَا دَمْعَ وَلَا حَزْنَ
سَأَبْلُغُ الأَرْضَ أَسَى مِثْلَمَا حَزَنُوا
إِنْ الْجِهَادَ عَلَى النَّقْصِ الَّذِي طَبَعُوا
فَالسَّيْفَ أَفْضَلَ مَشْهُورًا وَإِنْ صَدْتُ

صوت من السماء

أَهْبِطْ إِلَى النَّاسِ وَأَنْدَبِهِمْ إِلَى خُلُقٍ
وَأَرْغَبْ بِهِمْ عَنْ شَرِّهِ أَنْتَ نَاقِمُهَا
أَوْرِدْهُمْ الخُلُقَ الأَعْلَى لَعَلَّ لَهُمْ
فِي أَنْ فَشَلْتَ فَلَا عَرُوفٍ فَإِنْ لَنَا

كَمَا تَشَاءُ عَلَى تَقْوَى وَإِخْبَاتٍ
وَدَاوٍ مَا اسْطَعْتَ كَلَّمَ المَصْمِيئَاتِ
إِلَى الدُنْيَاتِ طَبْعًا غَيْرَ مَنْصَاتِ
فِي الخَلْقِ حِكْمَةً مَخْبُوءَ العَلَامَاتِ

مسعى الملك الثائر واضطهاد الناس إياه وفشله

يدُرُّ للخير أرواحًا بكِيَّاتٍ
ما يجنب السعدَ من حرص المِباراةِ
كم قدسوا العادَ تقديس الدياناتِ
هيهات لو عُرِّيَتْ نفسٌ بهيهاتِ
فاحمل عن الخلق آلام الشقاواتِ
إليه كل عريق في الجهالاتِ
وكم رَمَوْهُ بأدناس الرماياتِ
فواتك الوحش من دامي الفريساتِ
اصعدُ كما رَمَتْ في مرقى السجياتِ
وإن توجَّع من وقع النكياتِ
غرارةً وانصياعًا للسَّعياتِ
نفس بأوجع منه في العداواتِ
يدجو عليه بتقطيب السخيماتِ
وثار يُغضب جبارَ السماواتِ
عن الخطايا وعن شر الدنِيَّاتِ
وعن ولوع بنعماء ولذاتِ
تكفير من لم يُطَقْ هجر الخطيئاتِ
مثل الأفاعي وما قلب بعزْهاتِ
أينكرون شهيَاتِ الغريزاتِ؟

سعى إلى الناس ساع نحو خيرهمُ
فيا لسعدهم لو أَنَّهُم جَنَّبُوا
عزيز عاداتهم للشَّرِّ رائدهم
تبغي المحالَ فتبغي الخير أجمعه
كشفت عيب نفوس أنت ناصحها
ثارت به الناس كالأغوال يقدمهم
وحملوا خلقه من سوء خلقهمُ
ومزَّقوه بأظفارٍ كما خُضبتُ
وعلَّقوه على جَزَعٍ وقيلَ له
ما راعه أن رأى الأشرار ترجمه
حتى إذا ما رأى الأبرار تَظَلَّمُهُ
بكى لبُغْضِ ذوي خيرٍ وما مُنِيتُ
من كل لحظ بضوء الخير مُنبعثِ
تلك النفوس التي عافَ السماء لها
يُكْفِرُ الناس بالآلام قاطبةً
وعن رضاءٍ بعيش جُلُّه نَقَمُ
هم يعذرون بمدح الخير شرَّهمُ
لسان برٍّ بئلب الشر منطلق
ما أنكر الناس شرًّا غير ضائرهم

صوت من الجحيم: إبليس يتكلم

هُوِّنْ عليك ولا تُولَعْ بإعْناثِ
في صيغة الخير في قَدْرٍ وميقاتِ
من خلق نفسي ومن آثام زلاتي

ناداه في النار إبليسُ فقال له
قد شاء ربك إن الشرَّ عدته
أنا الشقيُّ بما لم أجنه أبدًا

قول الناثر الساخط

فقال ذو شقوةٍ بالجزع منتصب
أنزلُ عليَّ شقاءَ الخلقِ قاطبةً
إن يظلموني فمن بالشرِ يجبلهم
هل يَعذُرُ الشَّرُّ أنَّ الخيرَ غايتهُ
يكلّمُ الله في نجوى السريراتِ
وطهّرُ الناسَ من ضَيْرِ الجرياتِ
أو يصلبوني فمن باري الجنائياتِ؟
أم هل تهوّنُ آثامُ بغاياتِ؟

مصير الناثر

فخلّفتُ روحه كالطيرِ سابحةً
طارت إلى الملاء الأعلى فما لقيتُ
لا في الجحيم ولا الفردوس مسكنها
ترى الملائك حول العرشِ آسيّةً
في الجو تنشد مخضراً النباتاتِ
لها قرارًا ولم تظفر بمهواةٍ
حيرى المسالك من فقد القراراتِ
تأسى الملائك من إثم وزلاتِ

صوت من السماء

يا ناغم الشر هلاً كنت مُضطلعاً
عصيت ربك في كبرٍ وفي جهل
الخلق للخلق ربح لو فطنت له
والشر والخير لا يُرْجى افتراقهما
حتى العقول وحتى الفضل أجمعه
ومرتضي الخير لو يسعى إلى دنسٍ
ومرتضي الزهد مسعود بعفته
برحمةٍ قد نماها الشر تنقمه
إن كان سخطك خيراً في مراحمه
فالشر للخير مردود وإن أسيئتُ
وباحث سرّ عيش غير مُدرّكه
بالجزع والصلب قبل الكارث الآتي
لمّا برمت بإيلام الملماتِ
كمغنم الحيّ من أسلاب أمواتِ
فارفض إذا اسطعت نعمائي ولذاتي
ولذة النفس في بذل المروعاتِ
لباء منه بإخلاف العلاياتِ
ولذة المنع إنماء الخيالاتِ
ورحمة المرء من وخز المصيباتِ
أجزت خلقي بأرواح رحيماتِ
منه النفوس بأناتٍ وآهاتِ
كالطفل ينشد أفلاك السماواتِ

الموت

نضحى به لذاتنا والأمانيا
ويا مهرب الملهوف يخشى الأعدايا
جلالك أن قد راق ما كنت شافيا
ويا حصن عطلت الدرود الأوقيا
أما لك قلب يرأم الولد حانيا؟
لأذكر ما قد كنت في العيش ناسيا
فإن حميم الصحب ما كنت لاقيا
وتبعد من يرجوك في النحس راضيا
تقول لها الأباد أن لا تلاقيا؟
وكل لديغ يبتغي منك راقيا
ولا اغتل من لاقى من الموت شافيا
لأوقظ طرظا منك وسنان ساجيا
لينقع ثغرا منك صديان ظاميا
أعد منك لحنا يترك السمع واعيا
فإنك رحمن وإن كنت قاسيا
وأرخصت من قد كان في العيش عاتيا
وإن كان معشوقا لدى النفس غاليا
لمن كان قد أعيا الطبيب مداويا
فجارك لا يخشى من الخوف ساريا
محاها من الأحيان ما كان ماحيا
أحالت صروف العيش إلفا معاديا
ولم يك للفقذ الذي ناب واعيا
ونزوي إذا ما لحت منه النواصيا؟
ودهرك مثل الخلد أروع ناميا
فهل منذر ينبي عن الموت آتيا؟
سل الموت عنها والسنين السوافيا

أيا معبدا قرباننا فيه عيشنا
ويا منصف المظلوم من كل ظالم
ويا مبرئا كلم الحياة بطبه
ويا ستر لم يصدعك هم ولوعة
فيا موت يا أما أطالت تصامما
ألا أرضيعني منك يا أم درة
فيا موت أقبل باسط الوجه طلقه
تقارب من أمسى لطيفك قاليا
أتجمع بين الصحب أم أنت فرقة
وكل لهيف يبتغي فيك نجوة
فما التاح من ألقى من الموت موردا
أسمع صوت الرعد كي أستعيه
أحبك حب الصب وجه عشيقه
وكم طربت أذني للحن أجدته
وأنت شبيهه الله في خير نعته
لأعززت من قد كان في الناس صاغرا
وليس بعز المرء مثل افتقاده
جوارك مأمون وملكك رحمة
لخلفت قلب الخوف يخشى حمامه
وأين دموع النحس من عهد آدم
وكم حرس الموت الودائع بعد ما
إذا لم يكن للميت شجو وحسرة
فأين وعيد منك يا موت نتقي
وللخفض أيام وللنحس مثلها
توالت فصول الحول عن قدر موعده
وليست حياة المرء إلا كنفحة

لفقد حياة فيه لم أدر ما هيًا
 أليست فضول العيش خلقًا دواليًا؟
 كما يضحك المجنونُ أخطأ الملاهيا
 فيغذى دماه والمُنَى والمَسَاعِيَا
 توهُمَه برقًا على الأفق نائيًا
 يصولُ لنيل الرزقِ باللؤمِ شاكيًا
 وإن لم يرع بالحلم من كان كاريًا
 سل القبرَ عنه والعظامَ البواليًا
 وأي امرئٍ يُلْفِي لدى العاد عاصيًا؟
 لما أوجَرَ الحقدُ الكمينُ الأعاديًا
 كأن لم يكونا مستكينًا وجانيًا
 سل الموت أن يحبوك ما كان حابيًا
 كما في أساه، يرتجي منه آتيًا؟
 خلاءً، فيرجو لو رأى الموتَ باديًا
 فيكره من سوء العقيب الليليًا
 يخالان أن لم يُبقَ في العيش باقيًا
 تطيرُ بروحٍ منهما كان هافيًا
 تنادوا لحينٍ واستجابوا المناديًا؟
 ذوو اللب شتى يدلّفون تواليًا
 من الموت لو ألقى على الموت عاديًا
 وما الخير واللذات إلا عواريًا
 إذا لم يكن في النحس جذلان لاهيًا
 فإن عناء سؤر كأس رجائيًا
 فأفنى ولم يعنف عليّ شتائيًا
 وألف على موتٍ يريح جنانيًا
 وربّ وليدٍ خاف ما كان خافيًا
 إذا ضاء سرُّ العيش فاعدهه داجيًا

وما بي خوف الموت بل حرُّ حسرةٍ
 رزقنا فلم لا يرزق الدود بعدنا
 نسرُّ على قبر العصورِ التي خَلَتْ
 هو الحيُّ عبد الموت يسعى لطعمه
 وما العيش إلا طائرًا في دُجْنَةٍ
 كفى شرفًا بالموت أن كان عائش
 حمدنا مهودَ النوم أن شابه الردى
 فكيف نعافُ النومَ لا نوم مثله؟
 وما العيشُ إلا عادة غالَ قيدها
 ولو فهم الحيُّ الحمامَ وطهره
 غذاً يستوي الجاني ومن ذاق شره
 حبتكُ صروفُ الدهرِ بالحسن والهوى
 ألم ترَ أن المرءَ في عظم سعده
 سواحر لذاتٍ يرى العيش بعدها
 يخاف عليها من عقيبٍ يمرُّها
 كما ائتلف الإلفان في صفو طرفةٍ
 فودًا لو أن الموتَ نسمةً عاطر
 وهل يَعِدُ الأحياءُ خير الألى مضوا
 فأهونُ بهذا العيش قد جاز داره
 سل الملكَ الجبارَ ينقع غلّه
 وما العيش إلا مِيتة بعد مِيتة
 وما العيش إلا الظئرُ تؤذني وليدها
 فأهونُ بأحلام الحياة وطيبها
 فيا ليتني كالزهري صيف حياته
 على العيش واللذات مني تحيةً
 أرى ظلمةً في العيش أخشى غيوبها
 أنخسى ظلامَ الموتِ والعيش مثله؟

وكم ضحكة في ثغر من كان خاشياً
تَقَطَّعَ خيط العودِ أشجى الأولياءِ
أم الميت لم يسمع من الناس داعياً
مقال، أليس اللبُّ للصمتِ واعياً؟
يسقي الندى زهراً على الترب نادياً
فقد أمنوا منه الأذى والمخازياً
سلامٌ عليهم، بل عليّ سلامياً!
كما أعوزتني رحمة في حياتياً
وفي الماءِ موروداً وفي الزهر زاهياً
أيدعى قوام الحيِّ ميئاً وفانياً؟
وسيان ما يُسمي الأذى والأمانياً
ويبطي لنا النحس السنين البواقياً
أريح بها قلباً عن الناس سالياً
فأسى على العيش الذي كنتُ قالياً
فأحنو لحسنٍ لم أزلُ منه صادياً!
دمي ويروح الحسن بالزهر حالياً
تبدلتُ منك الموت حباً مؤاخياً
من العيش حتى يصبح العيش ماضياً
وتتلو نواعي الشائقات المناعياً
حريصٌ على دنياه يخشى المرازياً
دراكاً كما يطوي النهار الليالياً

وما يضحك المسرور إلا لخوفه
تَقَطَّعُ أوتار المودات والهوى
أيعجب ذاك الميت من حزن واله
تدرِّع بالصمت الذي ليس مثله
وصمت على الأموات يُدنى كأنما
سواءً مقال الإلف أو جرس سبب
فمن مبلغ الأموات عني تحية
فما أعوزتهم رحمة في قبورهم
لعادوا وفي الأوراح منهم بقية
وقد أصبحوا رزق الحياة وطعمها
سواءً لديهم صبحنا ومساؤنا
وسيان لمح الطرف مرأً وحقبة
خليلي خطأ لي من الأرض حفرة
ولا تُسمعاني الطير تشدو بغممة
ولا تمهدا للغيد فوقي موطئاً
عزائي أن الزهر تسقيه حفرتي
حبيبي، أرح منك الجنان فإنني
وهيهات لا يسلو عن العيش جارح
وحتى يموت الحبُّ والدُّكر والمُنَى
وحتى يموت الموت لولاه ما بكى
فيا ليت أن العيش يخلف ميتة

نعر المحب

فقرتُ كما قرَّت رفاتُ المقابرِ
إلى القلب حتى خفتُ صرف المقادرِ
أخاف على قلبي وسمعي وناظري

تعزَّلَ قلبي كلَّ شجو وفرحة
وما كنتُ أدري أن للحبِّ عودةً
أخاف عليك الضرَّ حتى كأنني

وجيبٌ وإشفاقٌ لأنباءٍ ذاعرٍ
 وهى منه قلبي بين جانٍ ونافرٍ!
 عليك شفيقٌ من صروفِ الدوائرِ
 أباعد عن قلبي مخوفِ الخواطرِ
 نذيرٌ بإقبالِ الجِمامِ المغامرِ
 كأني مناكيدِ الدهورِ الغوايرِ
 جنائكُ ما ألقاه ما كنتَ هاجري
 لأجلك أقضي الليلِ رطبِ المحاجرِ
 أبيتُ وقلبي في مخالِبِ كاسرِ
 أحبك حبَّ النحسِ خصبِ المصادرِ
 تراءتَ لتشفي عاشقًا جدِ عاثرِ
 كم التحتُ من بَرَحِ الهيامِ المخامرِ
 من الموتِ لو ألقى لدى الموتِ ناصري
 تؤدبك ما يلقيه قلبي وناظري
 فليتك تُلقي خاطرًا طيَّ خاطري
 وليتك ربُّ عالمٍ بالسرائرِ
 لفقدك من مسعاةٍ لاحٍ وغادرِ
 ولا حبُّ إلا عادَ عونِ المقادرِ
 غذاءٌ لأفواهِ الشجونِ الجوائرِ
 بعَيْنَيْنِ نجلاوَيْنِ مِنْ صنْعِ ساحرِ
 إلى أبدِ الأبادِ إسعادِ خاسرِ
 بمرأى حنانِ الحسنِ من طرفِ هاجري
 أخو الموتِ من خلدِ اللهى والنخائرِ
 عن الحبِّ والخَلِّ الحبيبِ المؤازرِ
 وحُلمِ تقضى أو أكاذيبِ سامرِ
 مليًا بأن يشجو ظمأَ النواظرِ
 وأنفاسِ أيامِ اللقاءِ الغوايرِ

كتمتُ الهوى في القلبِ حتى أذاعه
 فوا حسرتا ما لي وللحبِّ بعد ما
 أُحييك في رغدِ السلامة لم يَخَفُ
 ولم أدِرِ ما نعرِ المحبِّ ولم أبتُ
 ويسعدني من شدَّةِ النحسِ أنها
 أعالج آلامَ الدهورِ التي خَلَّتْ
 فليتك تدري ما لقيتُ ولو درى
 ويا عجبًا لو كنتَ تجهل أنني
 ويا عجبًا لو كنتَ تجهل أنني
 أما خَبَرْتُ عيناى عينيكَ أنني
 فقد خبرتَ عيناك عينيَّ أنما
 شهيدى ليلٌ سامرتني نجومُهُ
 وكم بتُّ أبكي أسألُ الله راحةً
 أبْنُ لي ألفاظًا من النارِ علَّها
 وكلُّ بيانٍ عاجزُ اللفظِ كاذبٌ
 وليتك رُوحٌ طيُّ رُوحى خابِرٌ
 وما إن كتمتِ الحبَّ إلا مخافةً
 فيا ويح قلبي لا صديقٌ مُصادقٌ
 أمن أربِّ أحياءِ لآسى كأنني
 فيا نائياً أغدقُ على القلبِ رحمةً
 وعطفك عندي نهزةٌ ليس بعدها
 فيا دهرِ كَفَّرَ عن همومي كلَّها
 أليس قليلاً نهزةٌ لو ينالها
 فيا لبِلائي لا عزاءِ أصيبه
 وإن كنتَ أدري أن عيشي خدعةٌ
 أرى الزهرَ غَضًّا يانعًا طلَّهُ الندى
 فأحسبه دمعاً لذكرى غرامنا

بمجتمع الأطيّارِ بين الأَزهَرِ
كما جال سرُّ الوحي بين السرائِرِ
بلذاتِ حبِّ كالنجومِ الزواهرِ
وعهدًا تقضى بين إلفٍ وناصرٍ؟
كعادِ يرَجِّي الذخرَ بين المقابرِ

أتذكر وعدًا باللقاءِ بذلتُهُ
وليلًا طرقتاه سميرينَ في الدُّجَى
طرقتك يا ليلَ اللقاءِ فرقتني
فهل من معيدٍ لي لقاءً مضى لنا
ولا تتركني ذاكراً عهدَ ما مضى

طيرة الفرخ

بذاك الوهنِ مَطْلَبِ النسورِ
من الأحداثِ والقدرِ المغيرِ
إذا غالتك عاديةُ الصقورِ
على الرِّلاتِ والجدِّ العثورِ
كما جُعل القوادِمُ للطيورِ
كما يبكي الجزوعُ على الصبورِ
على الضعفاءِ والبطلِ القديرِ
على النَّفسِ والطفلِ الصغيرِ
كوخز اللدِّ من وقع السرورِ
يخبِّرك الشهيدُ عن الحبورِ
بغيرِ مخافةِ الألمِ الذعورِ

جناحكِ واهنٌ فيلأمَ تبغي
أقم في وكرِ غصنكِ مستريحًا
ألا طِرْ حيث شئتِ فغيرِ بدعِ
لطيرة من يؤمُّ الشمسِ أجدى
لقد جُعل الطموحُ لكلِّ ندبِ
وقد يبكي الجبانُ على جريءِ
أرى الآلامِ محملها خفيفُ
أنفرك من ديونِ هُنَّ حتمِ
ووقعِ النحسِ في الأجسامِ وخزِ
فسلِّ قلبَ الشهيدِ عن البلياءِ
وما من مهجةٍ هانتِ وذلتُ

حب العزوف

أسرًا لقلبِ العاشقِ الغطريفِ
روحِ الغريبِ وراحةِ المألوفِ
لأجلِّ من حَدَثَ الزمانِ المُوفِي
تعددي على المجهولِ والمعروفِ
ما إن يعاب أخو الأسي بصروفِ

ليس الوجودُ وأنتِ بعضُ كيانه
والندبُ يحمل بين جنبيه الدنى
إنَّ الذي دَرَسَ الزمانَ وفعله
ويشيم أسرارَ الحياةِ بحكمةِ
هَبْ حسنكِ الأقدارِ تطرق بالأسي

تتلى قروفُ قراعه بقروفِ
 عبثُ صيالِ جمالك الموصوفِ
 عبث ملامةُ ذي قلى وصدوفِ
 نعتي لخلّةِ جارمِ وعزوفِ
 تفضي إليّ بعلةً وحتوفِ
 عبثُ هيامِ فؤادي المقروفِ
 ولقد برمتُ برائقٍ ومخوفِ
 أنّ الهيامَ أشده لعفيفِ
 نخر العزوفِ هيامه لحصيفِ
 خبلُ الهوى واعجُ الملهوفِ
 دمعي بخدعةِ ماذقِ مطروفِ
 عبثت لمغرورِ الحصةِ سخيّفِ
 فيبيت نهزةِ خادعٍ ومروفِ
 من أن تُغرَّ بمدمعٍ مرصوفِ
 شوقًا إليك ألحّ غيرَ طفيفِ
 يسعى إليك بمدمعِ المشغوفِ
 يخشى الحسودُ على الصفاءِ وقوفي
 وتركّنتني للعذلِ والتعنيفِ
 بالمجد يسبقني بغيرِ طريفِ
 للناس تغري عنهمُ بوجيفِ
 من ذي النفوسِ عدوته لألوفِ
 صبرًا فتتلجج حرقّة الملهوفِ

أومًا نما الأمر الصغير فأصبحتُ
 هبّه الخطوبِ حقيرها وجليلها
 عبثُ ومن عبثِ مقالِي إنه
 عبثُ عداءِ الحاسدين ومثله
 عبثُ نعيمي والشقاءِ ولوعةُ
 عبثُ جمالك في الصدودِ وفي الرضى
 أوبعدُ ذا حالِ أخاف صيالها
 لن تعرفَ الغيدَ الحسانِ إذا قضتُ
 ومن العجائبِ أن جهلت وطالما
 كم مدّعٍ خَبَلًا لتحسب أنه
 يلقاك بالدمعِ الغزيرِ ولم يكن
 إني أجلك عن سوافحِ عبرةِ
 يخشى على الباكينِ وقعِ جماله
 ولأنتِ أعظمُ في الفؤادِ محلّةً
 يا ربّ مضطغنِ يحبك إن لي
 الآن لما خلتُ صفوكِ بالغي
 كيما أبيت علي جفائكِ حيث لا
 كيما يقالِ حبوتّه بمودةِ
 أسفًا له لم يلقَ حيلةً سابقِ
 حتّامِ أبلو كلَّ يومِ خلّةً
 أوكلما قلت الحضيضِ بلغته
 حسبي اغتراركِ بالمناقبِ ملهمًا

العدل والكسب

فأَيُّ يَقِينٍ فِي النَفُوسِ الْكُؤُوبِ؟
وإن خَاضَ مِنْهُ فِي خَبِيثِ الْمَكَاسِبِ
كَمَا زَيْدٌ طَيْرٌ فِي الرِّيَاضِ بِحَاصِبِ
وَأَحْسَبُ أَنِّي نَاعِمٌ بِالْمَأْرِبِ
تَكْنَفُهُ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ؟
وَأَسْأَلُهُمْ مِنْ صَفْوِهِمْ غَيْرِ عَاتِبِ
حِمَاةِ الْأَفَاعِي فِي جُلُودِ الْأَرَانِبِ
وإن كَانَ ذَا نَقْصِ خَسِيسِ الْمَعَائِبِ
وإن كَانَ ذَا فَضْلِ نَبِيلِ الْمَوَاهِبِ
وَرَوَّعَنَ لَبِّي بِالْأُمُورِ الْعَجَائِبِ
وإن قِيلَ إِنَّ الْحَزْمَ حَمْدَ التَّجَارِبِ
قَضَى أَنْ فَوْقَ الْعَدْلِ صَبْرَ الْمَحَارِبِ
حَذَارِ الْعَوَادِي مِنْ مَهْيَبِ الْعَوَاقِبِ؟

إذ كَانَ رِزْقَ الْمَرْءِ كَيْدًا يَكِيدُهُ
فَمَا يَنْتَحِي حَيًّا سِوَى نَفْعِ نَفْسِهِ
يَذُودُ قُلُوبَ النَّاسِ عَنْ كُلِّ سَابِقِ
أَبِيْتُ عَلَى الْأَسْقَامِ نَضُوءًا مَحْسَدًا
وَهَلْ ذَاقَ لَوْمَةَ النَّاسِ إِلَّا أَخُو ضُنَى
أُنَاسِيَهُمْ أَحْقَادَهُمْ غَيْرِ جَاهِلِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا ظَاهِرًا غَيْرِ بَاطِنِ
يَخَالُونَ خَيْرَ النَّاسِ مِنْ رَامِ نَفْعِهِمْ
وإنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ مَنْ عَافَى شَرَّهُمْ
تَجَارِبُ قَدْ زَهَّدَنِي فِي إِخَائِهِمْ
وَحَلَفَنِي فِي الْعَيْشِ لَا عَيْشَ رَائِقِي
فَطُوبَى لِمَظْلُومٍ رَأَى الْعَدْلَ مَعُوزًا
هَلِ الْعَدْلُ إِلَّا خَوْفٌ سَرٌّ تَعَاْفَهُ

سفر اللوم

لَمَا نَظَرْتَ إِلَيَّ شِزْرًا
مِنْ لِحَاطِ مِنْكَ تَنْتَرَى
مِ تَبِينِ مِنْهُ مَا اسْتَسْرًا
لِي نَعْتِهِ لَوْمًا وَشِرًّا
وَلِشِدِّ مَا أَنْكَرْتَ نَكْرًا
طُفْأَتِ حَيَاةٍ مِنْكَ حَرَى
تَشَبُّ مِنْ غَلٍّ وَتُورَى
خَصْمِ فَمِيْزَةٍ لَكَ مَا اسْتَقْرًا
تَقْلِينِ حَسْبِكَ ذَاكَ فَخْرًا
خَصِيصَةٍ عَتَدَ نَخْرًا

حَاوَلْتُ مِنْي بَغْضَةً
إِنَّ الْحَيَاةَ أَعْمَ شِرًّا
فَكَأَنَّهَا بَابُ الْجَحِيْمِ
النَّاسُ سَفَرِي كَيْفَ أَقْدِ
تُبْدِي وَتَنْكُرُ بَغْضَةً
لَوْ بَاخَ حَرُّ الْبَغْضِ لَأَنْدِ
فَكَأَنَّمَا نَارُ الْحَيَاةِ
فَلْتَنْ بَلَّغْتَ بِهِ الْحُضِيِّ
فَاْفَخْرُ بِأَنَّكَ الْأَمُّ الْـ
فَضْلٌ خَصَصْتَ بِهِ وَكُلُّ

نفسٌ بقيء المرءٍ إن
فكأنما زخرفت إذ
بيرُ العقارب والأسا
والمرءُ يغفر للظلو
فلئن أهان خليله
إكرامه المظلوم إقـ
جرمٌ يحاول ستره
جُليت فضعُ للنفس سترًا
ألبست نفسك منه قبرًا
ود بئست الأرواح بئرا
م إذا تبغى منه خيرًا
لم يُلف للمظلوم عُفرا
رأزُ بجرمٍ منه أسرى
جعل الشكاة لديه عذرا!

ويل للشجي من الخلي

ترضاه لي ببعادك المملول؟
فوضعت صدقي موضع التضليل!
إمّا شكوت لوعاجًا لخليل؟
يحكي الهوى ببيانه المبذول
إفك القريض ومشتكى لحمول
من ذا يعير فهاهة المفضول؟
يأتي إليك بحجة ودليل
غير الشقي بلوعة المتبول
وبكل أمرٍ في الحياة جليل
للشك مسرى في شكاة غليل
في نحسه من مشتكى وعويل
ترجو له لو راح غير قتيل
ووددت لو يلقاك غير عليل
تبغي فداءً وحيدها ببديل
وكشفت ضرر المجتدى المخذول
راحت بجد في الحياة ذليل
للكون غير فؤادي المعلول

هل للجوى وقعٌ بقلبك رائق
أم كنت معروفًا بإفكي في الورى
أم أنت تكذب في الحديث وفي الهوى
فحسبت أن الخلق مثلك خادع
خلت الأنين ترنمًا، ولواعجي
أنى اتهمت فصاحة كذبتها
فلعل في بعض الفهاهة شافعًا
يا ليت أن الشعر ليس يجيده
كذب ولوعي بالفضائل والنهى
وارتب بصدقي في المقال ولا تدع
أشقى الأنام من استريب بصدق
أفتن رأيت على الطريق مبضعًا
ولئن رأيت أخوا السقام رحمته
أو ناحت الثكلى رثيت لرزئها
وإذا اشتكى العافي الضريك بررته
وتود لو تنفي الأذى عن أنفس
رحمات نفسك قد وسعن منادحًا

وَأَلَطُ مِنْكَ بِشَاكِلِ وَقْتِيلِ
وَأَحَقُّ بِالْحَرَمَاتِ وَالتَّامِيلِ
مَا لَمْ تَخْبُرْ قَبْلَ عَيْنِ خَلِيلِ
وَإظْفَرِ لَهَا مِنْ لِحْظِهِمْ بِمَثِيلِ
وَمَضُوا بِسُورِ صَبَابَتِي وَغَلِيلِي
يَا وَيْحَ حَبِّ ظَلٍّ غَيْرِ قَلِيلِ
وَرَحِمْتَ قَلْبًا مِنْهُ غَيْرَ عَلِيلِ
فَظَلَلْتُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالتَّامِيلِ
عَنْ لَوْعَتِي وَلَوْاعِجِي وَغَلِيلِي
وَلئِنَّ دَعْوَتُ بَبُوقِ إِسْرَافِيلِ
كَالطِّفْلِ رَاحَ بِحَسْرَةٍ وَعُويلِ
طَلَقَ المَحْيَا قَانِعًا بِقَلِيلِ
نَسِيَ الأَسَى وَأَصَاحَ لِلتَّلْعِيلِ
مَا ذَاكَ إِلا حَيْرَتِي وَذَهُولِي
فَإِذَا بَدَوْتُ نَسِيْتُ كُلَّ دَلِيلِ
فَأَرَدْتُ عَنْكَ بِحَيْرَةِ المَخْبُولِ
وَلِمَقْبَلِ قَدِ خَيْلِ جَدِّ مَلُولِ
فِي لَيْلَةٍ وَصَبِيحَةٍ وَمَقِيلِ
أَحْجَى رِعَاةِ الحَسَنِ بِالتَّنْوِيلِ
حَيْثُ الشَّجِي لَخَيْبَةِ المَخْذُولِ
وَمَضَى الخَلِيَّ بِغَايَةِ التَّامِيلِ
حَيْثُ الخَلِيَّ لِعِزَّةِ التَّبْجِيلِ
مَنْ عَاشَقَ عَفَّ الغَرَامِ نَبِيلِ
عَنْ جَوْرِهِ بِفَطَانَةٍ وَكفَيْلِ؟

وَلَأَنْتَ أَبْصَرُ بِالفَوْادِ وَدَائِهِ
أَفْكَلُ حَيٍّ مِنْكَ أَقْرَبُ شِقَّةِ
مَنْ عَاشَقَ قَدْ خَبَّرْتَكَ لِحَاظَهُ
فَاقْرَنْ لِحَاظَ العَاشِقِيكَ بِلِحْظَتِي
هِيَهَاتَ فَاتَ النَّاظِرِينَ لَوْاعِجِي
الحَبُّ كَوْنٌ لَمْ تَسْعَهُ بِرَحْمَةٍ
لَوْ كَانَ أَمْرًا هِينًا لَوْسَعْتَهُ
قَدْ كُنْتَ أَبْغِي مِنْكَ سَمْعًا وَاعِيًا
وَبَعَثْتَ شَعْرِي مَوْقِظًا لَكَ مِنْ كَرِي
تَاللهِ لَسْتُ بِمَسْعُودٍ لِي فِي الهَوَى
لَمْ يَبْقَ إِلا أَنْ أُنِيمَ خَوَاطِرِي
تَشْدُو لَهُ الظُّنُرُ الرِّعُومَ فَيَنْثَنِي
لَهْفِي لَوْ أَنَّ القَلْبَ مِثْلُ وِلِيدِهَا
لَا يَخْدَعَنَّكَ أَنْ بَدَوْتُ تَجْلِدِي
وَلَكُمْ نَخْرُتُ لِلقِيَةِ لَكَ قَوْلَةٍ
وَأَوْدُ لَوْ أَدْعُوكَ إِمَّا لُحْتَ لِي
لَهْفًا لَصَادِ خَيْلَ غَيْرَ مَحَوِّمٍ
وَبُودِهِ لَوْ كُنْتَ أَنْتَ جَلِيسَهُ
ظَفَرَ الخَلِيَّ بُنْهَازَةً مَا نَالَهَا
إِنَّ الخَلِيَّ هُوَ الجَرِيءُ عَلَى المَنَى
حُرْمَ الشَّجِي تَصَافِيًا وَتَدَانِيًا
وَالصَّبُّ مَسْبُوبٌ بِبَادِي حَبِّهِ
وَلَعَلَّ مَسْعُودًا أَحَقُّ بِخَيْبَةٍ
جُورِ القَضَاءِ وَهَلْ يَجِيرُكَ غَافِلٌ

صحو ولا صحو

لقد أصبحت لا عتباً
وقدماً كنتُ إنْ أذنبُ
لأقرب منك بالغفراً
وفي الأعتاب لي وردُ
ففي الأعتاب لي عود
وحسبي منك أنَّ الحبَّ
رعى الله البعاد لو أنَّ
أأحمده وهذا العيـ
وأخشى أن يكون المؤ
فما في العيش لي منجى
وكيف أصيب لي منجى
نوازع نفسي اللاتي
أغرَّك مقول المتبو
إذا ما لَجَّ بي ولَهُ
وما نفس بأفطن من
ألا غفراً بنفسي لا
فليس الذنبُ ذنبي بلُ
فكنُ في ذروة الأكوا
وكن حيث الحضيض فليـ
وما أدرى سوى أن لسـ
حبيبٌ وامقٌ جاءت
بفتكٍ غير من أبغي
ولو أني حسبتكمُ
رضيتُ شقاء نفسي إذ
شقايتي أنني أهوى
أحسبني أغار إذا

ولا عذراً فيبتدرُ
تَ مما جئتُ أعتذرُ
ن، ذنبُ الحُسْنِ مغتفرُ
وكيف وهمي الصِّدرُ
وذاك الصابُ والصبرُ
مخذولٌ ومعتكرُ
صبراً عنك يقتصرُ
ش قربُ منك والذكرُ
تُ فيه منك لي خبرُ
وما في الموت لي ورُ
وأنت النفسُ والقدْرُ؟
تثوبُ بها لك الفكرُ
ل: أنت الشمسُ والقمرُ
فترب بقبيعةِ درُ
وليدِ شاقه المذرُ
يماز الشهد والصبرُ
هي الأرزاءُ والغيرُ
ن حطُّ بمهجتي قصرُ
س قولي ساقه الصعرُ
ت مَنْ قد كنتُ أنتظرُ
به الآمالُ والذكرُ
وأنت السمعُ والبصرُ
جلاكمُ حلمي العطرُ
يهون العيشُ والقدْرُ
حبيباً غيره الوطرُ
أتتك بأية غررُ؟

وكيف أغار من فضل
أذلك سوء رأيك في
وهل أَلْفَيْتَنِي غَرًّا
جفاءً الحسنِ منجبرٌ
بوذي أن تشيم الفضل
بوذي أن تشيم النُقْ
لكيما تعرف الواشين
وأقبح ما يرى حسن
فهل عَوَّذَتْ حَسَنَكَ بِأَنْ
لتدراً حاسداً لِكَمَا
وكلاً إنه الخورُ

لغيري شَامَهَ النظرُ؟
أم وائش فينزجرُ؟
بما أحسنت أفتخرُ؟
أسوء الرأي ينجبرُ؟
لَ أجمعه فتبتدرُ
ص لا يخفى له أثرُ
ما أبدوا وما سترُوا
برأي الخبِّ يأتمرُ
خداع كُله عَرُرُ
لِ حَسَنِكَ لحظه شررُ
فأين الحزم والحدُرُ؟

العظيم

لمعاتُ رأيك مقلَّةُ العرفان
لو كنتَ قد أُعْطِيتَ في الدهرِ المُنَى
لتعطلت سبيلُ الشرورِ وبرَّدتُ
ومسحتَ بالرحماتِ أماقَ الورى
من غير أن يوبي الحياة ركودها
نزعاتُ نفسك رحمةً مرجوةً
وجلائلُ تذر الحياة كأنها
وعلوتُ عن حسدِ الحسودِ وربما
هيهات ما أسر الحسود تَكْرُمُ
وفضائلُ ليست لغير مجرب
وأجلُّ خيرِ النفسِ بعد بلائها
وترى الفرائضَ كالحقوقِ حبيبة
دَيْنُ الحياةِ ورَبُّ فَرَضِ غالِقِ
وعزائمُ تمضي الحياة غلبَةً

فاحكم كحكم الحق في البرهان
أو كان ما قد شئت للحدثان
وقدت قلب للضربك العاني
حتى تعودَ قريرةً الأَجْفانِ
لفناء ما دفعت من الحدثانِ
رحمات مقتدر الأناة معانِ
خلدٌ يعبُّ بزأخر الأزمانِ
حسدَ الحسودِ الشمسِ في الأعنانِ
إنَّ التكرمَ وقد غلَّ الشانِي
إنَّ التجاربَ حجةَ الرجحانِ
فالعيشُ حربُ فضيلة الغفلانِ
أو كالديون رهينة الإيمانِ
إلا لَدَيْكَ بمطلةِ اللِيانِ
وخواطِرُ كملائكِ الرحمنِ

الشمطاء الفتية

وَرَمَتْكَ السَّراءِ وَالضَّرَاءُ
 ثَمَّ عَادَ الرَّجَاءُ وَهُوَ غِشَاءُ
 فَإِذَا الذِّكْرُ وَالرَّجَاءُ سَوَاءُ
 تَ بِهِ الدَّهْرُ وَالْحَثِيثُ ضَرَاءُ
 فَإِذَا السَّلْمُ وَالْحُرُوبُ عَنَاءُ
 لَيْسَ يَدْرِي أَسْبَابَهُ الْأَحْيَاءُ
 تَرْتَضِيهِ الْأَمَالُ وَالْأَهْوَاءُ
 وَالسَّمَاءُ الَّتِي عَهَدْتَ سَمَاءُ
 دَكَ دَهْرًا عَلَى الْقُصُورِ سِنَاءُ
 يَتَهَادَى كَأَنَّهُ الْحَسَنَاءُ
 إِنَّ عَيْشَ الْبَاقِيْنَ مِنْهُمْ فَنَاءُ
 عِبْتُ غَيْرَ نَافِعٍ وَعِنَاءُ!
 مَكَ قَدْ طَارَ عَنْهُ الرَّجَاءُ!
 فِي نَفُوسٍ كَمَا عَهَدْتَ تَشَاءُ
 بَرُّهَا لَوْ تَعَقُّ وَلِدَاءُ قِضَاءُ
 بَعْدَ جَهْدٍ قَضَى عَلَيْهِ الْعَفَاءُ
 اعْتَقَادُ تَزْيِيدِهِ الْأَرْزَاءُ
 مَانُ دِرْعُ يَرْتَدُّ عَنْهُ الْفَنَاءُ
 عَطَّرْتَهُ الْأَحْلَامُ وَهِيَ رِخَاءُ
 مَوْقِظًا إِذْ يُمَاطُ عَنْهُ الرِّدَاءُ
 شِ بَلَاءُ أَنْ الطَّمَاخُ بِلَاءُ
 إِنَّ بِالذِّكْرِ تَأْرُقُ الشَّمَطَاءُ
 وَتَقْضَى الدَّعَاءُ أَيْنَ الدَّعَاءُ؟
 دَهْرٌ لَبَّيْتَهَا وَعَادَ النِّدَاءُ
 لِيكَ رَهْطُ كَأَنَّهُمْ أَشْلَاءُ
 يَتَقَاضَاهُمَا بَلِيلُ قِضَاءُ

قَدْ بَلَوْتُ الصَّرُوفَ فِي حَالَتَيْهَا
 وَرَأَيْتِ الْأَطْمَاعَ كَالطَّيْرِ صَرَعِي
 وَاحْتَسَيْتِ الْحَيَاةَ فَيَضًا وَسُورًا
 وَإِذَا الْمَقْبَلَ الْمَرْجَى كَمَا فَاءِ
 وَشَهِدْتِ الْأَنَامَ سَلْمًا وَحَرْبًا
 وَإِذَا الْعَيْشُ وَالسَّنُونُ جِهَادًا
 إِيَّاهُ يَا مِصْرُ مَا تَقْضَى جَمَالَ
 اللَّيَالِي الَّتِي عَهَدْتِ حَسَانًا
 وَذُكَاةً الَّتِي أَطَلَّتْ عَلَى مَجْدِ
 وَجَرَى النَّيْلُ فِي أَدِيمِكَ قَدَمًا
 فَانْشَرِي أَهْلَكَ الَّذِينَ تَقْضُوا
 فَكَأَنَّ الْأَطْمَاعَ وَالسَّعِي فِيهِمْ
 سَحَرْتُكَ الْأَيَّامُ يَا مِصْرُ أَمْ نَوُ
 الْغَلِيلُ الَّذِي عَهَدْتِ مَقِيمًا
 أَبْغَضِيْنِي أَوْ أَحْسَنِي أَنْتِ أَمْ
 لَكَ مَنِي الْغَدِيرُ فِي نَوْمَةٍ مِنْ
 نَصَبٍ خَالِدٍ وَأَعْظَمَ مِنْهُ
 وَرَجَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ وَالْإِياءِ
 أَبْغَضِيْنِي إِذَا هَزَزْتَ مَنَاْمًا
 مِثْلَمَا يَبْغِضُ النَّوْمُ الْمَسْجِي
 مَلَلْتُ قَدْ عَرَكَ مِنْ عَنَتِ الْعَيْ
 قَدْ كَرِهْتَ الرَّجَاءَ وَالذِّكْرَ طَرًّا
 قَدْ سَمِعْتِ الَّذِي نَقُولُ قَدِيمًا
 دَعْوَةٌ بَعْدَ دَعْوَةٍ مِنْ صُرُوفِ الـ
 إِنَّ يَكُنْ بَاءً بِالزَّمَانَةِ مِنْ أَهْ
 أَوْ عَنَاكَيْبِ عَيْشِهَا وَرِداها

أبغضيني فليس ذاك ببِدْع
غَرَّكَ المرجفون مِينًا وحقْدًا
لم أقصّر في دعوة غير إنِّي
ليس إلا الأحقاد يبعثها العجْب
أه لو جرَّ نفعك الشهداء!
وحماني عن قلبك الجهلاء
خَذَلْتَنِي مسامعُ صماء!
زُ وغلُّ يعدو به السفهاء

بعد عشرة أعوام (إلى حبيب غاضب جماله)

يا أليفَ الصبا عليك سلامٌ
أين وردُ الخدودِ الجمر يذكي
أين قدُّ ينقد من دونه القلبُ
وثنايا مفلَّجاتِ عذاب
أين مدُّ الشفاه من عَبَثِ الدلِّ
واختيالُ الطاووسِ يا فتنةَ الطا
أين غمزُ اللحاظ والكف واللف
أين ذاك الضحك المرنُّ الذي حرَّ
أين سحرُ الحديث واللحظ والدلِّ
نثرت عنك كالثمار وقد هزَّتْ
أين خصرٌ يهتز كالغصن اللدُّ
إذ ذراعي نطاقه ونطاق الـ
ولقاء كأنه رشفة الطيبِ
واختيالي على الزمان بعطفٍ
أين أين الوشاة والوصل والهجـ
يا أليفَ الشبابِ هل تذكر العهـ
أسى القلب منك للغابر الفا
أم نسيت الدلال والمُلك والدو
لنقيمن مأتماً حول حسن
ثم أكسوه من قريضي زهراً

أين تلك اللوعات والآلام؟
حرقات يشقى بها المستهام؟
بُ ويطعى عليه منه الهيام؟
هُنَّ رىُّ للمستقي وسلام
وثغرٌ يبلُّ منه الأوام؟
ووس يوري الهواء منك ابتسام
ظ، وأين العهود أين الزمام؟
كَ قلبي كأنه الأنغام؟
وسحرٌ تحوكه الأوهام؟
كَ ريح والغصن منك القوام
ن، وقد يهوي عليه الحَمام؟
جيدٍ مني ما تضمير الأكمام
ر وهجر كأنه الأعوام
منك والحاسدون بله نيام
رُ وأين الآمال والأحلام؟
دَ وحولي وحولك اللُّوام؟
تت من حسنك الذي لا يذام
لـ إذ أنت أمرٌ وإمام؟
استوى الصمتُ دونه والكلام
مثلما حبَّب الزهورَ الرجاء

مثلما جَمَل الأزاهر بيتًا هدمته الأحداث والأيامُ
ذائِعٌ حوله من الحبِّ نَفْحُ كالشذى والجمالِ زهر يشامُ
وكانَّ الهيامَ هالَةً بدرٍ فيه وجه الحبيبِ بدرٌ تمامُ!

سم الخسة وسعار الغرور

لو أنَّ كلبًا عضه في جلدته وثائرٌ لطبعه الخسيس
وغافرٌ لنفسه الجريره وقلبهُ جهنمُ الأحقادِ
إن رَعته بجانب الهجاءِ فإن تُلن ألفيت جدَّ نابي
فعيشُهُ ونفسُهُ بضاعة إذا شهدت أمرهُ فمادحُ
ولوِّمه في طبعه ديانه طريد أهل الموتِ والقبورِ
مفاخرًا بعَبثِ الكلامِ ويدعي من سفهِ نجابهُ
ووجهه من رقعةِ النعالِ تخاله مزدردًا ثعبانًا
وعقله كصريرِ الأطفالِ يا صافعيه صَفْعُهُ مبرورُ
إذا اشتكى ممن شكاه أمرًا إن قطع الغلمان من آذانهِ
يثأر من آذانهم لسمعه جدَّ به في أهله الدلالُ
«والقرد عند أمه غزالُ»!

قربان القلب

لا تخجلن إذا علمت محبةً
هل أنت تخجلن أن ريك راحمٌ
تحكي الصلاة وتشبه القرباناً!
يهوى الجمال ويعشق الإحساناً؟
أم من أب يحنو عليك مدافعاً
يهوى لنفسك في الزمان أماناً؟

أذنبان الخسة

يا عائباً نفسه عندي بلا خجلٍ
كي لا أصدق في قولٍ تعاب به
نهبْتِ تقدح في ناءٍ بلا وَزْرِ
وإن أتيتُ بمأثور من السورِ
ما زلتُ أرجو لهذا الناس منصلحاً
فربما فقدَ الإنسان خسسته
مثل افتقارك للأذنبان والوبرِ
يرى الحليم أحسَّ النفس إذ رفعتُ
عنها الرياء ولم تقصده بالحدِرِ

حقوق الفرائض

الحقُّ مثل الشمسِ يشرق نورها
وبلوغ أفق الفرض يظهر غيره
لتغايُر الألوان طيَّ شروقها
فذر الحقوق إلى الفرائض إنها
أقصى سماءٍ تطبِّي لسحيقها
لن يبلغ المرءُ العلا بحقوقه!
لذات معبود الخصال عريقها

درسي من الطبيعة (اللينوفر)

زَهْرٌ يعبد الشمس فلا تخُ
يتبع الشمس لحظة أين دارت
دعه لمعة تضيء سواها
غير أنا نرى الرياء كملاً
ونرى الطهر خدعةً وسفاهاً
هل رأيت الرياض وهي ظمأً؟
ضلةً تحسب السراب مياهاً؟

نوح الحفيف

يا حفيفَ الغصونِ هل أنت تحكي الـ
أنت قلب الأديبِ يشدو ويبكي
سَنُوْحُ أم أنت مشبه للغناء؟
كدموع الندى وقطر السماء!

محارب الخرافات

نقضت خرافةً لتشيد أخرى
كهادم شامخ العرنين سامٍ
وخلت الحق أجمعه مشيداً
ليرفع عنده جبلاً جديداً

يهودا

لست من عبّاد عيسى
أنت فيما جنّت من عبّ
لا ولا تعبد بوذاً
ساد ذي الخبّ يهوداً!

البطل

ترمي الحوادث بالظلال أمامها
حتى كأنّ الدهرَ في آباده
كشف الزمانُ لك الخفيّ وقلما
سحرُ البصيرةِ رائضٌ ومحكم
وخواطرُ لك في الأنام تجيلها
يا حكمة فاهَ الزمانُ بسرّها
فاهَ الزمانُ فكنت أصدق منطق
شتانَ بين صدّى يردد ضلة
نظر الأنام الدهر في أعقابه
ورموا مساعي المجد في أقدامها
فيرى خطى الأمر الذي هو آتي
يلقاه بين عشية وغداة
يعصي المذللُ نافذ النظراتِ
بلواحظ للرأيِ مقتدراتِ
تجلو الشكوكَ وتبلغ الغاياتِ
من بعد طول تصماممٍ وصماتِ
والناس أصداء بجوف فلاةٍ
ومقاوِلٍ مرضيةِ الأصواتِ
ونظرتمُ الأيام في الجبهاتِ
ورميتُمُ المسعاة في الهاماتِ

بعزائمٍ للشر تنقض أمره
أفعال من صحت سريرة صدره
إنَّ العَظِيمَ إلى الصراحة ينتمي
سيرٌ كما شاء الكمال وضيئة
والدهرُ ليل المدلجين ومجدُّكم
ومعاقل النعماء إن هي أعوزت
لا يُصلِحُ التدبيرَ إلا أروعُ
أعبقت في الأيام أزكى نفحة
والفضلُ مثل العرفِ يحيا نشره
ترمي إلى الغرض البعيد بعزيمة
هيات ما جاد الزمان بمثلها
فكأنها قد جُمعت لموفق
لا تُصلِحُ التدبيرَ إلا أنفُسُ
إنَّ المقادِرَ تنتحيك لأنها
كالخيل تعرف رائضاً ومذلاً
يا راكب الأيام تجري تحته
العقل أغلب والحزامة والنهي

وعزائم للخير مبتدرات
لا يعقد التدبير بالخدعات
والغمر للتدليس في الغفلات
مثل الهداة وآية الآيات
وفعالكم في الدهر كالمشكاة
كنتم معاقل منعة ونجاة
ينأى به عن ضيعة وشتات
وخلعت من أردانها عطرات
بنسائم العبقات والنفحات
تصميه بين تمهل وأناة
عقم الزمان بتلكم الحسنات
من سالف الأباد والحقبات
الحق يغلبها على النزعات
ريضت لديك بحكمة وحصاة
عند اقتعاد السرج والسهوات
مأمونة الخطوات والعدوات
بموفق في العدل والرحمات!

في فكه

ارفق بنفسٍ لك مزاحة
واطو مزاحاً ليس ذا وقته
كانون أم قطب الثرى أم أعا
بردت حتى صرت ذا وقده
والشيء إن أربى على حدّه
لا تفلتن في مزحة شاردة!
فصيفه أيامه عائده!
لي الشم أم أنفاسك الجامده؟
يا ثلج تكوي نارك الباردة!
صفاته عن طبعه حائده!

في شاب يدعي الفكاة والظرف

ثُقُلْتُ عَلَى النّفوسِ فَكُنْتُ سَدًّا
فَكُلُّ نَارًا وَلَا تَطْعَمُ سِوَاهَا
وَكَلًّا لَا تَذُقُ جِمْرَاتِ نَارٍ
كَذَاكَ الْغَازُ يَخْفَى مِنْهُ جِزْمٌ
سَيَظْفِرُ مِنْكَ إِبْلِيسٌ بِنَفْسِ
وَيَغْسَلُ بَعْدَهَا يَدَهُ بِحَمِضٍ
وَإِنَّ النَّارَ تَمْحُو كُلَّ نَتْنٍ
لَكَانَ الْقَرْدُ أَكْبَرَ مِنْكَ شَأْنًا
وَلَوْ قَوْلٌ وَجِيعُ الدِّمِّ مُرٌّ
وَعَقْلُكَ مِثْلُ قَطْبِ الْأَرْضِ فِيهَا
وَفُقْتُ سِوَاثِلَ الْأَرْوَاحِ بَرْدًا
لَعَلَّكَ أَنْ تُحَبِّ وَأَنْ تُودَّ
فَتَشْعَلُ مِنْكَ أَضْغَانًا وَحَقًّا
فَإِنَّ أَجَّجْتَ نَيْرَانًا تَبَدَّى
تَقَاطِرُ مِنْ مَخَازِيهَا وَتَنْدَى
وَيَحْرِقُ حَوْلَهَا عِودًا وَنَدًّا
سِوَى نَتْنٍ عَمِدَتْ إِلَيْهِ عِمْدًا
لَوْ أَنَّ بَجَلْدَهُ صِلًا وَقِرْدًا
أُرِيْقَ عَلَى قَفَاكَ لَعَادَ جِمْدًا!
حَكَى أَقْطَارَهُ ظِلْمًا وَبَرْدًا!

مر العمر

إِنَّ تَبَاطَأَ سَاعَةِ طَرَقَتْ
كَمْ عِدْوَتُ الْعَمْرِ مَنْتَهَبًا
عِدْوِ أَحْلَامِ أَقَارِبِهَا
أَتَبَغَى الْعَمْرُ مِنْ أُمِّ
يَا بَطِيءَ الْعَمْرِ مِنْ وَسْنِ
لَهَبِ الْأَطْمَاعِ فِي كِبْدِي
كَمْ خَلِيلٌ قَدْ وَثِقْتُ بِهِ
وَحَبِيبٌ كُنْتُ أَمَلُهُ
نَحْنُ وَالْأَيَّامُ تَنْقَلِنَا
كَرْهِيْنَ السَّجَنِ مَرْتَقِبًا
رَقَبَتِي لِلْمَوْتِ أَنْ لَذِي
لَا جَدِيدٌ فِي الْحَيَاةِ وَلَا
وَأَعُدُّ الْعَمْرُ إِنْ دَلَفْتُ
فَبِمَا قَدْ أَوْقَرْتُ حَزْنَا
خَلْتُ أَنِّي أَسْبِقُ الزَّمَانَا
أَجَّجْتُ مِنْ عِودِي الْغَصْنَا
فَكَأَنِّي هَارِبٌ جَبُنَا
قَدْ هَنَيْتُ السَّعْدَ وَالْوَسْنَ
أَضَّ وَخَطَ الشَّيْبَ وَالشَّجْنَ
عَابِيٌّ فِي خَفَةِ إِحْنَا
لَمْ أَصِبْ فِي خَلْقِهِ حَسْنَ
وَنَعِيُّ الْمَوْتِ يَنْذِرُنَا
قَاتِلًا يَغْتَالُ مِنْ سُجْنَا
لَهْفَةٌ أَنْ يَدْرِكَ السَّكْنَ
أَمَلٌ يَجْلُو لِي الْمُنَا
سَاعَةٌ أَلْفَيْتَهَا مَحْنَا

وهي بشرى الموتِ إنْ نَفَدَتْ قلت: ليت الدهر زایلنا
أغريم ذا الحمام فما باله بالسعد يمطلنا؟

قصة هز الأنوف

لقد جاء في الأخبار أن مملکًا
رأى في يسير الظلمِ خُبْرًا لخاير
صباحًا إذا ما الشمس ذرَّ شعاعها
ومن لم يُردْ في يومه هزَّ أنفه
فقال جبان القوم في الحزم عصمة
وماذا على مَنْ هزَّ يا قوم أنفه
فلما رأى الطاغي هوادهَ صبرهم
فقام إليه ناقدٌ هزَّ أنفه
إذا نحن طامنًا لكل صغيرةٍ
حَمَّتْهُ العوالي والسيوف الشواجرُ
فكان قضاءً أن تهزَّ المناخرُ
وليلاً وفي وكر الكرى منه طائرُ
مطيعةً تولته السيوفُ البواترُ
ومَنْ ذمَّ شرًّا أزعجته المقادرُ
مطيعةً إذا لم يعص ما سنَّ أمرُ
أطلَّ عليهم جارح منه كاسرُ
وقال وقد مُدَّتْ إليه النواظرُ
فلا بد يوماً أن تساغ الكبائرُ!

الفصل الثامن

قصائد أخرى

(ويتضمن القصائد التي نشرها الشاعر في الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩ ولم تُجمَع من قبل في ديوان خاص.)

الطفل

وكان بالأمس يطوي جسمه العدم
تطويه عن فكر همت به الظلم
معنى التفهّم لم ترصد له كلم
صفو من العين لا خب فتنكتم
ما رنق العين لا شر ولا ندم
يدجو له اللحظ والأفكار والشيم
نبع الحنان كضعف ليس يتهم
وما حباه بزعم الأشيب الفهم
قلب المسن لها حيران يضطرم
أن لو يعود وليدا أمره أمم
يعود منه إليه الهم والهرم
حيث الصفاء وعيش ماؤه شيم
ولا حقوق ولا غدر ولا جرم
لدى الطفولة وهي المعبد الحرم

من عالم الروح وهو الخلد والقدم
سر الحياة وسر الموت ما برحت
يطل من عينه معنى يزاوله
وحيرة هي بعض اللب يبرزها
صفو الغرارة أبهى ما رأى بشر
ولم تشبه تجاريب الحياة بما
ضعف الوليد وهل في القلب مبتعث
لأي أمر بدا يفتتر مبسمه
وكلما بدرت للشر بادرة
يوذ كل رجيح العقل مكتهل
وليس يبصر أن الشر مقتبل
لكنها مهلة للقلب ينشدها
فلا عداء ولا مكر ولا جيل
حيث الحياة كبيت الله ظاهرة

أَوْ جِنَّةَ الْخَلْدِ لَا إِثْمَ لِسَاكِنِهَا
إِنَّ الْأَزَاهِرَ وَالْأَطْفَالَ مَا اجْتَمَعَا
مَرَأَى يُطَهَّرُ مَا بِالنَّفْسِ مِنْ دَنَسٍ
كَمْ نَاقِمٍ سَلَّ مِنْهُ الطِّفْلَ عَادِيَةً
قَدْ يَحْزَنُ الزَّهْرُ إِذْ يَدْوِي أَمْنٌ شَبِيهِ
مَا أَعْظَمَ الْفَقْدَ لَوْ أَنَّ الْوَرَى خُلِقُوا
لَمَا تَمَلَّى أَنْاسٌ طُهِرَ مَا فَقَدُوا
وَمَا تَجَاوَزَ ذُو عَجْزٍ وَمُجْتَرَمٌ
صَنَوَانَ وَالْحَسَنَ فِيهَا طُهِرَهُ عَمَمٌ
حَتَّى يَعُودَ بِهَا وَالْخَيْرَ مُغْتَنِمٌ
مِنَ الضَّغَائِنِ إِذْ يَرْنُو وَيَبْتَسِمُ
بِمَصْرَعِ الطِّفْلِ رَائِيهِ لَهُ يَجْمُ
خَلَقَ الرِّجَالَ وَكَالْأَطْفَالَ مَا وَسَمُوا
وَلَا أَحْبَبُوا وَلَا أَحْنُوا وَلَا رَحِمُوا

شهداء الإنسانية

مقدمة

شهداء العلم والإصلاح يزدحمون على باب الحياة ويسألون كل هالك: هل تحقق الخير الذي بذلوا حياتهم من أجله؟ فتدركه الحيرة! أيكذب كي يُدْخَلَ على قلوبهم الاطمئنان، أم يصدق فيفجعهم في آمالهم، أم يغريهم بالصبر الطويل كصبر الأحياء على الشر، أم يُغريهم بالعودة إن استطاعوا إلى كفاف الحياة. وإذا استطاع أن يُعزِّي الشهداء الموتى فماذا يقول للشهداء الأحياء؟

الناظم

على باب الحياة أرى زحامًا
من العهد القديم إلى زمان
هُمُ ضَحَّوْا بهذا العيش كَيْمًا
إِذَا مَا هَالِكُ الْفَوْهُ ظَلُّوا
من الأشباح عَجَّ بهم وسالًا
حديث قد مضوا زَمْرًا تَوَالِي
يَطِيبُ الْعَيْشُ لِلْأَحْيَاءِ حَالًا
على شغفٍ يعيدون السؤالا

* * *

بربك هل مضى قدرٌ بشرٍ
وهل جَفَّتْ دموع الناس طُرًّا
وكان سوادهم هَمَلًا مذالًا؟
وخبثُ النفس هل أودى وزالًا؟
وهل جَفَّتْ دموع الناس طُرًّا
وكان سوادهم هَمَلًا مذالًا؟

وَجَهْلٌ يَغْتَدِي بِالنَّاسِ بِهِمَا يُصَرِّفُهَا يَمِينًا أَوْ شِمَالًا
 وهل غلبوا من الشهوات ما قد عدا سلطانه فيهم وغالاً؟
 أصار العيشُ من مِقَّةٍ وَأَمْنٍ وكان العيشُ لَوْمًا واقتتالاً؟
 أعاد العيشُ عدلاً واعتدالاً وكان العيشُ مكرًا واغتيالاً؟
 بربك لا تَقُلْ إِنَّا غُيْبْنَا وإن هزئَ الحِمَامُ بنا وصالاً؟

* * *

أيفجعهم بآمالٍ عِرَازٍ وما نال الردى منها منالاً؟
 يقول لهم: لقد رُمْتُم خيالًا وأسدَيْتُم وضحيَّتُم ضلالًا
 أيسكت والسكوت له معانٍ أيخدعهم وما أَلْفُوا احتيالاً؟
 أيغريهم بصبرٍ مثل صبرِ لدى الأحياء دام لهم وطالاً؟
 أَيَأْسَى أَنْ مَوْتِي لم ينالوا من العرفان ما يرعى نوالاً؟
 أَيُغْرِيهِمْ بِبُخْعِ النَّفْسِ يَأْسًا إذا اسْطَاعُوا عن الأخرى انتقالاً؟
 أيسخر أنهم - وهم رفات - أبوا للعيش سقمًا واعتلالاً؟
 فيا عيش الورى ماذا تراه يقول لهم إذا أَلْفَى مقالاً؟

* * *

يقول لهم: إذا اسْطَعْتُم فَعُودُوا دفاعًا للنوائب أو صيالاً
 إذا الأحياء لم يَرْعُوا عهدًا لأحياءٍ فلا تشكوا انخذالاً

* * *

يقول لمعشر الأحياء منهم ليقضوا العيش صبرًا أو نزالاً
 أيفدح أن تقاسوا العيش نحسًا ليُسعد بعدكم صحبًا وآلاً
 وكم من نعمةٍ لولا شقاء قديمًا لم تكن إلا وبالاً
 فكم حَبْرَ الأوائلُ من شقاء فنلنا من شقائهم نوالاً؟

العصر الذهبي

مقدمة

أولع الناس من قديم الزمن بالتفكير في عصر الإنسانية السعيد؛ عصر الخير العميم الشامل، فبعضهم كان ينشده في الزمن القديم ويبيكي انقضاءه، وبعضهم ينشده في المقبل من العصور يُدنيه رقي الإنسان. وكثيراً ما استخدم شعاره أهل الحرص لنيل أطماعهم واقتياد الناس لاستثمارهم واستذلالهم. وكثيراً ما علق الأذلاء بكماله حتى إذا تحكّموا ساروا على نهج الطغاة، وهو مثل عالٍ، ولا تحلو حياة الإنسان إلا به. ولئن صدق ما يقوله بعض المفكرين الذين يزعمون تحقُّقه نذير الفناء، فمرحّباً بالفناء يكون نذيره الخير والسعادة الشاملة والمثل العالي، وقد لا يصدّق تشاؤمهم.

الناظم

خلعت عليك رجاءها الأقوامُ
الأجل صنعك تدلف الأعوامُ؟
عفى على نقص الأنام تمامُ
مستبشرين إذ التمام إمام
إن زان منه البعد والأوهامُ
فيطول نحس العيش والإجرامُ
تتبدل الآمال والأحلامُ
علياء ما إن شأنها استبهاًمُ
تتباين الأرواح والأفهامُ
يدنى إليك البر والإكرامُ
أبدًا، ونفس في الأنام تضامُ
أو يغفر الجاني شاه كرامُ
وتنظّرك ودأبك الإلمامُ
أن لو أرادوا كان منك لمامُ

عصر السلام تحيةً وسلامُ
من كل عصرٍ في نسيجك لحة
إمّا دنوت وما عهدتك دانيًا
نستقبل الأيام وهي كوالحُ
خالوك في الماضي - ولم تك ماضيًا -
ويرزون في غدهم سرايا نائيًا
تتغير المثل التي شاققتهم
حسب الورى من حُسن عهدك قدوة
ما فاتهم طبّ الطبيب وإنما
ولأنت في سير النفوس إذا صفت
عطف النفوس على النفوس ولن ترى
هيهات يُكرم فاضلاً ذو حسنة
استبطأوك وأنت بين جنوبهم
ورأوك في الدهر البعيد ولو دروا

هاموا وتحسب أنهم ما هاموا
ليست تُجزئ أمره الأيام
للحرص حادٍ بينهم وزمام
حب الأنام لعهدك استقدام
من بعد عيش كُله آثام
إثم فتحمد خيرك الأيام
شوقاً لعهدك والأنام حطام
أثرى بحقك في الأنام لئام
ساروا على نهج الظلوم وضاموا
أغرثهم بكمالك الآلام
يُدنى إليك وطاشت الأحلام
ودعا المسيح له وريم سلام
رُكباً له يحدو به الإسلام
عهداً تدين لشرعه الأحكام
بالشر زال وبالكمال يشام
نهج السلام الحكم والحكام
أسد لها في الصاغرين سوام
حتى تساوى في الأنام الهام
ويراك خيراً شرهم فترام
بدوام ما لم يُلَف فيه دوام
أن زل عنها النقض والإيرام
أقصى وأدنى منهم الأوهام
وتحولت وتبدلت أجسام
يوماً تصح فلا يكون آثام
نهبية أيامها والعام
خير لديك تروده الأحلام
إلا التضافر شاده الأقوام

لرأوا مشيئتهم تُشاء ولا تُشا
ومن المشيئة ما يجيء فجاءة
ونأى بهم عن ورد خيرك أنهم
أمباغتها بالخير بعد تمنع
ولقد ينوب أخو المجانة بغتة
ويتوب هذا الخلق من شرٍ ومن
كم فتنة أججت نار جحيمها
وشعار حق كم غدا أحبولة
وإذا العبيد تحكّموا في فتنة
أترى العبيد ببابل وبطيبة
لو أنهم ملكوا لعافوا مسلماً
ولطالما حن اليهود لشرعه
وتنظّر المهدي قوم أمّلوا
ثار الفرنس وخيرهم يبغي له
يبكي ويعتنق الغريب مبشراً
ما زال شرراً ولم يمهّد به
أنى تكون وفي الأنام تفاوت
غرّ وذو مكر فلست بكائن
فمتى يدين لسنة لك جمعهم
لا يصدق الكهان إن هم أنبأوا
كم من عهد كان يحسب أهلها
نسي الأنام عهودهم فعهوده
فقد الأنام صفات أجداد لهم
والطبع في غدد الجسوم فعلها
وتعود من فرط الصفاء حياتهم
خير مرى الحرص الخسيس أقل من
والنحس عدوى ليس يُقصي شرها

إِلَّا الضعيف وقد قضى المقدام
 وتجمّلت بجمالك الأيام
 نِعَمَ النشيدُ ونعمت الأنعامُ
 لولا مثالُ كمالك، الأنعامُ
 ينمُو سنك فينمحي الإظلامُ
 لم يَبْقَ خيرٌ في الحياة يشامُ
 سبُل المكارم واستنام أنامُ
 وبضدّها تتميِّزُ الأقسامُ
 مَنْ لا تروُدُ فؤاده الآلامُ
 إن لم يَكُنْ حذرٌ وعمّ سلامُ
 بين الأنام مُفَهَّمٌ علّامُ
 فاطلب كمالاً كي يقلّ الذامُ
 عهد يشوق سلامه وتمامُ
 شرع التنافس في الأنام يقامُ
 طبعاً وإن قيل الأنام لئامُ
 يُزجى بها رزقٌ له وحطامُ
 فعلام لؤمٌ للورى وخصامُ؟
 أنماه نصح فيهم وحسامُ
 فرضُ يدين لشرعه الأقسامُ

كذبوا فما أبقى التقاتلُ بينهم
 خلفت في سير النفوس مباحجاً
 كَغِنَاءِ حَادِي الركب رفّه عنهمُ
 حلم هو المثل الأجلُّ، وإنهم
 ولعلّ عمرَ الشرِّ ليس بدائم
 قالوا: إذا ما جاء خيراً كلّه
 لولا جهادٌ في الشرور تعطلتُ
 إن لم يكن نقصٌ ففيم رجاحة
 لا يطعم السعدَ الشهيّ وشهده
 والوهن يسعى للفناء دبببه
 لغز الحياة وليس يفهم لغزها
 والشرُّ أهونُ بعضه من بعضه
 أهلاً بغائلة الفناء نذيرها
 إن لم يصحّ العيش إلا أن ترى
 فعسى التنافس في المحامد ينثني
 يدنو إذا بطلت ضرورة كائد
 إن نال كلُّ مطمئناً رزقه
 دين التنافس في المكارم ربّما
 فترى الورى دين الورى وصلاحهم

الشباب

مقدمة

مستقبل الإنسانية رهنٌ بطموح الشباب إلى المثل العليا، وعزوفه عن حقيرات
 الأمور، وإبائه الضيم للناس ولنفسه، وبألا يقنع من الحياة بما يرى، وبأن
 يحاول أن يبُلِّغَ من جليلات أمورها البعيد الداني إلى قلبه ونفسه وبأن يحاول

أن يقهر طاغوت الأمور وجبروتها، وأن يستنقذ الدهر من عبث العابثين الذين جعلوا الحياة مهزلة رخيصة ومأساة وضيفة.

الناظم

عَطِرُ الروائح ناصع الألوانِ
نَوَّرَ الربى وأطايب البستانِ
تغدو الحياةُ به رياضَ جنانِ
إِنَّ الشبابَ من الخلودِ لَدَانِي!
كَثُرَ العِثَارُ وزَلَّتِ القَدَمَانِ
مستأنقًا للعيش بالنسيانِ
كأسًا تذيب القلب من ذيفانِ
حيث الشبابِ لِغِرَّةِ الأسوانِ
نشوان لا من خمرة النشوانِ
تغنيه عن نشوات بنت الحانِ
عنه وما للدهر من سلطانِ
فكأنه خَلُوٌّ من الأحرانِ
ويردُّ خطبَ الدهرِ بالإيمانِ
متكفل إيمانه بأمانِ
يَدْعُ الثرى ويهمُّ بالطيرانِ
وترى الشباب كذروة الأكوانِ
جمُّ التردد خطوه متداني
تنأى به عن ذلِّ وهوانِ
بالجاه والأجناد والأعوانِ
فكأنه ذو التاج والإيوانِ
والشيب مهما عزَّ ذلُّ جنانِ
ذلُّ كذلِّ الوهن في الأبدانِ
خالَ الحياةَ رخيصةً الأثمانِ

إِنَّ الشباب حديقة الأزمانِ
مثلُ الربيعِ إذا جَلَوَتْ بسحره
روحٌ من الفردوس يُثْمَلُ نَشْرُهُ
ما راعه حُكْمُ الحمامِ وِصُولُهُ
لا اليأسُ يضمنيه ولا جزعُ إذا
ينسى الذي يمضي لينشد مقبلًا
ولو أنْ رَفَضًا للقضاء يذيقه
والشَّيْبُ بالتسليم يكسر سمَّها
وهو المغامرُ في الحياة بنفسه
نشوان من خمر الحياة وكأسها
فكأنما فكَّ الزمانُ قيوده
ويصوغ من أحزانه نغمًا له
يسمو إلى الغرض البعيد طموحه
مُتَحَصِّنٌ منه بأمنع معقلِ
ويكاد من فَرَطِ النهاية والهوى
والشَّيْبُ يرسب في الحضيض خلفًا
ما أَرَقَّتْهُ ذكرة من أشيب
وله على إِدبار دهرٍ عزَّةٌ
كِبْرُ الشباب ولا اعتدادٌ مُسَوِّدٌ
إِنَّ كان صعلوكًا فليس بخانع
إِنَّ العزیز هو العزیزُ على الصبا
ذلُّ الجَنانِ لوهن جثمان ولا
ورث المراح ذخيرةً لمبذرٍ

حلَّ المشيب وهَدَّ من جثمانٍ
 ولواعجُ للشَّيبِ في ميزانٍ
 وتألَّفَ الخلَّانُ بالخلَّانِ
 تُلفيهما في القلبِ يمتزجانِ
 وكرى المشيبِ مؤرَّقَ الأحزانِ
 لم يَبْقَ إلا مُرُّ سُورِ دنانِ
 تحيي الصِّبا وتردُّ غربَ زمانِ
 ذهبيةُ الآمالِ كالعقيانِ
 هابَ الحياةَ وصولَ العدوانِ
 ما كان يخشى جولةَ الحدثنِ
 قَلِقَ الضلوعِ مؤرَّقَ الأَجْفانِ
 تلقى الشبابَ على غرارِ جبانِ
 عَبدَ الحياةَ عبادةَ الشيطانِ
 كعبادةٍ لله والأوطانِ
 تعظ المصيخَ له بغيرِ لسانِ
 والحلمِ والتبَيانِ في أكفانِ
 وذكرتُ أن العيشَ مهلةَ فاني
 من بعدِ جَهْلِي فيه والنسيانِ
 لا ما أريدُ من البعيدِ الداني
 ما يفعلُ الإنسانُ بالإنسانِ
 من فتكه بالروحِ والأبدانِ
 دَلَّلتُ منها أيَّما طغيانِ
 مسطورةً بمدماعِ الأحزانِ
 يبلو الحياةَ بعزيمةٍ وأماني
 لا سنةً للحرصِ والحرمانِ
 ويطهِّرُ الأحشاءَ من أضغانِ
 شرعُ الحياةِ شريعةَ الرحمنِ
 يُنسى به ما كان من عدوانِ

لذاتُه دَيْنٌ يُوَدِيه إذا
 تتعادل اللذاتُ في ريعانه
 عهدُ الصراحةِ والمروءةِ والندى
 عهدُ المحبةِ والإخاءِ وربما
 عهدٌ إذا طلبَ الكرى لم يُعِيه
 عهد الصِّبا عهدُ المنى فإذا مضى
 وتكادُ نكراه إذا فات الصِّبا
 أطماعُه علويةٌ أحلامُه
 عهد الصيالِ ولا صيالَ لأشيب
 والخطبُ أن يهوي المشيبُ بصائلِ
 حتى تراه بالحياةِ مُروِّعًا
 والخوفُ طبعُ في المشيبِ وقلمًا
 ولربما جمحَ الشبابُ بسادرِ
 ولربما عَبدَ الحياةَ أخو النهي
 قال المشيبُ رُبَّ قولةٍ صامتِ
 ما سَرَّني أني فطنتُ وإنني
 ونسيتُ ما نشرُ الجنانِ وخلدُها
 ولقد علمتُ الآنَ ما عهد الصبا
 والآنَ عالجتُ الحياةَ كما أرى
 وعددتُ من سننِ الحياةِ وحكمها
 في جِرْصه أو قَسْوه أو رِقِّه
 وفزعتُ من ظلمِ الحياةِ وطالما
 وتلوتُ في التاريخِ آياتِ الأسى
 فعسى الشبابِ بمقبلِ من دهره
 ويسنُّ للدنيا الوسيعَةَ سنَّة
 يستنقذُ الأزمانَ من عبثِ الورى
 ويدلُّ طاغوتِ الأمورِ فيحتذي
 ويُحيلُ ظلمَ العيشِ عدلاً سائغًا

نحو الفجر

مقدمة

إن الذي يأمل للإنسان فجرًا تنجاب فيه ظلمة الضيم والشر، يرى في فجر كل نهار رمزًا له ووعداً به، فيتعلل بهذا الرمز، و ينتظر إنجاز الوعد، أملاً أن النومة التي يحدث فيها للإنسانية كابوس من الأضغان والأذى، والتناذب والكيد، والاستهتار في العبث بالحق، يكون فيها أيضاً نسياناً لخصالها الوضيعة يدركها من طريق سنة النوم، فتستيقظ في خلق الحق والخير.

الناظم

كَأَنَّ انجِيَابَ اللَّيْلِ فِي مَوْعِدِ الْحَشْرِ
سِوَى هِدَاةٍ لَمْ تُلَفَّ فِي لَجَجِ الْبَحْرِ
بِعَالِمٍ صَمِتَ غَالِهِ الصَّمْتِ مِنْ سِحْرِ
رَعُوسِ ثِكَالِي أَرْسَلَتْ أَسْوَدَ الشَّعْرِ
تَبَيَّتْ طَوَالَ اللَّيْلِ تَعْبُدُ فِي دِيرِ
وَكَالْأَزْوَرْدِ الْأَفْقِ رُضِعَ بِالْدَرِّ
تَطَّلَعَ مِنْهَا الْغَيْدُ يُشْرِفُنَ مِنْ خَدْرِ
تَفَهَّمْ مَعْنَى اللَّفْظِ فِي صَفْحَةِ السَّفْرِ
جَمِيلِ الْمَحْيَا حَوْلَهُ هَالَةُ الْحَبْرِ
أَوْ أَنَّ عَلَيْهَا أَبْيَضَ الطَّهْرِ مَا يَمْرِي
مَهَادًا لِرُوحٍ أَوْ شِبَاكًا مِنَ السِّحْرِ
وَقَدْ تَحَسَّبَ الْأَحْلَامَ تَسْرِي وَمَا تَسْرِي؟
عَرَاهُ جَلَالَ الْحَسَنِ فِي اللَّيْلِ وَالْبَدْرِ
فَقَدْ خَلَّتَهُ مِنْ هِدَاةِ النَّوْمِ فِي أَسْرِ
أَوْ أَنَّ حَدِيثًا بَيْنَهُ خَافَتِ السَّرَّ
فَأَيْنَ احْتِيَالِ النَّاسِ بِالْغَدْرِ وَالْمَكْرِ؟
وَأَيْنَ مَسَاعِي النَّاسِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؟

أَرَقْتُ فَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ طَالَ بِي عَمْرِي
كَأَنَّيَ فِي لَجٍّ مِنَ اللَّيْلِ غَارِقِ
كَأَنَّيَ غَرِيبٌ مِنْ حَرَكَ لَوَاعِجِي
كَأَنَّ غُصُونَ الدَّوْحِ فِي حَنْدَسِ الدَّجِي
كَأَنَّ النُّجُومَ الْغَانِيَاتِ تَرَهَّبَتْ
أَوْ الْفَلَ مَزْرُوعًا بِحَقْلِ بِنَفْسِجِ
أَوْ أَنَّ ثَقُوبًا فِي جِدَارِ زَبْرَجِدِ
أَقْلَبُ طَرْفِي بَيْنَهَا مُتَّفَهِّمًا
كَأَنَّ الدَّجِي دَيْرٌ بِهِ الْبَدْرِ رَاهِبِ
كَأَنَّ صَقِيعًا قَدْ كَسَا الْأَرْضَ نَوْرَهُ
كَأَنَّ فَرَاشًا أَبْيَضًا قَدْ نَوْرَهُ
أَمَّا يَذْهَلُ الرَّاءُونَ مِنْ سِحْرِ ضَوْئِهِ
وَإِنَّ تَكَ أَحْلَامَ فَأَوْهَامَ خَاشِعِ
أَيَحْلُمُ هَذَا الدَّوْحُ فِي سِحْرِ ضَوْئِهِ؟
كَأَنَّ حَفِيْفَ الدَّوْحِ أَضْغَاثَ حَالِمِ
أَدُورٌ بَعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ سَاكِنِ
وَأَيْنَ نَشَاطِ الْقَوْمِ لِلْهُوِّ وَالْهُوَى

يدير لهم كأساً ألدَّ من الخمرِ
 فيستيقظ النُّومُ في خلق الطهرِ
 وتمضي مُضيّ الليل أو طيرة الطيرِ
 رأيت صباحاً يصبغ النَّبتَ بالتبرِ
 من الضوء مثل الغيد في حُلِّ خُصرِ
 لدى النُّضج لونٌ في غلاتها الصُّفرِ
 رمى مَلَكٌ من أفقها الأرضَ بالبذرِ
 أحاك عليه الفجرُ وشياً من السحرِ؟
 بنور كما شفَّ الرمادُ عن الجمرِ
 فتبعث فيها الروح في وضح الفجرِ
 فإن انفجار الفجر كالخَلق والنشرِ
 إذا ما بدت فوق الشجيرات كالنُّورِ
 ويزدادُ نَظَرُ الحسن من مشهد النُّظرِ
 من الضوء مثل الرُّسل تُبعثُ بالخيرِ
 كما باداه الأذهان من حَسَن الفكرِ
 وكم زكَّر في الضوء والزهر والعطرِ
 كأن رُواء الصبح ضرب من الشعرِ
 وخاطرة في النفس تُسعد في الضُرِّ
 بَاح عليها، يلمس الثغر بالثغرِ
 أريق عليه ساطعٌ من سنا البدرِ
 فتحكي حنين الطير تهفو إلى الوكرِ
 ويُنكي الندى فوق الشجيرات كالدرِّ
 لدُن هداة يحنو النبات على النهرِ
 فيعلو لُجَيْنَ النهر نهرٌ من التبرِ
 كما ارتعدتْ أبشارُ غيدٍ من القرِّ
 يعالج من حاليه في القرِّ والحرِّ
 ويملاً مثل العين بالصور الكُثرِ

ألا ليت نسياناً كذا النوم ساقياً
 لتذهلهم عن كلِّ شرٍّ وفتنةٍ
 خواطر آمالٍ أسلِّي بها الدجى
 فلما تقضى الليل وانجاب جنحه
 تشوبُ اخضرارَ الروض صفرةً ساطع
 كما تينع الأثمار شاب اخضرارها
 كأنَّ نبات الروض من نبت جنّةٍ
 أطلُّ وطرقي في مدى الأفق زاهل
 ويرنو إليّ الفجرُ من خلف ظلمةٍ
 كأن مماتاً في الدجى أهلك الدُّنا
 كأن كيان الكون يُخلَق ثانياً
 تخالُ تباشير الصباح أزاهراً
 فيختلط الزهران حسناً ومنظراً
 تحدّثُ أنباء السماء بمشرق
 تُبادهنها منها محاسنُ جمّةٍ
 تفضُ ختام النفس عن كلِّ ذكرةٍ
 تُذكّرنا الآمالَ والحب والصِّبا
 كذلك يغدو منظر الحسن ذكرةً
 وتستيقظ الأرض النُّوم إذا حنا الصِّ
 كما استيقظ الطرف المغمض بعد ما
 تحنُّ إليه النفس من بعد ظلمةٍ
 ترى الصبح يجلو النهر كالقَيْن سيفه
 أطلُّ بأفكاري على النهر مثلما
 تصبُّ عليه الشمس رقرق مسجد
 ترى تارة في متنه الماء راجفاً
 وتحسب أن النهر يشعر بالذي
 ترى النهر مثل العين سحرًا وبهجة

ولولاهُ ما أَلْفَيْتَ في الكونِ ما يَغري
فجاءةُ صبغِ النهرِ من سُحْبِ حمرِ
فربِّ شتاءٍ ناثِرٍ أيّما نُخرِ
نَصيبك من سحرينِ في الحرِّ والقرِّ
ففي النهرِ من ذِكْرٍ وفي الروضِ من ذِكْرٍ
كذلك حلمِ الأرضِ بالصَّيفِ واليسرِ
وذكرى طيورِ الصيفِ تهزجِ في صدرى
فنهنتُ ألامي وأرخيت من صبري
سيكشف عنها ظلمة الضيمِ والشرِّ
ووعدٌ به يحدو إلى الزمنِ النضرِ
وننشده فيما يكون من الدهرِ

يبوح بسرِّ الحسنِ لونٌ مجدد
وأورعه ما كان منه فُجاءةً
وليس رُواءِ الكونِ في الصيفِ وحده
جلالٌ يريح النفس من بعد رونقِ
على أن ذكرى الصيفِ فيه جلية
وقد يحلم المحروم باليسرِ واللّهى
فلما تقضى الليلِ يحدو لواعجي
أخذت نصيباً من جدى الفجرِ وافرًا
وأملتُ للدنيا صباحًا مؤجلًا
فكلُّ صباحٍ رمزه ومثاله
نسرٌ بنعماه وإن لم تكن لنا

مناجاة الأمل

فمطلقك مغفور وخيرك راجح
ووحيك أسخى ما تضم الجوانح
له عنك أو تغني المنايا اللوافح؟
وأمدح من يرجوك من هو قادح
كئوسًا فتفتت الثغور الكوالح
إذا ضاء نجمٌ منك في الأفق لائح
إذا لم تكن والمرء بالعيش رازح
إذا فنيت فالعيش فان وطائح
فلا شيد الباني ولا كد كادح
كذاك سواد الليل للنجم قادح
فمن ذا يريد النجم والصبح واضح؟!
على عنت الدنيا لهيف ونائح
إذا لم يكن فيه معين وناصر

ألا عد وأخلف أنت بالوعد مانح
ولم تك مثل الأل فالأل مهلك
وكم ناغم من خلف وعيدك لا غنى
وأعشق من يهواك من هو ناغم
نشاوى هموم قد تدير عليهم
سلام على الدنيا ورضوان راحم
عفاء على الدنيا وهلك ونقمة
وكم في ثنايا اليأس منك كوامن
أيا بهجة العمران لولاك لم يكن
إذا اشتدت اللاؤاء زدت تالقًا
وليس بعيب أن تُراد لمحنة
أيا بلسم الأحران لولاك لم يعش
معين على البلوى، معين على الضنى

حدا الركب في الصحراء حادٍ وصادحٌ
 وَلَمْ يَخُلْ مِنْهَا جَارِمُ النَّفْسِ جَامِحٌ
 ببُشْرَى وَرَبُّ الْقَصْرِ رَاجٍ وَطَامِحٌ
 فَكَلُّ طَلِيْبٍ شَائِقٌ وَهُوَ نَازِحٌ
 فَلَمْ تَتَقَاذِفْهَا الْهَمُومُ السَّوَارِحُ
 معابِدٌ قد ضُمَّتْ عَلَيْهَا الْجَوَانِحُ
 فضائلُ نفسٍ كلها أنت مانحُ
 لَأَثَرَ عَقَرَ الدارِ غَادٍ وَرَائِحُ
 أمانِيٌّ تَذَكُو حِينَ تَخْبُو المِصَابِحُ
 أَنْتِ أَرِيحُ مِنْ شَذَا الزَّهْرِ فَائِحُ؟
 وَأَيُّ غِنَى تَغْنَى وَضَوْءُكَ نَازِحُ
 وَتَفْتَقُ إِنْ لَحَتَ النَّهْيُ وَالْقَرَائِحُ
 إِذَا نَطَقْتَ تَعْيَا اللِّغَاتِ الفِصَائِحُ
 فَمَا لُحَتَ إِلَّا وَهُوَ فِي الْيَمِّ سَابِحُ
 وَتَبْخُلُ بِالْعَيْشِ النُّفُوسِ الشَّحَائِحُ
 عَلَيْهِ وَنورٌ مِنْكَ فِي السَّجْنِ لَائِحُ
 فَيُخْفَتُ فِيهَا بِأَسْهَى الْمُتَنَازِحُ
 وَلَوْلَاكَ أَعْيَا الطَّبِّ مَوِدٌ وَطَائِحُ
 فَتَعَذَّبُ فِي الْأَسْمَاعِ حَتَّى الْمَنَائِحُ
 فَيُخْفَى بِعَيْشِ شَرُّهُ وَالْمَقَابِحُ
 وَمَنْ وَخَطَ شَيْبٍ فِي غَدٍ وَهُوَ اضْحُ
 وَأَنْ الْمَنَايَا غَايِبَاتٌ رَوَائِحُ
 كَأَنَّ الرِّزَايَا عَابِثَاتٌ مَوَازِحُ
 بِشَائِرُ فِي لِأَوَائِهَا وَمِفَارِحُ
 وَفِي أَفْقٍ مِنْهَا النُّجُومُ اللِّوَائِحُ
 ففِي كُلِّ حَالٍ مَوْطِنٌ مِنْكَ صَالِحُ
 مَغَالِيْقَهُ فَيَمَا تَرِيدُ مِفَاتِحُ
 فَتَحْسَنُ فِي مَرَاكٍ حَتَّى الضَّرَائِحُ

ويا حادي الرُكبان في العيش مثلما
 ويا رحمةَ الله التي عمَّت الورى
 عَلَى صَاحِبِ الْكُؤُخِ الْمَهْدَمِ مَشْرِقُ
 وَأَسْعَدُ مَا تُلْفَى إِذَا كُنْتَ مَاطِلًا
 رَسَتْ بِكَ فِي لَجِّ الْحَيَاةِ نَفُوسُنَا
 لِشَيْدَتِ لِلإِيْمَانِ فِي قَلْبِ أَمَلٍ
 ثَبَاتٌ وَصَبْرٌ، وَاعْتِزَامٌ وَهَمَةٌ
 وَلَوْلَا مَسَاعٍ أَنْتَ عَاقِدُ أَمْرِهَا
 تَكَادُ تُنِيرُ اللَّيْلَ إِمَّا تَوَقَّدْتَ
 تَأْرَجُ مِنْ ذِكْرِكَ نَفْحَةٌ خَاطِرُ
 وَإِنْ غَنَى النَّاسُ مَنْ أَنْتَ ذَخْرُهُ
 وَسَائِلُ مِنْ جَدْوَاكَ أَنْتَ اسْتَثْرَتْهَا
 وَكَمْ لَكَ دُونَ النَّفْسِ وَحْيٍ وَهَمَّةٌ
 وَكَمْ مِنْ غَرِيْقٍ أَسْقَطَ الْجَهْدُ كَفَّهُ
 مَنَحْتَ حَيَاةً مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
 وَرُبُّ حَبِيْبٍ أَنْزَلَ السَّجْنَ ظَلْمَةً
 أَيَا طَائِرًا يَشْدُو وَفِي النَّفْسِ أَيَكُهُ
 وَيَا آسَى الْأَحْزَانِ وَالظُّلْمِ وَالضَّنَى
 تَخَلَّلَ أَنْاتِ الشَّقَاءِ وَنَوْحِهِ
 خَلَعْتَ عَلَى الْأَيَّامِ أَحْسَنَ خَلْعَةٍ
 سَقِيَتْ فَأَنْسِيَتْ الْمَوْجِلَ مِنْ ضَنْيِ
 وَأَنْسِيَتْ أَنْ الشَّرَّ حَتْمٌ مَقْدَرٌ
 تَضَاحِكُ فِي يَأْسٍ وَنَحْسٍ وَكَرْبَةٍ
 بِهَا مَوْئَسٌ مِنْ طَيِّبِ عَهْدِكَ عَامِرٌ
 وَتَخْلُقُ مِنْكَ النَّفْسُ دُنْيَا سَنِيةً
 مَبَادِيْكَ شَتَّى كَالْأَزْهَارِ جَمَّةً
 أَيَا سَحْرٍ إِنْ لَمْ تَغْنِ فَالسَّحْرُ كَاذِبٌ
 تُعَلِّلُنَا بِالسَّعْدِ مِنْ بَعْدِ مِيْتَةٍ

فن الحياة

مقدمة

إن للإنسان في الحياة نشوة كنشوة الفنان عند الصنع، أو كنشوة المطلع على الفن عند الاطلاع عليه، فإذا عُدَّ هذه النشوة صَعَبَ عليه أن يسوغ الحياة، وأن يلتذها. ولا يمنع عدة الحياة فناً جميلاً من نقدها أو الرغبة في إصلاحها، كما ينقد المطلع على الفن ما يشاهده من الفن وكذلك لا تمنع الرغبة في إصلاح الحياة من النظر إليها كأنها ممثلة حسناء تمثل الخير والشر، فلا يكرهها من أجل تمثيلها الشر، وهذا خيرٌ من أن يظل يبكي ويندب؛ لأن نَمَرَ الشرُّ الذي في كل نفس لم يتحول إلى هَرَّةٍ وديعة كالتي نراها في المنازل، وهو لو تحول ما تجاوزَ أصله ولا فصيلته، إذ النمر والهرة من فصيلة واحدة!

الناظم

يُسْرُ بها ساري الورى وهو يسمُرُ
وكم عاشقٍ للنقص يهوى وينكُرُ
كعيشٍ غريبٍ قصةً تتدبَّرُ
تُمَثِّلُ إنَّ يحزن لها فهو يصبرُ
ولولا فنون العيش ما كان يعذرُ
فما شأن مثلي، وهو أعلى وأقدرُ؟
أريدُ لها عيشًا سوى العيش يُقدِرُ
إذا ما حكته عاد بالفن يبهُرُ
وغدراً أجادت فنّها وهي تغدُرُ
لدى عاشقيها وهي بالفن تأسرُ
ولولاه تزري بالحياة فتكدرُ
وإن ناب خطبٌ فهو محكى ومخبرُ
وإن أمكن الإصلاح لم تك تقصُرُ
فإن راق فنُّ فهو شأؤ ومظهرُ

أيا حُسن هذا العيش لو كان قصَّةً
على ما بها من ضجَّةٍ بين شقوة
فليت الفتى يبدو له صرف عَيْشه
ويا ربَّ مأساةٍ إذا ما بدت له
وفي فنّها ملهى وحسنٌ وسلوة
وإن كان ربُّ الناس يقضي اقتتالهم
وما قصرتُ بي رغبة عن محاسن
حياةٍ كحسنة المسارح شرّها
ممثلة حسنة كم مثلت أدنى
فما زادها إلا بهاءً وحظوة
تمليتها لما ولعت بفنّها
حنانك إنَّ العيش فنُّ فلا ترعُ
تُعانُ بهذا الرأي إن كنت قادراً
يمثل كلُّ دوره في حياته

أَنَّ نَمْرَ فِي النَّفْسِ لَمْ يُمْسِ هِرَّةً
وما نَمْرٌ عن هِرَّةٍ بُمَبَاعِدِ
تَظَلُّ عَلَى الْأَسْقَامِ تَبْكِي وَتَسْخَرُ
ويطغى وديع حين يبغى ويقدرُ

سر الحياة

عبء لُغز الحياة يا قلبُ ما أف
لُغزُ عيشٍ ولُغزِ عقلٍ وما أع
كلما رمتَ بالمجاهلِ حُبْرًا
عبتُ العيشَ كُلِّما قال لا سِرًّا
قد خبرتُ الأنامَ يا قلبُ هل تن
وحياةً بالسِّرِّ أحجى حياة
خدعةُ العيشِ أن يُلَوِّحَ بالسِرِّ
فتزيدُ الحياةَ حسنًا ومأمو
مثلما حُجِّبَتْ فتاةٌ ليُرْجى
لو بدتُ عاطلاً لما خلبتُ لُبًّا
كم سعيد يلهو ويعمل لا ين
وعلى غدرها أحبُّ حياةً
عاشقًا للحياة بعضًا وكلاً
فإذا شاكه من العيشِ همُّ
عبءُ لغز الحياة يا قلب ما أف
سرُّها أنك السعيدُ إذا لم
ضلةً ما أقول كم لاح من كُشِّ
ولعلَّ الحياةَ أكبر لولا
فهي من فرطِ رفعةٍ في انخفاض
باءً باليأس من علاها وقد غا
ويعيد الحياةَ فرضًا وحسنًا

دح عبئًا يُحْتَى عليك وثقلًا
جَبَّ لُغْزًا يروم للُغْزِ حلًّا
زادك العيشُ بالمعالم جهلاً
أعدتِ السُّؤالَ جدًّا وهزلًا
شد سِرًّا من بَعْدِ ذاك وسؤالًا؟
هي أحلى ممَّا تراه وأعلى
إذا عاف عائشوه وملاً
لَا وتغوي الحياةَ نشأً وكهلاً
سرُّ حسن لها استسرَّ وقلًا
ولا استعبدتُ عشيقًا وخلًا
قضى فعلًا وليس يُنْكَرُ قولًا
وحباها في الحب أهلاً ونسلاً
راضياً بالحياة فرعًا وأصلًا
قال قولًا ورام للُغْزِ حلًّا
دح عبئًا يُحْتَى عليك وثقلًا
تَدِرُ أن لا سرًّا لديها فتُجلى
فِ وقد كان خافي السِّرِّ قبلًا
مُعْظَمُ للحياة غالى وأغلى
تلك عليا إن يُعْلِها فهي سُفلى
لى فقال الحياةَ بالخطِّ أولى
ومتاعًا من يأخذ العيشَ سهلًا

بعد الإخاء والعداء

وإن صدَّ عنه ما جنينا على الودِّ
ولو أنه يبغي هلاكي من الحقدِ
له آنة ميلٌ عن النصفِ والقصدِ
مُحالاً حكى ذكرى الشبابِ على بُعدِ
وأين قديمُ الودِّ من حاضرِ الصدِّ
من الأهلِ والأصحابِ والذخرِ والولدِ
له أجلٌ كالنَّاسِ ظعنٌ بلا عودِ
نكرتُ له منِّي إساءةَ ذي عمِدِ
عدائي عليه من عناءٍ ومن جهدِ
تردَّدَ موجُ اليمِّ بالصَّدعِ والهدِّ؟
به بغضةٌ من مينِ قولٍ ومن نقدِ؟
كنهرين في وادي الغضارةِ والوردِ
من الشمسِ لألاءَ كلالَةَ الودِّ
وعهدُ إخاءٍ لا يغيضُ ولا يكدي
فمال بنا قصدُ السبيلِ عن القصدِ
وزاد طماحُ النفسِ بُعداً على بُعدِ
فنازٌ لها بين الأضالعِ كالوقدِ
ولم تدره أيقننتُ ما جاء بالحقدِ
ونبوتِه حتى يصدَّ عن الصدِّ
فيأسى على ما كان منه من الكيدِ
وإن كان لي من قبلِ كالحجرِ الصلِّدِ
على إثرِه عَدراً نخرتُ له ودِّي
شماثلِ تستدعي المغيظِ إلى الحمِدِ
وكيف ونفسي لي كما الضدُّ للضدِّ
ومرأى رياضٍ من عرارٍ ومن وردِ
حليفك منه ما استسرَّ ولم يُبدِ

حنوتٌ على الودِّ الذي كان بيننا
حنوتٌ ولو أني حنوتُ وما حنا
ولا أكذبُنَّ النَّاسَ قلبي كقلبه
كلانا جنى شرّاً فعاد إخاؤنا
فيا طيبَ ذكراهِ ويا بُعدَ عهده
مَضَى حيثُ يمضي عابراً بعدَ عابِرِ
مضى حيثُ يمضي كلُّ رأيٍ ومذهبِ
إذا أنا أنسيْتُ الإساءةَ من أخِ
وأيقننتُ لا ينسى عدائي وما جنى
أيلتئمُ الصَّخرانِ في اليمِّ بعد ما
ويتفقُ الجَلانُ من بعد ما بدتُ
وكنا على ما كان من قُرْبِ أنفِسِ
قد اقتربا مجرَى وماءٍ وعسجدًا
حياةَ شبابِ عسجدُ أيُّ عسجدِ
إلى أن دعا داعي الحياةِ وإفنها
وغيرَ منا القلبِ والنفسِ والمنى
هو البُغضُ مثلُ الحبِّ لحظٌ فمنطقُ
وإن كنتَ تدري الحبَّ كيف طروقه
فيا ليتَ أنِّي قد غفرتُ جَفَاءَه
ويذكر لي صَبْرِي على الضَّيْمِ والأذى
وتكسبني منه الندامةُ ألفَةً
أعيشُ بصفوٍ منه يوماً فإن جنى
وأذكرُ نفسي منه عند انصرافها
أبعد بلائي العيشِ أبغي مُبرراً
يروقك حسن الفجرِ والنجمِ في الدجى
وأحسنُ منها البشرِ في وجْه صاحبِ

بوذ أخ لو يُشترى الود بالنقد
 فكيف خلاص الود من عنت الحقد؟
 فقدنا، فبعض النفس في ذلك الفقد
 إذن قمن نشدانك الود بالحمد
 كما كمل النصفان تجمع في العد
 كما عظم المخدوع بالفضل والمجد
 أسر أم القلب المغرر بالود
 ولو أن مخلوف الوفا غاص لم يجد
 فطامن فإن الود يا قلب لم يرد
 وكالخمير أصفاه المعتق ذو العهد
 ولم يحل بعد الشيب مستحدث الود
 أليقين ما كانا كما الند للند
 كيانهما الممزوج كالجوهر الفرد
 وإن نال حظًا من طريف ومن تلذ
 وأنقم عفو الغدر أو غدره العمد؟
 ولم أذر أن الضد يولع بالضد
 أروم خلود الود من عادم الخلد؟
 فأمنحهم غيثي وأمنعهم رعدي
 وإن لاح منهم غدر أعدائي اللد
 إذا لم يتخ لي ما أزيل به وجدي
 وهات لي النسيان رقدًا على رقد
 ليُنسى ولو واروه في مشبه اللحد
 ولو أنه سهم النميري من رد
 ألا وهو الدهر المصرف ذو الأيد

فيا ليت لي دنيا أبيع حطامها
 إذا الحب لم يخلص من البغض والأذى
 وخلصنا مثل الجوارح أيهم
 أحق طلاب الود من نقص طالب
 لتكمل بالخل الذي أنت ناشد
 ويا طيب قلب غره الود حقبه
 وإنك لا تدري أقلب مراوغ
 وإن وداد المرء من بعض غنمه
 تعيش بمخلوف الرجاء وكذبه
 رحيق الحياة الود، لو دام صفوه
 وأحسنه ما كان من عصره الصبا
 فمن لي يعود الدهر للود والصبا
 يخال الصبا ودا وود الصبا صبا
 وإن فقير الناس من خان خله
 أبغي إخاء لم تشبهه عداوة
 كأنني لم أدر الأنام وخلقه
 أبعد فراغي من جنازة ودنا
 متى أرتضي الخلان صحواً وغيمة
 أغالط نفسي فيهم وأغرها
 وأكتم من آلام نفسي عزة
 فيا ساقى النسيان عا ط صحابتي
 وهيئات ما أمر إذا جد جده
 إذا انفلت السهم الطليق فما له
 ويعجز هذا الدهر عن نقض فعله

وفي وصف الطباع

كيد منهم وهانَ منهم عداءُ
وتزهَّدتُ واستقام العزاءُ
كان منه الإِجرام والإِعتداءُ
غافراً واحتوتُنِي البغضاءُ
مة ديني وما بهم رُحماءُ
مثل عدوى تسعى بها الثَّوباءُ
هو تبرُّ وما عداه هبَاءُ
ق وبهوَ من فوقه وسماءُ
ثم يَبْدُو ما كان منه انطواءُ
وإذا الوُدُّ والوفاءُ رياءُ
بالدنيا وجانبٌ وضاءُ
جانباً والكريه منه خفاءُ
رو الفتى عند غدرهم إعياءُ
وهو رثٌ وما طواه العفاءُ
يقود الأسي إليه الرجاءُ
ح إذ الحتمُّ ما جنوا والقضاءُ
كي وكلُّ كما يسيء يساءُ
يتأذى وطبُّعُهُ الإيذاءُ
خلٌ صَيِّداً وليسَ منه وفاءُ
غب فيه لنفسه ويشاءُ
إن ألمَّت بصاحب بأساءُ
ف ففي نحسٍ خلُّه سراءُ
نزل الحزن دأره والشقاءُ
و فللغرر صولة وعداءُ
بعد حين يرعك منه غباءُ
برق، والعقل كله ظلماءُ

ما ازدريتُ الأنام إلا وهان الـ
وتفرَّدتُ لا أصولٌ بكيدٍ
ومن الناس مَنْ إذا ما ازدهم
ولو أني أكبرتُهم لم يروني
ولو أني أكبرتُهم لم تر الرخـ
وُدُّهم مثل بَعْضِهِمْ فيه عدوى
ويَرى المرءُ أنه كلُّ شيءٍ
مركزُ الكونِ حوله دارة الأفـ
ولقد تحمَد الخليل طويلاً
فإذا الغدرُ شيمَةٌ وطبَّاعُ
وإذا النفسُ جانبٌ مُذْلِهِمْ
وإذا المرءُ يحمدُ الصاحب منه
ومع الخُبْرِ بالأنام فقد يَغـ
كلُّ يومٍ يخال منه جديداً
قلبه الأمل المضلل بالودِّ
ومع اليأس منهم كرمُ الصفـ
كلُّهم يَشْتَكِي ويشمت بالشا
كلُّهم يندبُ الوفاءَ وكلُّ
كلُّهم قانصٌ يرى في وفاءِ الـ
كلهم لا يودُّ للناس ما يرُ
ويُسِرُّ الفتى ويبيدي اكتئاباً
صادق العطف كان أو كاذب العطـ
وارتياح أن لم يُصَبْ مثل خلِّ
وسواءً خبٌّ وغرٌّ ولا غرُّ
كلُّهم إن يرقك منه ذكاءُ
فكانَ الذكاءُ منه وميضُ الـ

كُلُّهُمْ يَبْغِضُ النَّقِيصَةَ حَقًّا
واكتساباً للحمد والربح يقلًا
كُلُّهُمْ يُلْبِسُ النَّقِيصَةَ مِنْهُ
يغضب المرء للفضيلة كيما
وسواء نقصٌ وفضلٌ لديه
ومن الناس مَنْ يَبُوحُ بِنَقِصِ
كالذي قال إِنَّمَا أَفْقَدْتَهُ الْإِ
يمدح الحلم مغرباً وهو يَسْطُو
حذرًا للشرور يمدح خيرًا
قسم النقص والمحامد بين الـ
فلئيم من كان منه جفاء
ذاك ميزانه وما الحقُّ إِلَّا
ويرى الأخرق الذي يرحم النا
كي يمدّوه بالذي ضنَّ عنهم
كلُّ حَيٍّ يَصُونُ مِنْهُ حَيَاةَ
حاطها بالصيال والمكر والقس
وبإنكار كيده وأذاه
يتدنّى يبغي العلاء ولا يُثْ
غير من آثروا على أنفس من
وعجيبٌ أن كان أظهُرُ ما في الـ
وأشدُّ القُساةِ ينكر لؤم الـ
وهو يُطْرِي الحَيَاةَ بُقْيَا عَلَى الكَيْدِ
بين أمرين يدرجُ النَّاسَ طَرًّا
ومن الجوع أو حذارا له أو
وامتلاء يصير شهوة جسم
هَيِّنٌ بَعْدَهَا إِذَا مَا الضَّحَايَا
خَمَصُ بَطْنٍ، وَنَهْمَةٌ وَحَذَارٌ

حذرَ الناس بغضه إخفاءً
ها ولولاهما لعيف الرياء
حلة الخير وهو منه براء
يحسب الناس أنَّ ذاك نقاء
إن تدانى من كسبه النعماء
وكثيرٌ من قوله إطرأ
حلمٌ منه صراحةٌ وإباء
مغتم الخبِّ في الوري الحلماء
ذاك جبناً في طبعه واتقاء
نَّاسٍ مِنْهُ الْأَحْقَادُ وَالْأَهْوَاءُ
وكريمٌ من كان منه إخاء
ما رأى الحق يأسه والرجاء
س وإن ودَّ أنهم رحماء
بِجَدَّاهُ وَهَكَذَا الْأَحْيَاءُ
ولئن غال ما عداه العفاء
و ولو عمَّ ما سواه الشقاء
وبدعوى الكمال وهو طلاء
نيه عمّا يحطُّ منه إباء
هم نفوس الوري وقَدَّ قِيلَ دَاءُ
نَفْسِ دَاءٍ وَالْحَرِصُ مِنْهُ الشِّفَاءُ
نَّاسٍ كَيْمَا يَكُونُ مِنْهُ مِضَاءُ
د وَذَعْرًا يَكُونُ مِنْهُ الثَّنَاءُ
جوع بطن أو أن يكون امتلاء
خَشْيَةَ الْمَوْتِ كَمَا قَسَا الْأَحْيَاءُ
يهتك الطهر حفزها والمضاء
نال منها نحسٌ ونال شقاء
واحتيال، وقسوة ورياء

ر بكي لولاه عيف البقاء
 حي فضلًا يبغي به ما يشاء
 وهو نقص في الناس حين يساء
 لم تكن عنه نجوة أو عزاء
 ش ملح مهمًا تهادى العناء
 س وإن قبَّح الحياة الذكاء
 صر قدمًا من حسنها ما يشاء
 ل عيشًا ووصفه إغراء
 م بها لا تروعه الأشياء
 ل فإن زاد كان منه هجاء
 وكثير من أجل ذاك المرء
 قباد والبغض مهجة هوجاء
 والورى في طباعهم شركاء
 مقلّة الظن مقلّة حولاء
 م يراه وما جناه وراء
 بعد أن لم تدّم له النعماء
 حسدًا للقلوب منه اكتواء
 نّفس منه ولم يكن إيذاء
 هيئن ما بدت به الفضلاء
 حسدوا ضده وليم القضاء
 فادعاه الطغام والأعلياء
 واستشاطوا إن قيل هم لؤماء
 يك جرم من بعده الازدراء
 شملته من مدحهم خيلاء
 ثام مرعى ودأبه الكبرياء
 حيث يرضى، وخلقهم ما يشاء
 نفسه كي يكون منهم رضاء

ذلك العيش ثم ما كان من خي
 وقتال على الحياة دعاه ال
 ذاك فضل إذا أساء ولكن
 ولو أنّ السبيل للموت سهل
 فاحمد العيش إنّ حبك للعيب
 إن أقوى الرجاء ما تعرف النف
 لم يعفها وإنما شاء أن يب
 دائب بصّر الأنام بما جم
 والذي يكلاً الحياة على الع
 يمدح المرء مثل ما حاز من فض
 فقليل ما نصدق النفس قولاً
 مهجة الحاسدين من سورة الأح
 ساء فعل منهم فساءت ظنون
 سوء ظن الأنام طبع ولكن
 كل حي أمامه ما جنى الخص
 وعجيب أن يحسد المرء حتى
 أي نفس من أنفس الناس عافت
 لا بل الفضل إن تضاءل ما في ال
 كلهم ذلك الحسود ولكن
 لو ينال الأنام ما حسدوه
 حسبوا اللؤم من ذكاء وعقل
 وتباهوا بقدره اللؤم فيهم
 وقليل ما يندم المرء إن لم
 فإذا الناس زينوا منه جرماً
 ومضى سادراً يرود من الآ
 يبتغي المرء أن يرى الناس طراً
 وهو لا يستطيع تغيير ما في

وحقيقٌ بالشك من رأيه يثـ
 رأيه مثل خلقه وهواه
 في قنوطٍ ومطمع، وانقباض
 لو بدا الشر في النفوس تعادتُ
 وإذا الشر أعوز المرء عجزاً
 ومُقرُّ بالشرِّ كي يُغفر الشرُّ
 واعتداءً بالجوذ حرصٌ وكسبٌ
 ولقد يحقدُ العشيرُ إذا خلأ
 يجرؤ الفرد بالجميع على الشرِّ
 شدَّ من أزر سافلٍ أن شرّاً
 فجبانٌ يشدُّ أزرَ جبانٍ
 ولقد يفعلون خيراً ليخف الشـ
 والشقيُّ الجزوعُ من شر قومٍ
 مستنيمٌ إلى الولاء ويكوي
 جاهل بالأنام يخدعه المطـ
 لقنوه أن المروءة أن يغـ
 لا بل الفضلُ خيرهُ وهو يدري
 مطمئناً بعد اصطناعِ جميلٍ
 كلهم ظالم وإن كان مظلـ
 يشتفي من لواجع الغيظ والذلِّ
 يظلم الصاغر الضعيف كما يظـ
 طبقاتٌ مقدرات من الطغـ
 ومع الشرِّ والأباطيل في نفـ

سبع ما خولجت به الحوباءُ
 حاكم فيه جوهُ والغذاءُ
 وارتياحٍ، تناكرت آراءُ
 رحم الله فاحتواه كساءُ
 ادَّعى أن عجزه استعلاءُ
 وكيفا يعود منه اعتداءُ
 وهو منه استزادة لا وفاءُ
 ك رزء وكان منه رثاءُ
 ولولاه غاله استخذاءُ
 جُمعت في مناله الجببناءُ
 وعداءٌ يكونُ منه عداءُ
 رُ منهم وذاك منهم رياءُ
 جرَّ نفعم منه إليهم رجاءُ
 قلبه أن يفيض منهم ولاءُ
 رري نفوساً لهم وحقَّ الهجاءُ
 تترَّ بالناس وهو منه غباءُ
 إن بلاهم أن قد يعز الجزاءُ
 عندهم إن دهاه منهم بلاءُ
 ما رأى أن قسوه استشفاءُ
 بظلم الأذلِّ، بئس الدواءُ
 لمه من له عليه اعتلاءُ
 بيان ما إن يُخال فيها انتهاءُ
 س فللخير آنة سيماءُ

الصحراء

غدا مُضْحَرٌ من روعه وهو هائب؟
مقابرٌ صرعى للربى وخرائبٌ
يقاربه في صمته ويخاطبُ
يكلمه من فرط ما الصمتُ راعبُ
إذا جال فيها اللحظ ما هو غائبُ
ويخشع صمناً راكب فيك زاهبُ
حكى أبداً ما حدّه الدهر حاسبُ
فلم يلفَ إلا مُشبههُ أو مُناسِبُ
سوى الشبه يتلوه الشبيه المصاقبُ
على الأفق بُشرى كذبتّها العواقبُ
وقد تهلك المرء المُنَى والرغائبُ
كمن خذلتّه في الفيافي المذاهبُ
كأنَّ شواطئ القِيظِ يسفيه دائبُ
حرائق يصلاه الحسا والنجائبُ
عن النار لو يسعى جحيم مقاربُ
نُكأء دجت أو يكسف الشمس حاجبُ
كما راع مرأى الحسن والعُري سالبُ
وصبَّ عليه من سنا الشمس ساكبُ
كأن طلاءً قطره وهو صائبُ
تكاثر حتى ثَقَب الدجن ثاقبُ
كما غمر الأرض المياهُ السواربُ
به فإذا المألوف منه الغرائبُ
بأصدق منها فرحة وهو آيبُ
من اللبّ نيلاً لم تنله الكواعبُ
فأحسبها تدنو به وتقاربُ
ويذهل من رحب الفضاء المراقبُ؟

أرْحُبُك أم صمتٌ على الأرض غالبُ
كصمتِ الخشوع المطرقين نزوعهم
وصمت لذي المحراب في بيت ربّه
تَوَقَّع مَنْ قد غاله الصمتُ هاتفاً
كمخترقِ الظلماء لآخ لعينه
حدٍ أن يُناجي النفس فيك أخو الحجى
ويخشع من رَحْبِ كَأَن لا مدى له
ويخشع أن لا شيءٍ إلا مُجانِسُ
وكم راع رأي العين إن كان لا يرى
حكى خدعة الآمال ألك رافعاً
سرابُ الأمانى في الحياة خديعةُ
ومَنْ ضلَّ في حَرْقٍ من العيش لبُّهُ
تَفْتَحُ أبواب الجحيم عن اللظى
سموم كدفاع البراكين أو لظى الـ
ويصلاه رُكْب خال دنيا تقلّصتُ
ويسودُّ وجه الأفق حتى كأنما
وكم حار رُكْب من فجاءة صحوة
إذ الجو كالبلور أخلص لونه
كذلك غبّ الغيث ريعان بهجة
كأنَّ ضياءً في سواد سحابية
تفجّر ينبوع من النور غامرُ
ضياءً ترى المألوف من كلِّ منظر
وما فرحة الولهان عاد حبيبه
نهارك أم ليلُ الدَّراري نائلُ
أديم سماءٍ يُبْرِزُ الشهبَ صفوهُ
أما يخشع السُّمَارُ من كثرة الدنى

فتفضي إليه بالحوار الكواكبُ
وَأَنَّ رَقِيبًا فِي السَّمَاءِ يِرَاقِبُ
كَأَنَّ وَرَاءَ النِّجْمِ مَا هُوَ طَالِبُ
كَذَا الِئْمُ لَا يِقْوَى عَلَى الِئْمِ كَاتِبُ
سَفَائِنَ لَجِّ البَيْدِ تَلِكِ الرِّكَائِبُ
إِذَا هَبَّ إِعْصَارٌ عَلَى الرِّكْبِ كَارِبُ
كَمَا احْتَشَدَتْ فَوْقَ السِّفِينِ السَّوَارِبُ
وَيَرْكَبُهُ نُوَ مَطْلَبٌ وَهُوَ هَائِبُ
جَلًّا لِكَمَا شَبَّهَهُ وَشَبَّهُهُ مِقَارِبُ
وَأَخْرَ أُرْدَتَهُ لَدَيْكَ المَطَالِبُ
تَضَاءلَ فِيكَ عَيْشُهُ وَالرِّغَائِبُ
بِخَيْرٍ وَأَمَّا خِصْمُهُ فَهُوَ سَالِبُ
بَنُوكِ سِيُوفٍ يَنْتَضِيهَا المِحَارِبُ
كَمَا صَقَلْتَهُمْ فِي الحَيَاةِ النُّوَائِبُ
مِعَاشٌ وَلَا تَرْجَى لَدَيْكَ الأَطْيَابُ

يَبِيْتُ يُنَاجِي النِّجْمَ وَالنِّجْمَ سَامِرُ
كَأَنَّ لِحَاطِ النِّجْمِ مِنْ لِحَظِ عَاقِلٍ
يُسَائِلُهُ عَنْ عَيْشِهِ أَيْنَ سُرُّهُ
إِذَا خَطَّ فِيكَ الدَّهْرُ سَطْرًا مَحْوَتُهُ
وَتَرْقُلَ فِيكَ الِئْعْمَلَاتِ وَإِنَّمَا
وَلِلْبَحْرِ أَمْوَاجٌ؛ وَلِلْبَيْدِ مِثْلُهَا
فِيغْرَقُ فِي لَجٍّ مِنَ التَّرْبِ حَائِنُ
وَرِحْبِكَ رَحْبُ البَحْرِ يَطْوِيكَ هَائِبُ
بِأَفْقِكَمَا لِلشَّهْبِ رَهْبٌ وَرُوعَةٌ
وَذِي دَوْلَةٍ فِي الِئْمِ قَدْ دَالِ أَمْرُهُ
وَيَصْغُرُ عَيْشُ المَرْءِ فِي الِئْمِ مِثْلَمَا
لِمَحَلِّكَ يَلْقَى مَكْرَمَ الضَّيْفِ ضَيْفُهُ
وَتَشْحَدُهُ الأَخْطَارُ حَتَّى كَأَنَّمَا
لَقَدْ صَقَلْتَهَا نَارَ قَيْنٍ وَصِيْقَلُ
تَنْسَكْتُ فِي بُرْدِ التَّقْشِفِ لَمْ يَكُنْ

الشاعر البابلي المجهول

ناظرًا في غابر الزمنِ
رَكَّبَ عَنْ شِعْرِي وَعَنْ فِطْنِي؟
أَثْرًا قَدْ خُطَّ فِي الدَّمَنِ
لَمْ أَدْعُ فِي الكُونِ مِنْ حَسَنِ
لَمْ يَفْتِنْنِي أَيَّمَا شَجَنِ
عَائِبًا قَوْلِي مِنَ الإِحَنِ
فِيَّ مِنْ رَاضٍ وَمَضْطَغَنِ
أَوْ مِنَ الإفْرَنْجِ نُوَ لَسَنِ
وَكَأَنَّ الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ

يا غريبَ الدارِ عن وَطْنِي
هَلْ سَمِعْتَ اسْمِي وَمَا نَقَلَ الـ
انكِتِ الأَطْلَالَ عَلَّ بِهَا
قَدْ وَصَفْتُ الحَسَنَ أَجْمَعَهُ
وَبَحِثْتُ النَفْسَ قَاطِبَةً
وَلَكُمْ أَلْجَمْتُ مَضْطَغِنًا
سَهَرَ الأَقْوَامُ وَاخْتَصَمُوا
كُلُّ مَا قَدْ صَاغَهُ عَرَبُ
صُغْتَهُ مِنْ قَبْلِهِمْ فَعَفَا

لم يعش بالصيت شاعرهم
 دُولٌ أودت بها غَيْرُ
 لم أدع معنئى لذي أدب
 فاستباح الدهر من أدبي
 بابلُ الأملاك ما عمرتُ
 درستُ من بعد ما لبثتُ
 بعد ما كانت خمائلُها
 بعد ما دان الزمان لها
 واستوى في التُّربِ ذو لسنِ
 نَمٌ طويلاً يا أبا الزمنِ
 بعد آلافٍ من الحقب
 لا ترى اسما كنت تُكْبِرُهُ
 سلُ عن المشهور من قدمِ
 عن عظيمٍ كنت تحسبه
 فإذا أنتم وشأنكمُ
 يا غريبَ الدارِ عن وطنِ
 هل سمعت اسمي وما نقل الـ

عمرَ صيتِ كان لي وفني
 وَرَدَى اسمي بعدُ لم يَحِنِ
 عالقٍ بالشعر مرتهنِ
 ما استباح الدهر من وطني
 مثلها في سائر المدنِ
 حِقَبًا مشهورة السننِ
 فتنهً تربو على الفتنِ
 فكأنَّ الدهر لم يدينِ
 وذوو الإعياءِ واللكنِ
 وادعًا في اللحد والكفنِ
 قم وسلُ عن صولة المحنِ
 سلُ عن الأوطان والسكنِ
 وعن المعبود كالوثنِ
 خالدًا كالدهر والزمنِ
 حُلْمٌ قد كان في الوسنِ
 باحثًا في دارس المدنِ
 رَكَّبَ عن شعري وعن فطني؟

النشوء والارتقاء

أراك فريسة الجوعِ
 بربك أيها الإنسا
 بعقلٍ يبلغ الشمسِ
 وجدت لكل ما كان
 كأنك خالق الخلقِ
 وسخرت الرياح مطيً
 وقد أعليت عُمراناً
 من سغباناً وشهواناً
 نٌ لم أصبحت إنساناً؟
 وأقصى الكون عرفاناً
 من الأكوان ميزاناً
 من أكواناً وأزماناً
 ةً والبرق فرساناً
 وقد قدست أدياناً

ورَدَّتْ العيشَ عُريَانًا وترجع عنه عريَانَا
وملء حياتك الأحزا ن والالام أَلوانَا
وتُبليكَ الحياةَ كما يفتُ الجوّ صَوَانَا
وتصرعك الجراثيمُ كما لو كُنْتَ ديدَانَا
وقد تهلك غرثانًا وقد تهلك مبطَانَا
وقد تغدو إلى اللذا تِ فتَاگَا وَخَزِيَانَا
فبينَ الجوع والشهو ةٍ قد أُجريتْ ميدَانَا
وللتَحليلِ والتحريـ مٍ قد أعددتْ تبيَانَا
فما أصلحتَ حالِيكَ ولا طَهَّرتْ أذرَانَا
وفُقتَ الطير والحيوا ن آثَامًا وَأشجانَا
وزنتَ الذَّرَّةَ الصغرى وما أعددتْ ميزَانَا
لعيشك كي يكون العيد ش إسعادًا وإحسانَا
بربك أيها الإنسا نٌ لِمَ أصبحتْ إنسانَا؟!

النجاح

أنت ربُّ الأوشاب والأعلياء وجماعُ الجهود والأهواءِ
تلبس المرء منك حلة فضل يلهج الناسُ حولها بالثناءِ
أيُّ فضلٍ للمرء إن لم تحكهُ وذكاءٍ إن لم تكن في الذكاءِ
فُرصَ العيش كُلِّها لك جندُ والعطايا موائِلُ كالإماءِ
وصروف الأقدار طرًّا عبيدُ للذي تصطفيه للآلاءِ
لا يضيرُ الذي اصطفيتَ عداءً لا ولا يُزدرى لفرط الغباءِ
ويوَدُّ الذكيُّ لو كان غرًّا ثم تكسوه حلة الأذكاءِ
أنت سحرٌ يكسو القبيح جمالًا ويُنيلُ الوضيعَ أفقَ العلاءِ
وينيل القميءَ أجنحة النسـ ر فيغدو لقومه كسماءِ
يرتجي الناس غيثها وعلاها بخشوعٍ وذَلَّةٍ ورياءِ
إيه يا مالك القلوب قلوبُ الـ ناس طرًّا طوع اللها والعطاءِ

ع وذاك المِكَاسُ غير الإِبَاءِ
س بأضوائها على الأرجاءِ
أُو على ظافرٍ من الفضلَاءِ
فَضْلُ فضلًا من روقة الآلاءِ
كصناع يدعوهُ بالقضاءِ
مة من يرتدي بذاك الرداءِ
إن عداه النجاحُ في الأحياءِ؟
لم يُصبْ نهزةً من الإصغاءِ
وهو لولا الأتصار كالأغبياءِ؟
قر دهرًا أضاعه من ثراءِ
كان يُجبي أطايب الأشياءِ؟
وهو في خفيةٍ عن البُصراءِ؟
ب منه النُقَادُ بَطْلَ الطلاءِ
وسواه في الخلق كالدقعا
ويمدونه بمحض الولاءِ
ثَابِتًا في عقيدة الأهواءِ
نال أو لم يَنَلْ مدى الشرفاءِ
حاز أو لمن يَحْزُ هوى الخبراءِ
حَرَبَ الناسَ كلُّ هذا الإِبَاءِ
في دعاوى العقول والآراءِ
نُ فكلُّ مزيّف الأتباءِ
إنما الحقدُ آلة الأذنياءِ
صدَّ عن خيرٍ مطمح وعلاءِ
عوا وعش في حقيقة الأشياءِ
وللجدِّ نشوة الصهباءِ
سرُّ من لم يَفْزُ له بطلاءِ
ح وانحنى عليه بالأزراءِ

رُبَّ قلبٍ مُماكِسٍ لك في البيدِ
تنثر التبر مثلما تبعث الشممُ
فوق وُغْدٍ أو فوق غِرِّ حَظِيٍّ
لك ثوبٌ يخفي العيوبَ ويحبو الـ
قَدَرٌ حاكه وليس صناعُ
معدنُ الخير والفضيلة والحكـ
أيُّ فضل تعطى القويِّ قواه
أيُّ صيت يجدي الذكيِّ بيانُ
أيُّ فضل تحبو الحكيمَ نُهاهُ
سَرَفٌ أن أضاعه الدهر لا يفـ
أتري التُّبر لو يظل دفينًا
أتري الحسن كان يعتد حسنا
يغنمُ الظافر السعيدُ وإن كذَّ
وهو في أعين الأنام نضارُ
يغفر الناس شره وأذاه
إنما الحقُّ ما رأى النَّاسُ حقًا
والشريف الذي يرون شريفًا
والكريم الذي يرون كريمًا
صاح لو يُنْبذُ المزيّفُ طُرًّا
ثم باءوا بحيرةٍ وضلالٍ
وإذا النجح لم يكن منه ميزا
كن جديرًا به وإن لم تَنَلْهُ
وَيَضِيرُ الأنامَ كيدُ حَقْوِدِ
فدع النَّاسَ يكلفون بما شا
إن تجدها أو لم تجدها فللعيِّ
نشوة النُجْحِ نشوة السعي والخوا
ولعلَّ الأحقاد ما صَفَّرَ النُجْـ

ورجاءً للنجح خيرٌ من النجِّ
 إنَّ بعدَ الرجاءِ أن تبلغَ القصْدَ
 ولقد يَنْكُبُ النجَّاحُ أناسًا
 والسعيدُ المحرومُ من أسلمَ الأطم
 ويودُّ الذي تودُّ له الأقم
 ذاك حُبْرٌ يَغري الحكيمَ وإن شقَّ
 ولقد يُحْبَبُ الطموحُ إذا زحَّ
 وفروضُ الحياة أخلقُ بالسَّعفِ
 إن أعلى من العلاءِ خليقًا
 والسعيد الحظيُّ من رُزِقَ الجدَّ
 هو طبُّ المللِ إنَّ أعنتَ العيِّ
 وسواء نجحٌ وفوتٌ إذا أحـ
 والشقيُّ المحروم من لا يرى في الـ
 ذاك من مات قلبه وهو حيُّ
 خاصمته النعماء في كلِّ أمرٍ
 خيبة المرءِ أن يَمَلَّ مُناه
 ولعلَّ الإبطاء في النجح أهنا
 ويَمَلُّ العطاء بعد أوانٍ
 والذي لا يَمَلُّ فرضًا معادًا
 لا ينال البعيدَ من لا يرى الأذ
 خطوةٍ إثرَ خطوةٍ هكذا سُنَّ
 وامتناع الطليب أهونٌ من أن
 هو خطبٌ أدهى من الفوتِ وقعا
 كالذي يستطب بالخطب من خطـ
 ليس يُدعى الرضاء يأسًا فكم را
 والذي يستدرُّ نجحًا من الخيـ
 فإذا ما نكصت في العيش فاعلم

ح فعِش من طلابه في رخاءِ
 دَ ولا قصْدَ بعد نَيْلِ الرجاءِ
 بالذي فاق نكبةً للشقاءِ
 ماعَ طرًّا لصرف حكم القضاءِ
 دار يبغي فيها رخاء الرضاءِ
 فَيُلْفِي رخاءه في العزاءِ
 زحّه الهَمُّ عنه بالإعياءِ
 سي وأحجى من اقتعاد السماءِ
 بعلاء لا حائزًا للعلاءِ
 وفي الجدِّ مصرع الثوباءِ
 شُ وغالت غوائلُ البأساءِ
 مَدَّت ما في مسعاته من دواءِ
 عَيش فرضًا ينأى به عن شقاءِ
 وغدت نفسه ككفر خلاءِ
 وبَدَّت فيه وحشةُ البيداءِ
 لا تمايدي الحرمان والإبطاءِ
 وقصارى المبذول للأزراءِ
 كعزوف من بعد طول الغداءِ
 كلَّ يوم مَوْفَقُ السعداءِ
 نى سبيلًا يُدني إلى البعداءِ
 نُة عيشِ وَسُنَّة في الجِراءِ
 يندب المرء خيبة الأهواءِ
 وهو داء أشدُّ من ذا الداءِ
 بٍ وَيُقْصِي الأذواءَ بالأدواءِ
 ضٍ وفي سعيه دبيب الرجاءِ
 بة أحجى برفعةٍ وعلاءِ
 ليس في العيش موطنٌ للنجاءِ

كِي يداوى من رعدة الجبناء
 كي يَهونَ الصليلُ في الهيجاءِ
 ر فترتدُّ ناكصًا للوراءِ
 ل ويا رَبَّ مُرَحِّصٍ من سخاءِ
 لو نأى كان مُنِيَّةَ الأحياءِ
 فالشقيُّ الشقيُّ بالأسماءِ
 كدواءِ الرَّمداءِ بالظلماءِ
 لَعُ بِكسبِ الإجلالِ والإطراءِ
 كانطباقِ الجفونِ في الإغفاءِ
 تَرُّ بالمدحِ منهمُ والهجاءِ
 ب ولو فاز كان في البغضاءِ
 قد لواه القضاءِ ذو الأخطاءِ
 مو بشأو اللئامِ والأدنياءِ
 ما أعدُّوا له من الإيذاءِ
 لُ لكانوا في النقصِ كالشركاءِ
 كان أو لم يكن لدى الفضلاءِ
 ضاعفِ الفوتِ غِبْنَ صَرْفِ القضاءِ
 بَ فَعَبْنُ مضاعفٌ في الجزاءِ
 هزمِ الذلُّ نخوةَ الأحياءِ
 ويبذلُ للذُّخْرِ أو للحياءِ
 ه وأهلِ الجدودِ والأقوياءِ
 رَبُّ فوزِ مستجلبِ بالدهاءِ
 وبإرضاءِ كلِّ دانٍ ونائى
 ضاهِ من شيمَةٍ ومن سيماءِ
 قًا يُداني من مطلبِ ورجاءِ
 بة والنجحِ من صنوفِ الشقاءِ
 وهو في جسمِ آخرِ كالدواءِ
 ءُ ونجحُ يُلْمُ بالبرحاءِ

يُدخلُ المرءُ نفسَه في الرزايا
 مثلما أَسْمَعُوا الجيادَ صليلًا
 صاح، ما العيشُ بالمخلدِ في الدهرِ
 وإذا ما ارتخصت ما هو مبذو
 فالهواءُ الحياةُ وهو مُذالُّ
 لا تقلُ خيبةَ الرجاءِ سمومُ
 إِنَّ بَعْضَ السمومِ منه دواءُ
 وإذا ما هَمَمْتَ بالخيرِ لا تُؤ
 ليس بين الإطراءِ والذمِّ إلا
 واللبيبُ العليمُ بالناسِ لا يغ
 غايطوا الراجحُ السعيدِ بمن خا
 يزعمونِ الخِيَابَ أحجى بفوزِ
 زعموا الدهرِ يظلمِ الندبُ إذ يسُ
 فإذا الندبِ نال شأواً أعدُّوا
 ولعمري لو بَيَّنَّ النقصُ والفضُ
 باتفاقِ أو باقتدارِ نجاحِ
 ولو أَنَّ المفضولَ لم يُلَفِ نُجْحًا
 نابهُ النقصُ من قضاءِ فإن خا
 ليس فوزُ الأباةِ قدَّرَ شقاءِ
 لا بل الفوزُ صحةً واقتدارُ
 وبأن تطبِّي رضاءِ ذوي الجا
 وبإحباطِ مَنْ يكيُدُ بكيدِ
 وبإطراءِ من ترى منه نفعًا
 واحتذاءِ الحياةِ ترضى الذي تر
 وبأن لا تعافِ كسبًا ولا خُلُ
 فإذا عَفَتَ كان سعدك في الخي
 رَبُّ قُوتِ للمرءِ منه سقامُ
 وكذا النجحُ منه عزُّ ونعمًا

الجبل

ذكري

ومنبركُ الأعلى أجلُّ المنابرِ
ومسكن أربابِ الدهورِ الغوابرِ
وعمدانهُ الدوحاتِ ملءُ النواظرِ
فيخشع مسحورِ النهيِّ الضمايرِ
رأى عصمة الأطوارِ طهرِ السرائرِ
تفكرُ في عيش القرى والعمائرِ
ولكنَّها إن لُحِتَ لهوُ الأصاغرِ
قديراً ولم تعبتْ به يدُ جائرِ
كما اعتصم الملاحُ بين الجزائرِ
أكيماً تُناجي السحبَ أم كبرِ قادرِ؟
وأنَا له روعُ كروعةِ هادرِ
وبرقُ ورعدُ طيِّ سُحبِ مواطرِ
ولم تتهيَّبُ دورةً للدوائرِ
سواك فهل أوقفتَ خطو المقادرِ
ومن فوقه تاجُ النجومِ الزواهرِ
تمرُّ بك الأجيالُ مرَّ العساكرِ
وتبصرُ مجدَ اليومِ بعد الغوابرِ
ومرأى جلالِ منك ملءِ الخواطرِ

جلالكُ أهدى من ضياءِ المنائرِ
لقد كنتَ عرشَ المجدِ في الأرضِ عزَّةً
فيا معبدًا سقَّفَ السماءِ غطاؤهُ
جلالكُ يلهي المرءَ عن كلِّ زائلِ
توحَّدتْ كالرهبانِ يا ربَّ راهبِ
تطلُّ على السهلِ الفسيحِ كأنما
ألا إنَّ للأهرامِ مجدًا وروعةً
فأنتَ بناءِ الله لم يبْنِ مثلهُ
ومعتصم في معقلِ منك مانعِ
علوتَ برأسِ في السماءِ مباعِدِ
وينساب فيك الماءُ جذلانِ لاهيًّا
عليك اعتراكُ للعواصفِ رائعُ
وأنتَ وقورُ لم تُرعُ من رعودها
يغيِّرُ مرَّ الدهرِ حيًّا وهامدًا
فيا مَلِكًا بُزْدَ الجليدِ كساؤهُ
تشاهدُ جيلًا بعد جيلٍ كأنما
ترى مولدَ الدولتِ ثم مماتها
خلطتُ بك النفسِ الطموحِ إلى العلا

المستقبل

كهانة

خطراتُ الأحلامِ ستُرى في الأيامِ
أقوالٌ وفعالٌ هي رهنُ الأوهامِ
الآن
ويكونُ الممنوعُ هو حقُّ مسموعُ
ويكونُ المنبوذُ هو عرفٌ متبوعُ
الآن
وجهودٌ مشكوره ستغادي منكوره
آراءٌ ومعانٍ حباتٌ مبدوره
الآن
وترى في الأجيالِ من حالٍ ومآلِ
وسبيلاً مطروقاً كخيالٍ ومحالِ
الآن
وأمرٌ مجهولهُ ستغادي مملولهُ
من فرطِ العرفانِ وتراها مأمولهُ
الآن
خطراتُ الأذهانِ وضروبُ العرفانِ
تهدي إن لم تُصم فتكات الإنسانِ
الآن
وولوعٌ ببقاءٍ ككفيلِ بنجاءِ
مهما صال الموتُ في حربٍ وعداءِ

حالتان للنفس

طلب السكينة

يا ليت قلبي غداً خلاً
على انتفاء الحياة منها
فلا مهودٌ ولا قبورٌ
ولا حبيبٌ ولا عدوٌ
ولا رخاءٌ ولا شقاءٌ
أو كان كالنجم في سراه
أو كان كالليل في هدوءِ
كعالمٍ كلُّه بحارٌ
في خضم ما له قرارٌ
ولا سفينٌ ولا منارٌ
ولا نموٌ ولا احتضارٌ
ولا رجاءٌ ولا أدكارٌ
الوادع السائر المدارٌ
يُخال في صمته حوارٌ

طلب القوة

يا ليت قلبي على أساه
وليت نفسي على هواها
وليت لُبِّي على حجاه
لا يَضْطَنِّيه عداً عادٍ
يأخذ صفو الزمان عفواً
وليت صبري على بلاءٍ
فداوِ داءَ الحياة فيناً
بالصبر والسعي والأمانِ
أقوى من الشرِّ والشقاءِ
أقوى من الحبِّ والرجاءِ
أجلد من غفلة الغباءِ
وليس يغترُّ بالإخاءِ
ولا يُعنى من القضاءِ
أشدُّ من أروع البلاءِ
لو تُسعد النفس بالدواءِ
والحلم والعزم والوفاءِ

عجز التجارب

مَا زَادَ مَرُّ حَيَاتِي غَيْرَ أَشْجَانِي
يَا دَهْرَ لَا تُنْسِنِي فِي ضَيْقِ عَادِيَةِ
وَقَوْنِي بِتَجَارِبِ أَزَاوِلِهَا
فَرَوَدْتَنِي رُجْحَانًا كَنَقْصَانِ
مَحَاسِنِ الْعَيْنِ مِنْ صَبْرٍ وَغَفْرَانِ
فَإِنَّهَا لَمْ تَزِدْنِي غَيْرَ عَرْفَانِ

يَمْرِي لَهُ الْخَبْرَ عَرَفَانًا بِإِيهَانِ
 مَا زَادَهُ الْعَمْرُ مِنْ خُبْرٍ بِجِدْثَانِ
 يُوهِي جِلَادَةَ أَعْصَابٍ وَجِثْمَانِ
 إِذَا تَعَاوَرَ لُبُّ الْمَرْءِ ضِدَّانِ
 فَإِنَّمَا هُوَ يَقْضَانُ كَوْسِنَانِ
 يَغْدُو يِعَالِجُ مِنْ أَمْرٍ لَهُ ثَانِ
 مُنْقَلٌّ بَيْنَ نَسِيَانٍ وَنَسِيَانِ
 قَضَى الْحَيَاةَ غَرِيرًا جَدَّ غَفْلَانِ
 وَكَيْفَ يَجِدِيهِ مَنْسِيٌّ بِغُنْيَانِ
 مِنْهُ فَجَاءَ مَا يَقْضِي الْجَدِيدَانِ
 وَلَمْ يَحْوَلْ إِلَى طَبْعٍ وَدِيدَانِ
 أَسْخَى عَلَى الْمَرْءِ مِنْ خُبْرٍ وَعَرْفَانِ
 وَلَمْ يُخَصَّ بِأَرْبَاحٍ وَأَثْمَانِ
 فَلَيْسَ لِلْعَيْنِ مِنْهُ غَيْرَ رِيْعَانِ
 مَا يَمْلَأُ الْعَيْشَ مِنْ حَسَنِ وَإِحْسَانِ
 قَدْ تَجْتَبِيهَا مَعَ التَّجْرِيْبِ فِي آنِ
 فَعَادَةُ الْمَرْءِ وَالتَّجْرِيْبُ أَمْرَانِ
 وَلَا يَدَاوِي بِهِ مِنْ وَهْيِ أَبْدَانِ
 تَغْرَى بِهِ النَّاسَ مِنْ شَرٍّ وَطَغْيَانِ
 فَلَا يَزِيدُكَ فِيهَا غَيْرَ إِمْعَانِ
 قَضَيْتَ عَيْشَكَ فِي هَمٍّ وَأَحْزَانِ
 فَهَيَّأْتُ لَكَ مِنْ صَبْرٍ وَغَفْرَانِ

وَكَيفَ يُلْهِمُ خُبْرٌ صَبْرَ مُصْطَبِرٍ
 يَزِيدُهُ الْعَمْرُ مِنْ وَهْيٍ وَمِنْ كَبِيرٍ
 فَكَيْفَ يَنْفَعُ تَجْرِيْبٌ وَمَانِحُهُ
 بَعْضَ التَّجَارِبِ يَنْسَى لِيذْكَرُ زَمْنًا
 فَإِن تَيْقِظُ فِي تَجْرِيْبِ طَارِقَةٍ
 ضَرُورَةُ الْعَيْشِ أَنْ يَنْسَى لِيذْكَرُ مَا
 فَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مِنْ حَالٍ لثَانِيَةٍ
 فَإِن تَذَكَّرَ أَمْرًا وَاحِدًا أَبَدًا
 وَإِن تَنَاسَ فَلَا نَفْعَ لِخَبْرَتِهِ
 فَإِن تَذَكَّرَ مَنْسِيًّا تَبَادَهَهُ
 كَأَنَّهُ مُسْتَجِدٌّ لَمْ يَلْمَ بِهِ
 وَرُبَّ طَبْعٍ بَلََا خُبْرٍ وَتَجْرِيْبَةٍ
 نُخِرَ التَّجَارِبِ نُخْرٌ لَا رَوَاجَ لَهُ
 نُخِرَ الْأَقْصَايِصِ مَسْحُورًا وَمَخْتَزِنًا
 إِلَّا تَجَارِبُ عِلْمٍ يَسْتَجِدُّ بِهَا
 لَوْلَا انْتِفَاعُكَ مِنْ عَادٍ مُفْضَلَةٍ
 لَمَا خُدِعْتَ بِأَشْبَاهِ إِذَا اخْتَلَطَتْ
 وَالْخُبْرُ لَيْسَ بِنَافٍ عَادَةً شَنَأَتْ
 يَزِيدُكَ الْخُبْرُ عِلْمًا بِالْحَيَاةِ وَمَا
 حَتَّى تَسِيرَ عَلَى مَجْرَى سَجِيَّتِهِمْ
 فَإِن أُبَيِّنْتَ سَجَايَا النَّاسِ مِنْ شَمَمٍ
 إِلَّا إِذَا مَا لَبَسْتَ الدَّهْرَ عَافِيَةً

رَقَّ الظلامُ بليلةِ
 سحرُ العيون كسحرها
 هي فتنة الحَدَقِ الملا
 رَقَّ الظلامُ كأنه
 في روضةٍ فينانةٍ
 وصفا الدجا فكأنما
 فتمازجًا كتمازجِ الـ
 في جناحها وصفائها
 وتصالحًا من بعد ما أفـ
 تحنو علينا مثلما
 وتخالها حُلْمًا بسعـ
 ولربِّ ليلٍ فاحمٍ
 لا مثلَ لَيْلَتِي التي
 في سحرها وصفائها
 عمَّ السكونُ كأنه
 فكأنها رسمٌ بدَا
 في مثلها من هداةٍ
 وكهداةٍ في معبدٍ
 وكأنما أغفى الهوا
 والبدْرُ طَيْفٌ في المنا
 في مثلها من ليلة
 ورأوا تجلِّي الله في
 والرَّهْرُ كالمسحور وسـ
 والنهر غافٍ راكـ
 وسنانَ يحلم بالريا
 في مثلها من ليلةِ

حوراء كالطَّرْفِ الكحيلِ
 بين الشواهد والشكولِ
 ح ونعمة الطرف العليلِ
 متفياً الظلُّ الظليلِ
 هجرَ الهجيرُ بها المقيـ
 مزج النهار به الأصيلِ
 ماء المصفى والشَّمولِ
 قرنَ الجليلِ إلى الجميلِ
 ترق السبيل عن السبيلِ
 يحنو الخليل على الخليلِ
 دِ جَلَّ عن قيدِ العقولِ
 فيكادُ يُقَطِّعُ أو يسيـ
 تندى على الوجدِ الدخيلِ
 ونجومها بُرءُ الغليلِ
 ملكٌ على الدنيا نزيلِ
 وكأنها حُلْمٌ مخيلِ
 سَكَنَ القضاءُ فلا يـ
 للخاشعين به مَثولِ
 كغضة الطرف الكليلِ
 م يُطيف كالحبِّ الوصولِ
 عبدُ الدنا أهلُ الحلولِ
 كونِ عراه له نهولِ
 ننان المحاسن في ذبولِ
 نسي الترقُّوقَ والمسيلِ
 ض وظلُّها فيه الظليلِ
 يقفُ الزمانُ فلا يحولِ

يُضْغِي إِلَى نَجْوَى الْقَلْوِ بِ وَذَكَرَهَا الْعَهْدَ الْمَحِيلُ
كَوْقُوفِ نَجْمِ سَمَائِهَا يَثْنِيهِ مِنْ سِحْرِ زَهْوَلُ
كَذَهْوَلِ مَسْحُورٍ بِمَا تَجْلُو مِنْ الْحُلْمِ الْجَمِيلُ
يَا لَيْلُ بَلْ يَا سِحْرُ بَلْ يَا حُلْمُ لَيْتَكَ لَا تَزُولُ

الشتاء في إنجلترا

مقدمة

يسقط الثلج في إنجلترا شتاءً على شكل حبات الدقيق. فيعلو الأرض والمنازل والأشجار، فيخيّل للرائي كأنما قد كُسيَت الدنيا كساء من القطن. وكأنّ النهار ليلة مقمرة، وكأنما بياض الثلج من أثر بياض أشعة القمر. وتذكي النار في المواقد في البيوت، فكأنّ ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية في جنّة الربيع، وتذكي نار المواقد وجنّات الوجوه فكأنّ في المواقد جمراً وفي الوجوه جمراً! وتبحث في القلوب فترى نار الحياة وشرتها، وترى الحب والآمال لم يُغضّ منها برد الشتاء وتلجه!

الناظم

نَشَرَ الضَّرِيبَ عَلَى البَسِيطَةِ حَلَّةً بِيضَاءَ تَمَحُو غَبْرَةَ الغَبْرَاءِ
يَسْعَى عَلَى وَضْحِ النِّهَارِ كَأَنَّمَا يَسْرِي الفَتَى فِي لَيْلَةِ قَمْرَاءِ
فَكَأَنَّ نَوْرَ البَدْرِ مَا حَلَّى الثَّرَى بِرَوَاءِ تَلِكِ الحَلَّةِ البِيضَاءِ
غَلَبَ البِيضَاءُ عَلَى اصْفِرَارِ أَشْعَةٍ تَهَبُّ النِّهَارِ مِنْ اصْفِرَارِ ذُكَاةِ
وَعَلَى المَسَاكِنِ كَسُوءٍ مِنْهُ كَمَا تَعْلُو المَفَارِقَ شَيْبَةَ الشَّمْطَاءِ
فَإِذَا مِشَابَهُةَ المِشِيبِ كَدَعُودَةٍ لِلنَّفْسِ أَنْ تَنَأَى عَنِ الأَهْوَاءِ
وَإِذَا اسْتَرَاخَ لِمُقْمَرٍ فِي لَوْنِهِ رَاءِ تَرَى الأَحْلَامَ عَيْنَ الرَّاغِي
وَكَأَنَّمَا فِي عَالَمِ الأَرْوَاحِ يَسُـ عَى مَنْ سَعَى لَا عَالَمَ الدَّقْعَاءِ
وَكَأَنَّ زَهْرًا أَبْيَضًا غَطَى الثَّرَى بِرَوَاءِ ثَوْبِ الرُّوْضَةِ الغِنَاءِ
وَلِكُلِّ لَوْنٍ حَسَنِهِ كَاللَّيْلَةِ الـ لَيْلَاءِ أَوْ كَالقَبَّةِ الزَّرْقَاءِ

ولربما اختلف الجمال، وفعلُهُ
وإذا المواقف في البيوت تضاحكتُ
خَلَّتْ الربيعَ سعى إِلَيْكَ بحفله
يُذَكِّي الوجوه لهيبها فتراهما
ما غَضَّ من دَفءِ الحياة ونارها
الْحُبُّ وَالْأَمَالُ فَوْقَ مَتُونِهِ
وَالْقَلْبُ قَلْبٌ حَيْثُ كَانَ إِذَا نَكَتْ
متشابهُ في أخذة الصهباءِ
من شدة الإيقاد والإنكاءِ
والنارَ زهرَ الجنةِ الفيحاءِ
جمريْنِ يشتعلان في الظلماءِ
ثلج الشتاءِ على ثرى الغبراءِ
كالحبِّ والأمالِ في الصحراءِ
نارُ الشبابِ وشرَّةُ الأحياءِ

بحر الحسد

مقدمة

الحياة هي بحر الحسد. ويسعى الناس في الحياة لأرزاقهم وجاههم بالكيد والمكر، كأنما يسبحون في بحر من الحسد. وقد يدفع بعضهم بعضاً كي يظهر الدافع على متون أمواجه. وقد يعين بعضهم بعضاً في الأحياء. أما المجاملة في الحياة والتحيات، فقد تكون أشبه بلألاء الشمس على سطح الماء يخفي بجماله ما في البحر من قبح وبلاء!

الناظم

يسبح الأحياء في بحر الحسد
واقتعده سهوته مستبشراً
ضاحكاً من عنت الأمواج، لا
انظر الأمواج في الشط، تجد
إن علت موجة حقد فاصطبِرْ
وإذا ما رمّة لاحت فلا
وإذا لألت الشمس على الـ
كمقال الخب يخفي كيدَه
فاعتصم بالصبر فيه والجلدُ
سابقاً في الموج منه والزبدُ
يُدْفَعُ الغائلُ منها بالكمدُ
لجّها منهزم الأمر بددُ
أي موج في ذرى اليم حلدُ؟
تحسب الرمة فيه كالسندُ
يم أخفت قبح ما دون الزبدُ
إن سطا في العيش في لوم وحقدُ

وإذا غارَ بك الماءُ فقلُّ
 ربِّ درٌّ فيه لا تأمله
 درةٌ مخبوءةٌ أنتَ إذا
 أنجدِ السَّابِحَ إن حارَ وكنُ
 ليس مجد الغدر أحجى بالفتى
 أحمقُ الناس جهولٌ خائفُ
 ليس في العيش ولا الموت أدنى
 لا يَلدُ الموتَ إلا مُتَعَبٌ
 رقدة يا طيبها من رقدة
 كم حسام في قراب قد غمدا!
 إن من غاص على الدرِّ وجد
 ما طفا باللؤم إن أغرقتَ وغدا
 للذي أشفى على الهلك عَضُدُ
 أي مجد ناله الأوغاد مجد؟
 كلما لاح له برق رعد
 إن من سار على الدرب ورد
 سهر العيش وفي الموت رقد
 بعد أن عانى وأبلى وسهد!

الصدى

أمازحُ أم ساخرُ يا صدى
 الصدى: مقال! مقال! مقال!
 أم قائلُ ذو خبيلٍ لا يعي
 الصدى: خبال! خبال! خبال!
 أم أنت طفلٌ عابثٌ لا يني
 الصدى: فعال! فعال! فعال!
 أم ببغاء ما لها فطنة
 الصدى: مثال! مثال! مثال!
 أم أنت روحٌ لا تُرى تبتغي
 الصدى: منال! منال! منال!
 أم أنت بعض الجنِّ في خدعة
 الصدى: جبال! جبال! جبال!
 أم أنت شيخٌ أفنُّ إن سها
 الصدى: مقال! مقال! مقال!
 أم كأصمِّ رامٍ إخفاء ما
 به فلا يطلب رجع السؤال؟

الصدى: سؤال! سؤال! سؤال!
أم أنت مثل الناس في غيهم كم ردد الجهال قولاً يقال؟
الصدى: يقال! يقال! يقال!
يخشون إن شذوا بإنكار ما قد ألفوا من ترهات الضلال!
الصدى: ضلال! ضلال! ضلال!
فرددوا بغياً على ألفة بينهم، أو رددوا من كلال!
الصدى: كلال! كلال! كلال!
فقولهم مثل الصدى رجعة وعيشهم ما بين قيل وقال!
الصدى: وقال! وقال! وقال!
حكيتهم في عيشهم ساخرًا أذلك العيش وعقبى المأل!
الصدى: مأل! مأل! مأل!

صمت الشك (علم أم ضعف؟)

ألا لا أبيع العيش مدحاً ولا ذمًا
ولا يستقيم القول إلا لمننتش
مليت أساطير الحياة فإن أفق
حلمت بحسن العيش والصدق والنهي
وإن لم يكن عيش الفتى حلم حالم
فإن شئت كان الشك ضعفاً وخيبةً
وإن كان أصل الوحش والناس واحدًا
وكيف أرى مستقبل الدهر للورى
إذا كان صدق الناس كذباً وفضلهم
صحوت كصحو الموت من نوم عيشه
كما يلحق الآسى العليل دواءه
وهل ثقةً بالعيش والناس تشتري
وإن كان مدح المرء للعيش خشيةً

سكتُ فلا عذرًا نطقت ولا لومًا
من العيش والآمال لا من صحا غمًا
فمن لي بحلم قد حلمت به قديمًا؟
أمانى لا ضمًا تبدت ولا بكمًا
فما عذر قولي إن حسبت الدنى حلمًا
وإن شئت كان الشك منطقه علمًا
فلم فقدوا ظلفًا وقد كسبوا لومًا
علاءً ومحيا يجمع الخلق والفهما؟
رياء، وود منهم الغدر والسما
أترجعني للعيش ألقه رجمًا؟
وإن مج منه علقمًا قد نبا طعمًا
لأنثرها نثرًا وأنظمها نظمًا؟
من اليأس كان المدح من وجل ذمًا

حياة وإن أغرى بك الأمل الجمًّا
 إذا قال قولاً جدّد اليأس والهَمًّا
 ولم يك بين الناس ربحاً ولا غنماً
 إذا لم أُخَلِّد لي مقالاً ولا نظماً
 وإن زال أقوام تجدّ بعدهم قومًا
 وأنبل كذبٍ يخدع اللبّ والفهمًا
 كأرجوحة بين الشقاوة والنعمة
 أظل كحاسي المرّ يفتعل البسَمًا
 فمن برّ نفسي أن ترى تركه حزماً
 صموتاً فحسبي أن أرى الحمق والطمًا
 وإن كان شرّاً يصقل الذهن والفهمًا
 ويأ طالما أشوى الصواب وكم أظماً
 لعينيّ أو خطأ على الطرس أو رسماً
 تراها فلا قتلاً تراها ولا كَلَمًا
 وقدرة فنّان وجهداً له تمًّا

يسوغ بيان السخط إن كان من هوى الـ
 وإلا فإنّ الصمت أولى بقائل
 على تافه لا ينقع الدهر غلة
 رأيت زوال الكائنات فلا أسى
 سيحدث بعد القول قول يُديله
 وما الخلد إلا عِزَّة وطماعة
 يكون الفتى في اليأس دهرًا وفي المنى
 وقد حلّ بي دهر إذا ما مدحته
 وإن لم يُنلّك القول إلا مذمة
 فمن شاء فلينطق ومن شاء فليكن
 ملئت نضال الناس في غير طائل
 وكم شبّهوا فهمًا بسهم ومورد
 فيا ليت هذا العيش يبدو كصورة
 كما تهدأ الهيجاء في رسم راسم
 ترى حسن إحسانٍ وتجويد صانعٍ

سحر الطبيعة

ر أم هي أخيلة الشاعر؟
 أجل من الحُلم الباهر
 ل فتنة حسنٍ لدى الخابر
 د في مائها السلسل المائر
 أدنياً أرى أم منى الساحر؟
 أذى العيش والقدر الجائر
 يزول الخيال عن الناظر
 لأُخلد في حُسنها الزاهر
 كأنّي روح لدى العابر

كئوس من النور هذي الزهو
 وليست بحلم ولكنها
 وما خلّفت لفنون الخيا
 وماء الحياة ونبع الخلو
 وعشب قشيب وظلّ ظليل
 ومما يزيد رواء الزهور
 لقد خفّت أن تنطوي مثلما
 فأسلمت نفسي لسحر الخيال
 وغبت عن الحسن حسن الوجود

كَأَنِّي نَقَلْتُ إِلَى عَالَمٍ
كَأَنِّي نَقَلْتُ إِلَى جَنَّةٍ
وَمِمَّا يَزِيدُ رِوَاءَ الزُّهُورِ
سَيْنِشًا فِي الدَّهْرِ أَوْ غَابِرٍ
نَأَتْ عَنِ سَطَا القَدْرِ الدَائِرِ
أَذَى العَيْشِ وَالقَدْرِ الحَائِرِ

الغابة

قد حيكَتِ الآبَادُ كَالبَحْرِ وَالصَّحْ
وَحَجَبَتِ الأفُقَ البَعِيدَ عَنِ الطَّرْ
فَكَأَنَّ لَا مَدَى لِدُوحِكَ يُرْجَى
وَرِيَّاحٌ تَشْدُو عَلَى وَرَقِ الدَّوْ
مَنْطِقٌ لَمْ يَدْعُ لِنَفْسِ شَجُونًا
ثُمَّ تَبْدُو العِصُونَ فِي هِدَاةِ الرِّيبِ
وَكَأَنِّي أَصْغِي إِلَى غَابِرِ الدَّهْرِ
وَكَأَنَّ المَسَاءَ ظَلَّلَ دَوْحًا
وَكَأَنَّ الظَّلَامَ دَسَّ كَمِينًا
خَطَرْتُ فِي ظِلَامِ دُوحِكَ أَرْوَا
لَبِثَ القَوْمَ فِيكَ دَهْرًا فَنَاجَا
عُمْدًا شَيِّدُوا وَسَقَفًا لَبَّهُو
حِينَ شَادُوا لِلدِّينِ بِيَعَةَ إِيمَا
صِرْتِ مَلْهُىً وَكُنْتُ غِيْلًا مَخُوفًا
وَارْتَضَيْتِ الأَمَانَ مِنْ بَعْدِ دُعْرِ
غَابَةِ شَادَهَا ابْنُ آدَمَ نَزْلًا
رَبِمَا عَرَّشَتْ وَضَاقَتْ فَلَا شَمْ
وَمَخُوفٍ مِنَ الفَجَاءَةِ فِيهَا
وَاحْتِيَالٍ لِيُقْنَصَ الرِّزْقَ وَالصَّيْ
كَمْ وَحِيدٌ لَا يَعْرِفُ الأَنْسَ فِيهَا
ضَاقَ ذُرْعًا بِنَفْسِهِ فَعَدَا يَنْ

رَاءَ مِنْ طُولِ أَرْضِكَ الشَّجَرَاءِ
فَ فَأَنْسَيْتِ مَنْتَهَى الأَشْيَاءِ
حِينَ تُدْحَى مَطَارِحُ الغُبْرَاءِ
حَ بِأَلْحَانِ شِدَّةِ أَوْ رِخَاءِ
لَا يُحَاكِي صِفَاتِهَا فِي الغِنَاءِ
حَ كَنَائِي مَعْلَقٌ بِالهَوَاءِ
رِ وَمَا كَانَ فِيكَ مِنْ أَرْزَاءِ
يَتَسَامَى وَلا تِ حِينَ مَسَاءِ
رَابِضًا فِي آجَامِكَ الدُّكْنَاءِ
حَ وَنَاجَتِ مَسَامِعُ القَدَمَاءِ
هُمُ سِرَارُ الفَنُونِ بِالإِيحَاءِ
وَاسْتَمَدُّوا مِنْ غَابَةِ وَسَمَاءِ
نَ تَبَدَّتْ كَالغَابَةِ اللِّفَاءِ
وَمَلَأَتْ اللِّصُوصَ وَالطَّرْدَاءِ
لَمْ يَزَلْ فِي المَدِينَةِ الشَّمَاءِ
دَوْحَهَا مِنْ قِصُورِهَا الزُّهْرَاءِ
سُ لَدَيْهَا وَلا مَرَاحُ الهَوَاءِ
كَمَخُوفٍ فِي الغَابَةِ القَتْمَاءِ
دُ سِوَاءِ فِي مَكْرَةٍ كَسِوَاءِ
أَصْبَحَتْ نَفْسَهُ كَقَفْرِ خَلَاءِ
شُدُّ طِيًّا فِي مَعْرِضِ الأَحْيَاءِ

أخذته لواعج الظلماء
ووحوش من ناسها بالعرء
قد عداه حتى خداع الرجاء
ك ولا زال عهدك المتنائي
إن دعتها كانت جواب النداء

عذبته لواحظ الشمس حتى
وأفَاع في دورها وقرود
وغريب ومُعدم وطريد
فكأن الأتوام لم يخرجوا منذ
سنة قد سننتها في نفوس

الحق والحسن

ينيخ على الورى في الطارقات
وأولى بالنفوس الساميات
ويا سحر العيون الساحرات
حبائل قانصات آخذات
يغازل حسنه حُسنَ النبات
سلي الأيتام والمترملات
وهل طابت لهم خدع الحياة
نشاوى لذة لا الواجبات
جدير بالنفوس المؤمنات؟
لدى العشاق فيها والهواة
ألذ مع الغرام من الفرات
ترى فقد النفوس الآبيات
صريع عقار حُسنِ الفاتنات
يحاول من صلاح الحادثات
حياة في حضيض الهاويات
تعين على كفاح النائبات
حياة المرء شراً من ممات
وتنشد كونه في الكائنات
خطا الراقين من ماضٍ وآت

عصيت الحسن من هم ونحس
وقلت الحق خير منه عقبي
وقلت أيا رُواء الزهو بُعداً
ويا ملح الخمائل لا تكوني
ويا شمسٍ اخبئي ضوءاً صبيحاً
أليس الناس في عنتٍ وشرٍ
سلي أهل الشقاء وما دهاهم
رمى بالنسل للآفات طراً
وقالوا النسل فرضٌ أي فرض
ديار النحس كالجنات حُسنًا
ورنق من مناقع آسنات
وحيث ترى نعيم الحسن داء
وهل ترجوه لاستصلاح أمر
فإن الحسن يلهي المرء عما
ولولا سلوة للحسن عيقت
فقال الحسن هل أنا غير سلوى
أنا الأمل الذي لولاه كانت
أنا الحق الذي تبغي جداه
أنا المثل الأجل، إلي مرقى

أنا الحادي الذي يحدو نفوسًا
أنا الصبر الذي يودي بنحس
أنا الحب الذي لولاه كانت
فلمّا أن تبدى منه سحرٌ
ولمّا أن تبدى منه سحرٌ
خشعتُ وما ملكتُ قياد نفسي
وإن لم يزو نفس المرء عما
فتطرب طربة المستوقرات
ويسعد في الهموم المضنيات
وجوه الكون أشبه بالرفات
أضاء بنوره وجه الحياة
أعاد النفس في مثل السبات
وقلت: الحق حسنٌ لو يواتي
يحاول من صلاح الحادثات

ما وراء الأمن

ولكن ما وراءك يا عصام؟ (شاعر قديم)

أما فكّر هذا النا
لو ان لكلّ ذي حقدٍ
لو أنّ الأمر فوضى لا
لكان الأمر ما كان
إذ الأشره في الأرح
ودامي الناب من لحم
وغرّ الناس ما يخذ
وغرّ الأمن والسلم
ومن يصغي لآيات
وخلف الأمن والسلم
قتال بالنكيات
وبالكذب وباللؤم
سلاح كل ما أسع
ولو تقتل ألاحظ
أسهم ما بدا في اللح
سُ كم من قاتل عاتي
مُناه في الرمايات
حسيب على الجريرات
قديمًا في البداوات
م مقضي المشيئات
أخيه أو السخيمات
ع من بذل المروءات
وآيات السماوات
وأرواح رحيمات
كحرب الذئب والشاة
وآخر بالسعايات
وأرجاس الغريزات
ف في حرب المباراة
نمت قتل العداوات
ظ أم سهم الحزازات

وقوم الزمن الماضي كقوم الزمن الآتي

* * *

سألت الله أن يُخْلِـ
بأن يخلف أقوامًا
فَمِنْ فُجَّارِ مهواةٍ
ومن رجسِ المباراةِ
فَ ظني عند ميقاتِ
كرامًا في السجياتِ
إلى أطهار مرقاةٍ
إلى طُهرِ المؤاخاةِ

ندالة التعاسة

كدتُ أنسى دواعي الرُّفقِ مما
يقضمونَ اليدَ التي تَنَحَّيهِمْ
ويكيدون في الخفاءِ أو الجَهْـ
عَشَّشَ اللُّؤْمُ حيثما عَشَّشَ البؤُـ
ليس بدعًا، أليس ما نَغَّصَ العيُـ
كل قلبٍ تبيت من حَسِكِ البؤُـ
يتلظى شرًّا ويرشح غدرا
يلوم المرءُ وهو غير شقيِّ
ليزِيدَنَّهُ اغتِيالًا وِحَقْدًا
وَسُعَارًا لو أنه نال من أُرْـ
وهو غلُّ لو حاقَّ بالشمسِ أمسى
ليس شر البأساءِ قصرًا على النحْـ
وَحُقُودٍ وخَسَّةٍ وسعارِ
تَفْسُدُ الأَنْفُسُ الكرائمُ حتى
ضَاعَ عطفِ الرحيمِ إذ ضاع حُسْنُ الـ
وعظيمٌ ما أفسد النحسُ من خلْـ
كم شقاءٍ يَمْضِي وفي النفسِ منه
من عوادي سخائم لست تدري

قد أرْتَنِي ندالة التُّعَسَاءِ
بسَخَاءٍ ونجدة وإخاءِ
رة أَلِيمٍ بَجَهْرِهِمِ والخَفَاءِ
س سوى في القليل من كرماءِ
ش من البؤسِ باعثِ الشْحْنَاءِ
س مليئًا بخَسَّةِ الأَدْنِيَاءِ
ويُداجي خوفًا بثوبِ رِياءِ
كيف ينأى عن لؤمه في الشقاءِ
وافتراسًا على حُطَامِ الرِّخَاءِ
ضِ لَجِنَّتْ زلازلِ الغُبرَاءِ
مثل ذرِّ الرمادِ وجهُ ذُكَاءِ
س ولكنْ كم أشعَلَتْ من عَدَاءِ
واغتِيالِ ومكرةٍ ورياءِ
تَغْتَدِي مثل أنفُسِ اللُّؤْمَاءِ
خُلِقَ في خِيمِ أنْفُسِ التُّعَسَاءِ
ق هضيمٍ ورحمةِ الرحماءِ
أَثْرٌ واضحٍ لغيرِ فناءِ
هي بالمرءِ علة الأُدواءِ

أم هي النفسُ سقمُها مثلُ سقمِ الـ
مثل نل الشعوبِ خَلْفَ لَوْمًا
وصفاتِ الشعبِ الضعيفِ لَتُلْفَى
من رياءِ وإحنةِ واَحْتِيَالِ
شيمٌ يدرأُ الذليلَ بها مِنْ
أصبحت شيمةِ النفوسِ وإن لم
فمتى يلبس الخلائق طرًّا
ليس إلا بها نجا نفوس الـ
فاطْلُبْنَهْ فيها وإلا فدَعْ نشـ

جِسْمٍ مِنْ إِحْنَةٍ وَمِنْ شَحْنَاءِ
بَعْدَ فَوْتٍ مِنْ عَهْدِهِ وَانْتِهَاءِ
فِي جِسْمٍ صَحِيحَةٍ أَقْوِيَاءِ
وَتَعَادِي تَخَاذُلٍ وَافْتِرَاءِ
عَجْزِهِ سَطْوَةً مِنَ الْأَعْدَاءِ
يَكُ ذُلٌّ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِدَاءِ
طَيِّبَ نَفْسٍ فِي شَمْلَةِ النِّعْمَاءِ؟
نَاسٌ طُرًّا مِنْ خَسَّةِ الْغُبْرَاءِ
ذَانِ أَمْرٍ بَغِيرِ دَاعِي الرَّجَاءِ

بين الثريا والثرى

الحمل الجدى والسرطان؛ هي الأبراج المعروفة بهذه الأسماء، والمعنى هو أن الشباب لا يهتم بما يخبئ له القدر؛ كما يهتم من يرصد الأفلاك والأبراج ليعرف منها ما يُخبئُ له القدر.

الناظم

الشباب

تذكرني الشبابَ وقد عَلَوْنَا
ونحن الخالدون وكان حقًّا
سوى الحزن الذي عُقْبَاهُ ضِحْكُ
وطئنا فوق أطلال الدراري
فلا حَمَلٌ ولا جَدْيٌ رَقِينَا
وما مِنْ صَوْلَةِ الْأَقْدَارِ خَفْنَا
بأرواحٍ لها في الأفق مسعى
رَكُضْنَا فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ نَجْمٍ

به فوق المجرة والنجوم
خلو الخالدين من الهموم
يرن صداه في ضحك الهزيم
وأشرفنا على بيد السديم
ولا السرطان ذو البرج العظيم
ولا لاحت لنا مثل الغيوم
وتحليق على العيش البهيم
حنو الطير للزهر العميم

وحولنا وجوه الكون كأسًا
ولم نعبأ بما تخفي الليالي
وأسلفنا الزمان نعيم عيش
وكنّا في ائتلاف الشمل نحكي
حسوناها ولم تك من كروم
ولم نحش المنية في الهجوم
ولم نحذر مقاضاة الغريم
نظام الشهب والدرّ النظيم

المشيب

سكنا الأرض بعد الأفق دارًا
وأفهمنا القضاء وما فهمنا
وكسرت القوادم والخوافي
صحنونا للحياة وما تراه
فمن حذر إلى بخل وذُلُّ
أطل الموت من كئيب علينا
تروّعنا الصروف بكل خطب
وضاعت جدّة الدنيا وصارت
يحاربنا التذكر والتمني
وقدما قد نعمنا بالتمني
وليت الذكر، وهو نذير شجُو
سننسى أننا كنا قديمًا
وأُنزلنا إلى بطن الأديم
وقل ما شئت في لغو العليم
وهيض العظم في الجسم الكليم
من الخلق المقبّح والذميم
وسوء الظن بالخلّ الحميم
وظلّ الموت أصبح كالنديم
وخطب الموت أهون للفهيم
كأطمار على جسم العديم
كلا الأمرين يُفضي للهموم
وأملنا الخلود على النعيم
يدوم برقة العهد القديم
على هام الثريا والنجوم

بيان ماض وحاضر (أنشودة)

عهدي بالعيش على رعد
نغم والدهر يوقعة
يا ليت الدهر كمن يشدو
إن قلت أعد نعمى عادت
حسنت كنت بها ثملًا
عذبًا كالماء حساه صدي
يسري كالنشوة في الجسد
بأغان إن يطرب يزيد
كترنم ذي النغم الفرد
زهبت في الدهر فلم تعد

آمالٌ كنت بها شغفًا
 أحلامٌ كنت بها جدلاً
 وشبابٌ نقت به خلداً
 لو دام دوام الخلد لما
 لو عاد بذلت له ذخري
 بشعاعٍ منه أعيش مدى
 أبّ التذكارُ له شبهاً
 ما خَلَفَ لي دهرٌ ثقةً
 يا نبُع الماضي لو عاد أَلْ
 لرجعتُ إليك رجوعَ صِدِ
 وغداً ماذا يا دهرُ ترى
 نظَرَ الولهانِ إلى الخُرْدِ
 قد شَحَّ النومَ ولم تجْدِ
 في طرفةِ عَيْنٍ من أبْدِ
 نقعِ الظَّمآنِ من الصَّفْدِ
 من مُطَّرَفِي أو مُتَلْدِي
 دفءٌ للشمسِ على بُعْدِ
 أو قَبْرًا شِيدَ لِمُفْتَقِدِ
 بمآلٍ فيه أو أَحَدِ
 وُورَادٍ إِلَيْكَ على جَدِ
 لم يَنْهَلْ قَبْلُ ولم يردِ
 قد قُدِّرَ لي بضميرِ غِدِ؟

صور الصداقة والعداوة

وفي غادرٍ سَمَحُ حقودٍ
 أمْدَحُكَ لي انتقامٌ من عدوٍ
 وفاؤك كي أَبَادِلَكَ التَّحَايَا
 وكيما أَصْطَلِي وَأَشَنَّ حَرْبًا
 أَتَخْدَعُنِي ولم تَلْحَقْ بِسَنِي
 وتمذق لي إِخَاءَكَ مَذْقُ حَقْدِ
 تحاربني وتحسب أن ستخفي،
 كشأن نَعَامَةٍ للرأس تخفي
 ولسَتِ بأوَّلِ المُخْفِينِ بَغْضًا
 عرفتُ الناسَ قَبْلَكَ يا خَلِيلِي
 فإنْ كانِ الولاءِ كما أراه
 وبُعْدًا لِلْمَدِيحِ وَإِنْ تَغَالِي
 سَلِ الخَلَانَ ما فَعَلُوا بِقَلْبِي
 أرى الأضدادَ فيكَ إلى لقاءِ
 أساءَ إِلَيْكَ أم محضُ الثناءِ
 أذا سَبَبُ التَّقَرُّبِ والتَّنَائِي؟
 على مَنْ مَدَحُهُ لك كالهجاءِ
 ولم تظفرُ بخبري أو بلائي؟
 عليّ وما أَصَبْتُكَ بالعداءِ
 عداؤك ليس يظفر بالخفاءِ
 وتحسب ما لها في الناسِ رائِي
 نما بين المحبَّةِ والإخاءِ
 وذقتُ الغدرَ من حلو الوفاءِ
 فويلي من وفائك والولاءِ
 وسُحِقًا للمروءةِ والصفاءِ
 وهل أَبْقُوا لشدقك من غذاءِ

وهل أبقوا لبطنك منه شلواً
 أعيدك أن أراك شبيهة قوم
 وهم فقدوه من ذلّ وعارٍ
 وكم أخفوا رخاوتهم بهجرٍ
 وهم مثل الهلوك رمت رجالاً
 على الأبواب واقفة تنزى
 وتحسب أنها نفضت خناها
 فلا يعيدك خلقهم فياني
 صفحت ولو أردت بلغت تأري
 فإن يابوا وإن تابى سكوتي
 ولا يعليك بين الناس خفصي
 لتنزلني إلى حيث استقرت
 تخبرني للحاظ بغلّ قوم
 وكنت أظنه حسداً لقولي
 ولو سمعوا بموتي ما استراحوا
 أرادوا لي الممات ولو دهاني
 فلا يرضيهم عيشي رخيّاً
 وفي الدنيا الدنيئة هانّ سمح
 إذا ما أخرجوا سمحاً كريماً
 دعوني صامتاً فالصمت أوقى
 أداجي الناس ما داجوا وإني
 ولكن الحياة لها قضاء
 وما أدري لذن ألفى عدواً
 أخوفه أذاي أخو دهاء
 أنمق وعده بالخير إمّا
 أسعي سعاية أم قول وإش
 أرجاه مرجي الخوف مني

مريراً لا يساغ على عداي؟
 رجولة بعضهم فقد الحياء
 وهم فقدوه من فقد الإباء
 كمن فقد الحياء من النساء
 بما قد صح فيها من هجاء
 وترمي القوم من دان ونائي
 كجلد الكلب هز لنفض ماء
 رأيت الخلق يعدي كالوباء
 وقد عرف اقتداري في الرماء
 فما صمتي بعى الأدياء
 ولم تبعد بأفكك عن مسائي
 بك الدنيا تفنن في العداي
 على ما نلت من فرص الرخاء
 فخلت الصمت أقرب للنجاء
 ولا يشفي حقوقهم فنائي!
 لفرط الحقد أحسد للفناء!
 ولا يرضيهم مني عفائي
 تعالى عن سلاح الأدياء
 تدرع بالقوانع في الرماء
 لكم إن لم تصلوا بالغباي
 لأزهد في الدهان وفي الرياء
 فمن ياباه يزهد في البقاء
 أبله أم تباله بالعداء؟
 أخوفه نكائي واعتلاي؟
 تمادي من تمادي في الجفاء؟
 يحكمه المحكم في الخفاء؟
 ضلالاً نيل عوني أو ثنائي؟

أعدوى في التثاؤب من كسولٍ
 أرشح اللؤم في رهطٍ وضع
 ومن عَرَفَ الأنامَ رأى أمورًا
 أراها كلَّها صورًا تنزى
 سرا بٌ لست أتبعه فأخشى
 أنا المرء الذي عَرَفَ البرايا
 ومن خبرَ الأنامَ لصنع فنٌّ
 تراموا بالهجاء فإن أصابوا
 أليس الرهط فرْدًا ثم فرْدًا
 نعتُم رهطكم لما نعتُم
 نفوسُكمُ معرَّة كل رهطٍ
 ومهزلة المكارم والمعالي
 لعلكمُ حسبتم كل شرًّا
 كعدوى في العداوة والإخاء؟
 يفيض بما يشاء من الأداء؟
 مُرْعِبِلَةٌ كرعيلة الكساءِ
 تنزى الآل في الخرق الخواءِ
 هلاكًا لا، ولا هو من رجائي
 فلا يردى لعادٍ أو لشائي
 فكل الخلق من صور الأداءِ
 فرهطُهُم المَلَطُخُ بالهجاءِ
 وأوصافًا لها عدوى الوباءِ؟
 نفوسكمُ بأوضار الرماءِ
 ومدرجة الشعوب إلى الفناءِ
 وهل لؤمٌ يئول إلى علاء؟
 إلى عودٍ بخير وانتحاءِ

الهاربون من القضاء

أنظلُّ موهونَ الجنانِ مروءًا
 تخشى الحياة ولست تخشى ميتة
 قلقًا تطل على الحياة كأنما
 تخشى الحياة وكذبها وسفالها
 والحيُّ يأكل من حياة مثيله
 وتطاوُلُ المغمور ينحو نابها
 متشبثًا منه بعِطْفِي سابعٍ
 كلُّ يخال الدهر إن هو عاقه
 والموتُ يعصف بالدهور وأهلها
 فعلامٌ تخضع للتناكص والأسى
 والقلب يلმسه الأسى فيهزُّه
 قلقًا من الآفات والأقدارِ
 هبها نصيب الموت في الإصغارِ
 منها وقفت على الشفير الهاري
 وصيالها في قسوة الغدَّارِ
 لحس الضواري للدم المدرارِ
 كتطاوُلُ الغرقان في التيارِ
 ليجرَّه لمهالكٍ وبوارِ
 خطب الجميع بقاصم الأعمارِ
 فكأنها صور الخيال الساري
 وتخاف حُكم الله في المقدارِ
 وكأنه وترٌ من الأوتارِ

والغيبَ وهو مُحجَّبٌ متواري
 لقرأته خبرًا من الأخبارِ
 وكأنها سَفَرٌ من الأسفارِ
 وتظل تعدو منه في مضمارِ
 تسعى على سننٍ لهم وشعارِ
 وإذا نسيتَ نسيتَ كل عثارِ
 في قسوةٍ من خِسَّةٍ وشنارِ
 من محنةٍ أو مهلك ودمارِ
 حذر الحياة وصوله الأشرارِ
 أترك تفلت من يد الأقدارِ!
 أو في مدى الأبداء والأدهارِ
 بين الفناءِ ومَعقل الأسرارِ
 كاللَّيْلِ ليس يفرُّ منه الساري
 لو فاز خَلَقُ في الدنى بفرارِ
 أو بالسَّطَا والجند والأنصارِ
 كحصارِ كل وسائل المختارِ
 أجراه مجرى الدهر في مضمارِ
 نكرو وبعضُ ما لها من داري
 من طبعها المتصاعد السَّوَارِ
 درجوا لأمرٍ ثالثٍ بمدارِ
 وجسومهم كمزابيل الأقدارِ
 خلق اللئيم العاجز الغدارِ
 وترفعُ ينبو عن الأوضارِ
 من صولة الغلاب والمغوارِ
 عبث الخنا ومجانة الفجارِ
 للنائبات مجانة العُهارِ
 فقدُ الحياء رجولةُ الدُعارِ

وعلامَ ترتقبُ الزمانَ وصرفهُ
 عمري لو أنَّ الغيبَ عاجلٌ وانقضى
 فمتى ترى صور الحياة صحائفًا
 لا إنها أمرٌ تُزاوِلُ صرفه
 أو تغتدي بين الأنام مغامرًا
 فإذا أُسييتَ أُسييتَ طرفه ناظر
 وكذبتَ ما كذَّبَ الأنام ولم تجذُ
 ونسيتَ ما جلب الزمان لأهله
 فتقول للقلب المَرُوعِ إذا نزا
 يا هارِبًا من صولة المقدارِ
 اهربُ إذا ما اسطعت في أزلِ الدُّنى
 أو في المماتِ وما تُلاقِي خلفه
 تعدو ويدركك الذي خَلَّفته
 كلُّ من العيش المَرُوعِ هارب
 بالفنِّ أو بالعلم أو بمجانة
 فإذا القضاء مألهم ونفاذه
 سلَّ صفحة التاريخ كم قوم به
 أقوام أدهارٍ مضتْ بعضُ لها
 قد أبدلوا طبع السَّفالِ بأنفسِ
 صاروا إذا غضبوا وإن سروا وإن
 يتمرغون مجانَّةً فنفسهم
 وصَمُوا الشبابَ ولم يكن من طبعه
 إنَّ الشبابَ مُروءةٌ وسذاجة
 تخذوا السَّفالِ مجنَّهم ليصونهم
 فغدا السَّفالِ سعادة ومسرة
 نبذوا الحياء وكيف ترجو أمة
 قد خيلَ في فقدِ الحياة رجولة

كيدًا يحاك عليهم بسرارِ
 يطفو الذليل بها على الأقدارِ
 بسعادة المجان والفجارِ
 كتناذب بطبائع الأحرارِ
 إلف السجون لطول عهد إسارِ
 فمضت وظلوا رهن عقر الدارِ
 وإذا اللئام فريسة الأدهارِ
 من بعد جهل راقهم وصغارِ

طبع المجانة عم حتى خلته
 أم ورثوه عن الجدود غنيمه
 ويذل من عنت الحياة وضيما
 وتكابدوا كيد العبيد ولم يكن
 واستمرؤوا مرعى الغباوة والخنا
 هزموا الدهور الغازيات بهزلهم
 فإذا الدهور جديدة قهارة
 درجوا على درج الحياة إلى الردى

صديق البلاء

عذره في الرخاء لا في الشقاء
 حسداً لي وكان من أعدائي
 على محنتي وطول بلائي
 كنت في غبطة سطا بالعداء
 وهو يرجو أن لو يخلد دائي
 ويله لو أعد في الأقوياء
 هم حتى يموت بالبرحاء
 دافعاً فزية العدا بالثناء
 ورماني بقذعه والهجاء
 س رياء أبغض به من رياء
 ن أدهى من صولة الأعداء
 نافع لازم قليل العناء
 بره كالإخاء خير غذاء
 عائق في منادح الأرجاء
 بئ حتى يذيع في الأنحاء
 جد أو لبك السنني الذكاء

يغدرُ الناس في الشقاء ولكن
 إن تفدُ نعمة عليّ تلظى
 فإذا الدهرُ مال بي كان بكاً
 المواسي في الحزن حتى إذا ما
 في سقامي حلو الحديث شهّي
 فإذا ما صححتُ عاودُ بُغضي
 لدهاه الأسي وطال عليه الـ
 إن هجاني العدو أحسن قولاً
 فإذا ما مدحتُ هم بقتلي
 يا صديق البلاء عطفك في النح
 إيه يا قلب ما دهك من الخلا
 خلت أن الصديق مثل نسيم
 لا تنال الحياة إن لم تنله
 إن تقدمت لا يعوقك منه
 ويعي ما تقوله ثم لا يلـ
 من مديح تطري به مجدك الأمـ

إن تُردُّه تجذُّه أو لم تردُّه
 ما اختفى في دخيلة منه إلا
 ويك إن النسيم قد يرمد الطر
 وهو مثل الصديق حراً وبرداً
 وله عذره إذا اعتكر الجو
 وعلى غرّة يبلُّك بالمط
 وهو خدن الممات واسطة العد

لم تخف منه زورة الثقلاء
 ما بدا ظافراً به كل رائي
 ف بسافي التراب والأقذاء
 في اختلاف الحالات والأجواء
 وأنحى بالصرصر الهوجاء
 مرة من بعد رونق وصفاء
 وى رسول الوباء والأدواء

عجائب مألوفة

ليس عجيباً أن أحدً بميتة
 وإنني أقضي العمر في جد أمل
 وإن دهوراً بعدنا، ثم بعدها
 وإن على هذا الثرى عاش قبلنا
 ولست ترى من لا يرى أن نفسه
 فلم يجده إغزازه النفس إن دنا
 ويعلم كل الناس هذا ولم يكن
 وأن أرتضي للطرس ما أنا قائل
 وأغضبُ إما سبني فم هالك
 وأرهب صرف الدهر في كل طارق
 وأعلم لا يبقى سرور ولا أسى
 أليس عجيباً أنني اليوم عاجب
 وأن لا أرى الشر الذي لا يمسنى
 وإن كان علم فهو أنني أخاله
 وأنكر ما قد كنت في السعد مادحاً
 أليس عجيباً أن نناط بمعجب
 وإن وجه الكون فكرة ناظر

ورأيي أتى للخلود نظير؟
 وأعلم أنني للفناء أسيّر
 دهور، توالى بعدهن دهور
 شقي بما نسعى له وأسيّر
 لباب لهذا الكون وهو قشور
 رداه فلم ينجذ عليه نصير
 ليردع عن بغي الحياة مغير
 وإن راعني أن الحياة غرور
 وأعلم ما يؤذي الغداة هيرير
 وأعلم أن الدائرات تدور
 وأحل حبور أم أناخ ثبور
 وعل حياة ما حكاه سمير؟
 وأحسب أنني عالم وخبير
 دهاني وإلا فالبعيد يسير
 به الناس إلا أن يعود حبور
 من الرأي والمزجي الفعال شعور؟
 سيفنى، وكنه الكائنات ستير

مضى في بناء مالك وأجيزُ
على الناس قاضٍ حاكمٌ وأميرُ!

وأبغى صلاح الكون والناس مثلما
كأنني خلقت الكائنات وأنني

عند بحر مويس شتاء

على ضفافِ النهر وقت الأصيل
قد عَشَّشْتُ في الدوح دوحًا كفيلاً
وإن نأى الظنَّ وعزَّ الدليلُ
من منظرٍ أو خاطرٍ أو ميولٍ؟
من أخذه الفكر ووهم الذهولُ
أجلتَ قدماً فيه لحظَ المجيلُ
إذ سكن الجوُّ سكون الكهولُ
فَسَكَّنتَ من شجوها والعويلُ
كصمته الشيخ الوقور الجليلُ
وركدتَ ما إن بها من مسيلُ
لو أن للؤلؤ سَيْلاً يسيلُ
في الأفق تبدو مثل ظلِّ ظليلُ
أو كمنثار النقع أو كالطلولُ
كأنه قرَّ مَمات يصولُ
تخرج من ثغر لجسمٍ محيلُ
من عشاها منتشراً كالفلولُ
وتربها الجَهْمُ كدجنٍ سديلُ
في صيفها، واللون غير القليلُ
زاهية الأصباغ شَتَى الذُيولُ
وهو كعقب العرس حَمَّ البديلُ
وفي الشتاء الحُسْنُ جَمُّ الفصولُ
لكنه زاد جلال الجميلُ
كرهبة البرق وعادي السُيولُ

كَمْ حَسَّعَ العابرُ من قبلنا
أو في مساءٍ إذ تُرى ظلمةٌ
وربما كنَّا الألى قد مضوا
وما الذي ينأى بنا عنهمُ
كم منظرٍ تحسَّبُ إمَّا بدا
أنك - والقلبُ خبيرٌ به -
الدوحُ كالمفكر في هدأة
أو ثاكلات طال ثكلٌ بها
أو صممت من طول ما عمَّرت
والنهر كالزئبق في لمعةٍ
عهدهُ في صيفه لؤلؤاً
والسحبُ كالأشجار قد عرَّشَتْ
أو قطع من حُلْم غامضٍ
والجو قد روع من قرَّه
أنفاس ثغر الموت في قرَّه
والأرض غبراء سوى ما بدا
كأنما الدجن غدا تُربها
تشابهت في اللون عهدي بها
عهدي بها كالخود في غرسها
خيلٌ حداداً إذ دَجَا لونها
خلاعة للصَّيفِ خلافة
تباينَ الحُسنان في روقه
كم متعةٍ جاءت بها رهبةٌ

قرب الموتى

قومي أسألي عن أليفِ الهمِّ والسهرِ
لو كانَ للميتِ من شوقٍ ومن ذكرِ
كالطَّيرِ تهبطُ فوقِ الوكْرِ في الشجرِ
ورحلة العيش تحكي رحلة السفرِ
وتشعر النفس طهراً ليس في السَّيرِ
يا شرّاً ما خَلَفَ الأحبابِ من نفرِ
إذا عداك الرَّدَى عن مهبطِ البشرِ
لا بل غرارِ فؤادٍ غيرِ ذي نُكرِ
وقُدسِ طهْرٍ كصونِ المرءِ للذُّخرِ
على الدُّنَى وهي من صَيْرٍ ومن أشرِ
مكانة بين هذا الورْدِ والصَّدرِ
ما خَلَفُونَا وَإِنْ غابوا عن النظرِ
مناً وفي القلبِ والأشجانِ والفكرِ
إلا إلى النفسِ حرزاً ريم من غيرِ
بالنفسِ إن لم يكن بالعينِ والأثرِ
أشدُّ من وحشةٍ في السمعِ والبصرِ
وإنْ غَدُوا كحديثِ الركبِ والسَّمْرِ
يكادُ يُلْمَسُ لولا رادِعِ الحذرِ
أن لا مسافة بين المهدِ والحُفرِ

يا رُوحِ إلفِ أليفِ الموتِ والحُفرِ
أو فابعثي هاتفاً بالليلِ يُؤنسنِي
وَحَلَّقِي فوقِ قومِ كنتِ زينتهمِ
فإنَّ نورِ النجمِ يرشدنا
أو كالملائكِ تهدي وهي خافية
عجْزٌ عن الشرِّ لم أبصره في نفرِ
غرارةٍ ربما لو عشت ما بقيتِ
هل تلك طبعُ الصبا تودي الحياة به
فصانك الله في أمنٍ وفي كنفِ
كأنما أنتِ ذُخْرٌ لا يجود به
ما أقربَ الميتِ من حيٍّ وإنْ بعدتِ
إن الألى خَلَفُونَا بعدهم ومضوا
هم في الأمانِي والأوراحِ والذُّكرِ
فكيف تجزَعُ من فقدٍ وما انتقلوا
يا قربَ دارهمُ من واصلٍ لهمُ
ووحشة النفس من حيٍّ يُغايروها
من حاضرينَ وإن ماتوا وإن بعدوا
وربَّ نكرى تعيد الميتِ في شبحِ
ماضٍ من الدهرِ والأقوامِ يُخبرنا

نحن والزمن

مقدمة

الزمن كما يفهمه الإنسان فكرةً من أفكاره، ونسبة ومقياس من صنعه، فهو يقيسه بإحساسه بأمور نفسه، وبالمرئيات والمحسوسات وما يعتريها من تحوُّل، وفكرة الزمن هذه أمر نسبي، شأنها شأن الإحساس بالحرارة

والبرودة، أو بالأبعاد والحجوم والألوان والأشكال، ومن المستطاع أن يتصوّر العقل مخلوقاً آخر غير الإنسان يختلف في حواسه، فتختلف كل هذه الأمور في نظره عنها في نظر الإنسان، وهي أيضاً قد تختلف في حواسه، فتختلف في حواسه، فتختلف كل هذه الأمور في نظره عنها في نظر الإنسان، وهي أيضاً قد تختلف في نظر الإنسان في حالاته المختلفة من شقاء أو سعادة، أو مرض أو صحة، والعجيب أن الإنسان في خياله ينسب إلى الدهر مثل هرمه لقدمه، فيصوّره كأنه شيخ مُفَنِّ في يده منجل، يحصد به الناس والخليقة، جيلاً بعد جيل، والدهر خليق أن يُمَثَّل بفتى في ريعان الشباب!

فالإنسان يهرم، والدول تشيخ وتفنى، والأجيال تنقرض، والدهر هو الدهر. ومن أجل ذلك تصوّر بعض المفكرين الدهر كأنه زمن حاضر لا ماضي فيه ولا مستقبل، وأما الماضي والمستقبل ففي الناس، والحقيقة أن هذه الفكرة في كنه الزمن لا تختلف عن الأولى ما دام الزمن نسبة يقيسها الإنسان بإحساسه.

وإذا كان الزمن كذلك فمعاداة الناس للزمن معاداة لأنفسهم، ونسبتهم الحيف والظلم إليه هي نسبة الظلم إلى أنفسهم!

الناظم

ينشد البحر خريز الحقب	أم حُفُوقُ القلب نَبْضُ الزمنِ
أم ترى الأفلاك في دوراتها	رَتَلْتُ مِنْهُ خَفِيَّ اللَّحْنِ؟
فرش الناس له منهم وجوهاً	خَدَدَ الدهرُ بها ما خَدَدَا
أثر في سيره من قدم	جَعَدْتُ ما كان بَصًّا أمرداً
زعم الناس إذا أمضاهم الـ	دَهرُ أن أمضوا من الدهر سنينُ
يستطيع البذل من يقوى على	خَزَنه، هيهاتَ ذا من هالكينُ
كم ملوك ودَّهم لو تُشْتَرَى	منهُ عند الموت بالذخِرِ التليدُ
سنة أو ساعة أو طرفة	فإذا الدهر قضاءً لا يحيدُ
إيه يا دهرُ لقد شاطرك الـ	حُكْمَ في الناس قضاءً لا يحولُ
أزده يا دهرُ واعقد غيره	إنما القرنُ على القرنِ وصولُ

كم شقيًّا أبطأ الموتُ له
 سلَّم الدهر عليه مثقلًا
 وسعيد يجتني من عيشه
 فسواء مُتَعَسَّ أو مُسَعَّدُ
 نحن نبغي من زمان فُسْحَةً
 لو يعود الدهرُ مردود الخَطَى
 وصفوا الدهرَ بشيخٍ حاصدٍ
 وهُمُوا في شيب دهر يافع
 يسرق الدهر بهاءً رائعًا
 فهو كالرَّسَامِ يمحو صورةً
 وتَرَى الدهر مُغِيرًا آسِيًا
 والذي في القوم بالرزء يصول
 ولَعَلَّ المُضْمَرَ المخبوءَ من
 مصرعُ الدهر مَمَاتٌ للدُّنَى
 موته موتٌ لمن قد قاسه
 عجبًا نحن خلقناه فما

ودَّه أن لو يكون الأسرعَا
 ثم ما أبطأ حتى هُرَعَا
 زهرًا يزجو لو الدهر تَأَنَّى
 أين من يَحْمَدَ خَطَوَ الدهر أَيْنَا؟
 هل ربحنا من زمان قد قضى؟
 لفعلنا فَعَلْنَا فيما مضى
 أَشَيْبَ في يده كالمنجلِ
 ذي فتاءٍ خالد لم يَنْصَلِ
 ويُعير النَّوْيَ حُسْنًا أروغَا
 ثم يستنْبِطُ رسْمًا أبدعَا
 يده تأسو وأخرى تَجْرَحُ
 يمنح السلوان فيما يمنحُ
 مصرع الدهر يُرى بالأَعْيُنِ
 كيف يَبْغِيهِ الوري بالإِحْنِ؟
 باتصال الفكر أو خَفَقَ القلوبُ
 نسبةُ الظلم إليه والعيوبُ

أقوام بادوا

مفتاح القصيدة

جعلوا لَطِيع اللُّؤْمِ كل قداسة وتحرَّزُوا من سنة المختار

المختار هو النبي ﷺ، وكل من نَبَذَ الله ورسوله، لا بد أن يصير إلى ما هو موصوف في هذه القصيدة من الصفات؛ ونعني بالنبذ نَبَذَ القلب وإن لم ينبذ اللسان، ولا نعني أحدًا بالذات، وإنما هي صفات يعرف كل متصف منها أنها شائعة حيث الاضمحلال والبوار.

الناظم

من بهرجٍ في مطلب غرارٍ
 من خلفه لحقائق الأفكارِ
 وأعزَّ محمدةً ليومِ فخارِ
 فينمُّ فاضحِ خافي الأوزارِ
 لنفوسهم من خزية أو عارِ
 مثل النساءِ تغارِ كل مغارِ
 متكئراً بدناءة الأناصرِ
 لم تُعِفِ ناساً من هوى الأصرارِ
 جعلَ النفاق عصابة الأَبصارِ
 ضرراً له لا الكره للأشرارِ
 والصدق عبد مزدري متواري
 أو فعله من ضيعةٍ وضرارِ
 فيصون كلُّ عجزه لفخارِ
 متخلفٌ بالغشِّ في المضمارِ
 تَضْلِيلُ فهو مؤلف الدُّعارِ
 إلا به حظٌّ من الإكثارِ
 من عقلهم في بؤرة الأوضارِ
 أخفت نفيس الدرِّ في الأغوارِ
 إيثارَ بئس مزيف الإيثارِ
 للوِّم لا فضلاً وحسن جوارِ
 في حجبهِ من مكسبٍ ونضارِ
 وضئولةٍ تحدو لسفل قرارِ
 حتى لدى العظماءِ والأخبارِ
 سكر العقار لهم بغير عقارِ
 وعلى الحجا والسمع والأبصارِ
 كتخلف الأرجاس في الأنهارِ
 يمضي ويترك باقي الآثارِ

تركوا اللُّبابَ وشاقهم ما شأنهم
 عاشوا عبيد كلامهم لم يدلّفوا
 جعلوا حطام اللوِّم أعلى مكسباً
 يخفون أوزار النفوس بمنطق
 حسبوا اغتياّب الغائبين مطهراً
 كلُّ يغار من الإجادة جُهدُه
 يحكي عظيمهم الحقيِرَ سفالة
 يخشى البريء قضاءهم من خطّة
 العدل فيهم أجر كل مملّق
 كلُّ يعاقب من يريد أليفه
 الكذب عجز فيهم وخساسةُ
 ندم المجيد على إجادة قوله
 الضيمُّ ما يجزى اللئامُ مُجوداً
 سبق بمضمار الحياة يحوزه
 وتفرقوا إلا لدى التهويش والـ
 وتخالهم حشرات روّث ما لهم
 وكأنَّ كلَّ إجادة قد دهورت
 فكأنما أذهانهم بألوعةُ
 كلُّ يلوذ باثرةٍ ويخالها الـ
 ففعاله ومقاله وسكوته
 دأبوا على إفخاء حقٍّ، ما لهم
 لوِّمٌ لعمرك لا مدى لصياله
 الطيش أغلب للتأمل فيهم
 سبق اللسان حصاتهم فكأنما
 رانت على مُهجاتهم وقلوبهم
 شيمٌ تورّث حقبّةً عن حقبّة
 أو ما دهى أوصالَ جسم من ضنى

وتحرّزوا من سنة المختار
يا أيّن مُعوّز رشده لصغار
خُلِقَ الكِبَارِ يضيء مثل منار
عدوى الوباءِ تسير كل مسار
يطلون موضع عُرهم بالقار
نتجت نتاج الدود في الأقدار
في أنفُس الأعوان والأنصار
متحلّياً بفضائل الأطهار
أخفوا دعارة أنفُس بوقار
يسعى إلى الأرباح سعي تجار
مالاً بدعوة مصلح ثرثار
فتشَبَّثوا بزوائف الأفكار
من طبع لؤم سائق لبوار
فغدوا كبار الفخر غير كبار
يؤذي لغير القوت وحش ضاري
في صون عيش أو لدفع ضرار
كيداً بلا كسب ولا أوطار
فأخو السفاهة منه كأس عاري
والرأي للأنشاب والأغمار
في فهمهم، فقضوا بغير تماري
كيف الصلاح لأمرِ هاو هاري؟
نبذ الذبالة في الظلام الساري
عادت كعود مزيف الدينار
وجسومهم كمزابيل الأوزار
عَضُّ من البرغوث في الأقدار

جعلوا لطبع اللؤم كلّ قداسة
هات المرَبِّي للكبار ولا تقل
هيات يَصْلُحُ نشء قوم لم يجذ
عدوى الضئولة والخساسة فيهم
قومٌ إذا ابتدروا السباب رأيتهم
متعاضمين على نجاسة أنفُس
ستر الخسيسُ خساسةً بخساسة
متعظماً يبدو كريماً سامياً
وترى الوقار ولا وقار وإنما
ودعوا إلى الإصلاح دعوةً مائتق
هم يبتغون الجاه إن لم يبتغوا
لم تدرِ وَحَيِّ المصلحين حصائهم
صارتُ وسائل عيشهم ما غاله
فَقَدَّ الحياءُ صغارهم من ضيعة
صنعوا الأذى من غير ما سبب ولا
ضلّتْ غرائز شرهم عن أصلها
فغدت دناءة أنفُس وخساسة
وحديثهم كالحك يهتك عُرهم
العدل ما وهب السمير سميره
جَرُّوتُ صعاليك على ما لم يكن
فوضى لعمرك لا صلاح لشأنها
عادوا الذكاء خساسة فكانما
إلا الدعاوى الباطلات فإنها
يتمرغون مجانةً، فنفسهم
كتمرغ المفلوك دغدغ جلدُه

العداء والفناء

عفا الجاني وقد بلغ التشفّي وبعض العفو من فرح الشّماتِ

لِلناظِم

قد يُعزِّيك شامت يتشَفَّى باجتلاء الآلام لا بالعزاءِ

لِلناظِم

مقدمة

إن العفو لا يكون من المظلوم المجني عليه وحده، بل قد يكون أيضًا من الجاني الظالم إذا أقنع نفسه أنه المظلوم، أو إذا أقنع الناس كي ينال عطفهم ومساعدتهم له في ظلمه وشره. وكثيرًا ما يساعد الناس الشرير في شرّه، اعتقادًا منهم أنه هو المظلوم. أو لأن مساعدته في الشر ضد المظلوم فرصة لإراحة ميل كثير من الناس لالتذاذ القسوة؛ كما هي الحال في مرض «السادزم» عند إطلاق هذا المصطلح عليه في المعنى الأعم. وهذا النوع من العفو الذي يوجد به الظالم إنما هو من فرح الشّماتة، وهذا الشعور يشبه شعور الشامت الذي يعزي المصاب، ويخفي فرح الشامت ويظهر الأسف. وهو إنما يعزي كي يرى آلام المصاب أثناء التعزية. وهذه القصيدة تصف النفس الإنسانية بين عواطف الخير والشر. وقد تجتمع الأضداد منها في نفس واحدة من غفران وشمات، ومن حقد الحياة وصفح الممات، كما تصف عبث شقاء الحروب بين الأمم التي يتحالف بعدها الخصوم ويتعادى الأصدقاء.

لِلناظِم

إذا ما دنا الموتُ من هالكٍ وأيَقن ألا يطول البقاءُ
وقد زال ما كان منْ نشوةٍ ومن شرّةٍ نال عنها العزاءُ

ولاح له عيشه مائلاً
 وأفهم ما كان من حرصه
 يُرى أسفاً أن عداً أو جنى
 وليس يُرى أسفاً لاغتفار
 فليس على صفحه أسفاً
 أيأسف أن ضاع ثأرٌ سُدى
 عدوانٍ عاشا على إحنةٍ
 أباحا النفاق وكيد اللئام
 إذا ما دنا الموت من واحد
 أيفرح مثل الجبان استراح
 أيظعنه طعن نذل خصيماً
 ومرأى الحِمام كمرأى السقام
 هو الموت يَشْفِي قلوب العدا
 وقد يُطلب الصلح من فرحة
 وكم من عداٍ غدا ألفةً
 كم احتربتُ أمم ثم عادت
 ألم تسمع الأرض نوحَ الجريح
 أما اختلطت بالصيد الدماء
 وكم عنق لقتيلٍ، به
 عراضٌ يحاول خلد الضغائـ
 فيا عبثاً لجهود الأنام
 ويصبح من كان خصماً لدوداً

وقد بزَّ عما جناه الرياءُ
 وأبصرَ ما قد طواه الخفاءُ
 وإن كان منه الأذى والعداءُ
 دعاه قديماً فلبى الدعاءُ
 ولكن على النئيلِ ممَّن أساءُ
 ومُتَّعَ خصمٌ له بالبقاء؟
 وباعا السماحة بيوع الإمامِ
 لنئيلِ الحطامِ وكسبِ الهباءِ
 أيشمت خصمٌ له بالفناء؟
 وبُشِّرَ بالأمن بعد العداء؟
 صريع التراب مُراق الدماء؟
 يذل العُتْلُ ويُخزي الجفاءُ
 ويختم بالصلح حربُ البقاءِ
 تعير الشماتة ثوب السخاءِ
 فيا عبثاً إذ تراق الدماءُ
 كأن لم تذُق في الحروب الشقاءُ
 يُودَّع حتى جنون الرجاء؟
 أما أفعم الموت نتنَ الهواء؟
 عراضٌ عدوٌّ صريع العداءِ
 من في جسد خَلَقه للفناءِ
 سيمضي الرخاءُ ويمضي العناءُ
 عزيزاً ويُبغضُ الفُ المساءُ

مرأى الجمال وذكرى الجلال

مقدمة

لمناظر الطبيعة الرائعة الجليلة لذة في النفوس مثل مناظر الجبال الشاهقة، والهاويات العميقة، والأعاصير وأثرها، والبحار وأمواجها، وهي تبعث اللذة في النفس حتى في مخاوفها إذا لم تتمك مخاوف مناظرها النفس بالذعر والرعب، وقد ينقلب الحنين المقهور في النفس إلى الجمال فيصير ولوغماً بمناظر الجلال والروعة، كما أن مناظر الجلال والروعة قد تشد الحنين إلى الجمال وتذكّر المرء به، وقد تطغى كل من العاطفتين على الأخرى، ولهما أيضاً صلات أخرى غير ما ذكرنا. ومن مسرات التفكير والفنون أن يتتبع الإنسان صلات العاطفتين في نفسه. وهذه القصيدة من قبيل هذا التتبع.

الناظم

وفي مجرى السفين الجاريات
وموج اليم نبض النابضات
وروع للنفوس الواعيات
كما حن المريض إلى الحياة
وأفنان الرياض على الأضائة
كما غلب الرقاد على التفات
وتسخر من هيام بالشيئات
وأن العيش صنو للمات
وذاك الذكر خير الذكريات
ويسلي النفس عن ماضٍ وآت
وعن سحر العيون الساحرات
كذكري للسنين المقبلات
وآثار العصور الغابرات
على عبث الصروف المهلكات

نكرتك في البحار الزاخرات
كأن البحر حيّ نو جنان
وفي ذلك الجلال بلاغ راء
ولكنني نكرتك يا حبيبي
كما حن الهزار إلى ربيع
وكم غلب الجمال على جلال
نكرتك والقبور ترد طرفي
وتخبرني بأن الحب فان
ولكنني نكرتك يا حبيبي
نكرتك والسقام يبدي لبني
ويلهي النفس عن حبٍ وشعرٍ
ولكنني نكرتك يا حبيبي
نكرتك في الطلول الدارسات
أرى الأهرام كالأعلام تزهو

لهم بالمصبيات الفانيات
لينسى المرء ذكراً المصبيات
كذكري للأمر الخالدات

فأبصر من مضوا وأرى اعتزازاً
فيضول عيش هذا الناس حتى
ولكني ذكرتك يا حبيبي

حواء الخالدة (من شعر الصبا)

وهي لولا ما جنت منك ظنون
بجناها من قطوف القاطفين
نحتت أو صورة، منك تكون
من حسان جمعت سحر الفتون
تحفة فاتنة للناظرين
وخبرت الحب حيناً بعد حين
وفهمت الناس في ضيق ولين
كنت في البؤس عزاء البائسين
وأساه موجع القلب حزين
لك ما تضر في ماضي السنين
وعرفت النفس والسر الكمين
وبلوت الخلق في مر القرون
أي سر للورى لا تعرفين؟
يندب الفردوس كل العالمين
يفقد الخلق جنان الخالدين
ناعماً بالجهل في خفيض ولين
في ثمار العيش والسر المصون
أكذا الغبن، فيا نعم الغبيين
نفسه من حسنك الغض شئون
وثقي في الله خير الغافرين
كي يلذ الناس سعد الهالكين

أنت يا من ألفت بين الفنون
دوحة الفن التي تحبو الورى
كل لحن أو قريض أو دمي
كل من قد خلبت لب الرصين
كنتها للناس حالاً بعد حال
فلبست الحسن شكلاً بعد شكل
ورأيت الكون في ضحوته
كنت أمًا، كنت أختًا، كنت زوجًا،
فعلى صدرك يبكي همه
كم نفوس وقلوب بسطت
فعرفت القلب ما ينشده
وقرأت الروح دهرًا بعد دهر
أي قلب مغلق لم تفتحي
كنت حواء التي من أجلها
وقليل لك يا حواء أن
أدم كان بجهل قانعاً
ليس يستطلع أمراً غامضاً
بك شام الكون غصاً زاهياً
جذوة الفطنة في اللب وفي
كفري في النسل عن إثم مضى
لم يكن إثمك إلا قدراً

قد أحسَّ الهمَّ في القلب الحزينُ
خُرِبَتْ طرِوادةُ ذاتِ الحصونِ
يهلك الأبطال في الحرب الزبونُ
عنقُ كسرى وهو ذو المُلْكِ المكينِ
خَفَقَ القلبُ كطير في وُكُونِ
جَمَرٍ تُذَكِّي لِفَطْهُ للسامعينِ
باقْتِرانِ الحُسْنِ والفهمِ الفطِينِ
باعثاتِ الوجدِ والشعرِ المبينِ
لك سحرِ الضوءِ والليلِ الدجينِ!
مُكِّ بين الناسِ في الآتي الشطونُ؟

لا يحسُّ السَّعدَ إلا هالكُ
كنتِ هيلينَ التي من أجلها
وقليل لك يا هيلين أن
كنتِ شيرينَ التي قد نَلَلْتُ
كنتِ تاييس إذا ما خطرَتْ
كنتِ سيفو إذ رمت بالشعرِ كالأـ
كنتِ إسبزيّا التي قد فتنتِ
كنتِ ليلي، كنتِ بثناً، كنتِ عزّاً،
كنتِ ما كنتِ ولكن أنتِ أنتِ
وغداً كيف تكونين وما اسـ

جنون الأقوياء

واستطالوا بجِنَّةِ الأقوياءِ
مُنكَرًا في شريعةِ الأتقياءِ
نَ وطورًا في جهرةِ العظماءِ
من صيالٍ وقسوةِ وبلاءِ
سِ وأقسى لصوله في الخفاءِ
استزادوه بالأذى والدهاءِ
كي يهيجوا تشاحنَ الأتقياءِ
زاده خَسَّةً على الأذنياءِ
د وإن أحرزت صفاتِ العلاءِ
لاعج الحق بالأذى والعداءِ
سماحًا بشرهم كالجزاءِ؟
جزاءِ كخونهم والرياءِ
من تحامي الإجحاف في الإيذاءِ
وتقاةً لله أو للقضاءِ

ملكوا الأرض واستباحوا حِمَاهَا
وسعوا ينشرون في الأرض سرًّا
تارةً في الخفاءِ بالمكرِ يَعدُّو
أهُونَ الوِزْرَ ما أتوه جهارًا
والذي في الخفاءِ أقتلُ للنفِ
إن رأوا نقصَ أنفُسِ في خصومِ
أفسدوا أمرهم وفسدوا دُعَاةً
واستمالوا سَمْعَ اللئيمِ بلوِّمِ
كصيالِ الشعوبِ بالمكرِ والكَيْدِ
حَلَّلُوا للوشاةِ أن تشتفي من
خدعتهم أرسادهم أم رأوا أن
مَكَّنوهم مما أرادوا من الشَّرِّ
ذاك أن العدوَّ أرخصُ شأنًا
قَرَّظوا العلمَ والحضارةَ جهراً

ءوا وشاءت جوامح الأهواء
 لة فيه ولا عديم الحياء
 س سوى ما رجوا من الآلاء
 س كنمّل سواؤهم كسواء
 واستطالوا بلؤم ذاك الذكاء
 مُثْلِجًا نار إحنة الأحشاء
 إنه من ضرورة الأشياء
 في حروب ونزوة وعداء
 ب وفي كل قسوة واعتداء
 ع له من تزلف الضعفاء
 فطغى واستباح سفك الدماء
 ء وإن كان من أذى الأندياء
 ف وإن كان سيرة الأبرياء
 حُكْم يطغى بنصرة اللؤماء
 طان أو سادر من الدهماء
 شاهت وجوهم من رياء!
 وتباهوا بحسن ذاك الطلاء
 واستباحوا في الناس سفك الدماء
 قوة حُسن يقسو بغير نكاء
 شَر والخير غير ذات انتهاء؟
 فُس أم نزوة من الحمقاء
 نسجوها في البُرْدَة السَّيرَاء
 كنحل يَشْتار أَرِي الشقاء
 ر وساغ الأنام لؤم البقاء
 حافلًا بالنعيم والآلاء
 ش شريفًا بصنعة الكيمياء

ثم ساسوا بالختل في السرِّ ما شا
 لا رقيبٌ على الخفاء ولا الصو
 عَدِمُوهُ للكفر بالله والنا
 عَلَّمَ العَلْمُ صائلاً إنما النا
 زعموا زَعَمَهُمْ وَسَمَّوهُ عِلْمًا
 وأباحوا لحقد كل ولي
 ثم قالوا وَسَطَّرُوا في ضمير
 قس على ما بدا من الشرِّ جهراً
 ما أَجْنُوهُ وهو أبلغ في الكذ
 وقديماً جُنَّ القويُّ بما طا
 وضعوه في منزل الله كُفْرًا
 ورأى الخير والفضيلة ما شا
 ورأى الشر والكبائر ما عا
 وكذا المرء وهو ليس وليّ الـ
 وسواءُ شعبٍ وفرد وذو السُلـ
 صنعوا الشرَّ حُسْبَةً ولوْجَهُ الله
 أو لحقد قد مَوْهُوهُ بخير
 أو برأي الأحرار صاغوا قيوداً
 وجنون القويِّ أقبح من قسـ
 إيه لغز الحياة هل دورة للـ
 لعبة ما أراه أم خبل الأند
 إْحَنُ في الحياة مثل خطوط
 فعدت نهزة الفنون، هو الفن
 هل لسحر الفنون أن دَلَفَ الدَّهـ
 سحرها يترك اليبابَ عماراً
 ويُحيل الخسيس من معدن العيـ

خطرات في الحياة والموت (عند رؤية جمجمة)

ومهبط سر الله بين السرائر
علالاته نشوى النهى والبصائر
طوى ما طوى من فطنة وخواطر
إذا خطَّ لفظ في بطون الدفاتر
تهاويلٌ سحر أو سمادير ناظر
إذا استجمعتهم بين ماشٍ وحاضر
وميض الثنايا أو بكاء المحاجر
ستخلد في جسمٍ إلى الموت صائر
لهيب جحيم خالدٍ في السرائر؟
زعيم بتخليد الوجوه النواضر؟
على جبهة الأيام من وشم قادر؟
مضت حيث لا تمضي خواطر شاعر؟
كما تبعث الأشباح نفثة ساحر؟
وداسته خيلٌ تحتها بالحوافر؟
بها اسطعت تصريف الصروف الدوائر
وأحكَمَ زهر النفس جرَّ الجرائر؟
لديك وإن لم تحتقب خيرَ غادر
من الموت لم يهبط عليه بكاسر
بذكرى الردى يرجو علالة صابر
فمن ظافرٍ يهوى الحياة وخاسر
بحسن حياةٍ أو بنجوى المقابر
ستطوي هموم العيش طيِّ الدساكر
فيعدو على البؤسى بذكرى الغواير
من الراحة الكبرى أجلَّ البشائر

رحيقك يا كأس النهى والمشاعر
أكأس الحجا أين الرحيقُ ترشفت
أجرعه ثغر من الموت ظامئ
حوثها عوادي الدهر إلا أقلها
بدا الناس جيلًا بعد جيلٍ كأنهم
وما تدرك الألباب منهم عديدهم
كأن لم يُلح منهم إذا الموتُ غالهم
ولم يعرفوا الآلام تُحسبُ أنها
فأين مضت أحقاد قوم كأنها
وأين ولوعُ بالجمال كأنه
وأين فعالٌ يحسب الناس أنها
وأين جيوش دكت الأرض خيلها
وأين الغزاة الفاتحون وقد بدوا
فهل أنت ممن قد جنته سيوفهم
أم ازدان تاجٍ قد لبست بحكمة
وهل أنت ممن دبَّ الشرُّ لبُّه
أم الخيرُ ما حنت إليه نوازعُ
لقد كنت وكر اللب لو أن عاديًا
بك ارتاع مسعودٌ إذا ارتاح يائس
قد اختلف الأقسام في العيش والردى
هنيئًا لكل ما يرى من علالة
وما عللت نفس الفتى بمنيّة
سوى رغبة في العيش يرهب صرفه
بذكرى الحتوف الجاليات على الورى

يوم مطير

مباللة أرجاؤه ومناكبُهُ
 وعاد رماًداً حسنُهُ وعجائبُهُ
 فللدجنِ سحر يحزن النفس خالبُهُ
 ولكنه قد يسحر القلب كاربُهُ
 تعاقِرُهُ في نشوةٍ وتقاربُهُ
 لكسبِ رهانٍ أحرزَ السبقَ كاسبُهُ
 تنزّي الدُّبى إن أهرقَ الغيثُ ساكبُهُ
 تجوس إذا ما الغيثُ جاست سواربُهُ
 من الذعر، شرُّ الذعر ما عاج صاحبُهُ
 ويُدفع في وجه المشرّدِ حاصبُهُ
 أم الغيثُ من لهوٍ تراه يداعبُهُ؟
 إذا حيوانٌ هابه فهو ضاربُهُ
 رموه ببأسِ اللؤمِ والخوفِ شائبُهُ
 مناقبه تُجلى به ومثالبُهُ
 من الودقِ طُهرٌ يغسل الجو صائبُهُ
 لها الرعدُ صوت يذهل اللبَّ راعبُهُ
 وإن لجَّ لاحت للعيون خرائبُهُ
 مسالكة مزمومة وعواقبُهُ
 طنين فراشٍ مرّ باللوح حاصبُهُ
 خريزٌ كما يستحلبُ الدرَّ حالبُهُ
 كأنَّ غريباً يتقي منه هائبُهُ
 يداعب صنوُ صنوهُ ويلاعبُهُ
 كأنَّ طلاءً فوقه لجَّ خاضبُهُ
 فتحسبه قد نظّم الدرَّ ثاقبُهُ

نهار تدانى الدّجنُ في علوٍ أفقهِ
 خبت شمسهُ كالجمر يخبو لهيبُهُ
 دجا مثل وجه الهمِّ إلا جلاله
 ثقيل على القلب البهيج عبوسُهُ
 كما كان بعض الحزن للنفس شائقاً
 ترى قطراتِ الغيث كالخيل أُطلقتُ
 وتحسبها كالطير تهفو تنزياً
 كأن الصّلالَ الزاحفاتِ على الثرى
 كما عاج حيرانٌ يميناً ويسرةً
 على الأرض والجدران والودح قَطْرُهُ
 أيسطو عليه الغيث يغسل نحسه
 كلهوٍ غلامٍ ملّك القسوّ قلبُهُ
 سجية كل الناس من هاب شرهم
 ويعزو خيال المرء للكون رُوْحَهُ
 إذا رنق التربُّ الهواء انبرى له
 ترى البرق فيه مُصلتاً سيف نقمة
 إذا خف كان الغيث لهواً ونعمةً
 ويطغى على الوادي بجيشٍ عزممٍ
 يخفُّ على لوح الزجاج فصوته
 وطوراً يلحُّ الودقُ منه فصوته
 ويرنو إليه المرء من ثقب بيته
 وطوراً ترى الغلمان تلقط طلَّهُ
 ترى كلَّ لُونٍ بعده قد زها به
 يُعلّق قُرطاً في ذرى الدوح قَطْرُهُ

السكون بعد النغم

أَفَحَمَ الشَّجْوُ مَقُولَ النِّغْمِ الْعَدُّ
مِثْلَمَا تَفْحَمُ الشَّجُونَ خَطِيبًا
كَسَكُوتِ الْعِشَاقِ فِي نَشْوَةِ الْـ
أَوْ سَكُوتِ اللَّهَيْفِ فَوْجِيَّ بِالْبُشْـ
أَوْ سَكُوتِ الشَّبَابِ فِي حُلْمِ الْـ
أَوْ سَكُوتِ الْخُشُوعِ فِي صَلَوَاتِ الْـ
أَوْ سَكُوتِ الْأُمِّ الرَّعُومِ حِنَانًا
حَلَمْتُ حَلْمَهَا بِمَا سَوْفَ يَسْعَى
مِنْ ثَمَارِ الْحَيَاةِ تَخْتَارُ أَحْلَا

ب فأمسى هذا السكونَ المهيبًا
صار في صمته قنولًا خطيبًا
حبّ تناجي فيه القلوبُ القلوبًا
رى ويخشى من حسنها أن تخيبًا
مال من قبل أن تُعاني المشيبًا
قلب صار البعيد منه قريبًا
وابنها نائم حَمَتُهُ الخطوبًا
في مساعيه جيئَةً وذهوبًا
ها له نعمة وسعدًا وطيبًا

* * *

نَغْمٌ خَلَفَتْ بَوَارًا لِلْحَنِ
وَكأَنَّ لَمْ تَزَلْ بِمَسْمَعِ مَسْحُو
فَهُوَ يُصْغِي لِعُودَةِ الصَّوْتِ مِنْهَا
سَحَرَ الْقَلْبَ شَدُوها أَمْ سَكُونُ
عَجِبَ يَسْحَرُ السَّكُوتِ أَمْ اللَّحْـ
وَكأَنَّ الْأَصْدَاءَ مِنْ بَعْدِهَا فِي الْـ
هَامَسَاتِ فِي النَّفْسِ هَمْسٌ مُسِرٌّ
فِي سَكُونِ كَأَنَّهَا هَدَا الْكُـ
هَدَاةَ الْكُونِ فِي الْمَسَاءِ وَقَدْ يَخُ
فَكَأَنَّ الْحَيَاةَ عَادَتْ سَكُونًا
تَحَسِبُ الدَّهْرَ سَاعَةً دَقَّهَا قَدْ
سَاعَةً تُوهِمُ الْوَرَى أَنْ هَذَا الْـ
تَحَسِبُ الدَّهْرَ مَسْقُطَ الْمَاءِ غَالِ الْـ
فَدُوِّيُّ بِالذِّكْرِ فِي النَّفْسِ مِنْهُ

دقّ عن أن تصيب سمعًا طروبًا
ر من اللحن أمل أن تنوبًا
وهي في نفسه تدب دبيبًا
خلفته فكان سحرًا حبيبًا
ن يناجي في ذا السكون الغيوبًا
نفس تشدو وتستثير الوجيبًا
بائح بالهوى ويخشى الرقيبًا
ن خشوعًا لها وسحرًا عجيبًا
شع راء والشمس تحدي غروبًا
كسكون الردى رهيبًا مهيبًا
منع الصمت صوته أن يجوبًا
كون قلب ما إن يحس وجيبًا
ماء فيه جموده أن يصوبًا
وسكوت في الأذن يسبي القلوبًا

قيد الماضي

وأكثر ما نلنا الهواجس في النَّفسِ
ومن واضحٍ كالخطِّ في صفحة الطرسِ
ومن ضغنٍ مهمومٍ من الفكر والحدسِ
ظلامَةٌ مغلوبٌ على الغدِ والأمسِ
لذاذةٌ صنع الشرُّ في الجهر والهمسِ
يدافع عنه المرء بالسيف والفلسِ
ويسعى له الأضداد ندبًا إلى نكسِ

أخذنا عن الماضي قليلاً من النهى
فمن غامض لا يدرك الفهمُ فهمه
فمن قسو ذي خوف من الموت والأذى
ومن حقد ذي حقد يرى العيش كله
ومن كيد لاهٍ أشرب العيش قلبه
ونلنا، وما زال الذي كان كائنًا
يدافع عنه المرء بالحق والهوى

* * *

بأن يخذل الإصلاح ضغن ذوي النحسِ
فتدعو ذوي الآمال فيهم إلى اليأسِ

ويغرى به حتى الذين شقاؤهم
حقوق قلوب لا يداوى فسادها

* * *

إلى أن تُفريق النَّفس من إثرة النفسِ
وطينتهم معجونة الدم بالرجسِ؟
وأزرت بفعل السيف والروح والترسِ
وكلُّ يرجي نفع أحداثها الحُمسِ
سجية لؤم هل تزول من الجنسِ
تغيّر فيهم مآتم العيش بالعرسِ
هم الأنس ما أبدوا سوى نجس الغرسِ
كحرب طغت بالقهر والمكر والخلسِ؟
فأزرى جوار النفس بالدين والقدسِ
فكيف يراد العيش للأمن والأنسِ؟
وما طربوا إلا إلى نغم النحسِ
صفا مأوها من كدرة الهم في الكأسِ
نجوم الدجى زهر على قبة الرمسِ
ولم يستطيعوا البرء من خطل المسِّ

يريدون منع الحرب والحرب سنة
فهل يدركون الطهر من قبل عمرة
ويا ويلهم شبت عن الطوق حزبهم
وظلوا حيارى خشية من دمارها
وكلُّ يعاف العدل إلا لنفسه
وتأبى سجايا الشر طهرة عادل
سواءً لعمري طبع فرد وأمة
وكيف تزول الحرب، والسلم بينهم
وكم قدسوا قدسًا لتطهر أنفس
خميرة عيش شرهم وحقوقهم
بناء المعالي كان بالشر قائمًا
وما شربوا من لذة العيش شربة
غفلنا ونام الهامدون، وفوقنا
فإن كان خلق الناس للعجز والأسى

ولم يَشْفِهِمْ من شرِّهم عمل النَّطْسِ
فما صانها العادي ولا فاز بالقبسِ
إذا جدَّتِ الأحداثُ شرًّا من الحبسِ
كما يغرق الغواص من نهكة القميسِ
كما يخلد المحموم في خطأ الحسِّ
وأقوى من الحقِّ الجهالة في النفسِ

وأعجز أوصافَ الأطباءِ داؤَّهُمْ
وإن قبسوا من شعلة القدس قبسة
فإن ارتهان المرء في سجن شرِّه
وإن انغماس المرء في لُجِّ أمسه
وإن رسيب النفس في قيد شرها
يقولون إنَّ الحق في الناس قوة

صوتك

ففسُ بعدَ الكفاح والظَّفَرِ
حِ نشاوى من غير ما سُكِّرِ
رَوْضَ حياة الطيور والزهرِ
عابثةً للجمال والصُّورِ
ردَّده الريف في سنا القمرِ
هرُّ في هداة من السَّحرِ
لعالم الفانيات والغيرِ
وتقتضي مثلها من الأشيرِ
موارداً ثرَّةً من الفِكرِ
عمق كعمق البحار والدُّرِّ
وأبعد الحسن أطيّب الأثرِ
ما دامَ فإن فات بالعمرِ
والحبِّ وصوت الداعي من القدرِ
ما كان من قسمة لمؤتمِّرِ

صوتك صوتُ السلامِ تألفه الأثرُ
أو مثل صوتِ الطيور في وَضَحِ الصُّبِّ
صوتك صوت الربيع يبعث في الـ
أو مثل صوت الحياة ظافرةً
يُطربُ مثل الصدى الخلوبِ إذا
أو مثل شدة الشجِّي يسمعه السَّا
من عالم الخلد خيل منبعتاً
تنال منه الأسماعُ فتنته
فهو كمعنى يُضفي لسامعه
أو عيّن دعجاء، في محاسنها
تأخذ منها العيون أقربها
صوتك صوت الشباب والعمر
أو مثل صوت المني السحيقة
كلاهما نافذٌ يلبى على

شفق الغروب

شفقُ الغروبِ وإنه
وكأنَّه الأنماطُ أعـ
خدرت نكأءُ كأنها الـ
وكأنها الملك المحجـ
بستار مُلكِ حاكٍ رُو
عبأت مفاتن لونها
والحسن أبهى حين رُو
رُوغٌ لمهلك كل يو
كم مرٌّ في يوم مضى
وأسى يخال مُخلدًا
والعيش ألوانٌ وبعـ

شفقٌ على أفقِ البحا
سودٌ تشابه عنبرًا
وكأن صفحة مائه
من منبع الذهب استقى
أسفائنًا قد حُمَّلت
شوقًا إلى وهج على
والنفس تنشد مرتقى

وعوالم للسحر تَعـ
لاحت على شفق الغرو
نارٌ توجج في الغديـ
والشمسُ تبدو في المنا
ماءٌ ونارٌ جُمعا

رفها وتنشدها القلوب
ب كأنها الحلم الحبيب
ر وحلية المرج العشي
قع ماسةً مثل اللهب
في المنظر العجب العجيب

وتوهجُ كدمِ يلو ح بلا قتيلٍ أو حريبُ
كدم الرحيقِ بنشوةٍ ردَّ الكهُولَ عن المشيبُ

* * *

وعلى المزارع هابطُ بجناحِ ذي الرئسِ الخضيبُ
وهدوءِ ذي السمعِ المُصيبِ خِ وراحةِ القلبِ المجيبُ
وعناقِ أرضِ والسما ء به وبالذَّغشِ العقيبُ
وعلى البهائمِ وحشةٍ من غيرِ مكروبِ كثيبُ

مفتاح القلوب

هل عندك الخُبْرُ والخَبْرُ؟ عن مُعلنِ السَّرِّ يا قَدْرُ؟
فهَبْه لِي أتقُّ الأعادي وأُعرف الصَّادِقَ الأَبْرُ
من قبل أن أنقم العوادي وألعق الصَّابَ والصَّبْرُ
فأُعرف الحافِزات طرًّا إلى المودَّاتِ والسيْرُ
يا طالما غرَّني ابتسامُ كم باسمِ قلبه كَشْرُ
قد حرَّتْ دهرًا وحرَّ مني قوم تهابُ الذي اسْتَسْرُ
هل عندك الخُبْرُ والخَبْرُ؟ عن مُعلنِ السَّرِّ يا قَدْرُ؟
ليقرأ العاذلون غيبي ويأمنَ الحبُّ إن نَفْرُ
وا حرَّ قلبي إذا تناءتْ وخالني الغادرَ المَكْرُ
فيُعرف الخلُّ أنَّ قلبي أصفى من العذبِ في الغُدْرُ
قد أخفق الحبُّ في بيانِ وأخفق اللحظَ والبَصْرُ
وأخفق العيشَ وهو سفرُ تبلى على الحازمِ الحدْرُ
هل عندك الخُبْرُ والخَبْرُ؟ عن مُعلنِ السَّرِّ يا قَدْرُ؟

الأندلس العربية

بمثيل، جنة الأندلس
 في ظلام الدهر مثل القَبَسِ
 في ضلالِ المسلكِ الملتبِسِ
 موحشًا في البِيدِ وسطِ الحنْدِسِ
 بالنُّهى منهم عنانُ الشُّمُسِ
 وزها كالسحرِ نبتُ اليبسِ
 جعلوا الطهرَ قرينَ الدنِسِ
 موطنَ الفضلِ الشهيِّ الأنيِسِ
 في نعيمِ العزِّ أو في الأبوِسِ
 في لظىِ الحربِ وطيبِ المغرِسِ
 أن ينالوا منه أعلى منفسِ
 علّمتُ قومًا صفاءَ الأنفِسِ
 في ضلالِ السعدِ أو في التعيسِ
 وابتكارًا لم يكن بالأوكِسِ
 صنعوا، عزّت على الملتمسِ
 لا ولا من لذةٍ لم تحبِسِ
 شجعوا في أخرياتِ الغلَسِ
 تتلظى في الهشيمِ اليبسِ
 مأتّمًا من بعد حسنِ العرِسِ
 معقلًا هانوا على المفترسِ
 عن قلوبٍ نفرت لم تسلسِ
 فوقهم مثل رحي المندرِسِ
 حلم الأحلامِ بالأندلسِ!
 في الكزى أو قبلة المختلسِ
 حملوا شعلَةَ نارِ القدسِ
 وكفاحُ ثم نومُ المرميسِ!

جنةٌ لم يظفر الدهرُ لها
 إذ نجت أقطارُ أوروبا بدتْ
 أو كنجمٍ يهتدي الساري به
 أو كنادٍ يأنسُ الضيفُ به
 أهلها الغرُّ الألى قد ملكوا
 عمروا الأرضَ وأجروا ماءها
 لم يهابوا بهجةَ العيشِ ولا
 أفسحوا للفكرِ فيهم موطنًا
 كللوا بالمجدِ هاماتهمُ
 في خلالِ البحرِ أو في المصنَعِ
 لم يكونوا مثل قومٍ أنفوا
 نجدةً الفارسِ فيهم شيمَةٌ
 ووفاء بعهودٍ وثقت
 أخذ الإفرنجِ عنهم فكُرهمُ
 نهضةً الأحياءِ لولا صحف
 لم يكن مصرعهم من وهن
 شجعوا في ضحوةِ المجدِ كما
 دبّت الفرقةُ فيهم كاللظى
 صيرتُ بهجةً أيامٍ لهم
 وإذا شملُ أناسٍ لم يكن
 قاتلوا قومًا بقومٍ منهمُ
 بربرٌ من تحتهم والقوط من
 تأنسُ النفسُ إلى عهدك يا
 كنت أوحى من خيالٍ طارقٍ
 فعلى القومِ سلامٌ إنهم
 وهي أعباءُ حياةٍ ونهى

بهاء الحياة

كان أنسًا وكان للنفس أهلاً
 فنرى الزهرَ في الحدائق حولاً
 ليس يفنى الربيع ضوءاً وظلاً
 أبداً سادراً إذا الشيخ غلاً
 خالدًا لا يزول رسمًا وشكلًا
 حسنٍ والعيش يتبع اليوم ليلاً
 من حلاه يحلو إذا الرث ملأ
 شِ ونيل الجديد حلواً مُحلى
 مُلحاً لا تدوم إلا لتُسلى
 فَ طَريفًا وما استجدَّ ليقلَى
 تَ سراعًا كالطيفِ حين اضمحلًا
 غربت ضاء حسنها وتجلّى
 في ضمير الآباد أشهى وأحلى
 حجة توضح البهاء وقولاً
 حسن لو قد غدا أليفاً وخلاً
 لو يدوم الجمالُ هانَ وقلاً
 ملأ النفسَ طرفةً ثم ولى
 ن تحلى وكان أشهى وأغلى
 لا جديداً يرجى ورثاً أملاً
 نَهلاً جارعين منه وعلاً
 وقفت في الزمان تعتد بطلاً
 لا حياةً به ولا حُسن يقلَى
 عرفنا الأمور فهمًا وعقلًا
 أبداً غالبين فرعًا وأصلًا
 ودوام الجمال شكلًا وشكلًا
 ح بنور اليقين بطلاً وجهلاً
 كان أنسًا وكان للنفس أهلاً!

كم أسينا على زوال بهاءٍ
 وودناه خالدًا ليس يفنى
 ونرى بهجة الربيعٍ دوامًا
 ونرى عارمَ الشبابِ جديدًا
 ونرى كل ما نوذُ ونهوى
 فأسينا إذ الفناء طريق الـ
 كل أن يجدد الكون وجهًا
 لذة العيش في القلب في العيـ
 أبدًا يبسط الزمان ويطوي
 جده الحسن رونقُ تأخذ الطرُ
 ورأينا مفاتِنًا ربما مرَّ
 غفلَ الطرفُ عن سناها فلما
 أعجمت في حياتها ثم عادت
 ثم عادت يحبو البيان حلاها
 حسرة للبيان بعد فوات الـ
 وإذا بالفناء فينا ينادي
 بهجة العيش في زوال بهاءٍ
 وإذا خافت النفوسُ على فا
 فوددنا الزمان حبًا عليه
 أبدًا وارديين وردًا زلالًا
 غير ما قانعين أن حياةً
 وقفة الكون ميتهً وفناءً
 فرضينا وما رضينا ولكننا
 ثم عدنا إلى الأسى والتمني
 وودنا خلود كل مراد
 واستطبنا المحال من بعد ما لا
 وأسينا على زوال بهاء

مقطوعات شعرية

صلاح الحياة أم غايتها

قل كيف نحيا ولا تقل لي
فمطلب للعلاء يحدو
كم سأل السائلون قدامًا
مسألة ما لها جوابٌ
كساختٍ من طروق داءٍ
وتاركٍ خلفه الدواءُ
ما حكمة العيش والبقاء
وأخر كله عناء
ما الكون، ما العيش، ما الفناء؟
وليس يُلْفَى لها غناء
وتاركٍ خلفه الدواءُ

ود الأسي

يا رفاقًا طالما أنستهمُ
قد وجدت الصّدق في ودّ الأسي
لذة العيش حزينًا يا رفاق
مقّة اللذات كسبٌ ونفاق

غبي ذكي

يا غبيًّا رأى الذكاء شقاءً
أنت أذكى من الذكيّ الذي يحـ
وإذا كانت الغباوة نعمى
ورأى النّحس أن يكونا أريبًا
يا شقيًّا لكى يكون أديبًا
فمن الحمق أن تكون لبيبًا

البصير الأعمى

يا قلبُ صبرًا ولا نعتب على قسَم
الحظُّ أعمى لدى من لم ينل أربًا
قد استوى الناس في عتب على القسم
وهو البصير لدى من فاز بالنعَم

خطة الضعة

في كلِّ نفسٍ من نفوس الورى
إنَّ كذَّبَ المُثني على نفسه
لذاك يعلي الخبُّ من نفسه
أكثر من إعلائه نفسه
شيءٌ من الحقد وسوء الظنونِ
صدَّقَ من يزري بفضل القرينِ
إنَّ هدًّا من فضلٍ بمدح قمينِ
بأنَّ يزكي النفس عند الفطينِ

ناجح

كل بشر منه فخُّ
بلغ النُّجَحَ بلوؤمٍ
كل لفظ منه غدرُ
إنَّ بعض النُّجَحِ وزرُ

الكذب

للِكذِبِ في الناس أوساطُ مجنحة
يهوون ما لا يسيغ العقلُ من كذبٍ
كأنما الكذبِ ملحٌ يستلذ به
والصدق يسعى لديهم كالسُّلْحَفَاةِ
وينبذ الحق من حرص المجاراةِ
طهي الحديث وإشباع السخيماتِ

إخفاء السريرة بالنطق

أتحسب أن الله أعطاك منطِقًا
وأنَّ لسانًا بين فكِّك ناطقًا
وتكتم ما قد يظهر الوجه أمره
لتبسط من لغو الكلام على الصدقِ
لإخفاء ما دون السريرة بالنطقِ
بقولك قولًا باطلًا شبَّه الحقِّ

عجائب الحقد

عجبتُ للمرء في بُغْضٍ وفي مقّة
يرمي النّفّاية لا يبغي لها ثمنًا
ويغفر الذنب من إحسان فاعله
هما العجيبان إن آخى وحين عدّا
حتى إذا ما حداها راغبٌ حسداً
حتى إذا نفذتُ آلاؤه حقداً

فخر الناجح

قبیحُ نجاحِ المرءِ إن هوَ شأنُهُ
كأن لم يكنْ أهلاً له حين نالَهُ
جلا منه عيبَ النفس من بعد ستره
ويا رَبِّ نجحِ يسلبُ المرء رشده
بفخرٍ فلا يقبَحُ نجاحُك بالفخرِ
هو الصمتُ قد يطري إذ الفخر لا يطري
كذاك حديثُ العهد بالمال واليسرِ
ويبيدي خصالاً منه تقتل أو تزري

ندالة الحسد

عدوكُ مرجوٌّ فإن كان حاسداً
وليس بنذلٍ كلُّ من صال أو عدّا
فلا رحمةٌ تُرَجَى لديه ولا عدلُ
وتابَ ولكنَّ الحسود هو النذلُ

مغفل لمغفل

قالوا الأنام إذا اختبرت أمورهم
غرّاً يخادعه لئيم عاقلٍ
كذبوا، فما عيش الأنام وهزله
يتهارشون على الحياة ورجسها
وبلوت من أحوالهم ما يبتلي
ولبئس حظُّ المرء إن لم يعقلِ
إلا خداع مغفلٍ لمغفلٍ!
فعلَّ الكلاب على خبيث المأكلي!

باقة غزل من شعر الصبا

خَلَفَتْ فِي الْعَيْشِ سَحْرَ الْمَنْظَرِ الْبَهْجِ يَا أَيُّهَا الْخَاذِلُ النَّائِي بِجَفْوَتِهِ
شَمْسَ الْغُرُوبِ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ وَهَجِ خَلَعَتْ حَسَنًا عَلَى عَيْشٍ كَمَا خَلَعَتْ

* * *

فِرْصَ الْحَيَاةِ قَلِيلَةً بَيْنَنَا جَمَالِكَ يَانِعُ
فَيْنَانَ كَالْغَصَنِ الرَّطِيبِ إِذْ لَا جَمَالَ وَلَا صَبَا
يُصْبِي الْقُلُوبَ إِلَى الْوَجِيبِ وَالْعَيْشِ خَلْدٍ فِي الشَّبَا
بِ فَيَانَ دَنُوتَ مِنَ الْمَشِيبِ أَحْسَسْتِ إِقْبَالَ الرَّدَى
كَخَشُوعِ قَلْبِكَ فِي الْمَغِيبِ فَتَرَى الْحَيَاةَ قَاصِيرَةً
كَتَلَأُلُوِّ الْبُرُقِ الْخُلُوبِ وَإِذَا الْحَيَاةَ كَنْغَبَةً أَلْ
عَصْفُورِ رُوعٍ بِالرَّقِيبِ مَتَلَفَتْنَا يَحْسُو وَيَخُ
رِ تَرَاهُ فِي الْأَفْقِ الرَّحِيبِ بَيْنَا تَرَاهُ عَلَى الْغَدِيدِ

* * *

مَا خَلَفَتْ نَغْمَةً مِنَ الْجَرِيسِ خَلَفَتْ فِي الْقَلْبِ يَا مُعَذِّبُهُ
نَكَرَكَ فِي نَفْسٍ مَنْصَتٍ يَقِظِ نَكَرَكَ فِي نَفْسٍ مَنْصَتٍ يَقِظِ
لَيْنُوفَرِ دَائِرٍ مَعَ الشَّمْسِ كَأَنَّمَا الْقَلْبُ نَحُوكُمْ أَبَدًا

* * *

حَافِلٍ بِالنَّعِيمِ وَالْآلَاءِ كُنْتَ رَوْضِي وَالْعَيْشِ صَيْفٍ وَفِي
أَنْتَ فِيهَا كَزَهْرَةٍ فِي الشِّتَاءِ فَلَمَّا عَادَتِ الْحَيَاةُ شِتَاءً
رُومًا وَمَحْبُوبَةً بِقَفْرِ عَرَاءِ فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ وَأَنْدَادُهَا كُتُ
لَا فَتَقَادُ الْأَنْدَادَ وَالْأَكْفَاءِ وَهِيَ أَشْهَى إِلَى النُّفُوسِ وَأَحْلَى

* * *

عَلَّمَ النُّجُومَ نَظْرَتَكَ أَعْرَى الْبَدْرَ طَلَعَتَكَ
تُكَّ وَالزَّهَرَ نَضْرَتَكَ وَامْنَحِ الصَّيْفَ مِنْ رِوَا
تِكُ وَالْفَجَرَ غُرَّتَكَ وَهَبِ الطَّيْرَ شَدْوًا صَوًّا

قصائد أخرى

وَإِذَا مَا هَفَا النَّسِيءُ مُمْ فَعَلَّمَهُ خَطَرَتَكَ
أَمْنِحِ الْكُونَ نَشْوَتَكَ عَلَّمِ السَّحَرَ قَدْرَتَكَ

